بمو!كايض



ا لر!حقر اء لإ سكلا كل ا !

!برث!ث! لرلمحب
.يمولو!تزلرلتز!د!!
بصعر!-!رر!آ!
!ى"و!وهو!،

بهسبما



الزهرأء !لإعلام
العرد

ص . ب : 2 0 ا صدت نصر - التاهر، -ئ!زافأ 2 راهرالعف -!ود 988 1 0 6 - 6 0 1 1 1 6 2 -كلكى 1 2 0 ، 9 ركف !
ان فاكى . ، ! 8 1 6 2

تجما شص لرحش ا لرحيم
!ومن أئخينجمؤ" جمما لركا ! لى المج "
"وعلضالمحا وقا ل! ! !قمن ا فييص
ص!ق ا تث! لعظيم
فضلت/33

الطبعة الثلثة
ا 1 هـ-! 1 0
1990 م

الجمع التصويرى
والتجهيز
بالزهراء للاعلام

تصميم الغلاف : عصمت
داوستالثى

خطبة الطبعة

هذا الكتاب صدرت طبعع! الأولى في بيروت منذ 18 سنة وكبت بض
فصوله ونشرت في مصر منذ اكثر هن عشرءك سنة ، وفيه قلت : إن الحلاف
حول تفسير التاريخ ليع! ترفا فكريا ولا ظاهرة اع!ديمية ، بل هو فى الحقيقة
خلاف حول تفسير الحاضر واختيارات المستقبل.
وكان لويس عوض الذي تضخم وقتها وانتشر بحكم سيطرة العسكر على
ثقاكنا ، ما بين جاهلهم وماخورهم مما سهل ض!وع السلطة للعملاء
والمتغربين ، دعاة ايغريب وأعداء الهوية ا!ارية لمصر ، مصر العرية الإسلامب.
ولا شك أن العهد الناعري ، كان أخطر محاولة للقف!اء على هذه الهوية،
التي تعرفت للتشويه والتدمير بالتشريعات الناصرية وبكتابات هن أطلقوا
عليهم مفة " اليساريين " الذين رتعوا في أجهزة الإعلام فعربدوا في الفكر
العربي ، متطاولين على التراث ، ملفقين التاريخ ، مزيفين الواقع مفعللين
ا!طريق للمستقبل . وهم في الحقيقة لا يساريون ولا تقدميون ، بل عملاء
لأحط أشكال الاستعمار الغربي ، وليع! مقعادفة أن بيروت كانت عاصمتهم
الفكرية ، وكلنا يعرف وجهة بيروت في ذلك الوقت ، وكلنا يعرف إلى
اين انخهوا هم ببيروت ! ولش مقعأدفة أنه في هذه الفزة بالذات قررت
انحايرات الأمريكية إصدار مجلة فكرية ثقافية باللغة العرية ، وكان طبيا
للغاية أن تختار انحايرات الأمريكية ، نفس هؤلاء " اليساريين "

حيهث ، بل اختارت حملة لواء مهاجمة الرجعية ودعاة التقدم
والانفتاح ، الثائرين
على ديننا وترأتنا ولعا.
في تلك الفترة الخالكة هن تاريخ الفكر المصري نحاصة والعربى
عاهة،
كان " لويس عوض " ! المستشار النقافي لصحيفة النظام الناصري
وكان يسيطر على العسكري الذي تربع على قمة ، (الأهرام)
المسئولية الثقايخة
في مصر وأول هن كلفه عبد الناصر بالإتصالات السرية مع إساتيل،
واستفل " لويس " الفرصة ليشن حربا على تاريخنا العربي
الإسلاهي فى جميع
الجبهات مستعينا بالرمز والفمز واللمز أحيائا (قصة الراهب " أبو
نوفر"
المعادية للوحدة العربية با! لتعريب مقر) أو مصرخا بالتلفيق
والتزوير
والاكراء هعتمدا على حماية السلطة 41 ، وغفلة الجيل الذي تتلمذ
على يديه
وأمثاله وفي مقدهتهم وزير الثقافة الناصري الذي لا يتحدث عه إلا
أستاذي لويس " ؟ فعف الطالب والمطلوب . في تلك السنوات "
استطاع
لويس عوض " أن يدرلر تاريخنا للطبة العرب والمصريون في "
مقدهتهم،
وفي معاهد تديرها الجامعة العرتة ، استطاع أن يدرلر لهم كل ما
يهدم ويثوه
هذا التاريخ ، كل ما يتعارض هع حقائق هذا الاريخ وامالى ورثة هذا
التاريخ.
فوفقا عاضراته ، لش لأمتنا هن إسهام في الفكر أو ا!ارة الإنسانية،
بل إن العرب والمسلمين لم تكن في لنهم لفظة تعني " الحرية "
فلم نتعلم
الحرية إلا على يد الأساتذة الأوروبين ! والمعري هثلا ما كان له أن
يصل
إلى ما وصل إليه إلا قأثرا بالثقافة اليونانية ، وما كان له أن يعلم
هذه الثقافة
لولا " راهب " في دير أفشى له أمرها وهو صبي!
وكجزء هن هؤاهرة عزل بنان عن المجرى العرلى تمهيدا لذبحة ،
جرى
إسقاط الخافعر على الماضي ؛ فرعم " لويس " أو أستاذ وزر
ثقافة ناصر،

وكانت هذه إشارة واضحة بل تحريفعا للانفصاليين الطائمين في لبنان
الذين كانوا زرعون بذور الفتنة بمثل هذه الأفكار ويسقونها بماء !! رائيل
لتنبت بعد ذلك ها نبت في لبنان . ولم يقعصر تزوير " لويع! عوض ع " !
ت!تويه موقف المعوي والمثقفين المسلمين الشوام في تلك ال! سة ، بل أجرى
تعديلا في تاريخ الحروب الصليبية المتفق عليه عالميا و؟ريخيا ، فجعلها تقع
قبل موعدها بنمف قرن لأنه إذا لم تنطبق نظريا! ابن عوض ع! التاريخ،
!فليعدل التاريخ ليتفق هع نظرياته ولو كرها
وطرح أو قل " جدد " لويع! طرح حكاية المعلم يعقوب بن دمانة
كمدخل لنظرية تجعل الغزو الأورويى لممر والشرق عاهة بدايه التحرر
وبداية البعث القومي ضد " الاستعمار الإسلامي " . ثم انتشر لينه! ق رفاعة
. رالع الطهطاوي .. إغ
في تلك الأيام الرهيبة عندها كأن (الاسلاميون) يعلقون في الم! ثانق،
وتتهما مجلة " الكاتب]) بائنا نعادي الميثاق لأننا ندافع كن الدولة العمانية.
في تلك الأيام ابي صنعت كارثه 1967 وها بعدها ، وبينما لويع! عوض
يسيطر بقوة السلطة والشرطة ع! الفكر الرممي ويكتب في كبرى الصحف
العربية (الأهرام) ويعلم العسكر " شيثا هن ا!ارة "! جمحت لنا
تناضات النظام أو تكتيكاته ورغبته في كشف التيارات لمكبوتة ، المهم
سنحت لنا فرعة للكتابة في نشرتين او بمعنى أصح "مجيين) عظيمتي
التاريخ ، ولكنهما كانتا قد توفيتا إلى رحمة الله منذ عدة شوات ، ثم اعيد
ثهما ، وا!ا مجيا : " الرساله " و " الثقافة " ، وقد أتشرف على! الآولى الشاعر
الأستاذ " عبده بدوي " الذي تمتع بقدر هن الشجثعة وشرف المهنة

المهم : تشبثنابهذه الفرصة وبدأنا نكف ضد الزيف الذي
يروجه دا لويس
كلوض " وفوجئ النظام بهذه " النشرات " تقبح حديث
المدينة ، ويتناقلها
المثقفون ، بل ينسخونها نسخا .. واصاب الهلع كل لصوص
الفكر هغتصبي
الكلمة ، فقد ضبطوا عراة بالجرم لمشهور ؟ ،ندموا يصرخون
ضد عودة

فلما خرجت هن مصر عام 1968 لكي أهلك حرية القول ، كان
إتمام
هذه الدراسة عن الحملة الفرنسية ، هو شغلي العثاغل وهي الأول ،
حعي
. (أخرجت هذا الكتاب ومم! " ودخلت الحيل الأزهر
وقد حاول ناشر -كان على صلة بالأجهزة - تعطيل نضره ، ولا يزال
(يعادي هذا الكتاب بالذات ! لولا هبادرة هن صاحب " الدار العلمية
للنشر ؟ وهو اخ سوري على خلق وعقيدة شاركنى في إصدار
الطبعة الأولى،
فله شكري وامتنافي.
وبصدور الكماب ، اشقاهت كتابة تاريخ هذه الفترة التي يعالجها.
وعفوا لهذا القول الكبير . ولكن سامحونا ، فقد عانينا الكثر وتحملنا
الكثير
ونحن في مرحلة الوداع ، وهذا ما شهد به الكير ، وما وضحت اثاره
على
كتابات كل من ستب فقبل صدور كتابي هذا ، كانت " كل " الكتابات
عن الحملة الفرنسية متأثرة عل نحو او اخر بذلك المفهوم المشبوه
الخاطى
الذي ينسب للحملة الفرنشة فل " تحرو مصر ! ، وللعمالة للاحلال
الفرنسي دور ريادة البعث القوهي ! وبصد!ور الكتاب سقطت تلك
المقولة
أو أجبرت على الانزواء والترير والتنقيح ، أما المعلم أو العميل
يعقرب فقد
احتل مكانه الختار في مزبلة التاريخ ومستنقع العملاء ، كما أعد
الاعتار بل
الاعراف " يورة القاهرة الكبرى ،! . الب!! أرخت " انا ! أنها كانت
بداية
ظهور البورجوازية المصرية على المسرح السيامحط كقيادة
للتحرك لمصري نحو

مجتمع حر ديموقراطي صناعي . ولمن شاء أن يمحص ادعافي هذا فليراجع
ما ك! قبل وبعد " ودخلت الخيل لأزهر " . بل أستطيع أن أزعم أنه
ما من دراسة ولا كتاب ولا حتى مقالة عالجت الخملة الفرنسية بعد عام
1971 إلا وتأثرت بكتالى هذا ، بض!هم كان لديه من تثرف الكلمة ما
ألزمه الإشارة إلى مصدره ، وبضهم سقناكاإلى الحام لأنه اكبس نحتلسا!
فمن حقي أن أحمد الله -عز وجل -أن نجافي من القوم الجاهلين
المضللين فمكنني من إصدار هذا الكتاب الذي بدّأ كعة في مجتن الرساله
والثقافة كشعفت وجود الظلام ، ثم نفخ !ه فصار نارا أحرقت باطلهه وث!سعا
بدّدت ليلهم.
ولكن الكتاب اختفى من السوق ، وظهر جيل لا يعرفه ، والقوى
المعادية تعتمد على هوممية العمل الإطني ودأب قوارضهم ، ومن ثم فقدّ
نشطوا من جديد هع الهجمة الجد!يدة للاستعمار الفكري وحرب الإبادة التي
تشن ضد الإسلام والمسلمين ، والتي أعتقد أنها أخطر ما واجه أمتنا منذ
الغزو الاستعماري الأوروبي ؛ فالقتل يستحر في المسلمين ، والخشد العام
لكل الوجوكاالنكرة التي ظننا أننا ألقينا بها للكلاب ، عادت تطل من جديدّ
كلع كوكبة من العملاء الجدد ؛ عاد عميل مجلة (ا حوار " مجلة انحابرات
الأمريكية الذي افطر إلى الفرار من مصر بعد ا!اح أمره ، وانتحار رئيسه
أو كله ؟ تقتل الكلاب المسعورة ، عاد يتطاول في كبرى الصحف المصرية
على يثيوخ المسلمين بعد كل ما قاله ضد الإسلام والمسلمين ، بل عاد
لويس عوض " يستقبل رئش الدولة باسم المثقفين المصريين " !
ورأيت أن أبرئ ذمتي مع الجيل الجديدّ ، بإصدار الطبعة الثالثة ، وقد
أ!ط إليها يض المقالات التي كنت قد نشرتها في عامي 1965 و 1966

كانت لا تصل إلى مستوى درايعة الحملة الفرنسية موفوع الكتاب ، إ ذ
كانت مجرد عناعر البحث المفترض وبخاصة عن المعري والطهطاوي . ولكن
الدهر لم يسعف لإخراج هذه الدراسات ، ولن أخرج الانجيز وحدي ، ؟
كتا نقول . فليكن تقديمها في هذه الطبعة ، فدفين : إغراء باحث من
ال!ثباب باستكطل هذه الدراسة ، وايضا تعريف الجيل الجديد بما كا نكبه
في ظل الأرهاب الناعري ، وانا في القبضة (هأسور " . والحمد دلة ؛ فربما
اكون الكاتب الممري الوحيد الذي يستطيع اعادة نضر ها كب في عهد
الناعرية دون ان يير حرفا!
ولا شك ان هذا الكاب إن لم يكن احب كبي الى فهو اعزها مكانة؛
لا نراحمه إلا دراستي في التارغ السودافي والأخرى في تاريخ السعودية،
ولم ذقغ فرحة العشخ وهو صر تخزج ابنه الذي كان بالأمل القريب ،

ربئ إفي لما انزلت إلمط من "

هابه

محمد جلالا كشك
ب جمهجت علي - 3

خطعة

في ا!وير 1798 دخلت الحيول الفرنسية الأزهر ، واعمل الجند
الفردسيون السيف في طلبته ودثيوخه ، وخمهبت الكتب وهزقت نحطوطات
عمرها عدة قرون ، ألقوها ارضث ووطئتها لمنابك اطيل ، ونهب بضها اليهود
الذين كانوا في خدهة جيق الاحلال . ثم اتخذ الجند هن المسجد-
الجامعة - اسطبلأ للخيل .وظلت فيه حتى تشافع الشيخ " الجوهري) الذي
ا يقابل في حياتة حاكما ، ظالفا كان هذا الخام أو عادلا . ولكنه خرج
على النهج الذي ألزم نفسه بة وتوجه الى " نابليون " ، طالبا خروج الخيل
من الأزهر . وأدرك نابليون خطورة احلاله المهين للأزهر وعمق تأثيره في
المصريين . فأهر بالجلاء عنه . ليلقي القبض على عدد هن معثايخه ويقطع
رءوسهم في سجون القلعة.
كانت هنه هي المرة الاولى في تاريخ هصر ، التي يمت! فيها الأزهر ع !
هذا النحو ، وأو! هرة ي!طاول فيها حام ع! لثيوخه إلى حد الإعدأم ؛
ذللض لأخيا كانت أول هرة يحتل فيها مستعمر اجنبي هصر منذ ان كان
الأزهر.
كان (الأزهر " هو رهؤ سيادة الأهة ، وهركز قادتهث . وها إن سقطت
الدولة " المصرية في معركة اهيابة ، حى اصبح الفازي "

ال!عيوخ الصفار ، بتن!ص -صكات ستة ، ز أترإ ا! المقثومة
الشعبية - ايي
وصلت ذروتها تنفيذ أهم تمورتين عرفهما الشرق في ذلك الوقت -
إلى
أعمال الاغتيال ايي نظمها ونفذها بنجاح طلبة الأزهر ، " المجاورون
" .
كان الأزهر يختل الكيان ايميز فذه الأهة ، يمثل ذاتها وتراثها ،
وإمكانية
مستقبلها ، وأدرك المحتلون ذلك كله ؛ لذا نراهم في نفس الوقت
الذي
يجرون فيه المفثوضات والمساوهات هع الباب العالمط بهدف
الماهم معه،
ويعقدون الإتفاقيات هع فلول المماليك ،ويصبح كبيرهم " مراد " بك
بمثابة
موظف أو قاتد قوة بوليسية تابعة للمحتل الفرنسي .. في نفس
الوقت كان
الصدام يتصاعد يوميا بين جيق الاحتلال او السلطة الفرنسية وبين
الأزهر ، وانت! ذلك الصراع باعلاق الأزهر وتسمير أبوابه بعد
مصرع
كليبر ، وفى !د خليفته الذي ادعى الإسلام : " عبد الله جاك مينو
! "
نعم .. لقد فح الأزهر أبوابه بعد ذلك ؛ لأن الحملة الفرنسية انتهت
ايامها في ممعر واضطرت إلى الجلاء ، ولكن هذه الحادثة - أعني
إغلاق
الأزهر - عبرت عن طبيعة العلاقة الوحيدة الممكنة بين الاحتلال
الغربي،
وقيادة الأمة.
كانت الحملة الفرنسية هي طليعة " الاستعمارية الغرت!ة " ،
وكانت تجربة
السنوات الثلاث التي ضعتها في مصر ، كافية لإقناع هذه
الاستعمارية بأنه
عا لم تغ تصفية الدور القيادي الذي يلعبه " الأزهر " فلن يمكن لأي
اسحمار
غربي أن يسقر على ضفاف النيل.
لقد سقطت مصر خلال ساعات عدها كان أمراء المماليك يتولون
الدفاع عنها ، ودخل " نابليون ا) القاهرة سعيدا مستبشزا حالما

بثلفكر أو بثلوق!ر ، مسئولية قيادة مقاومة الأمة ، لم يبت جي!ن! الاحتلال
ليلة واحدة هادئة طوال ثلاث سنوات ، ولم يسجل ياريخ الشعوب
الشرقية ، قبا! مقاومة الشعب المصري ، ولسنوات أخرى عديدة ،بعدها
فل هذه المقثوهة ا!عاهة والعثاملة للوجود الغربى ، التي شهدّتها مصر في
الفترة من 1798 - 1801
كان ر! الوجود الغربي على أرضنا ر!ئا عاما لثاملا وعنمفا ، وكان
لابد أن تصفى قيادة الأزهر ؛ لا عن /طريق احتلاله بالخيل ، ،د! بتسمير
أبوابه ، بل بتسمير بثب قيادته الفكرية للأهة ؛ بتغريب المجتمع من حوله
حتى تقطع جذوره أو تذوي ، وييدو نشازا متخلفا ة بل ويصبح رمزا
. للتخلف " ، ومثار السخرية والتندر "
هذه هى المهمة التى تولاها بنجاح رجل الغرب وممثا! مصالخد " محمد
علي بثشا)] الملقب " بثلكبير " مؤسس ممر " الخديثة " ، باعت " نهفها"
.ومسلمها فري!عة عاجزة إلى الاستعمار الغربي
عندما جاء نثبليون بجيشه ، واجه شيوخ الأزهر : القيادة الشرعية
والواقعية للأهة ، لذلك كانت سنواته الثلاث هي سنوات حرب ،متصلة
ومماوهة لا تهدأ . ولكن بعد ثمانين عاما من ضير وتمدين وتغريب أسرة
محمد علي " لممرر ، انتقلت القيادة نهاييا هن الأزهر ، وأصبحت " في هذه
المرة في الجيش . فلما سقط الجي! في !ركة " التل الكيير " ؛ سقطت
مصر ، ونعم الإنجليز بهدوء دام اعز من ربع قرن ؛ لأن الأمة كانت بلا
قيادة . لأن قيادتها الطبيعية كانت قد لحيت وصفيت ؛ لأن عملية التغريب
كانت قد تمت بنجاح . وأصبحت البلاد نثضجة لكي يتنثولها السيد الغربي

أين فلاص دنشواي ابة لماء المسالمون الذين شنقوا

كس " اصعابت جنديا إنجليزيا ؟ ! أين هؤلاء العزل هن الفلاحين الأشاوس
! المقاتلين ، النين دوخوا نابليون وفردانه ؟
كان الاسلام هو السد الوطني الذي تتكسر عنده أمواج الغزو الغريى،
لأن الإسلام هو الرض! ا!اري للغزو الغربى . وكان الاسلام يمثل في
الرض! الغريزي هن جانب الجماهير للغزاة الأجانب الذين عددون وجودنا
ا!اري ، ومستقعلنا ، ومم!الحنا . وكان تمثل ايضا في القيادة المثقفة
للأمة . أي في ثيوخهاوتجارها واعافها . (وهي القوى التي صفاها محمد
علي ؛ باضلاحاته ، ونظاهه الاضث دي والطبقة الجديدة التي حلت محل الأعان
المصريين) . وها هن اهة تحقق اسقلالها وتقدهها إلا تحت قيادة طليعتها
ايخققة ، شرط أن ترتفع الطليعة إلى مستوى ثقاقة عصرها ، وشرط ا ن
تنجح في تحميع وتوجيه طاتات الجماهر في اتحاه التحرر وكسب القوة المادية
.القادرة عل انجاز متطبات المرحلة التاريخية
لذلل! كان على الغزوة الاستعمارية الزبية ان تفتت هقاوهه أمتنا،
بتجريدها هن الاسلام . وفد جربت أوروبا إتادة الاسلام بقتل المسلمين في
الحروب الصليبية ، لكنها اكشفت فشل هذا الأسلوب . وحاولت هرة
أخرى ان تخرج المسلمين هن الإسلام بحملات التبشر ، هذه الحملات التي

بالذات ، قلاعا لمقاومة الغزو الاستعماري الفرلى . وكتابات الاستعماريين
الغربيين والمبعثرين الغربي!ت ، حافلة بالخقد على الإسلام وكنيستنا القبطية
معا ، اول نهاية القرن الاسع محشر . والمؤرخون الاستعماريون ، ! يخفود
مراركم وهه يتحدثون عن فشل جهود هبشريهم في ك!سب مسلم واحد أ و
قبطي وأحد إلى عفوفهم.
لكن التبشير لم ينجح ، فكان التغريب : اي دفع المسلمين والمصيحيين،
إلى استبعاد الدك هن حياتهم وتمكيرهم ، صل القيادات المثقفة ، تق!فية
-دورها في المجتمع
! والآن ماذا نقصد بالتغريب ؟
إنه الجواب الحاطع الذي طرح على شعوب الشرق منذ صداهها هع الغزو الغرلى.
: لقد اصطدم الغزو الغريى ، نجتلانة أنواع هن ال!تعوب
قعوب لم تكن لدعا ضارة فادرة على المقاومة ، ولم يكن * الاستعمار
الفرلى ،بحاجة إلى استمرار هذه ال!ثعوب ، فكان أسلوبه في مواجهها هو
الابادة حالشاهلة ، أها هن بقي بعد الذبح والحرق ، فقد تم فناوه في الغزاة ،
وتكون جيل جديد من الخلاسيين ، أو المولدين ، يتكلم نفس اللغة ، ويعتنق
نفس اثدين ، ولا يكشفه إلا لونه ، وتخلفه ، والبؤل! الذي فرض عليه بصفة
أبدية ، ذلك ما تم في شرب العالم الجديد!
وشعوب كان الاستعمار الغريى بحاجة إليها ، ولم تكن لدعا ضارة *
ولا ه!هات صارية تمكنها هن مقاومة الغزو الاستعماري ، فاكعفى
الاستععار باستثصال قسم هها ، وباستنال! القسم الاخر ، وإلحاقه ،بمزرعته
وتلقين هذا المسم الداجن لفته واحيائا دينه ، وبالذات في المرحلة الأيضرة
كاجراء وفالن لمواجهة تطورات الزمن اعوهة ، هع ابقاء حاجز أقوي من

حائط الصين بين مجتمع السيد ، الإنسان الأبيض ، ومجتمع
الكائنات غير
اليفعاء . هكذا جرى الحال بصفة أساسية في أفريقيا.
أما الحالة الثاية ، فهى حالة الشعوب التي كان لها تراث *
ضاري ،
ومؤسسات ضارية ، رغم تخلفها ، لكنها تثكل عنصر رف!
وهقاوهة
للوجود الغربي ، هذه الشعوب كانت إبادخها مشحيلة وغر
مرغوب فها؛
لأن استثمارهث هو جوص الاشعمار وغايته ، (كيد عاهلة
رخيصة وهستهلكة
لمنتجات الدولة الاستعمارية) وكان تدجينها با"سلوب استئنالر
الحيوان - أي بالسوط وقطعة السكر -مستحيلا.
هذه الشوب عندما فوجئت بتفوق الفرب ، الذي عاشت
قروئث على
احتقار شاءنه ، والاستخفاف به ، إلى أن رومحها مدفعية
نابليون في خهاية القرن
الثامن عشر في الطرف الغربى من اسيا ، بينما أيقظت
مدفعية الكومادور
اتيو بيري " الأمريكي ، الطرف الشرقي - اليابان - في! 11
عام 1853 ،
! فكان السؤال ، يهف نواجه مدفعية الغرب ؟
وبينما أخطأت اسيا وأفريقيا الجواب ، عركه اليالان وحدهث ،
" كان
الهدف الرئيسي هو بناة اليابان العسكرية ، ولكن لحقيق ذلك
كان
على اليابان أن تنتج كل المنتجات الحديثة ، وأن تمتلك كل
المعرفة العلمية
. " لخاحة للغرب
أدرك الشرق كله تلك الحقيقة ايي وعتها النخبة اليابانية في
عصر
الميجي " (أو الحكومة المستنرة) ، وهي أنه " لكي تبقى "
اليابان فيجب
أ- تصبح في مستوى العصر " ، ! الشرق وعى هذه الحقيقة ،

يتحقق التحديث لابدّ هن رف! التغريب ، بل نزعم أنه بقدر الإصرار
.والنجاح في ر!ى التغريب ، يكون النجاح في تحقق التحديث
تمسك! ابايان بدينها ، وأع!بح المعبد أو ا!كل جزءا أساسيا في كل هصنع
أو باخرة ، وتمسكت بنظاهها الملكي واستمرت حتى الحرب العالمية الثاية
تعامل إهبراطورها كاله ! يصر النظر إليه من أعلى ! وتؤهن الجماهير،
!!وتسلك النخبه على اسالر انه ينحدر هن الشص
وبينما كان يجرى التحديث بأع! معدل عركعه دولة إلى النصف الثاني
للقون العشرين كان اليابافي محفظا بحياته العاتلية والاجتماعية وتقاليده وتراثه،
يرتدّي القفطان (الكيمونو) والقبقاب ، وياصلى على الطبلية بالعصي،
محتقرا الجنس الأبيفى ذ هقتنعا باضرار متزايد أنه خير أمة ، على ظهر الارض
محتفلا بأعياده القوهية ، عيد تكريم!الإمبراطور ، او عيد البنات (3 هارس)
حيث تجري في كل بيت مراسيم اخرام وتوقير قاتيل صغيرة على ش!كل عائلة
الإهبراطور إ! وعيد الأسون ، في يوليو ، حيث يجري استقبال أرواح
.الأسلاف وتكريمها
ظل المسرح اليابافي يقدم روايات التراث وبنفس الأسلوب . . منذ قرون
وظلت المرأة في مكانها القليدي ودورها الأساسى ، وظلت على احترامها

إ ا جالى اخكر!ة ا اطيبة الإشعماهـالأيصر فإث ا اطرت الياباق يقوا على - احتقار اللرر الأيض

أية لحظة . وبعكمر، ها بذل هن جهد في بلادنا لحليمنا استخدام الشوكة
والسكين أو اداب المائدة ، لم يحدث ف أن حاول اليابانيون الأكل على
الطريقة الغربية . فا إلىئة الق ئلقن أضها بحاجة إلى ان تتعلم اداب الماتدة من
عدوها هي أمة فقدت احرامها لنف!عها ويستحيل أن تنجز أي تفوق .
التحديث ؛ هو امتلاك كل المعرفة التي جيفوق بها الغرب ، إنتاج كل
المعدات التي ينتجها الغرب . وكل ها خعاجه أمة هن الأم لتحقيق هذا
التحديث ، هو إرا-ة فوفه ، ونظام عاع فادر على تعبئة هذه الإرادة
وتوجهها لي طر-! ايلكعنيح او التحديث إذا كان البلد مستقلا ، او في طرصش
تحرير الارادة القوفه عبر حرب التحر! الوطية ، التي يتي التحديت خلالها.
لكن تشترط قبل ذلك ان تؤهن الأمة بأن تخلفها هو ظاهرة عارضة،
وإن اعالتها تمكنها هن تجاوز هذه المرحلة العارضة.
أها التغريب ، فيبدأ من بناع الأهة الثرقية اضها متخلفة في جوهرها،
تخلفة في تاريخها وصميم تكويا ، وهن مم فلابد من انسلاخها، تماها عن كل
ما يربطها بماض!ا ويمز ذاتها ، وإعادة تشكيل امحمع على الطراز الغرب هن
ناحية العادات والمظاهر السلوكية هع إبقائه متخلفا عاجزا عن إنتاج سلع
الغرب ، عاجزا -لن اكسات معرقة الغرب ، فإذا ها اكسب بض أفراده
هذه المعرفة ، يجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل لي مجتمعهم فيضطرون
إلى النزوح الى ءالم المتفوقين.
امحمع المعرب ، هو ذلك امحمع الذي تزدحم طركاته بأقخر واحدث
السيارات المستوردة ، وتفم مدنه أفخم دور عرض الأقلام المستوردة ،

بحبر مستورد وبالات مصتوردة ، حول !مايا الوصدية ومسرح
اللامعقول ، والجعى الجماعي ، وتطور حركة الهيبيز ، ع! بعد
خطوات
من كهوف هواطنم حيث البلهارسيا والكولبرا والتراخوما ، وكل
ترا؟ت
التخلف مذ القرن السابع عشر.
وإذا كان الطرف الشرقي من اسيا -اليابان -قد شهد نجاح سياسة
التحديت لا التفريب ، فابئ الطرف الفرفي ، شاهد افوذج المضاد
تماما . .
كركيا بعد الحرب العالمية الأولى وبعد قرن كاهل هن العجز عن
التحدتث،
اندفعت - بأقصى ها ادهطاعت حكومة أن تجبر شعبها الشرقي -
في سياسة
التغريب .. كبت هن الشمال لليمين وبكلوف لاتينية كالغرب ،
وخلعت
الإسلام وقرأت القران والأذان باللاتيني ! ولبيست البدلة والقبعة
بأمر
القانون . . وعطلت يوم الأح! وحولت المساجد إلى قاحف ،
وحررت المرأة
ع! اولعع نطاق ، وجعلت الؤواج والطلاق على الطريقة الفربية
المسيحية
وحتى الصراتث، واشترطت " ع*!د! 7 ا أ*!3 " (اسم عائلة) ؟
هو الخال في
جوازات وتطافات السياح الفربيين ! لم تترك صغيرة ولا كبيرة هن
مظاهر
الفرب إلا و!دتها ع! عو يفوق قدرة القرود .. وظلت دولة متخلفة
يفتك
بها الفقر ، وترفع نسبة الأمية بها عن سبعين بالمائة .. تغربت بكل
طاقت!
فبقيت خارج نطاق الدول الصناعية او المتمدينة.
كان التفريب هو الطرقي المغمون لحسارة هعركة التحديت ، وكل
الدول التي تم تنريبها ، أو اختارت طريق التغريب وانشغلت في
قاياه ظلت
ع! تخلفها .. بل وأخطر من ذلك أن " الخريب " يقضي ع! روح
المقاومه
في الأمة الشرقية ، فيجعل استعمارها هن قبل الدول الفرت!ة
المتفوتة اسهل،
وحكمها ايسر ، ويجعل استغلالها أعمق واكبر عائذا . . وكل كلفة
ونحاطر.

.بل وكجزء منها ، تهدّف إلى إقناعنابانه لا تحديث إلا بالتغريب
وبعد الغزوة العربية الأخيرة ، المتمنطة قي الهجمة الصهيوينة ، وهع
الإلحاح المتزايد للجماهير في البحث عن حل يكفل لهم امتلاك
المعرفة
التكنولوجية التي يمتلكها عدوهم الصهيوفي والعالم المتقدم الذي
يساند هذا
لعدو ؟ بادر أعداء التحديث ، أعداء اسقلالنا القومى ، أعداء كل(
حركة
بعث قومية جادة ت بادروا يسدون الطريق على أية محاولة !شاف
الجواب
الق!حيح عن تساولات الجماهير ، فكان الإلحاح من جدّيد ، على ان
الحل
هو التغريب ، وأننا لم نتغرب بما فية الكفاية ، ولذلك انيزمنا .. وأن
كل
ما نخاجه هو جرعة أكبر من القيم وايقايد والعقائد القثدمة من
! الغرب
رأمماليا كان أو شيوعيا ، وأن نقطع خطوات أكثر فى الابتعاد عن
تراثنا
.وهقومات ء شخصيا
وبدّأت عملية تزييف التاريخ ؟ بهدّف إجهاض موجة العدّاء الجزايدة
ضد
العدو التاريخي والقومي والحفعاري ، الذي تثل تقدمنا وأبقانا في أ
ص
التخلف خلال مائة وخمسين عاما حاممة في تاريخ العالم ، ثم رمانا
بابنته الشرسة
المتوحشة المدججة بتكنولوجيه . بدلا من تنمية هذا الوعى ، وقنجيه
هذا
الفور من الغرب في اتجاه الحرب الوطنية ، بدأت محاولات "
التحبيب 1 1
في الغرب .. فهو الذي ضرنا ، وهو الذي علمنا ، وهو الذي عرفنا
لأود
مرة معنى كلمة " حرية " و " دولة " و " أمة " و " قومية " بل هو
الذي أخرجنا
من القرون الوسطى ، وحررنا من الاستعمار التركي .. وبعث فينا
الروح
! القومية ، فعلى يديه عرفنا أننا مصريون ! أو عرب
والحلاف صل تفسير التاريخ لي!ن! ظاهرة ترف ، ولا هو مجرد
خلاف
حول تفسير المافي ، بل هو في الدرجة الأولى خلاف صل الطريق

والذين يروجون بعد هزيمة 1967 للدور التصعيري والتحريري الذي
لعبه كزو البلدان المتقدمة ، للشرق المتخلف ، هم في الحقيقة
يطرحون
. إجابة - غير هباثرة - لحيرة الجماهر المعاعغرة
بل إن هذه الدراسات التي بدأ ظهورها قيل هزيمتنا التاريخية الثانية
! أمام
الغزو الغربى المتفوق ضماريا ، ثم نشرت على أوسع نطاق بعد
،هذه الهزيمة
هذه الدراسات لا تخفي هدفها ، بل تقدم بهدف : " اسقصاء
مقومات
الدولة الحديثة في تاريخنا لنعرف أي شوط قطعنا فنعرف ها بقى
أماما لبلوغ
الهدلى ا) .. والمفهوم الوحيد لمثل هذا النصح ، هو أن علينا أن
نكمل ما
بدّأه الرواد هع الحملة الفرنسية .. منذ مائة وسبعين عاما .. والرواد
في هثل
تلك الدراسات هم الذين تعاونوا هع جيش الاحتلال وعملوا في
،خدمته
من أفال يعقوب ، بل وطلائع حركة تحرير المرأة ، هن اللواقي "
درن هع
جيعق الاحلال) .. الجواب !!ن هو أن ننفتح للض!ارة المعقدمة
. . الغازية
.مثلما انفتح الرواد للحملة الفرنسية في هطلع القرن التاسع ع!ثر
فالدولة الحديثة وضعت أسسها قي عام 1798 عدما طم نابليون
ذلك
السور العمافي الطيم الذي حال دون اتصال هصر بأوروبا ثلانة
قرون
كاهلة . " والذين اضطلعوا بمسئولية الحكم في ظل المحتل
وبمعونته ، كانوا
أول من وضع اسالع! الدولة ا!ديثة في مصر قبل محمد علي باشا
. " بسنوات
وافحح إلى أين يمكن أن يفضي هثل هذا التفسير بالذين ييحثون
منذه

د باعتار أذ الهزيمة الأولى هى تلك الى أنزلها لا الا صتهعمار الأهـروى ي

ولمواجهة !ذا الفهم ا!اطع الذي يروج له ، كانت هذه
الدراسات
التي بدأت فى نشرها منذ عام 1964، .. أما هذا الكماب عق
الحملة
الفرنسية فقد شرعت في إعداده عام 1967 واستكملت
خطوطه في !واخر
عام . 197 وحالت هشاك! دون إخراجه في عام 1971 ..
إلى أن فرغت
له قفرغت منه . وقد حاولت أن أبين فيه أبعاد الغزوة
الفرنسية ، أو اللقاء
الأول بيننا وبين الغرب المتقدّم وأبعاد المقاوهة التي شنها
الشعب المصري
ضد الغزاة امحلين ، وكيف كانت هذه المقاومة رائعة وخالدة
لأكا كانت
ر! أمة سليمة العقيدة ، نقية الجوهر ، لم يتي -بعد-تغريبها ولا
تدجيها .. ولأخمها كانت بقيادة النخبة الشرعية للمجتمع.
وكيف أن بذور البعث ا!اري المنشود كانت موجودة في طات
هذه
المقاوهة ، وفي صفحات هذا الرف! للوجود ا!عاري . ففي
ثورة القاهرة
الأولى ولدت التعظيمات الوطنية ، وفي الؤرة الثانية اوشكنا
ان ندخل عقة
الانقلاب القناعي ، عندها صغ اجدادنا المدفع والبارود .
وفي معارك الصعيد ودمنهور ولدت الوحدة العربية محدها
اختلطت دماء
المجاهدين هن الحجاز وتوذلى بدهاء المجاهدك المصرين ،
وبلغت هذه الوحدة
ذروخمها بايبطل الشهيد " سليمان الحلبي " ، الذي جاء هن
حلب ليثا"ر لمصر
من " كليبر " السفاح .

ح! سانت الداية !قالا في روزأليرسمى . ثم سلسلة دراصات جمعتها في !
!ضا! ! د!دة في فكر م!حا

وكيف أنه هع الحملة الفرنسية كانت بداية الاستغلال الرخيص من
جانب الغرب ، للانقسامات الدينية في الشرلى ، وأنه مع الغزو
الغربي زادت
حساسية الشرقينن بتميزهم الديني ، بعكس ها تزعم المدرسة
الاستعمارية،
من أن المفهوم القومي الذي لا يميز بين الأديان ، جاءنا هدية من
الغرب !
لقد حاولت الحملة الفرنشة أن تمزق معر والشام إلى طو!يف
ومذاهب
وجماعات عنصرية تحقيقث للمبدأ الاستعماري القديم : (فزق تسد
" ، !
كشفت الدور الذي لعبه المتعاونون هع جيعق الاحتلال ، وبالذات
ركزت
على " جعبرممط " الغزوة الأولى : المعلم " يعقوب " . ذلك
المسخ الذكط يراد
له أن ينصب رائدا للقومية المصرية ، وأول داعية لاسعقلال هعر؟
ناقعثعت موقف " الجبرفي " من الحملة الفرنسية ، والحلفية ا! !
ارية
المتفوقة في قيمها التى واجه بها الجبرقي ، غزاة ا!ارة اعفوقة
تكنولوجيا.
كذلك كشفت فيحة "مطلق ايهئثى)، إذ تزعم المدرسة
الاستعمارية ، أن الحملة الفرنسية أحدثت في معر ثورة "نسائية ،
أو حركة
تحوير المرأة ، من خلال النساء اللاقي عشن هع الجنود .. موضحا
أن الطليعة
الخقيمه للمرأة المصرية هن المصريات الباسلات اللافي أعدمهن
نابليون
بالعشرات ، لاشتراكهن في قيادة وتنظيم وتنفيذ ثورقي القاهرة .
هن
الفلاحات الباسلات اللاقي اشتركن في ق!ال جيعق الغزو
الفرنسي.
وأحسبني قد اوضحت جمهذا العرض ، المنهاج الذي أنطلق منه في
تفسير
التاريخ ، والذي أمميه منهاج " المدرسة الوطنية " في مواجهة
فسير " المدرسة
الاستعمارية " . فبيما ترى " المدرسة الاسحمارية " أن القومية
والتقدم
والتحديث وال!تحرر كلها معان وهفاهيم وسلوك تكتسب من خلال

بجميع اشكالهما ، وانها لأ تكتسب إلا هن خلال هقاومة هذا الوجود ا و
. هذا ابفرذ
فالتقدهية أو الرجعية ليست هوففا معقا في الهواء ، ولا قية قكرية
خارج إطار الزهان والمكان . بل هوقف يتحدد بأحداث حركة التاريخ،
وهصلحة الأهة المعنية . فلا يجوز ان نصف بالتقدمية المستعمر الفرنسي الذي
كان يمزق حجاب المراة الجزائرتة ، ولا ان نصف بالرجعبة المجاهدة الجزائرية
التي كانت تتمسك بالحجاب طوال زهن الاحعلال ، كرهز للمقاوهة،
. وكوسيلة لها في المرحلة الأخيرة
هناك ظ عام يرممه ال!ريخ في اللحظة المعينة والم!ن المعين ، تنقسم
بموجبه القوى ، إلى قوى المستقبل ، قوى الحق والعدل .. قوى تعمل في
اتجاه التاريخ .. هذه هي فوى القدم .. وهناك على الجانب الاخر القوى
المضادة المعادية لمصاع الشرب ، المعادية للحق والعدل .. المعارضة لاتجاه
التاريخ.
وعلى ضوء هذا القسيم تندرج كل القضايا . . ويصنف موفع الجزئيات . .
؟لاسحمار . ضد التارغ .. ضد امتتا . . ضد هفالحها .. ضد وجودها
وهسـقبلها .. وهن ثم فكل إصلاحاته وكل حسناته يجب ان تفهم لي ضوء
هذه الحقيقة .. والقوى المتعاونة هعه هي الرجعية ، هي المعادية لحركة التاريخ
في المدى البعيد ، هي المعادية لمصاع امتا ، فمهما تكن أفكارها او هواقفها
الجزئية من بض القضايا ، هي قد اخارت معسكرها ب!حاونها

وبصرف النظر عن الشعارات التي ينطلق في هقاومته تحتها ، وبصرف النظر
عن الموقف الذي يفجر هقاومته في شكلها المباشر ، والرجعي هو هن يتعاون
.مع المستعمر أو يمكن لوجوده في تلادنا
: هذا حكم عام وععحيح طالما ظل هناك استعمار ، ومستعمرات
عححيح بالنسبة للحملة الفرنسية ، معحيح بالنسبة !لحمر التي أعقبتها
والتي نجحت قي احتلال الوطن العربي من الرباط إلى الخيج وهن حلب
إلى عدن .. صحيح بالنسبة للغؤوة الثانية ، التى يشنها الاستعمار الصهيوني،
. اخر إمبراطوريات الغرب
"وقد ركزت في هذه الدراسه على تفنيد كتاب " بونايرت في مصر
لكرستوفر هيرولد 11 ، وفح وكشف مؤلفات " لوير عوض " ، كما "
.ناقشت بض اراء " الرافعي " غفر الله له
ولا شك أف إذا طال الأجل ، ويسر اللة سبحانه وتعالى ، فلاول أن ذقب
ه!ه الدراسة ! دراسة أخرى ، أو أكثر ، عن مرحلة " محمد على " ثم عن
عرحلة الاحتلال البريطاني ، ثم عن مرحلة الدستور والأحزاب حتى نصل
. بابن الله وتوفيقه إلى العصر الناصري .. ويخلق ما لا تعلمون وبعد
فما حيلتي .. وقد حرمت من درصة تغيير التاريخ بالوسيلة الحاممة
والفعالة -أي السيف -ما حيلتي إلا أن أعين أولك الذين فلهم الله
على القاعدين ، الذين يقفون اليوم أو غدا للذود عن حرية الوطن ، وسيادته
والستقلاله . ما حيلتي إلا أن أعين هؤلاء الذين يصنعون مستقبلنا المشرق ،
وينسجون من حلكة الواقع فجر الغد المنعحر .. أقول ما حيلتي أنا العاجز
عن القتال ، إلا أن أعينهم على فهم التاريخ ، أجاهد معهم بقلمي ، أعرفهم
. بأن أجدادهم قاتلوا واننصروا ؛ لأعهم اهنوا

. " وكان حقا علينا نصر المؤمنين)
اللهم فاغفر لي ضعفي وعجزي ، ويسئر لمما من المراء من أذا انتمع
عمل ، ومن إذا وجد خطأ نبه إليه .. واغفر لمط ها اكون قد نسيت أ و

محمد جلال

رمضان 1 9
1 3
9 7 1

س ه ت

هدخل

المدرسة الاستعمارية في تفسيرها للنارج ، تجعل من الحملة الفرنسية ، بداية تاريخنا
القومي .. بداية تحررنا من الاستعمار التركي وخروجنا من القرون الوسطى.
ولكن الحملة الفرنسية - باتفاق جميع المؤرخين - هي بداية غزو الامبريالية
الغربية الحديثة للشرق .. فكيف يمكن ان تصبح الامبرتالية د!ية تحرر ، وأداة التقدم
والانعتاق ؟
ولمعالجة هنث التنثقض تتقدم المدرسة الاستعمارية بثلاثة مزاعم:
الأول : هو عزل الحملة الفرنسية عن المجري العام لحركة التاريخ ، فهي ظاهرة
منعزلة عن تاريخ الاستعمار الفرنسي ، وعن تاريخ العلاقات الغربية

فالحملة الفرنسية - بموج! هذا الزعم - ظاهرة مرتبطة بالثورة الفرنسية ، وليس!
بالاستعمارية الفرنسية ، فالثورة الفرنسية عثرت عن نفسها في " نابليون " الذى راح
تمذر مبادئها حيثما جرت خيوله .. ومن ثم فجيش الاحتلال الفرنسي .. ليس! في
أوروبا وحدها ، بل وايضا في الشرق ، لم يكن جيشعأ استعمارياً تقليدتا .. لل كان
جيشأ ثوريا ، كان جي!ق تحرهـ، التعاون معه هو تعاون مع الثورة ، أو انتماء لها،
هو تعاون مع اتجاه العصر ، وركوب لقاطرة التاريخ .. وبالتالمط فرفض الوجود
الفرنسي ، أو مقاومة هذا الوجود ، هو موقف رجعي ، ورفض التحرر والتقدم

هو تفسير حديث متأثر بالأفكتر الماركسية ، وبالذات " بالمفهوم الأممي " ؟ فس!رته
ورؤجته واستغثعه الدولة السويختية . فقد دار النقاش طويلأ حول موقف الشيوعى،
من الجيش السوفيتي .. يوم كان هذا الجيش يعتبر طليعة الثورة البروليتارية العالمية،
الذي تتكون كتائبه من الشيوعيين في كل بلد .. ومن ثم نراجب هؤلاء الشيوعيين
هو الانضباط خلف الفيادة .. ولأن للفهوم الشيوعى ينفي الإمكانية - ولو النظرية-
لوقوع أي تناقض تنن المصا! الروليتارية ، فلا مجال للحديث عن خيانة المصا!
الوطنية ، أو تغليب المصلحة الروسية!
هذا المفهوم الذي أجاد بناة الدولة السوفيتية توظيفه لتحقيق مهمهم .. لم يعش
طويلأ إذ سرعثن ماتمزق بفعل نيران التناقضات القومية ، وتعارض المصا! ووقوع
الانشقاق العالمى في الحركة الشيوعية ، و 6تفاق الجميع على وجود مصث! وطنية،
لا يجوز التضحية بهث باسم " الأممية " ، بل اضبار الأممية الحقة هي الاعتراف بتعدد
وتناقض الخصائص والمصا! القومية ا وإنه ما إن قامت علاقة تن دولتين شيوعيتين،
حتى أثبت قانون الاستغلال بين الأعم ، أنه مازال فعثلا . . وأن علاقة استعمارية تقوم
حتما تين الدولة الشيوعية الكبرى ، والدوله الصفرى ، شيوعية كانت أو رأسماليه . .
ومن ثم يهبط شيوعيو !دولة الصغرى إلى مرتبة العملاء للدوله الشيوعية الكبرى .
إلا أن البعض يصر ، ليس فقط على صحة قانون الأممية الماركسى - الذي ينكره
على الماركسيين في نفس الوقت ! - بل ورويد ان يجعله بأثر رجعي بحيث يشمل
الثوره البورجوازية ! وبما أن الثورة الفرنسية هي طليعة الثورة البورجوازية العالمية
فلا .. (الماركسيون عادة لا يعترنرن لثورة كروموبل بدور عثلمي) شك ا ن
المتعاونين مع جيوش الثورة الفرنسية ، هم طلائع حركة التطور في

ذلك أن فرنسا ما قبل الثورة ، كافت علط باهتمام يالغ لغزو مصبر ، وقد قام
الملكيون الفرنسيون بلراسات واتصالات ، وزرعوا جواسيس وأعوانا . واستعان
نالجيون لذلك كله في انجاز عمته " الثررية " .. ومن ثم فليسى من الحقيقة ، ولا
من العدل والانصاف أن يستأثر يابليون أو تختص الثورة الفرتسية " بشرف " الرسالة
الحضارية التي تمثلت في استعمار مصر ، بل لابد لنا أن نشرك في الشرف حتى
اتطوانيت واللويسيين.
يشر " كرشوفر هرولد "* إلى الرواج الذي حظيت به الترجمة الانجليزية
لكعاب البارون " دتورت " المسمى " مذكرات عن الترك والسار " الذي راج لين
الأمريكيين في تيويوشك عام 1789 ء ويستشهد بخك على أن " الاهتمام باحوال
الدولة العمانية المفككة الأوصال قد اتتشر واستقر في جميع أرجاء العالم في أوأخر
القرن الثامن عشر "1 .
ويمكننا أن نستدل أيضأ على هذا الاهتمام من انتشار الغربيين في جيمق وأجهزة
هذه الدولة المككة الأوصال ، حيث كانوا يبذلون جهدهم في زيادة تفككها.
والبارون " دتوت " هذا كان ضابطا فرنسيا عمل مدة كمستشار عسكري
للجيثر التركى . وفي عهد لوي!نى السدس ع!ثعر طالب " سان برتست " سفر فرنسا
في الاستانة بفتح ممر ، وعلى أثر الحاحه ارسلت نرنسا البارون دقوت إلى مصر
لدراسة ثغورها ومولعها . ووصفت مهمته بأنها " مهمة مرية لشرقي البحر
المتوسط ! . وكانت مهممه !قيقيه " استطلاع إمكانية الاستيلاء على مصر واحالتها
إلى مستعمرة فرنسية ، لذلك أبحر إلى الاسكندريه في صحبة العالم الطيعي
سونيي " (فليمنالجيون هو أولى من !عطحب العلماء) على ظهر الفرقاطة "
اطلانط " وواصل رحلت إلى رشيد لط فلوكة بعث بها إليه شيخ البلد إبراهيم بك !،
وا!ت به صعدا في النيل الى القاهره بكل مظامر الأبهة الشرقية ، وهنالك كانت
" الفوضى الضاربة أطنثبها تنتظره .
وبدأ " دلرت ، مهمته ، فعهد لى فرنسي يدعى " لالون " بمهمة التجس!ر .على
السوتسى وساحل الدلعا . وقام " لالون " بمهمته ضر قيام .. وعلى أساس! مشروعه
! . " كرصوفر هرولد مؤلف كاب " رونثبر! في صر . !!

كتب " دتوت " تقرره لوزير البحرز الفرنسية . وكد " دتوت " ان الاستيلاء على
مصر لن يكون الا " احتلالأ سلميا لبلد أعزل " وأنه يرى (ذاعة منشور يطمئن
الأهالي الى ان الفرنسيين قدموا بوصفهم أصدقاء وحلقاء للسلطان ومحررين لهم من
. ربقه المماليك " 2

-أن " لالون " وهو يقوم بمهمته التجسسيه قد استعان - بدون شك *
بعملاء محليين ، فهل نضم سلاء الى رواد القومية ، كا يخلع البعض منه الصفة
على المتعاونين مع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون ؟ ا ام نصنفهم حيث وضعوا
أنفسهم ، مجرد جواسيس! خونة لبلادمم .. ومل لأن مصر كانت مرتبطة شكلياً
بالسلطان .. يضيهم ذلك من الولاء لها ، ورور اطلاعهم العدو المتربص

وإذا سلمنا لعماله هؤلاء مل تتغص صفهم بتغص صفة الغازى . أى مل أن سقوط
الملكية في فرنسا ، وتحولها الى النظام " الجمهورى " .. وقيام نظام " ثورى " في
باريس ، تغئر صفة العملاء في السويع! ، وتحولهم هم او ورثهم الى "" ثورتنن
أصحاب قضية؟
النقطة الاخرى التي تستوقفنا ؤ فقرة " دتوت " هي نصيحته . باصدار
منشور " يطمئن الاهالمط الى ان الفرنسيين قدموا بوصقهم اصدقاء وحلفاء للسلطان
. " ومحررين لهم من ربقه المماليك
ان اهمية مذه الففرة المكتوبة من " داسوس "! ملك الفرنسيس ، هي فضحها
لكل محاوله للربط لن مبادىء الثورة الفرنسية ، ومنشور نابليون ز

* حاصس بلغة الحر . ولحلها الاقرب لى الصحة

الفرنسية يترا آ عليه الغبار عشرين عاما "3 . حتى جاء نابايون بعد الثورة الفرنسيه
ينفض عنه العبار ويسمفيد منه وتنفذه بغزو مصر .. ولا غرالة في ذلك ، دحتى الثورة
الروسيه نفضت الغبار عن تقارور القياصرة ، ووضعت بعضها موضع التنفيذ .. بل
ها هي الصين الشيوعية ذاتها تنفض الغبار عن ملفات وتقارور " ابناء السماء " وتخرج
من الخزائن الامبراطورية خري! الصين القديمة .. ان الورة لا لعر هصاع الدول ،
بل على العكس ، هي لي الفالب ، !مطي دت تو 6 جدددة لق ه!ه المصاع .
ان النظثم القديم ينهار عندما يعجز عن تحقيق مصالح الدولة . ولكن ما من ثورة
حتى الآن (ثورة تنبع من المجمع وليست مؤامرة مفروضة عليه من الخارج) قد
تعكرت لمصالح الدولة . لذلك كانت الثورة البورجوازية الفرنسية "ى استمرار
للمصثلح الفرنسية ، التى أصبح النظثم الملكى عاجزاً عن تحقيقها .. كانت مصالح

وتقول " هصولد " ان سيلأ من المذكرات عن المسألة الشرقية ظل يغمر وزارة
الخارجية الفرنسية طوال عشر! عاماْ (1770 - 1790) : اما " عن مصر فان
" جميع المذممرات تقر!أ أتدت الاستيلاء علهها .
وتالصان العكل الوحيد ، وسط منشدي المارسيلييز ، ئركد ان الاسقلاء!
هصر ص جزء من ساسة " الدولة الفرنس!ة " . وليع! ظاهرة مرتبطة بالثورة . .
بل من سياسة الدوله المتطلعة الى السيطرة عك التجارة ولا شىء ث! من ذلك.
فهو يكتب لعد خعح مصر الى ممثل نرنسا في الاستاتة يقول له : " ان جميع تجارة
البحر المتوسط يجب أن تنتقل الى ايدى الفرنسيين . تلك هي الرغبة الخفية لحكومه
الإدارة ، ثم انها ستكون النتيجة المحترمه لمركزنا نى" فلك البحر .

د

وأن نثبت أقدامنا فيها دون ان نعرض انفسنا لتهمتي الاغتصاب والخع .
ان الادارة
. مصممة على الاحتفاظ بمركزها في مصر بكل الوساتل الممكنة "6
وكتب الكونت " جوفييه " : " ان مصر تقع على عتبه دارنا .. ولم تعد
ملكا
. للأتراك . فالبايف، صفر ، ومصر ليست ملكا لاحد "7
من هنا نرى ضعف حجة الذين يحاولون إعطاء الحملة الفرفسية طثبعا
خاصا
بسبب من صلتها بالثورة الفرنسية ؟ ان التشبث بهذا الطابع الخاص ،
لايخدم الهدف
الذممط تروح له المدرسة الاستعمارية ، وهو تبرير الاستعمار الغرر بصفة
عامة،
والدعوة إلى الانفتاح للحضارة الغربية ، وقبول الارتباط بها باعتبار ين
ذلك الارلباط
هو الطريق الوحيد للخدم والعيش في " مستوى الصر " .. لذلك سرعان
ما ينتقل
دعاة الحضارة الغربيه إلى الزعم الثافي.
وهو تعميم الطابع ا اضحريرى والتقدمى ليشمل الغزو الغرر كله ..
فيصبح الغزو
الاورولمط للشرق عامل خير ، وعنصر تقدم محتوم .. حتى ولو لم يكن
مرغوبا . .
أما الالام التى صاحبته فهى الام التغيير التى لا سبيل إلى تفاديها ، إلا
بمعاناتها!
ولا أمل في التقدم دون هذه المعاناه !
وهكذا تتطور النظرة إلى الحملة الفرفسية ؟ من اعتبارها ظاهرة خاصة ،
أو حادثا
تاريخيا نادرا .. إلى اعتبار الغزو الاورولى كله ، ابتداء من ابادة سكان العا
لم الجديد
إلى مذابح " ليوبولد ! في الكرنغو .. تطورا تقدمياً لصالح " الحضارة !
التى هي
في مفهومهم كل لا يتجزأ .. هذه الحضارة التى صنعتها الانسانية بشقيها :
الشق
المعذب والشق المعذب .. الشق القاتل والشق المقتول .. فالقاتل كان
يحضم الجنر

انهم يفسرون علاقة الغرب بالشرق عل ضوء افوذج الاميركي .. فهنال
كانت
ابادة الهنود الحمر هي الثمن الذى دفمه المتخلفون لكى تقوم على
انقاضهم الحضارة
الاميركية بكل المنجزات التى حققتها للانسانية وللّتقدم البشر! . ولا
يستطيع مؤرخ

غرلى ان يقول الآن . ليت الهنرد الحمر لم يبادوا . ولم تقم الحعناهـة
الاميركية.
وفي حالتنا نحن ، ولو ان الغزو لم يكن يحغ الابادة الشاملة ، ؟ حدث في
حالة
الهنود الحمر ، إلا أنه ما من دلل يثبت ان شعوبنا كانت قد زصلت إلى
حالة
ا!ود الحمر ! " بمعنى انه كان يست!حيل علينا أن نلحق نجضاهـة ا ا! "
صر . (هذا
إذا افترضنا ان الاختلاط السلمى بين " الهنود الحمر " والعا لم القديم ،
لم يبر اجفضى
إلى تطور مجتمعهم وتمثلهم للحضارة الحديثة . فالحق ان " الهنود
الحمر " لم ت لهم
فرصة امتحان قدراتهم الحضارية إذ جرت ابادتهم فور وطوال
احتكاكهـهم بالحهـضاهـة
. (اكثر تفوفأ
هذا الزعم بأبدية تخلفنا ، واستحالة تخلصنا من هذا التخلف إلا بقبوا!
السيطرة
الغربية والخضوع لها ، والتتلمذ على يد المحتلين بنفس راضية ..
مناقشة هذا انرعم
هو موضحوع الكتاب بالطبع .. لذلك ننتقل إلى الزعم الثالث:
وهو القو-ل! بأن مصر (والوطن العرلى بصفة عامة) كانت مستعمرة
تزكية،
ومن ثم فكل الذي حهـدث هو استبدال استعمار متقدم باستعمار متخلف
.. فمن
الناحية الوطنية لم يحسر الوطن شيئأ ، ومن الناحية الحضارية استفاد
الكثير!
والوطنيون بموجب هذا التفسير ، كانوا منقسمين إلى فريقين : متعثون!
ت مع
الاتراك بدوافع دينية او مصلحية .. وم!عاونين مع الغرب بدوافع دينية
وقومية
ومملحية .. تقدمية .ء نرعات اسمقلالية أو انفصالية ضد السيطرة
التركية .. فان
جاز ان نسمي المتعاونين مع الغرب عملاء .. تحتم ان نسمي كذلك
المتعاون!ت م !
الاتراك .. أو بمعنى أصمح الرافضين للتعاون مع المحتل الغرثط ، تحغ
+أن خلع علس
صفة عملاء الاستعمار التركنا



رهحس!
في
!اأ!لم%
*أ-ا*ثم
-+بما)
ا

افصع!ا لا وك
بل أي مح!ل!
فا مو3ح)

هل كانت هصر مستعمرة

لا شك ان البعد التاريخي الذي يفصل بيننا وتن عصر الحملة الفرنسية ، ثم
الظروف الخاصة التي تحيط بتاريخ الاتراك في الشام - والجزررة الى حد ما - قبيل
زوال دولهم ، تتيح لمثل هذا العصور ، عن العلاقة الاستعمارية بين تركيا والعرب ،

" وعندما يقول " محمد كريم " لرسول " الأمرال نلسن " : " هذه للاد السلطان
. . فابئ مثل هذه البارة ترق في أفن العرلمط المعاصر وكأنها اعترلف بالاستعمار التركي
وأن محمد كريم رفض الحماية البريطانية وفاوم الاسمعمار الفرنسى لشدة تمسكه
. ! بثلاستعمار التركى
وإذا كان جهلاً علمياً أن نصف المسلطة العمانية بالاستعمار ، لان الإستعمار هو
حالة معينة من التطور الاقتصادكما لم تصل إلها الدولة العمانيه أبداً (ولا حتى في
فترة الانتعاش العي حاولت ان تمارس فيها سيطرة حقيقية على ما بقى تحت سيطرتها
من الدول العربية في أواخر عهد عبد الحميد) . بل لعل بعض الاسلاميير يعاثصر
قلبهم الحزن لعجز الدوله العمانية عن بلوغ هذه المرحلة ، ويعتقدون انها لو استطاعت
حقا ان تتحول الى قوة استعمارية لكانت قد احتلت مكانها في نادممط الكبار ، ولحثل
. ذلك دون تمزيق أوصالهث .. ولكانت أمام المسلمين فرصة بناء دولة عصرية كبرى
ولكنه أسف في غير محله ، فلا الاستعمار ممكن في دولة إسلامية ، ولا الأتراك كانوا
!قادرين على دخول عصر الامبريثلية كامبريثل!يين

من المدهش أن رود بهذا القول " جال برك " على لوير عوض عندما تحدث الأحر عن *
الاضممار العثمارأ فم د جاك
ب!ك : " أنا اعتبر أن لإمبرلالهة معاصرة لظهور رأس الل وبداكها لأولى كاف ! عصر نبليون اما الأتراك العئمايخون
. فله!عوا امبر!ايق : نشرت المحاورأ في الكاثب !د (أغسص) 1965

وسواء فبلنا تفسير المدرسة الإصلامية الذي ينفى امكانية فيام علافة استعمارية
ب!! دولت!! اسلاميتين .. أو داخل المتحد الإسلامى . . أو اكتفينا "بالتفسير " العلمى
الشائع للتاريخ الدي لا يقبل خلع صفة استعمارلة على دولة لم عقق تورتها الصناعية،
وأ، استطاعت ا"ن تبدأ مسيرتها البورجوازية ، ولا كان! تجارتها تشكل نسبة يعتد
بها ي ا اضجارة المصرية ، بل كانت تستورد من مصر اكز مما تصدر لها .. وصادراتها
لمصر خامات .. وصثدرات مصر لها سلع مصنعة (نسبيا) . واستعانت حضارتها
باا اغنمين المصريين الذين اصطحبهم لمجسها بالقوة من القاهرة إلى اسطنبول .. سواء
فبلنا هذا المفهوء أو ذال يستحيل علينا وصف علاقة مصر وتركيا بعلافة المستعمرة
بالدولة الاستعمارية .. فلا رعو!ر أموال تركية كانت مستثمرة في مصر ولا صناعات تركية
كانت تصدر منتجاتها إلى مصر ،، ولا خامات مصرية كانت تصدر إلى تركيا،
بحكم العلاقات السياسية . ولا علاقة دولة متقدمة بدولة متخلفه تفضى إلى استغلاا!
ا الأولى للثانيه ، دون حاجة إلى اخضاعها بجيش احتلال ، ولا الانتقاص

، اما العد*قة أضحمية الوحيدة ايتى كانت تربط مصر بتركيا ، فهى الخصبةا للسلطان
.حؤ ا أصسلطان في تعي!! الباشا أو ا أسا أ ش " الصي ب " أر احزية ،
كالت هذه المفاهر تعى أر مصر تابعة نتر!سيا ، رأحما كانت تخضع وتدار .
!صا! الأترال المستعمرين في الآستاز" ئج!

اغد ء!! ا أ!دعاء اطخليفة العماسر على منابر القاهرة إلى يوم وصوأ ا اصسلطان سد!!
ظا ا أ!دعاء للسلطان العنمافي إلى الحرب العالمية الأو أ ، فنما ص مؤر جاد يا"خد
ل!!ذا ا أ!دعاء غير المستجاب كمظهر من مظاهر التبعية.
أما الباشا فكان يعينه السلطات في اسطمبرأ . ويحضر هذا ا اسباشا الوالي ، إ ف

أول فرعون . ومهمه الباشا هي أن تمقى في مصر أطول مدة ممكنة ، محاربث ضد
مؤامرات البلاط في اسطنبول أو الآستانة ، وضد قرار العزل المتوقع ، بل المحغ
صدوره من المماليك ء فلم يكن ثمة فعل اسهل من ان يجتمع الامراءفيقترح احدهم:
! " قوموا بنا.نعزل الباشا !
ويلخص لنا " الرافعي " الحالة التي وصل اليها وضع الباشا الممثل للسلطان ورمز
النفوذ العثماني بما لا يترك مجالا للحديث عن استعمار عماق ، أو

وعظم نفوذ البكوات والمماليك واسترجعوا مع الزمن سلطة الحكم ! التي كانتا
للسلاطين البحوية والشراكسة . وصار لرئيس المماليك الذى يختارونه زعيما لهم
ويلقبونه " شيخ البلد " ، النفوذ الذي لا يعارض والكلمة التي لا ترد ، وصارت
لا مشيخة البلد ! ، بمثابة امارة مصر ، وعبث المماليك بثلولاة وأخذوا يعزلون من
لا يرضون عنه . فاذا اجتمعوا على عزله أنفذوا إليه رسولا احمه " اوده باثى " (احمه
عند العامة أبو طبق) - من ضباط الوجاقات - يذهب اليه حاملا قرار الديوان بعزله
فيدخل إلى مجلسه ويحييه بكل احترام ثم يثنى طرف السجادة التي يجلس عليها الباشا
ويعلق اليه قرار العزل بقوله : " انزل يا بثشا " فتكون هذه الكلمة بمثابة أمر الخلع.
وينزل الباشا من القلعة ويصبح كأحد الأفراد لا حول له ولا طول 70 وصارت القلعة
في خلال القرن الثامن عشر بمثابة السجن للباشاوات الذين كانت تعينهم تركيا ولاة
لمصر .. وأصبح الديوان مؤلفا من الأربعة والعشرين بيكا الذفى كانوا زعماء
المماليك ، وعبثت المماليك أيضا بثلجزية فكانوا لا يدفعون منها الا ما - روق لهم
" دفعه ، ويقتطعون منها ما يشاءون بحجة الانفاق على مصالح البلد

* قالها عثمان بيك في عزل سليمان بشا

إلى اخره في تعاقب الباشاوات على ولايتها فتولاها 22 واليا لم يكن لهم شأن يذكر
. في حكومتها "1

والباشا هو الرالي الذ! يعينه السلطان العثمالط لحكم مصر باعتبارها احد! ، ولايات
الدولة العثمانية .. ومن هذه الصورة التى يقدمي مزرخون عرب وأجانب ، نجد أ ن
الجهل وحده ، أو الجهل وسوء النية معأ خلف القول " باستعمار تركي " أو أ ن
مصر كانت مستدمرة لتركيا .. وأن مشكلتهث كانت : " التحرر الرطنى من حكم
. " الأتراك
لنتخيل وضعا يستطع فيه البكوات المصريون أو أي قوة مقيمه في مصر ، غير
انجليزية ، تستطع ان تجتمع وتقرر عزل المندوب السامي البريطافي ، ثم لا يكلفها
ذلك إلا إرسال رجل هزلي الثياب ، هزلمط التسمية ، ا!لى قصر الدوبارة فيقتحم غرفة
المندوب السامي ، ويحييه بكل احترام ويطوي السجادة الفاخرة التي تغطي غرفة
مكتبه ويقول بكل هدوء وبرود : " انزل يا لورد " ! فإذا باللورد " كـرومر " ، أ و
إ مايلزلامبسون " .. أو حتى " تريفيليان " مجردا من كل اختصاص ، برق ومذعوراً
على حياته يترقب اللحظة التى يسمح له فيها بركوب الباخرة إلى بريطانيا .. وبكل
حماحة صدر ، أو صفاقة ، يعين ، الباب العالي في لندن ، مندوبأ اخر يأقى إلى مصر
ينتظر مصيره على يد المماليك ، ذلك المصير الذي يقول " مارسيل " إنه " لم يكن
... يخرج منه إلا مسجوناً ، أو مطرودا أو منفيا أو مقتولا 2
هل يمكن عندئذ أن نتحدث عن استعمار بريطالط لمصر ؟ ! إن حكومة بريطانيا لم
تكن تعين والياً على مصر ، ولكن ممثلها لم يكن سفرا بالمعنى المعروف .. لأن مصر

بالقلعة من أسفل وضربرا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادفى ، فنصب الباشا بيرقا
أبيض يطلب الأمان ، وفر من كان داخل القلعة من العسكر ، فبعضهم نزل بالحبال
مت السور وبعضهم خرج من باب المطخ ، فعند ذلك هجمت العساكر الخارجية
على الباب ودخلوا الديران ، فأرسل الباشا القاضى ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا
من الصناجق والعسكر فتلقوهما واكرموهما وسألوهما عن قصدهما (بكل براءة !)
فقالا لهم إن الباشا يقرئكم السلام (وعليكم السلام ! ! ويقول لكم إنا كنا اغتررنا
بهؤلاء الشياطين وقد فروا والمراد اًن تعلموزالا بمطلوبكم فلا نخالفكم فقالوا فم أعلموه
أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتففوا على عزله وأن فانمكموه بيك
قائمقام ، وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة إلى اًن نعرض الأمر على الدولة
ويأتينا جوابهم . فأرسل القاضى نثتبه إلى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه

كان ذلك في سنة 1123 هـوالباشا كان احمه خليل ولم يسمح له بالعودة إلى
! " استامبول إلا بعد ان " حاسبوه
: وودعه الشيخ حسن الحجازي بقصيدة في مسنراه (الباشا طبعأ)
قد جاء مصر باشه ايامه ليست ملاح
ضرب مدافعاً بهث كذا رماح وصفاح

"و قا ! أ يضاً
والباشا المعكوس قهراً أنرلوا من قلعة ولعنة فد زودوا(4
ولا يذكر الجبرقي بيتأ واحداً للشيخ (حسن ! هذا يستنكر فيه ضرب الميااليك
المدافع أو الرع واسخدام الحنمفاح ! ولكنه محق في اعتراضه على الباشا ، لأن سلوك
الباشا هذا يشكل إخلالأ بقانون العلانات الدي تحكم المجتمع المصوي ، فليس للباشا
! ان يتدخل في السلطة ، ولا أن يكون طرفا في الصراع

وعندما كان الوالي يتفق مع المماليك المتغلبين ويسود الوئام بينه وبينهم كانت
الدولة تتامر على واليها ! ؟ تامرت على أ علي باسا أ فابى " أهل الدولة عينوا رجب
باشا أمير الحاج الشامي ور!كلوا له عند حضوره الى مصر أن

وقد نفذ " رجب باشا " المؤامرة بإحكام وفتل ممثل الدولة " وتطع رأسه ظلما
وسلخه وأرسله إلى الباب (العالمط) ودفن علي باشا بمقام أر جعفر الطحاوي
. " بالقرافة ويعرف إلى الان قبره بعلي باشا المظلوم
وهذه التسمية تسجل مرة أخري احتجاج العامة المصريين على إخلال الدولة العلية
.بقانون العلاقات بممر
ولإعادة الاحترام للناموس سرعان ما اتفق المماليك على " رجب باضا "فأمروه
بالنزول ، وأنزلوه إلى بيت أ مصطفى كتخدا أ ، فاجتمعت عليه الاؤلاد الصغار
: تحت شباك المكان وصاروا يقولون
باشا يا باشا ياع!! ا أغمله
منقال لك تعم! دي ا اعمله
باشا ياباشا ياع!ت الصيره
كت قا أث تدبر دي اعندبيره
فضاق نهم فأرسل إلى أحمد بيلث الأعسر فنقله إلى بيت ابراهجم " جريحي الداودية
واستلم احماعيل بك ماله وخيوله وجماله وكتبوا عرض محضر ؟ ذكر وآرسلوه وبعد
ايام وصل مرسوم بالأمان والرضا لاحماعيل بك وجماعته وولوا مصر محمد باشا
النشانجي الذ!ط عزله المماليك وأنزلوه وأسكنوه في بيت ابن الدالي " 6 .
وصافر رجب باشا من حيث أقى (! أ) بعدما دفع المائة وعشرين كيسث التى أخذها

تأمل تعبير الجبرقي : " من حيث أقى " أي من الاستانة عاصمة الدولة العلية أ و

وأراد " محمد باسا راغب " أن يدبر مؤامرة مع حسين بيك الخشاب لا فحصل
بينهما محبه ومودة وحلف له أنه لا يخونه ثم أسر إليه أن حضرة السلطان يريد قطع
. " بيت القطامشة والدمايطة فأجاب إلى ذلك
ولكن التدبير لم ينجح ، فبعد قتل حفنة من المماليك بلغ الخر بقية البكوات ،
فاجتمعوا واصتعدوا للهجوم على " حسين بيك الخشب " ، " وأرسلوا يطلبون فرمانا
من الباشا بالركوب على بيت حسين بيك الخشاب (صديق الباشا !) الذي -ت
عنده المفاسيد اعداءنا وقصده قطعنا فلما طلع كتخدا ا!اويشية ومتفرقة باشا ا ا
راغبه باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك فقال الباشا : رجل نفذ أمر مولانا السلطثن وخاطر
بنفسه ولم ينكسر عليه مال ولا غلال ، كيف أعطيكم فرمانا بقتله ، الصلح أ-ت
ما يكون ، فرجعوا وردوا عليهم بجواب الباشا فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية
بالعرضحال فإن ألى فقولوا له ينزل ويولي فائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا
فنزل بكامل اتباعه من قراميدان لما صار في الرميلة فأراد أن ينزل عل شيخون الى

فلص تكثمل المجلس أوقف طوائفه ومماليكه بالأسلحة ثم قال " لهم : تذرون لأي
شىء جمعتكم ؟ فالوا : لا . قال : تكونوا معى أو اقتلكم جميعا ، فلم يسعهم إلا
أنهم فا"لوا له جميعث : نحن معك عل ما تريد ، فقال : أريد عزل الباشا ونزو!ه،
فقالما : نحن مجك عل ما تختار ، ثم انهم كتبوا فتوى مضمونها ما قولكبم و نائب
السلطمان اراد الافساد في المملكة وتسليط البعض وتحريلص الفتبن لأجل قتلهم رأخأ

بكرلك يحتو "

لم

وانظروا لي مكانا انزل فيه ونزل ذللث اليوم قبل الصلاة الى بيت
محمد اغا الوالي

والجبرقي في كميا-ته أو تارتحه ئررخ عام 188 1 هـ (6 0 17 م)
بعبارة تكاد تكون
كليشيه:
استيت (السنة) ووالى هفر خليل باشا محجور عله ولس له لي "
الولايه
إلا الاسم والعلات عل الاوراق . والتصرف الكلي للأمص الكبير محمد
بيك أبو
الذهب والأمراء وأعيان الدوله مماليكه وإشراقاته والوقت في هدوء
وسكون وأمن
والأحكثم في الجملة مرضيه والأسعار رخيه وفي الناس بقيه وستاثر
الحياء عليهم مرخيه
شعر:
+ما الدهر لط حثل السكون لساكن ولكنه مستجمع لوثوب
كان الناموس في احسن حثلات تطيقه.
ولنتأمل عدد الولاة الذين عزلهما الشقيان ابراهبم ومراد منذ صعود
نجمهما:
الباشا المتولى سنة 1192 (1778 م) وهو المشهور بعبارة بليغة "
الدلاله على
وضع الدولة " الاستعمارية " في (مستعمراتها " ! وهي فوله عندما ابلغ
بقرار
العزل : " وأنا أيش ذنبي " ! .
مرة اخرى نسترجع صورة السفر البريطافي لينيخيله يقول للبكوات
الوفديين وهو
يتسلم قرارا بالعزل : " وأنا أيش ذنبي ؟ " ! .
ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجرية والعزب وأرسلوا لى الباشا "
محعخدا
الجاويشية واغات المتفرقة والثرجمان وكاتب حواله وبعض الاختيارية
بأمرونه بالنزول

لحل المؤرخين الجدد الذين تكاثرون ل مصر الآن بممدل اكبر من محدل المواليد ا كئون لا ق ،
صذا البيت صلة
! فكرية بين مارك! ويبم وال!ثيخ الجبرق
يمكن وفرع حالة مملة اذا فهنا الاضا كفر لركا في مصر ولس والا ، وهو كتلم ترارأ يا!اده 5،

شيء ذنبي حتى أعزل ؟ فرجعوا واخبروهم بمقالة الباشا فأمروا اجنادهم يالركوب
فطلعوا الى حرتق الدءلوان واجتمعوا له حتى امتلأ منهم فارتعب الباشا منهم فركب
من ساعته ونزل من القلعة الى ست الداودية وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه في ذلك
. اليوم فكانت مدة ولايته سنتين وثلاتة اشهر ".ا
عزلوا أمماعيل باشا عن ثمانية أشهر ننقص ثلاثة " (179 .) 1 194 . " اكام
وقصة عزله ولو أنها واحدة من مفاث .. الا انها تنفرد .بلمحة طر!ة 50 فاعاعيل
باشا الذى عؤله مراد كان " اصله رئيس الكعاب باسطنبول من ارلاب الأتلام وكان
مراد يك هذا أص!عله هن مماليكه ماعه لبعفى الثجار لي معارضة وحضر ألى مصر و لم
صزل حتى صار أم!ها وحضر سهده هذا لي أ،م إمارته وهو الذي عزله عن ولاث
ولكنه كان !أدب معه ويهابه كعوا ويئكر سيادثه عليه (1 ؟ وكان هذا الباشا أعوج
العنق للغاءلة ... وكان عنده أصناف الطور المله!حة الصوت كطرب لأصواخهم اللطفه
وانغامهم العذبة " فلما " اجتمع الأمراء وارسلرا الى الباشا أرباب العكاكيؤ وأمروه
بالنزول من الفلعة معزولأ فركب في الحال ونزل ألى مصر العتيفة ونقلوا عزاله ومتامحه
فى ذلك اليوم ... ولما أنؤلوه على هنه الفمورة انتهب الخدم تلك الطيور والأقفاص
صاروا ي!يعونها في أصواق المدطخة على الناس " " وحضر من الدءلار، الرومية (ا ي
من محاصمة الدولة) أم!اخور وعلى الده تقرير لاممامحل باشا على السنة الجديدة
فوجده معزولأ (ولا السعلطان داري !) وانزلوه في بيث بسومة العزي . ""
هذه قصة معامرات رومانسية .. الممولوث باعه سيده ، ثم ذهب كل !ط . . طريقه
أصبح السيد واليا على مصر وهو احد المناصب الهاهة في الدولة ، واصبح المملوك
المباع ا سيد المما!ك لط مصر .. ورغم كل الاحعرام الذي كنه المملوك القديم

وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباسا على السنة !
الجديدة فطلب الباشا
الأمراء لقراءته عليهم فلم يطلع منهم أحد وأهمل ذللث مراد

وبعد خمسة عشر يوماً من صدور فرمان الباب العالي أو سلطان تركيا بتجديد
ولاية الباشا : " أرسل مراد لمك إلى الباشا وأمره بالنزول فأنزلوه إلى القصر العينى
معزولاً وتولى " مراد بيك " قائمقام وعلق الستور على بابه (!) فكانت ولاية هذا
. الباشا أحد عشر شهرأ سرى الخمسة أشهر التى أفامها بثغر الأسكندرية !14
" ولم يكن المماليك ررتاحون للعامة الذين يتصلون بالسلطان ، أو " ملك الروم
بلغة العصر .. فاذا ما خرق واحد من الأهالمط الناموس واستطاع ان تحصل على
. - مرسوم من السلطان كان بوسعه أن " يعله ويشرب ميته " - ؟ يقول المصريون
فلما 3 توجه السيد عبد الفتاح البكرى إلى ملك الروم فاكرمه ووجه له بعناية "
بعض الأعيان نقابة الأثراف* بمصر وحضر إلى مصر وقرأ المرسوم الوارد بذلك
وكاد ان يغ له الأمر فلم يمكن من ذلك بتقوية بعض الأمراء وحنقوا عليه حيث
توجه من مصر إلى بلاد الروم خفيه ولم يأخذ منهم عرضاً وجعل له شيء معلوم
. من بيت النقابة وبقى ممنوعا عنها " 1
ولما وكل ياسف اليهودى الى السلطان وكسب تأييده فوكله السلطان بتحصيل
الخزينة . " قامت العساكر على ياسف الهودى هذا وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه
في الرميله ، وقامت الرعايا فجمعوا حطا وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد
. " الصلاة
-فالسلطان لم يكن يملك ولا حتى أن يعين نقيبا للأشراف . والوالي -؟؟ رأينا
هو " طرطور " حقيقى .. مما يؤيد ما ذهب اليه " جوفييه " : " إن مصر لم تعد
ملكا للأتراك .. فالباشا صفر ، ومصر ليست ملكا لأحد " . أو كا يقول
هيرولد " : " ان مصر استقلت استقلالا فعليا ، شأنها في ذللث شا! الجزائر "
. " وتونس وطرابلس
. نلاحظ ان عائلة البكرى تشعين غالبأ قرة خارجية للحصول على نفابة الاشراف (*)
ز قاموس الاستحمار الفرر ، أن اللد الئرقط لا يمكن أًن يكرن ملكا لأهله . فهو (* *)
إما مملوك لدولة كبرى ا و
!ول!ط 3"!!ل! هلم فى مباحأ ينتظر من يتملكه 4

لذلك لم يكن كرتما أن تفكر الدولة الفرنسية بالعمل المشترك مع تركيا لفتح
مصر .. ففي عد لوتس الخامس عشر : أ كان الدوق دي ثعوازل " كبر وزرائه
من انصار فكرة احتلال فرنسا لمصر بالتراضي مع تركيا التي : " لم تمق لها في مصر
سلّطة فعلية في ذلك الحين " 16 . وتقول " مورهيد " إن نابليون الذي كان يعرف
حثلة الدولة العمانية ، ونبذ المماليك كل ولاء للقسططنية ، كان وي من الطيعي
ان يذهب إلى السلطان ، أو تمعث اليه من يعرض عليه أن !سعحد الفرنسمون له
ولاي! اكبرة الثي سابت منه 17 . لل كان على ثقة من أن " تركيا سترحب
باستئصال شافة المماليك "18 . وفي وصايا " ناالليون " التى تركها لكليبر : أ إن
تركيا لم تعد دولة بل مجموعة من الولايات المستقلة " . " ان الدوله العمانية
، تنهار ي!19
ويقول مورهيد : " وكان المماليك -من ا ا!جهة النظرية البحتة - مازالوا
سخاضعين للسلطان العمافى فى القسططنية ، مرتبطين بأداء جزية سنوية إليه بمثابة
منحة ، وبقبول والى عمافي يعينه الباب العالي ويوفده إليهم . والوافع أنه كانت قد
انقضت سنوات طويلة لم يدفع فيها المماليك الجزية للسلطان . أما الوالي وقت
وصول
نابليون - وكان اعه " ابو بكير باشا ! فلم يكن اكز من دمية أو ألعوبة في يد
المماليك الثلاثه والعشرين من البكوات الذين كانت تتالف منهم حكومه
. مصر " 2
،هذا الاستقلال الفعلي بمصر ، والذي مارسه المماليك منذ القرن السابع عشر
،لى يعدء من يحاول تحويله إلى !ضح رسمي ، بل هـتوس!ث دائرة استقلاا مصر
ومد حدودهث على حساب الدولة العمانيه وسيادتها الوهمية .. ولنذكر دائماً انه منذ
أواخر القرن الثامن عشر كان الحطر اكبر هو الذي تمثله قوة مصر على الدولة
العثمائية
. و!يد الع!ص

* الحق أنه يصعب جدأ تسية أحد الأفرد كاول من فكر في لاستقلال بمصر .. فما من حا آ ترى
حكم مصر
ا، وفكر في الاشقلال بها ، وما مّن حا آ اصتقل بمصر إلا وتطلع لى حدودها العرية .. حى 1
نابليهون ! ففى مذكرات
نابليهون ما يكفى بحه ضرف اكاف " القوية العرية " قل صثطع لحصرى على الأقل ! فهو يترقع اذا
ما استقلت
صر ان تمتفل " إ الممل! لرية النى نتألف من امة تخالف الام غكلها مختلغة كية بمقلياوأوهامها
،ولنتا وناريخها
شثهلت مصر وبلاد العرب وضطرأ من بلاد افريقيث " . " تمنى ولايات الدولة العماية من صميم

وقبيل الحملة الفرنسية ، وقبل " بعثها " للقومية المصوا!ة لتسع وعشرفى سنة
استقل علي لك الكبص بمصر وطرد الوالى وضم معظم /(1769) الجزررة العربية
وسورتا حتى باعه نائبه وخلعه وخعله (على شكوك الجبرقي) وانفرد مو بحكم مصر.
وقات تركيا بمحاولة لفتح مصر في عهد " مراد وابراميم " وجردت جملة على
ولاكتها .. واستطاعت أن تحتل مصر خعى سنوات .. لتفشل .. وتعود مصر لحكم
الشقعن مراد وابراهيم.
أما " الجزية " أو " المكلى " .. صد تناقصت بعد استعثار المماليك بحكم البلاد
حتى انه في بعض السنين لا يكلد !قى منها ش!ث! !ذكر . وانقطع فعلا ارسال الخزانة
في عهد علي بك الكبكل ، وكان صافي ماروسل سنويا الى الاستانة 364.55 فرنك .
وسنرى أن كلمر قد جع من غرامه واحدة عشرة ملاتنن فرنك.
ثلاثمائة ألف فرنك هي كل ما كان يطمع فيه الباب العالمط اذا ماصفت الريم ودانت
له البلاد من دخل سنوي " مقداره ما بين 35 الى اربعين مليون فرنك في
السنة "22 .. أى أفل من واحد فى المائة .. لذلك لم يكن عرض نابليون مغرياً
للسلطان عندما عرض أن تكون علاخعه بالباشا ، هي نفس علاقة المماليك . وان
كان مو أصلق وعدا ، عندما عرض دفع الجزية.
وأول خاطر ذهب اليه تفكر المماليك عندما بلغهم نبأ الغزو

آفاق القوميين الصب المعاصر!ن ، ويشق محاولات ضركف مكة .. (ن صحت الاتهامات الى ننسب له بانه تطلع الى
خلافة عريبة فقل فرن وربع قرن من محاولات الركف حين كب برنابرت في مذكرا. : " ان الآستانة لم تعرف
الإسلام إلا بمد نلاثة أو أربعة فرون من وفلأ الرص ل (حتى نابل!ن كان ضحفأ ق التل غ) وأنه لر حث الرص ل

ففور وصول انباء الغزو افرنسي الى الفاهرة ، عقد الديران واجتمع البكوات
والمشاغ والباشا التركي ، وخعح مراد !ك المنافشة بقوله : " ان الافرنج ما حضروا
الى هذه البلاد الا يإذن هن الدولة العلهة . ولابد انت ايها الوزير عندك افي والعلم
. " بذلك ولكن العدر: تساعدنا علهكم وعيم
تخيل " محلي ماهر " او " النحاس داشا " !عقد علس الوزراء و! ستدعي اللورد
كلكلن " عام 1942 و!ول له : " ك الطليثن او الالمان ما حضروا " الى هذه البلاد

اعتقد ان هذا الشك الذي ساور " مراد ليك " لا كرك مجالأ للبس حول طبيعة
العلاقه ينن مصر وتركيا . وتؤكد ما ذهب اليه كل المؤرخين من أن مصر كانت
.مستقلة ، في هذا الرقت ، استقلالا فعليا عن تركيا
ل! وعندما بدأ مراد !ك - قبل ذلك - صني اسطولا ، و!نع المدافع " اختلفت
اراء الناس في ذلك ، !ن قائل ان ذلك خرفا من خشداش!نه وقائل من مخافة العمانية
. ؟ تقدم في قضية حسن باشا "23
لم يكن للوجود العثماد من مظهـر الا الباشا افىلى .. ومبلغ الجؤكة الذي قلما
كان يدفع ، لذلك فإن احمال وصول حملة عثمانية ع! هصر هن جنود عثمانيين
خلص ، أو بمعوتة أجنبيه ، كان احمالا واردا أو متوقعا هن الجاذ*- ص التركي
وسنري ان الاتراك لم !ودوا ا! مصر الا كمتيجة للحملة الفرنسهة ، ولو أنها كانت
عودة مؤقتة الا ان طبيعة المناقشات التي دارت في الدوران قد

وقد نفى الباسا التركي هذا الاتهام دائلأ : " لا !ح منك ه!ا الكلام أيها " الأمكل.
ان الدولة العلّية لا بمكن ان تصمح بمثل هذا الأمر ع! *د الاسلام فدعوآ هن
ذا الحديث والكلام ، وثمدوا همتكم و!مموا !نهكم ، وانهضوا ضهمة الأ!! طال

. واستعدوا للحرب والقتال ، وقدموا فواتكم للمغازاة وفوضوا الأمر دله "24
ولاشك ان التاريخ الان في صف الباشا ، الذي نفى - رغم افتقاره للمعلومات
المادية - امكانية تامر الدولة العلية مع الفرنجة على غزو بلاد الاسلام .. ولكن المناقثة
توضح ان نابليون كان أحرص على تأكيد الولاء للدولة العلية من المماليك ، وهو
يدعو المصرتنن في نهاية منشوره الى الهتاف بصوت عال : " أدام الله جلالة
السدطان ا . . هذا المنشور الذي يصفه إمورهيد" بأنه من أعمال الرياء والخديعة . . ا
غ
وأنه جاء تأكيدا حماسيا لمشاعر الصداقة والتحالف التى يكنها بونابرت للسلطان
قاطعا العهد على نفسه بأن تخفق الرايتثن التركية والفرنسية جنبا الى جنب فوق كل
قوية 25

بل نستطع أن نتصور طبيعة هذه الصلة التي كانت تربط بين الآستانة أو
الدولة
العثمانية وبين 9 مستعمراتها " المفترضة : مصر والشام ، من تللص
المعاملة التي لقيها
الجيش! العثمافي الذي جاء في أواخر عا ا 1799 لتحرير مصر ، وكان
لابد له أن يمر
عبر الشام التابم وقتها للدولة العمانية والذي يعتبر ضمن املاك
السلطان . ولكن
رفض الجزار باشا التعاون مع الصدر الأعظم ، على أية صورة "
(فالباشا عدو لكا

ولنث ان نفترض ان هذا الموقف " السلمي " من جانب الجزار يعرد الى
ان جيش
الصدر الأعظم كان مجرد عابر سبيل في أراضى الجزار . لذلك اكتفى
بحثه على سرعة
العبور ، بالجوع والعطثى . أما لو كان في نيه (الصدر الأعظم " البقاء
في سوريا
لكان للجزار موفف اخر ، ولجرع الجيش العمافي وقائده من نف! الكا!
س التي
جرعها للدخلاء الفرنسيين.
ولم تكن هذه هى حالة مصر والشام وحدهما ، بل سائر البلدان العربية ،
ففى
نف! الوقت الذي كان فيه نابليون يشن هجوما وحشياً على عكا ويحتل
من أملاك
السلطان الارض الممتدة من أسوار عكا إلى النوبة .. كان أحد ولاة
السلطان في
اقليم اخر من امراطوريته الوهمية يتلقى مكاتيب من : " طرف أمير

محبنا بونابرته ويوزعها كالآقي : " فما كان لنا منها فتأملناه وصار اليه الجواب نوصله
اليه " . " وما كان منها معولأ في ارساله علينا الى نواحي الهند والن حيدر وامام
مسكت ووكيلكم الذي في الخا فجميعا اصنرناها من طرفنا مع من نعتمده إلى أربابها
. " وأن شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب
أما ساعي الويد هذا فلم يكن إلا " الشريف غالب لن مساعد شر!ف مكة
المشعرفة " و الخطاب موجه الى " عين أعيانه وعمدة إخوانه برسليك مدبر أمور جمهور
الفرنساوية ممهد بنيان السجئسة لسداد همته الوفية " . ممث يكشف أي قدر من النفاق
كان في دمجاء أئمة المسماجى للسلطان العثمافي بوصفه حامي الحرمين ا وأي قدر من
الصفاقة كان في !ا كلمم!امنه!ان للقبا
وفي نفم! الخطاب يطلب شر! مكة من الجيعق الذي !عل مصر ويفتح الشام ،
.أن ينظم معه حراسة قوافل البق
والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال عساكر من لدتكم إق " بثدر
السويس لاجل حفظ أموال النات! ويصلوا لالألنان إلى مصر ويميع التجار ورزول
وقف الأسباب والباس . وضيتموا فى رجوعهم كذلك قبل بأوان . كذلك تصحبوهم
بثلعسكر مق طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطرئ لأن هذه المرة
ما أرسل اليكم هذا المقدار إلا تجربة واستخبارا من أعيان التجار وعند مشاهدة
ا!رانم والاحتالال بهم في ! حال يرسلون اليكم نفاش أموالهم وييرعون بالجلب لطرفكم
ورزول الريب عن قلوبهم ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات وتنجيح المطالب وتحصيل
المرات بأحسق ممث كانت من الامان . واعظم مما سبق في مخابر الأزمافي . ويكر
وق الله الوارد اليكم من الاسباب الحجازية . وكذلك لنا بن في المراكب! فمأمولنا
منكم القاء النظر على خدامنا ولذل الهمه على ما هو من طرفنث . وأنغ كذلك لكم
. عندنث مزيد ا!مدام فى كل مرانم "27

بالذات - بالسلطان ، فهى أبعد ما تكون عن صلة حام المستعمرة ، بالدولة
الاستعمارية

فلا مجالى للحديث عن دعاة استقلال عن تركيا .. فمصر لم تكن مستعمرة
تر!جة ، ولا كانت سياستها تدار م! تركيا ، لا كان ارتباطها بتركيا يشكل أ ي
فيد حقيقى على حركتها أو إمكانيات تطورها .. ومن ثم فان مشكلتها الوطنية بدأت
ء الطلقة الأولى التى صوبت للشاطىء المصري من الأسطول الؤنسى . وأصبح

ص!ررزرقي!بر
يهم!كف !،ط!!
ررج!يفلأ،،،----الم
رر/برءتم -أ

نظرة عل المجتمع
..

كانث !حر ذلك الشريط الأخضر المحيط بالنيلى والذي يفتح ذراعيه للبحر،
يعيتق فوقها مجتمع يتكرن من:

المماليك .. وهم السلطة الحاكمة " .
الشيوخ !. قيادة العامة ، وهم من شتى أقطار العالم " الإسلامي.
التجار والأعيان ، ومساتر النام! من المصرينن والمسمين ، " وبالذات
العرب .
عامة المدن .. وأهمهم بالطبع سكان القاهرة " .

الفلاحو ن * .
وعلى هامش الوادي الأخضر ، توجد الصحراء ، وبين الصحراء والوادي 5
حم ت لا تنقطع .. وفي الصحراء يعيش البدو ، أو العرب .ء رهم في حرب دائمة
. . مع الفلاحنن ء. أبثاء الوادكط
فسألوهم عن العزب .. فقالوا لهم : الواد!ط فى أمن وأمثن بحمد الله " ، لا عرب
- ولا جرب ولا 5 " 30 ص ؟
ء !ولكل جماعه لأخدودها المرسومة ، وكأى قاتون ، لابد أن يقع أختلال6 ،مؤقت
صطدم هذه ا اغوى بعضها ببعض ليعود توازنها من جديد . فالقوة التي!

تحاوزت حدها تصدها القوى الأخرى ، وتعيدما الى مواقعها بالردع ، بعنف تصل
أحيانا الى التقاتل ، او بالتهديد والمساومة.
ولنبدا بالمعال!.
أصبحت السلطة حقا مشروعا للمماليك بعد ايهار كل القوى المتصارعة في
المشرق العرلى وعجزها عن مواجهة خطر الترو الخارجي ، أو الإبادة الشاملة التي
كان يمثلها الغزو الصليبي ، مم الإعصار التتري .. فعل تد " شجرة الدر " والذ!ن
كعلوها وخلفوها ، تم سحق محاولة " لوي!ع! لتاسع ، وطرد الصليبيين من الشام ،
ثم هزيمة التتار وانحسار موجتهم . واستحق المماليك - بذلك - أن يتربعوا عل قمة
المجتمع ، وان تكرن لهم السلطة ، وين !ثكلوا وحدعم السلطة العسكرية الحاكمة،
وقد ظلوا في مواقعهم هذه ثلاثة فرون لأ تنازعهم قوة أخرى ، يعزف الجميع لهم
بحق مشروع في لروة البلاد مقابل حماي!تهم لها من لخطر الخارجي لى ان سقط هذا
الحق ، في موقعة " مرج دالق " بهزيمهم *أمام السلطان العثمالط .. دومها فقط رفض
الفلاحون المصريون دفع الضرلب وقالوا لهم : " ما نحطي خراج حتى يتبين لنا (ن
. " كانت البلاد لكم او لأبن عمان فنبقى نرزن الخراج مرتين
واصبحت البلاد لأبن عمان ، !شنق طرمان باي ، ودخول السلطان " سليم"
القامرة بمدفعيته المتفوقة ، وحماسة " مماليكه " أو انكعثاركه الفتية.
ولكن السلطان العثماد لم !سنطع أن مجعفظ بحقوفه ، فلم !كن اوسعه أن ببقي
في مصر قوة عسكرية دائمة بحجم يستدء نرض سلطه ، ومعاركه لا تنقطع في

راع 5 !غو!ة و!ضو لغكري ، - هصل ،

الاستقلال والوجود من خطر الابادة الأجنيية . ولكن في المرحلة الثانية أصبحوا
يحكمون بحق الانقلاب ، بحق انتزاع السلطة .. ولعل ذلك هو العامل الرئيسى في
التباين بين عصر المماليك المزدهر ، عصر السلاطين العظام الذين هزموا الصليبيين
والمار ، وبنوا حضارة رخثء وازدهار وتقدم نادر فى فن العمارة .. وبين عصر
الاعطاط ، عصر " مشثيخ البلد " المستمر في انحطاطه حتى وصل إلى الحضيض في
مرره " صراد بيك " و " إبراهيم بيك لا وانهى خلال ساعات أمام مدفعية ومربعات
. تابليون
إنه الفارق بين حكم الطقة المنتصرة وطنيا ضد عدو قومي ، والطقة المتامرة ،
المنتصرة داخليا في مجتمعها وعلى مجتمعها . وقد ساعد على انهيار المماليك وفقدانهم
صفاتهم النبيلة ، التى اكتسبوها بدفاعهم عن الوطن الإسلامي - أو المشرق العرثط
بالذات - سنوات الأمن الطويل الذي وفرته الانتصارات العثمانية فأعفوا من مهمة
الذود عن الوطن الدي ينهبونه ، إذ كانت هذه مسئولية السلطان - ولو نظريا-
على أية حثل لم يقع هجوم حقيقي على مصر في هذه الفترة . لذا انقلب المماليك ،.
من مفاتلين إلى قتلة متامرين.
ومهما تكن قسوة التاريخ عليهم ، كظاهرة منقرضة ، فيجب أن نذكر دائما،
أنه بفضل سيوفهم وشجاعتهم النادرة ، بقي المشرق العرر ، عربيأ ، فلولاهم لاحتل
لويس! التاسع ! مصر ، ولاستقر الصليبيون بالشام ، ولكنث اليوم شيئا " سبيهث بأمريكا
. . اللاتينية على أضل الفروض
بل لولاهم ولولا سيوفهم لما بقيت الحض ا. . ألألسانية أو لتأخر ازد!ثرها عدة
قرون . فهم وحدهم كانوا الصخرة التي تحطم عليها الاعصار المغول

الصفحة

لا ضك أن مصر - قبيل الحملة الفرنسية - كان يحكمها أسرأ مملوكين في تاريخ
. هذه الظاهرة التي دامت خمسة فرون
والممالمجث ظاهرة نادرة ، عجيبة ، ومثيرة .. لم تكتب عنهث الى اليوم ، الدراسة
الوافية التي تفسرهث أو حتى تقدم لها صورة موضوعية ، واضحة . . التفاصيل
فذلك الصبي او الغلام الذى ئحطف أو يشترى في صفقة حرة مع اهله في اسيا
الوسطى غالبا ، أو اي مكان في العا لم يسكنه الجنس غير الأسود .. إذ كان الممالمجث
. من كل الجنسيات والاديان البيضاء
هذا الغلام الذي نقل الى القاهرة ليلتحق بخدهة ممل!وك !بقه على الدرب ، وأصبح
الان فارسأ وقائدأ لمجموعة تدين له بالولاء المظلق ، هذا الفارت! هو أستاذ المملوك
الغلام ، المجلوب حديثأ ، اشتراه راسعأ من مس!قط رأسه ،. أو من . . التاجر
اليسرجى " الذى سيتحمل بعد ذلك لعنات المصرتون ، الذين لا !رفونه "

وفي ظل حضارة عجيبة ، لم يلتى الضوء لعد على روعة نظامها الذي لا يعترف
بأية حواجز اجنماعية ، لسبب اللون او الج!نس أو السنصر أو الأصل الطقي

ولمحى هذا الحدث هو المراصة الموت . راجع كاكا : " ا!وعة رالضو الفكر " ا

والدينى .. في ظل هذه الحضارة تتاح للمملوك فرصة الارتقاء إلى السلطة .. وهو
لبس رقيقا بالمعنى المفهوم حاليا لهذه الكلمة ، أو الذي يفهم من تاريخ الزنوج في
أميركا .. أبدا بعضهم كان يتحول إلى صنجق خلال ثلاث سنوات ليم!ى اكز ، من
مجيئه إلى القاهرة ، أي من تاريخ شرائه . ومعظمهم كانوا يبعثون فيحضروصأ أهلهم
إك القاهرة ، عندما يصلون إلى السلطة . إما من بلدهم الأصلى ، أو حيث طوحتهم
المغامرات . ففرصة النجاح في مصر هي اكبر ، والنجاح في مصر هو الامل الذي
يستحق المغامرة . وبعضهم كان يصل إلى منصب سلطان ، قبل أن تغ الاجراءات
الشكلية لتحروه !
وفي اعتقادي أنه خلال القرون الخمسة التي ازدهر فيها حكم المماليك في مصر،

ونستطيع أن نتصور بعض الأهالي الأذكياء أو الصبية الطموحين ، يغرون
اليسرجي " بأنفسهم ويستع!ونه لكي ينقلهم إلى عالم المغامرات " والطموح
والمجد .. أما حكاية الاسترقاق والبيع هذه ، فكانت أشبه بحالة الصبي الاورو! ،
أو الارمني المغامر ، الذي يبيع نفسه - مدة الرحلة - لربان السفينة المبحرة إلى
أميركا .. مقابل نقله إلى العالم الجديد حيث أحلام الثراء في انتظاره .. ، مع فارق
أن الرحلة إلى امركا كانت ولا تزال ، مغامرة مع المجهول ، وأز، ملا؟؟ن !بروا المحيط
كانوا يعتصرون إلى الموت ، ويسقطون في هاوية الفشل ، مقابل ص حالة نجاح . .
أما رحلة المملوك إلى القاهرة فكانت رحلة مصير معروفة بدقه

* " الامص ورسف بك الم!المالط وكان اصله لراثيبا وأطم وحن اسلامه وبى اكات جراكسة ثم تظد كخدا
الحث ولية وانفصا! عث وملد الصجقية سة جع ومثنة والف (5 9 6 1 ؟ وتبم! كريخة المرفه ئم امثرة جده وعجة
الحرم (إ إ) رجاور بالحجل عامين ثم رحع بالمكر الى الروم ورجع طلئا . وأخد جمرك دي! رذمب ايها وأتام صا

فالمملرك ينضم فوكأ وصوله إلى خدمة أستاذ ما .. وهو أصله مملوك استطاع أ ن
.يتقدم عبر بحر الدم والولاء والخيانة والتامر
وعلاقة المملوك باستاذه تقوم على الولاء المطلق وتنفيذ جميع مؤامراته ضد
. الاساتذة " الآخرين ، والرعاية الشاملة من جانب الاستاذ "
وهنا يحلو لبعض المؤرخين أن يتوقف عند نوعيه العلاقة الشخصية بين المملوك
، وأستاذه .. ومعظم المعلقين تستهويهم فكرة العلاقة الجنسية المفترضة بين الاستاذ
.وغلام صغير جميل (في الغالب) مملوك له
ورغم أن معظم المعلقين - ؟ قلنث - وخاصة الغربيين فد أشاروا إلى ذلك ، إلا
- أ!ي أميل إلى استبعثد اعتبار اللواطة علاقة طبيعية - ؟ تصورها هده التعليقات
بين صفوف المماليك . فلا شك انها كانت موجودة فط بعض الحث لات ، ولا شك
اد نسبة كبيرة من الغلمان البيض الذين كانوا يسترقون في عصور الاخهيار
الحضاري ، كانوا يسترقون لهذا الغرض بالذات . غير ان من تدرتى تاريخ
المماليلث ، لا يجد أن المؤرخين العرب تتحدثون عن هذه الظاهرة كعلاقة أساسية في
صلة المماليك بعضهم ببعض .. بل بالعكس نجد هؤلاء المؤرخين يشرون الى حثلات
ل!يخها ، مارست هذا الشذوذ .. ويعلق المؤرخون بوضوح على ميول هذه " الحث لات
. . النمماذة " . وصحيح أنه في دور الأفول لحضارتنا كان الشائع هو التغز و، بالغلمان
بل لا تكثد يوجد في تاريخ المتأخرفى شيخ إلا وله قصيدة غزل في غلام ، لكن
ذلك كان العرف الأدثط ، دون أن تكون له - والعياذ بالئه - أية علاقة .حقيقية بعالم
الواقع . والمؤرخون العرب ، الذين يمتازون لالصدق المطلق ، وهذه أيضا من
خصائص حضارتنا ، ما كان ليفوتهم تسجيل هذه الظاهرة ، إذا كانت تمثل فانونا
،عاما ؟ يفهم البعض الآن من تاريخ المماليك .. ولا شك ان تشنيع العامة المصرتنن
قد لمحب دوره في لخق هذه الشائعة عن الشنرذ الجنسي بين المماليك ، بل ان تركيز
المصرتنن ، لسنوات عديدة بعد ؤوال المماليك ، على التشهير الجنسي بالطبقه
الحث كمه ، ربما يرجع إلى جذور مملوكية .. فأي انتقام - على الطريقة المصرية في
المقاومة - من حا آ مستبد متكبر وحشي السلوك ، كبر من أن ترسم له صورة
!غا،م فراسرر
الايهار الحضارى النب نفيه ب! الاخار المامكط ، فقد نكرن الهضاؤ في ذروة تالقها المثدى ولكنها
. في روور الاضيار

ولكننا - مرة أخرى - نستبعد أن يكون المماليك فد أ!بزوا " ثورة جنسية"
بحيث كانت هذه علاقتهم الطبيعية ! ؟ يستحيل تصور مجموعة كهذه ، تتحول في
سنوات ، من ! غلمان نحدع ، إلى فرسان محاربين من أعلى طراز ، تتسم علاقتهم
بدموية نادرة .. ويمارسون الحكم بشموغ وعنجهية .. هذه صفات تتنافى مع
البسفات التي يختار من أجلها غلام الخدع ، او الفتى الإغريقي ثم الروماق المعروف ،
أو غلمان قصالد أر نواس . فصفات المملوك المقاتل تشافى مع صفثت هذا اللون
من الغلمان ، الذين تغ تنمية صفات خاصة فهم فترة استخدامهم لارضثء هوايات
سادضه!م ، ويستحيل تخلصهم منها بسهوله ليتحولوا إلى مقلأللين عند سن معينة!
فمع التسليم بوقوع هذه العلاقة في حالات خاصة ، نعتقد أنها لم تكن القانون
الم لعلافه المملوك بأستاذه .
يتحول المملوك إذن إلى تحارب من الطراز الأول ويبدأ العمل تحت قيادة أستاذه
في مغامرة السلطة ، ومي قصة تتكرر طبق الأصل في جميع الحالات .
فسيده صنجق .. وعلى قمة الصناجق يتصارع أميران ، يتمكن احدهما من الآخر
بشراء أعوانه ، أو اغتيال مماليكه ، فاما ان يهزم في حرب تكون نتيجتها مدبرة سلفا
من خلال " المتامرين " عليه . أو يستدعى بحيلة إلى الصيد ، أو اجتماع للمسامرة ،
أو لبحث بعض القضايا الهامة ، أو قراءة مراسيم " مزورة " وردت

وعندما يعطي الأمو المتامر الاشارة المتفق علها ينقض المماليك كل الفريسة المتامر
عليها ، ينقضون بلا شفقه ولا عاطفه ولا حتى حقد في الغالب وسرعان ما يقطع
ر%سه (وبعضهم كان ينجر بقفزة حب بقاء ، !م أ!ا رقم أو!يادي)5 فإذا
كا يروى عن " للملوك الاود ، 9لدى ضز من فوق سور الفد في سذجكة " عهد عل ، "
اله!ة.

ما ظع رأمط سلخ ء. واهغ القتلة ! بعك!ئر ما حميري في أ!امنا هذه - لى علان
.جريمئهم
والرأس ؤو اهميه بالغة اذ أن احرازه واعلان امتلاكه !فل حقوتأ لانونيه
ودسعورية .وثوعية لمالكه ، فما أن !برؤ الرأتر المقطوع ، حتى تنتهي فوراً مقاومة
الاغوان والتابعين فابا ان ينضموا في الحال إلى حائز رأتر سيدهم ، أو لعادروا بالفرار
ونقل متاعهم والخروج من القاهرة ، إذا كالط تركيب القوى المتصارعة لا تتسع ! م
لدلك كان المننمو يرص دائما على ! عرض الرأس ! الذي ي!ثعبه في أتامنا هذه
البلاحما رقم واحد ، أو إعلان نتائج الانتخاباث ، بمجرد اداعته تنتهي عملية الاستيلاء
كل السطالة وت!قط شرعية المقاومة من جالمج! القري الاخري التي كانت في السلطة
. إلى ما قبل دقائق من إذاعة البلاغ رقم واحد .. اقصد قطع الراس
وأحيالا كان ! عرض الرأس ! يتخذ شكل استعراض فكه ، فالمماليك تحملون
رءوسى الفويق المهؤوم ع! الصوافي الفضية الفاخرة ، ويطوفون بها في ال!ثعوارع بالوفاو
اللازم .. وأما!م الخدم يصيحون . " صلوا على النبي ! .. " !ملوا على محمد دا

أ ورجع محمد لي! وصمالح لعك والتجريد! ودخلوا المدي!ة من باب النصر في
موكب عظيم وأمامهم الوءوتر محمولة فط صران مق فضة والخدم !فولون صلوا على
محمد وهماع بعك ظاهر بوجهه الإنقباض والثعبيى أ له حق فرأسه فطع بعد
ص!تة عمثر يوما ففط مق انتصارهـ!) وعدتها ستة وءوس وهي

فاؤا فر المملوك المنهزم او الجريم خارج القاهرة تلففته ذئاب البرية .. ! العرب
نحيل " حسن بيلص الجداوي " الذي فر من الموت بسلسلة مغامرات تزرى بأي
جمصر بوند .. ليصل إلى الصحراء ، حيث تتولى الذئاب مطاردته .. ثميخ العرب
يتبعه ؟ يتبع الضبع الفريسة في انتظار سموطها ، يلاحقه باتوله : " وتن تروح

يا ملعون " ! وطالما ظل " حسن ! بيك على ظهر جواده ، فان ابناء اوى هؤلاء
لا يقدررن على الاقتراب منه ، ولكنهم يعلمون أن قدرة الحصان ، على البقاء تحدودة
مهما تكن طاقة المملوك .. لذلك يستمرون في مطاردته بصبر وإلحاح ، مع الاحتفاظ
بمسافة مناسبة تبعدهم عن ضربات سيفه .. وتبقيهم في دائرة القدرة عك الازعثح
بحجر او سهم أو قطعه خشسب أو مجرد السباب والتوعد .. وأهم من ثلك منعه
من الانطلاق الى الصعيد أو غزة

أما في القاهرة ، فيبدأ الأمير المنتصر عملية تصفية صيعة لأنصار المنهزم فيخنق
من يخنق ، ويذبح من يذبح .. وتقطع رعرس الجميع ، وبعضها يسلخ .. أما الجثث
أو " الرمة " باصطلاح العصر فتنقل إلى البيوت مع الاحترام اللازم وتسلم للأهل.
وبعد عرض الرعوس يهغ اهماماً مبالغا فيه بتغسيل وتكفين ودفن " الرمه مع الرأس !
باحترام شديد .. فادا انتهى الأمير المنتصر من خصومه ، بلأت عملية تصفية
الانصار للقضاء على المنافسين والذين يخشى انقضاضهم .. وفى أيام ينتقل المملوك
من خانة أصدق الأوفياء وأخلص الاغوان إلى .خانة المشكوك فيم ، والمطلوب
تصفيهم ، ويقتل من يقتل ويفر من يفر ويستتب الأمر للأمص المئئصر .. ولكنه مجرد
منحنى للسلطة يمرق فيه .. فما أن يصل الى نقطة الذروة حتى ييدأ في الانحدار
بموجب قانون صارم كقوانين الطيعة ، يخضع له الجميع ، ويتصرفون بموجبه .. وما
من محاولة جادة بذلت لتغييره .. كأن هنثك حجماً معينا من القوة ، ييذل الجميع

* ربما كان مذا الاحمام الد" دثلحة والمقبرة الفخمة ، !رد ر التقالد ا!ى تعلها

الباسا خلعة المنصب ، ويصبح له الحق في نهب بيت انحلوع القتيل .. ومصادرة جميبم
ثروته ومتاعه والتزوج لأرملته .. ليقتل هو بعد فترة ، ويمكن القول : (ن تسعين بالمائه
من المماليك ماتوا مقتولين إلا من سبق الطاعون السيف إلى انتزاع حياته . ويصعب
أن نحد مملوكا بارزا لط القرن الثامن عشر بالذات ، عندما وصلت الظاهرة المملوكية
! - إ! أبشع حالاتهث ، مات حتف أنفه -؟ يقول التعبير العرر الغريب
هذا الطابع الوحشى دط صراع المماليك .. والنهاية الدموية لجميع الأصراء ترجع
بالطبع لأسباب عديدة د! التكوين الشخصي لأمراء الحرب هؤلاء ، وفي التكويق
المكي ي والنظم الاجتماعي الني أقاموه ، ورضهم الاعتراف بمبدأ الوراثة ، ونظر!يم
العجيعة لحق الملكية . ولكنها ترجع في !تقادي لسبب أساسي هو : مركزية
مصر ، استحالة فيام النظام الإقطاعي فها ، على النحو الذي ساد أوروبا واسيا في
العصر الوسيط . فلو كان بوسع أي مملوك أن يستقل بالفيوم أو بالجيزة أو طنطا ،
لما حرص عل قتل خصومه ومنافسيه من أمراء المديريات الأخرى . ولا عرض نفسه
للقتل المحتوم بالاصرار على دخرل القاهرة ولا خلاهـالمسيطر
على القاهرة بقتال الفارين خارجها . ولكن تكوين مصر (لسبب النيل حيث يحتاح
ظام الري لحد ادفى من المركزية عل نطاق القطر كله) تستحيل معه ، فيام
اقطاءكيات منفصلة ذات اكنفاء ذاقي ، لذلك كان لابد للسلطة في القاهرة ، لكى
تحكم ، من إضماع الإقليم كله الى حد امق من سيطرتها ؟ !ممن حدأ أدفى من
الوحدة الاخنصدية . فلا سبيل الى الامارة الا في القاهرة . . ومن هنا كان هذا الصراع
الوحشي وتبادل الأدوار ، من مطارد إلى هارب ومن قاتل إلى مقتول .. كانوا
مجموعة عجيبة تعيش حياة سريعة قصرة تظللها حكم بالإعدام يوقن الجميع بحتميته ،
. . وينالهم مهما كانت قوتهم ، ومهما كانت براعتهم في الاختباء ، أو نجحوا في الفرار
وكان في كل قصر " باب السر " يمتد تحت الأرض مسافات ليست بالقصيرة ، تسمح
للأمير المحتصر لالإفلات ، من حصثر المتطلعين إلى سلخ رأسه ، والانطلاق إلى
. . الصعيد . وكان لبعضهم اكز من بيت ، غير مضهور ، يخفون فيه جانبا من الكروة
حتى إذا نهب قصره لرئيسي ، وجد ما يستعين به عل مواصلة الصراع . فإذا سقط
في يخصمه لم يكن له أن يتوقع الرحمة . فلما طلب " أحمد افندي " أن يركبوه
. وفي طرقم انهم كلثون ش كرن مبا المحم او حارأ لهم ، 30 "

حصاناً بدلا من الحماو ، هذا المركب السوقي الطابع والمتدب .. وأن
يخرج عنه هذا
الحديد من رجله ، رد عليه "علي بك الهندي " : "لو رحمتونا كنا
. رحمنا 3 " إ 31
والأمير " عبد الرحمن اغا " " اغاتا مستحفظان " الذي اشتير بالعدل
وكان نقمه
اللة على المعاكيس وخصوصا الخدم الأتراك المعروفين بالسراجين ..
والذي اكتشف
أنهم غير مسلمين ، بل مندسين ! .. لما جاء دوره وتحول إلى فريسة
مطاردة ولحق
به مراد بيلث بعد أن عرف مكان اختبائه ! وأخذوه قبضا باليد وعروه من
ثيابه
حتى السراويل وسحبوه بينهم عريانا مكشوف الرأًس والسوءتين
وأًحضروه بين يدي
مراد بيلث فلما وفعت عينه عليه أمر بقطع يديه وصلموه لسواس الخيل
يصفعونه
ويضربونه على وجهه ثم قطعوا رقبته حزا بسكين (!!) ويقولون له
أنظر قرص
البرغوت . يذكرونه قوله لمن كان يقتله : لا تخف يا ولدى جما هي
كقرصة
.الرغوت .. فكانوا يقولون له ذلك على سبيل التبكيت
. ودخل مراد بيك في صبحها برأسه امامه على رع "32 "
وخلال فترة حياة المملوك القصيرة العنيفة والدموية ، نرى جانبا عجيبا
من هذه
الحضارة التي استط"عت أن تصقل حتى أشد الحجارة صلابة .. فهو.
-مؤمن متدين
بمتى احترام شعائر الاسلام - يحترم أهل العلم ورجال الشرع ، ويتخضع
،لهم
ويتحمل تأنيبهم وزجرهم ، يعشق الحضارة والفن ، ويجمع الأموال بكافة
الاساليب
الظالمة والوحشية ، ولكنه لا يكاد ينفق منهث سيئا على الشهوات

.. ويشهد لين 33 للممالك " بنوق مترف في الفن ، وحرص شديد عليه
"
ويؤمن " مورهيد) على ذلك مستدلاً بأضرحة البكوات المماليك ! ذات
القباب
الضخمة والمنائر العالية ، تقوم إلى البوم في الصحراء ، خارج أسوار
القاهرة ، مثلا
باهرة على التقدم العيم في فن العمارة ، فلم يستطع الفنان ولا حقارة

من حمو فنى "34 . وكمثال على هذا الوله بالبناء والدمارة نأخذ الأصر عبد الرجمن
كنخدا الدى حكم في خعرة الايهار من 152 1 إلى 178 1 هـ(
1739 - 1764 م)
أي مدة ربع ترن .. فرغم انشغاله بثلمؤامرات ، ورعم ظلمه وحماقاته ، تشهد له
الجبرقي بهذه الإنشاءات :
السبيل والكتاب الذي يعلوه بين القصرين وجاء في غاية الظرف " وأحسن
المبافي.
وأنشأ جامع المغاربة وعمل عند بثبه سبيلا ومحئابأ وميضأة تفتح) بطول النهار
" وأنشا تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهرج وكتاب "
. " ومدفن السيدة السطوحمه "
وانشأ بالقرب من تربة الاربكية سقاية وحوضث لسقي الدواب " ويعلوه كتاب
. " !وفي الحطابة كذلل
. " وعند جامع الدشطوطي كذلك "

وأنشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضأ " ويشنتمل
جملى خمسين عامودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من
الحجر المنحوت وسقف أعلاها لالخمثسب النقى وبنى به محرابث جديدا ومنبرا وأنشأ
له بابث عظيما جهة حارة كتامة !وبنى بأعلاه مكتبأ بقناطر معقودة على أعمدة من
الرخام لتعلجم الائتام من أطفال المسلهكن القران وبداخله رحبة متسعة وصهرج عظم
ولهمقاية لشرب العطاش! المارين . وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة وعليه قبه معقودة
وتم كيبة من رخام بديعة الصنعة وبيا أبضأ رواق مخصوص بمجثورين الصعاتدة
اكقطعين لطلب العلم يسلك اليه من تللث الرحبة بدرج يصعد منه الى الرواق وبه
هرافق ومنافع ومطبخ ومخازن وخزائن كنب . وبنى بجانب ذلك الباب

وخان الجراكسة وهو عبارة عن بابين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه
مكتب أيضا وبداخله باب الميضأ! ودرج يصعد منه للمنارة . ورواق البغداديين
والهنود فجاء هذا الباب وما بدإخله من اللإسية والاقبغاوية والأروقة من أحسن
المبافي في العظم والوجاهة والفخامه.
. " يا وجدد رواقا للمكاويين والتكروريبهت
وبنى المشهد الحسينى على هذه الصفة وعمل به صهريجأ وحنفية " بفسحة
ولواوين في غاية الحسن ورتب له تراتيب وزاد ي مرتبات الازهر والاخباز ورتب
لمطخه في خصوص أيام رمضان في كل يوم خمسة أرادب أرز أبيض وقنطار سمن
ورآس جاموس وغير ذلك من التراتيب والزيت والوقود للمطبخ.
وأنشأ عند باب البرقية المعروف بالض يب جامعا وصهريجاً وحوضا " وسقاية
وملعبا ورتب فيه تدريسا.
وكذلك جهه الأزبكية بالقرب من كوم الشيخ سلامة جامع ومكتب " وحوض
. وميضأه وسقاية ومنارة
وعمر المسجد بجوار ضرج الإمام الشثفعي رضي الله عنه في مكان المدرسة

وعمل عند باب القبة الصهرج والمقصورة الكبيرة التي بها ضرج شيخ " الاسلام
زكريا الأنصاري . وفرش طريق القبة بالرخام الملون يسلك ءاليه بدهليز طويل متسع
وعليه بوابة كبيرة من داخل الدهليز البرافي وعلى الدهليز البرافي من

وعمر أيضا المشهد النفيسي ومسجده وبنى الصهرج على هذه "
. الهيئة إلموجودة
. وجعل لزيارة النساء طريقأ بخلاف طريق الرجال
. وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع "
ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ".
المشهد المعروف بثلسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ".
والسيدة فاطمة والسيدة رقية ".

والجامع والرباط ص!ارة عابدين " .
. وكذلك مشهد اثط السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الان "
ومسجد شرف الدين الكودي بالحسينية " .
والمسجد بخط الموسكى " .
أ وبنى للشيخ الحفنى دارا بجوار ذلك المسجد وينفذ اليها من داخل) .
ا وعمر المدرسة السيوفية المعروفة بال!ثميخ مطهر بخط باب)
الزهومة وبنى لوالدته
بها مدفتاه
وأنشأ خارج باب القرافة حوضث وسقاية وصهريجا " .
ا هـجدد المارستان المنصوري . وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية)
والقبة التى
كانت باعلى الفسحة من خارج و لم يعد عمارتهما بل سقف قبة المدفن
فقص . وترك
الأخرى مكشوفة ورتب له خيرات وأخبازا زيادة على البقايا القديمة.
وله عمائر كثيرة وفناطر وجسور في بلاد الأرياف وبلاد الحجاز حين "
كان
. مجاورا هنال

وبنى القناطر بطندتا (طنطا) في الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم "
.
والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من ناحية الخلوقى على))
الخليج.
وفنطرة بناحية الموسكى " .
ورتب للعميان الفقراء اكسية الصوف المسماة بالزعابيط فيفرق علهم "
جملة
كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء . وكذلك ألمؤذنون يفرق علهم جملة
من
الإحرامات الطولونية . وكذلك يفرق جملة ص الحبر المحلاوممط والبز
الصعيدكط
والملايات والاخفاف والبوابيج القيصرلي على النساء الفقيرات والأرامل.
ومن عمائره القصر الكبير المعروف به بشاطىء النيل فيما بين بولاق
ومصر
. . القديمة . وكان تصرا عطما من الأبنية الملوكية
ومن عمائره أيضا دار سكنه خارة عابدين وكانت من الدور العطمه)
المحكمة
الوضع والإتقان لا يماثلها دار بمصر فى حسنها وزخرفة مجالسها ومث
بها من النقوش
والرخام والقيشالط والذهب المموه واللازورد وأنواع الأصباغ وبديع
الصنعة والتألق
والى !حة وغرس بمث بستاناً بديعا بداخله قاعة متسعة مربعة الاركان

ذلك من العمارات حتى اشتهر ذكره بذلك وحمي بصاحب الخيرات والعمائر في
. مصر والشام والروم
وعدد المستجد التى أنشأها وجددها وأقيمت فها الخطبة والجمعة " والجماعة ثمانيه
عشر مسجدا و-لك خلاف الزوايا والسقايات والمكاتب والاخواض والقناطر ....
وكان له في هندسه الأبنية وحسن وضع العمائر ملكة يقتدر بها على ما يرومه من
... الوضع من !ر مباشرة ولا مشاهله
ومن مساويه قبول الرشا" والتحيل على مصادرة بعض الاغنياء" في أموالهم واقتدى
به في ذلك كره حتى صارت سنة مقررة وطريفة مسلوكة ليست منكرة . وكذلك
المصالحة على تركات الاغنياء التي لها وارث . ومن سيثاته العظنمة التي طال تررها
وتضثعف ضررها وعم الإقليم خرابها وتمدى إلى جيع الدنيث هبابها !معاض!ته " لع
بيك " ليقوي له على ارلاب الرئثسة . فلم يزل يلقي بينهم الفتن و! غري بعضهم
على بعض و!سلط علهم عل بيك المذكور حتى أضعف شركات الأقوياء واكد
العداوة بين الأصفياء واشتد " على ليبن " فعند ذلك التفت إليه وكلب بنثبه عليه
وأخرجه من مصر وألعده عن وطنه فلم يجد عند ذلك مبئ يدافع عنه وأقام هذه
المدة فى مكة ضببا وحيدأ .. ولما رجع من الحجاز متمرضا دهب إليه ابراميم بيك
ومراد ليك وبثي! خشداشينهم ليعودوه ولم !كن راهم قبل ذلك فكان من وصيته
لهم كونوا مع بعضكم واضبطوا أمرآ ولا تدخلوا الأعادا لينكم .. وهذا

. . الر نو ة .
امتال ذلك لكفى عن ان يكون مملوكا واما ( )

وكان المملوك متأنقاً في ثيابه ، متأنقا في معبشته .. وبعضهم استطاع ان يتذوق
الأدب والشعر .. وبعضهم كان يجمع إلى جانب الحياة المادية العنيفة ، ايمانا عميقا
بالووحانيات والحياة الصوفية.
وفي فترات التألق كانوا يشهرون بالعدل .. ولعلهم اكثر الطقات الحاكمة في
تاريخ مصر ، حرصا على استقلالها ودفاعا عن هذا الاستقلال ، وأقدرها على حمايته.
ولعلها ا!ئر الطقات الحاكمة في تاريخ مصر تشبثا بهذا البلد وحبا له ، حبا كلف
الجميع حياضهم وكلف مصر ا!ثر ! .. ولكنهم ما كانوا يطقون البعد ساعة واحدة
عن مصر -. عن القاهرة بالذات التي لم يعرفوها ، لاهم ولا معاصروهم ، إلا باسم
" مصر " . .
. كانوا جزءا من نظام اجتماعي محددة اختصاصات كل أجزائه بدقة تامة .
فالسلطة هى حق مطلق للمماليك ، لهم وحدهم حق نهب البلاد ، مقابل توفير
الأمن الداخلى والخارجي ، والشيوخ يقيمون الشريعة ويحددون ما هو

وليس للسلطة ان تتعدى على الشيوخ ، أو أن !ن الشرع ، ؟ تحدده ويفهمه
هؤلاء الشيوخ ، أو أن تتدخلى في التشريع .. وليس للمماليك أن يتجاوزوا في نهبهم
للعامة حدا معينا ، والا ثار العامة ، وطالبوا الشيوخ بأداء واجبهم.
عندها يقود الشيوخ حركة مقاومة ، تتفاوت .. من منع الأذان ، أو الاذان في
غير أوقات الصلاة .. إلى القتال الحقيقي .. أو شن ما يمكن وصفه بثورة .
وليس للمماليك أن ينقلوا قتالهم على السلطة إلى حياة العامه ، لأن ذلك يهدد
باة الجماهير ، ويعطل انتاجها . بل عليهم أن يتقاتلوا بعيدا خارج المدينة ،إذا أمكن
أو في معركة ، قصيرة حاسمة حول القلعة . فلما طال قتال أا اسمعيل بيك " ضد
الشقيين " ابراهيم ومراد " .. وجبن ! احمعيل بيك " عن الخروج اليهم ، وعجزا هما
عن احتلال القاهرة تعطلت الأحوال ووقع:

وتعطيل أسباب وعسر في الاشفار برا وبحرا فافتضى رأي النميخ العروسى انه يجتمع
. " مع المشايخ ويركبون إلى الباضا ويتكلمون معه في ضأن هذا الحال
فلما زعم ! اسمعيل بيك " أنه مكلف من السلطان بمحاربة ! ابراهيم . . " ومراد
: " رد عليه الشيخ " العروسى
وما المانع لكم من الخروج وقد ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد من " الناس
أن يصل إلى بحر النيل وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة وحضرة ا! ل بيك
هشتفل ببناء حيطان ومتاريس وهذه ليست طريقة المصرينن في الحروب بل طريقتهم
المصادهة وانفمال الحرب في ساعة إما غالب أو هغلوب وأها هذا الحال فإنه

فانتفال السلطة ، يستحسن أن يخ بمؤامر 3 داخل البلاط . فابنا كان لابد من
القتال ، فبعيدا عن حياة العامة . وعندما ينتهى القتال ، يتقدم المنتصر وينال حقوق
المنهزم كاملة . فبعد أن قال أهل " الحل والعقد " للأم!ير " قطز " : " ليس لها
غيرك " . وكان عند حسن ظنهم ، فقهر التتار ، وخلد التاريخ احمه ، ووصل إلى
الذروة التى لابد أن يبدأ عندها منحنى الانحدأر ، تولى أخلص أًعوانه ، مهمة دفعه
في طريق السقوط .. فاحتال عليه كبار مماليكه ، واحتاطوا به بعد أن بعد عن
معسكره تحاولا صيد أرنب ! ثم تقدم منه ! الظاهر بيبرس " ، بالحيلة التقليدية،
متظاهرا بالرغبة في لقبيل يده . وسرعان ما جذب هذه اليد وقلبه عن فرصه،
وانهالت عليه سيوف أتباعه . . أعوانه . . أصدقائه . رفاق لعبة الموت . . والمجد الرهيبة
ورشقوه بالنشاب فقتلوه ، ثم حملوا على العسكر شاهرين سيوفهم " حتى وصلوا
إلى الدهليز السلطافي بالصالحية ، فنزلوا ودخلوا والأتابك على باب الدهليز ، فأخبروه
. بما فعلوا " (إ!)
ثم ماذا كان يريد " الأتابك " المنتظر على باب الدهليز للاحتفاء بسيده "

فعندما " أبلغوا " الاتابك " بما فعلوه " .. أي قتل السلطان . سال سيادته:
من ورله منكم ؟ ! " (يدر بخلده أن يسأل لماذا ؟) فرد عليه ") " بيبرس :
أنا " ! قال الأتابك : " يا خوند ، اجلس على مرتبة السلطان "ش " . ولم يطل
حكم قطز أكثر من 364 يوماا
ودخل " بيبرس " القاهرة على رأس الموكب ذاته الذي كان يرأسه " قطز) ،

-(ثحاحمص!)"ا،-9!
ش لمر حط

المتعمم

كانت هذه الدموية ، تدور داخل دائرة المماليك ، و؟ قلنا ، كان العرف
الاجتماعى الصارم ، أو الناموس ، يستنكر انتقالها خارج هذه الدائرة ،
ويرفض
التعرض للفئات الاجتماعية الاخرى بالتدخل في صميم حياتها ودورها
الاجتماعى،
أو بنفقل التقاتا! إلى حياة هذه الفئثت مما يعرضها للمخاطر ، ويهدد
نشاطها وإنتاجهث
بالتوقف . فإذا ما وقع ذلك ، كانت العامة تتحرك وتطلب من المشمايخ
قيادة
احتجاجها ومواجهة المماليك لإعادة الأمور إلى نصابها .. و لم تكن قوة
المشايخ شكلية
بأي حال من الأحوال . فقدرتهم على خ! يك العامة وإصابة البلاد بشلل
عام إما
بالتوقف عن الإنتاج والتوقف عن ممارسة شعائر الدين .. أو حتى بقيادة
مقاومة
مسلحة . هذه القدرة كانت عاملا لا يمكن لأي أمير عاقل أن يغفله ، أو

ولا شك أن التربية الإسلامية ، والعقل الإسلامي المفتوح بغير حد ،
بحكم مفاهيم
الف! صفة افيسلامية ، التى لا تسلم بالصواب المطلق لأي إنسان ، ولا
تعترف بالعصمة
لأي حا آ أو مسئول أ: فرد غير الأنبياء . لاشك أن لهذا التكوين الفكري
اثره في
المواقف المتحررة المدهشة - حتى بمقاييس اليوم - التى يسجلها
التاريخ لشيوح
الأزهر .. وأيضاً كان للتركيب الاجتماعي في مصر ، والمكانه التى احتلها
الأزهر،
بمرور السنين ، كمركز قيادة الأمة والمعبر عن إرادتها ، والقادر وحده

مثلتها الحملة الفرنسية أو التي زرعها أوروبا في مصر ، بحيث يصبح شغلها الشاغل
. . هو تنفيذ مخطط دعوب ، شديد الصبر ، شديد الفعالية ، لتحيم مكانة الأزهر
هده المكانة كان معترفا بها في عهد المماليك ، و لم يكن المملوك يتجرأ على المشايخ
الا بجرأة المشايخ على الدفى وتكالبهم على الدنيا إلى حد الاسهتار الفاضح بتعاليم
. الدين ، وارتكاب السلوك المعيب في حدود فهم المملوك
وحتى اذا وقع ذلك من لعض المنتسبين الى المتسين ، وحاول مملوك أن يستغله
فتعدى الحدود ، وتطاول أو " تجاري " .. فابه يجابه بمقاومة صلبة من كبار المشايخ
. وموقف عنيف يصل الى سب الأمص وإبطال قرارا-ته بالقوة
فالمملوك " توسف ببك الكبص " كان به لوثة ، وكان محقد عل المشاغ ، أ و
طائفة الفقهاء والمتسين " كا يسمهم الجبرقي . وكان لدول سبب وجيه جدا لنقمته "
هذه ، وهو سبب كاف لإثارة أي عسكري في أي عصر وأي بلد ، لل لإثارة أ ي
رجل حتى ولو كان من أنصار " الثورة الجنسية " المعاصرة ا ذلك أن أحد
. . المتعممين " قد وقع بامضائه في اخر مكان يتوقع الرجل أن يرى اتار غصه هنثك "
. فضلا عن التؤقيع والكتابة ا
والحكاية ؟ يرويها الجبرقي : " أن الأمص المذكور اختلى بمحطته فراى عل سوءتها
كتابة (11) فسألها عن ذلك وتهدمعا بالقتل فأخبرته ان المراة الفلانية ذهبت بها
إلى هذا الشيخ . ومو الذي كنب لها ذلك ليحببها (د سيدها فنزل في الحال (أ ي
في عنفوان الضب) وأرسل فقبض على الشيخ " صادومه " المذكور وأمر بقتله
وإلقائه في البحر . ففعلوا به ذلك . وارسل إلى داره فاحتاط بما فيها . فاخرجوا
منها أشياء كثرة وتماثيل منها تمثال من قطفة عل هيئة الذكر .. فأحضروا تلك
الأشياء . فصار رويها للجالسين عنده والمترددين عليه من الامراء وكرهم . ووضع
ذلك اقثال بجانبه على الوسادة . فيأخذه بيده ويشر لمن يجل! معه ويتعجبون
ويضحكون ويقول انظر أفاعيل المشايخ . وا-لفق أتضا أن الشيخ عبد الباقي طلق عل
زوج بنت أخيه في غيابه عل يد الشيخ حسن الجدلوي المالكى عل قاعدة مذهبه وزوجها
آخر . وحضر زوجها (الأول) من الفيوم وذهب إلى ذلك الأمير وشكا له الشيخ
الثيخ " احمد سادومة " 5 وكان رجلا ما ذا صجة وميبة وله ضهرة عظمة ويثع طول *
. " في الروحانيات

عبد الباقي . طلبه ووجده غائبا فى منية عفيف . فأرسل إليه أعوانآ أهانوه وقبضوا
عليه ووضعوا الحديد د! رفبته ورجليه وأحضروه في صورة منكرة وحبسه في حاصل
. ! أرباب الجرام من الفلاحين 38
وغم كل مبررات الأمير ل! الشك بالمشايخ ، ورغم شكوى زوح المرأة ، ورغم
وج!د مصلحة شخصية للشيخ ، مما يريب فتواه ، إذ ان الزوجة المطلقة هي بنت
أخيه . الا-ان الأمير بحاوز اختصثصاته اذ تدخل في الفقه ، وشئرن المشايخ .. اختل
الناموت! . " فركب الشيخ علي الصعيدي والعدوي والشيخ الجداوي وجماعة كثيرة
من المتسين وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ الصعيدى وفال له : ما هذه الأفعال وهدا
التجاري (؟) ضال له:أفعالكم يث مشايخ اقبح . فقال له هذا قول في مذهب المالكية
سول به . فقال . من يفول ان المرأة تطلق زوجها إذا غاب عنها وعندها ما تنفقه
. . وما !موفه ووكيله يعطيها ما تطلبه ، ثم ياقي من يخبته فيجدها مع غيره (؟)
فقالوا له : نحن اعلم بالأحكام الشرعية -. فقال : لو رأيت الشيخ الذي فسخ
النكث ح . فقال الشيخ الجداوي : أنث الدي فسخت النكث ح على فاعدة مذهبى . فقام
على أقدامه وصرح وقال : واللة اكسر رأسك . فصرخ عليه الشيخ الصعيدى وسبه
وقال د : لعنك الله ولعن اليسرجي الذي جاء لك ، ومن بثعك ومن اشتراك ومن
.جعلك اميرا . فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء يسمكنون حدته وحدتهم
واصضروا المشيئ عبد الباقي من الحبس فأخذوه وخرجوا وهم يسبوف (اي الاير)
. وهو يسمعهم "39
، أظن انها صورة لا تحتاج لتعليق لتوضيح المكاتة التي كان يتمتع بها الشيوخ
وهي بعيدة كل البعد عن تصور فارىء اليوم لكتالات الغربيين وتلاميذهم عن مجتمع
!مسحوق تحت استبداد المماليك
الحق ان مكانة الأزهر لم يتطاول عليها ، ولم تمهن إلا محلى يد نابليون وجيش
الاحتلال الفرنسى ، إلى ان أنجز المهمه ، ا!كم المتعرب الذي بداه محمد علي واكمله
. . مت جاعوا بعده
واضح خطررة خرى اليخ) عل اهراء الحرب الن! فى اخترع اقرانهم في اوروبا حزام *
الضة كحل لمكلة يخابم
اد 3 أ، الحرشب ني تجع لا طلاق فه . فماذا يحدث لو ان كل اير فر الى الصعبد أ، الى
غزة .. طلق النخ ز،جنه
ز،جهث اخرأ،

وهاهو الأمير المجنون ، المطعون في ضرفه من " المتعمم!ت " الذي يعترض على
فتوى خطكلة تبيح تطليق جميع نساء الامراء . ولا !كاد يوجد مملوك مشهور لم يفر
إلى الصعيد او يختفى لفترة قد تمتد عدة سنين . وهو يتدخل بناء على شكوى مواطن
عاد من غيبته فوجد زوجته زوجة لآخرا
حتى هذا الأصر يتوجه اليه المشايخ في عقر داره فيسبونه على مسمع من الأمراء
الممالي! ، ويعيرونه بوضاعة أصله كعبد ، ويلعنون من اشتراه ومن باعه ، وكله
كلام ممس بقية الامراء الحاضرين لشكل مباشر . فيتوسط هؤلاء الأمراء لتهدئة حدة
المشايخ ، ومرح فورأ عن الثعيخ السجين ، بل ويؤقى به إلى مجلس الأمهر نكاتة له،
ويأخذ المشايخ سجينهم الطليق ، وينصرفون ، لا ش!رين ولا هاتفين ، بحياة العدل
بل كصرفون وهم " يسبون " الأصر " وهو يسمعهم " ا
وعندما لجأ " حسن بيك الجداوي " اثناء مطاردته الدموية ، إلى بيت الشيخ
أحمد الدمنهوري " " فركب باعة كثوة من المحمدية (أمراء محمد بيك " أثط
الذهب) وذهبوا إلى بولاق وطلبوه فامتنع عن إجابهم فلم يحسروا على أخذه قهرا
من بيت الثعيخ " وكان الثعيخ " علي الصعيدى " يمنع شرب الدخان في حضرته.
وبحضرة أهل العلم عموما " تعطما لهم . واذا دخل إلى منزل من منازل الأمراء
ورأى من يشرب الدخان شنع عليه وكسر الته ولو كانت في يد كبير الأمراء .
وشاع عنه ذلك وعرف في جمع الخاص والعام وتركوه بحضرته فكانوا عندما يرونه
مقبلا من بعيد نبه بعضهم بعضا ورفعوا شبكاضهم وأقصابهم وأخفوها عنه وان رأى

.عل -مك البه! اعظم ممايك هذه المرحلة ،
صلطثن صر والام والحجار هو ابدى يتل يد الئخ ،*

خير صن رضثل . وكرر ذلك وقام قائماً وهو (أممط الأمكل) يأخذ بخاطره ويقرل :
أتا لم أغضب من شىء ويستعطفه فلم يجيبه ولم يجلس! لانيا وخرج ذاهبأ ثم سأل
على !ك عن القضية إلمي أقى بسببها فأخبروه " فأمر يقضائها

وعندما اختلف المعاربة ، وحكمت الهكئمة لصالح ال!يح " محباس! " ضد الحصم
الملتجىء الى الأمير يرسف ، حنق الأمير ونسهم الى ارتكاب الباطل " وأرسل من
طرفه من يقبض عل المث!يخ عماس المذكور من دين اهاورين " فطردوا ، ا!اورون)
انممين! وشتموهم وأخروا العثيخ أحمد الدردرو فكب مراسلة إلى روصمف ييك
تتضن عدم توصه لأهل العلم ومعاندة الحكم الشرعي وأرسها صسحبة ال!ثعغ عبد
الرحمن الفوتوي واخر فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكر! ، خهرمم وأمر بالقبض
عليهم و!سجنهم يالحمس . ووصل الخر إلى الشيخ الدردوو وأهل الجثمع فاجثمعرا .
في صبحها وألطلوا الدروس والأذان والصالوات " وقفلوا أبوالي الجامع . وجلس!
المشايخ لالقبلة القديمة وطلع الصفار كل المناير ك!رون الصياح والدحكاء عل الأمراء
وأكلق أهل الأسواق الفر!ة الحوانهت . وبلغ الأمراء فلك فأرسلوا الى ورسف ييك.
فأطلق المسبونين . وأرممل ايراهيم تيك من طرفه الراهم أغا مت المال فلم كأخذ
جواباً . وحضر الاكا لى الغوركة ونزل هناك وتادى دالأمان وأمر يفتح الحوانيت
فبلغ مجاوري المنارية ذلك . فذهب البه طائفة منهم وتبعهم بعض العوام ويأيديهم
العصي والمساوق ، وضريوا أتباع الأغا ورجوه بالأحجار فركب محلعهم وأشهر ! م
السلاح هو ومماليكه فقتل من مجاوري المعاربة ثلاثه أنفار وانجرح مهم كذلك ومن
العامة . وذهب الأغا ورجع الفريى الآخر . ولقي الهرج الى ثافي يرم فحضر امحعيل
بيك والشيخ السادات وعلى أغا محمخدا الجثوكئمية وحسن أغا أغات المتفرقة والترجمان

وصرف باك!هم وجراتا!م . وذلك بضمان الشيخ السادات له . فلما حضر الشيخ
ابراهيم بالتذكرة وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشي جهارا وهو !م عل اقدامه.
فلما حمعوها امحروا من الهرج واللظ وتالرا هذا كلام لا أصل له . وترددت
الإرساليات والذهاب والمجىء لطول النهار ثم اصطلوا وخعحوا الجامع في اخر النهثر
وأرسلرا لهم في يوم الخميس جانبأ من دراهم الجامكية . ومن جملة ما اشترطوه في
الصلح عدم مرور الأغا والوالمط والمحتسب من حارة الأزهر وغو ذلك . شروط * ... "اغ 41
وبالطبع عاد العسكر فنقضوا ما ألفقوا عليه .. ولكن تأزم الرضع والمفاوضات
وقدرة المشايخ عل منع مرور الرالمط والأغا والمحتسب من حارة الأزهر مدة أربعه
أيام تكفي للدلاله عل فدرة المشايخ على المقاومه . وقدرضهم على وضع حد لطغيان
العسكر ، واحترام العسكر للشيوخ وخوفهم من قدرضهم على تحرتك العامة . .
كل هذه الحقائق و فحة من تفاصيل الحادث وتكشف حفيقة المكانة التي كانت
للشيوخ في مجتمع يسر في طر!ق الزوال واختلال كل العلاقات والقيم.
ولما اشتط امر الحاح في فرض الضرائب ،شاء مولد سيدّي أجمد البدوي في طنطا.
ركب الشيخ الدردور لغلته وترجه إلى خيمة كعخدا الكاشف واستدّعاه " اليه
فحضر اليه والشيخ راكب على بغثط فكلمه ووبخه وفال له : انغ ما " تخافوا من
اللة . ضي اثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم عل الكخدا رجل من عات
الناس وضربه بنبوت فلما عاكأ خدمه ضرب سيدمم هجمرا كل العامة بنبابيتهم

. ة 1191 هـ (*17 م)! .

الثيخ الدرد! ل مقام وفبار ل حي الأزهر كأحد الأولعا. الى الان . وهن! هي طرقة . ، المصريش في محرل من

وبثلطبع كانت مكانة الأزحر تنسحب على شيوخه جميعا بصرف النظر عن
جنصيتهم - بث لفاظ عصرنث - فالأزمة التى أشرنث إليها حول حثديه ، " الشيخ " عباس
كانت بسبب الاعتداء على الأزهرتنن المغاربة.
ولما أهنن الشيخ الشريف السيد " قاسم بن محمد " التونسى من طرف بعض
الأمراء : " تحزبت له العلماء وكادت أن تكون فتنة عظيمة * ولكن الله سلم "44 .
وإذا تدخل الأمراء في تعيين شيخ الأزهر أبطل المشايخ تدبيرهم وثثروا عليهم.
فلما تدخل إبراهيم بيك (أحد الشقيين مراد وإبراهيم) . وعين الشيخ عبد الرحمن
ابن عمو العريشى الحنفي ! انتدب لنقض ذلك بعض الشافعية الخاملين (!) وذهبوا
إلى الشيخ محمد الجوهري وساعدهم وركب معهم إلى بيت الشيخ البكري وجمعوا
عليهم جملة من اعبر الشافعية وكتبوا عرضحال إلى الأمراء مضمونه أن مشيخة
الأؤهر من مناصب الشافعية وليس للحنفية فيها قديم عهد أبدا " .
وانهم اتفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسى وخغ " الحث ضرون
على ذلك العرضحال وأرسلوه إلى ابراهيم بيك ومراد بيك فتوقفوا وأبوا . وقال إبراهيم
بيك : أي شىء هذا الكلام . أمر فعله الكبار يبطله الصغار ولأي شىء أن الحنفية
يتقدمون في المشيخة على الشافعية (؟) الحنفية ليسوا مسلمين *! (؟ !) ومذهب
النعمان أقدم المذاهب والأمراء حنفية . والفاضى حنفى والوزير حنفى والسلطان
حنفى . وثارت فيهم العصبية وشددوا قي عدم النقض " .
شرعا وفقها ، الحق مع الأمراء .. ومن زاوية السيادة لديهم كل الحق . إذ لا
يعقل أن تحرم مشيخة الأزهر على المذمحب الذى ينتمون إليه وينتمي إليه ا اصسلطان
نفسها

صط 193 1 هـ (1779 أ *

الذي لم !ابل حاكماَ في حياته .. إلا نابليون ليرجوه إجلاء الخيل عن) (الأزهر
في ذلك وركبوا بأجمعهم وخرجوا إلى القرافة وجلسرا ببثمع الإمام الشافعي وللأيوا
به وكان ذلك ليلة الجمعة واجتمع الناس للزيارة فهرعت الناس واجتمع الكثير من
العامة ينظرون فيما يئول إليه هذا الأمر . وكان للامراء اعتقاد وميل للشيخ محمد
ابن الجوهري . وكذلك نساؤهم واعنهواتهم بسبب تعففه عنهم وعدم دخول تيوتهم
ورد صلاتهم (عطاياهم) وتميزه بذلك عن جميع المتسين فسعى اكلهم فى إنفاذ
غرضه وراجعوا مراد ت!ك وأوهموه صول العطب له ولهم أو ثرران خعنة في البلد.
وحضر الهم عل أغا كعخدا الجاويشية وحاججهم وحاججوه ثم قام وترجه وحضر
مراد بيك أيضأ للزكارة فكلمه الشيخ محمد وقال : لا بد من فروة تلبسها للشيخ
العرومى ، وهو !كرن شيخأ عل الشافعية وذلك شيخاً عل الحنفية ، ؟ ان الشيخ
اجمد الدردوو شيخ المالكيه والبلد بلد الإمم الشافعي وقد جنث اليه . وهو يأمرك
بذلك . وإن خالفت يخشى عليك . فما وسعه الا أنه أحضر فروة والبسها للشيخ
العرومى عند باب اثفصورة . وركب مراد ليك قوجهأ . وركب المشايخ وبيض
الشيخ العروصي وذمبوا الى إبراهيم ليك ولم يكن الأمراء رأوا الشيئ العرومى ولا
عرفوه قبل ذلك فجلسوا مقدار مسافة شرب القهوة " 4 . ولم تكن إلا جولة،
وتايع المشاغ زحفهم فخلع العر!شي وتثبت العروسى في المشيخة بل وتدهور حال
العر!ثي الى أن مات فهرا) 1
و؟ لم يفد " العر!شي " من كون السلطان والأمراء والوزير والقاضي عل
المذهب الحنفي ، وانه هو مرشحهم الختار .. بل صرعه الناموس المصري ، كذلك
فإن التعلل بأن هذه اوامر السلطان لم الكن !نع الشيوخ من الاحتجاج

السالطان وفعل النائب كفعل السلطان . وهذا شىء جرت به
العادة د! مدة الملوك
المتقدمين وتداولته الناتى وصار يباع ويشرى ورتبوه على خيرات
ومسثجد وأسبلة
ولا يجوز إبطال ذلك . وإذا بطل بطلت الخرات وتعطلت الشعائر
.المرصد لها ذلك
فلا يجوز لأحد يؤمن بالئه ورسوله أن تمطل ذلك . وان أهر ولم!
الأص بإبطاد لا
يسلم له ويميالف أهره . لأن ذلك نحالف للشوع . ولا يسلم للإهام
ل! هل ها
يحيالف الشرع ولا لنائبه أءف!ث .... فسكت القاضي . فقال الباسا
: هذا يحتاج إلى
. المراجعه)6 4
هذه السطور الأخيرة من المرافعة الدستورية للشيخ المنصوري ،
أليست كافية
وحدها لكشف زيف !فى ما يكتب عن الدور التحضيري الذي لعبته
الحملة الفرنسية
أو الاستعمار الغرلى ، أو أوروبا . في المفاهيم السياسية بالعالم

هذا المبدأ الخطير الذى يعلنه الشيخ " المنصور!ط " ببساطة في
مواجهة نائب
السلطان ، والذي يسقط الشرعية عن أي مرسوأ سلطافي يخالف
الشريعة ، أ ي
.يخالف الدستور .. الشرع .. يعلنه الشيخ الازهري في سنة 1148 هـ
أي قبل سقوط الباستيل لأبهئر من نصف قرن ا قبل أن ، (م 1735)
يفكر أ ي
عقل غرثط في القارة الأوروبية بجواز معارضة الملوك فضلا عن أن
يجرو على إعلان
. ذلك في مواجهة السلطة وبمثل هذا الوضوح والتحدي
إن اخر مث يمكن ان تعلمه أوروِلا للشرق الإسلامي ، هو فكرة بشرية
الحام
ومر، ثم افتراض الخطأ أو الصواب في أحكاهه . الأمر الذي ينبنى عليه
حق
.الاكتراض والنقد وبطلان الاخكام الخث طئة
وهناك الحث دثة المضهورة التى كان بطلها الشيخ " الشرقاوي " .
عندمث جثء
الفلاحون من الشرفية يشكون ظلم أتباع محمد بيك الألفى ، وطلبهم من

وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعد ما خاطب مراد بيك وإبراهيم بيك
فلم يبديا شيئاً.
ففعل ذلك في ثافي يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق
الاسواق والحوانيت . ثم
ركبوا في ثافي يوم واجتمع عله! خلق كثر من العامة وتبعوهم
وذهبوا إلى بيت
الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة باب
الركة بحيث يراهم
ابراهيم بيك . وقد بلغه اجماعهم فبعث من قبله ايوب بيك

وكان المملوك رائعا* في صراحته ووضوحه فقال : " لا يمكن الاجابة
على هذا
كله فاننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعثي! والنفقات . فقيل له : هذا
ليس بعذر
عند الله ولا عند الناس وما الباعث على اجمثار من النفقات وضراء
المماليك والأمير
يكون أميراً بالاعطاء لا بالأخذ (مغالطة !) فقال : حتى أنجلغ . وانصرف
. و لم يعد
لهم بجواب . وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر .
واجتمع أهل
الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد وأرسل إبراهيم بيك إلى
المشايخ يعضدهم
ويفوأ لهم أنا معكم . وهذه الأمرر على غير خاطرى ومرادى . وأرسل
إلى مراد
بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعت مراد بيك يقول أجيبكم إلى جميع ما
ذكرتموه إلا
شيئين : ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية ء ونبطل ما عدا
ذلك من الحوادث
والظلم . وندفع لكم جامكية سنة ياريخه أثلايا ثم طلب أربعه من
المشايخ عينهم
بأحمائهم . فذهبوا إليه بالجيزة . فلاطفهم واق!ر منهم السعي في الصلح
على ما ذكر.
ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة . ،في ا اجوم الثالث حضر
الباشا إلى
منزل إبراهيم بيك واجتمع الأمراء هناك وأرسلوا الى المشايخ فحضر

* وهر الرحيد النى فاز بالشهادة - ؟ لهد له الجبرق - لط الد!اع ص !ر اص!
العزو اد.لميولي.

المظالم المحدثة والكشوفيات والتفتريد والمكوتى ماعدا ديوان بولاق . وأن يكفوا
أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناتر . ويرسلوا صرة الحرمين والعرائد المقررة
من قديم الزمان ويسيروا في الناتر سيرة حسنة . وكان القاضي حاضرا بالمجلس فكتب
حجة عليهم بذلك وفرمن علها الباسا وخغ عليها إبراهيم بيك وأرسلها إلى مراد بيك
فخغ عليها أيفعا وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه
جمله عظيمه من العأمه وهم ينادون حسب ما رسم سادتنا العلماء بأن جميع المظالم

غير أن تعليق الجبرقي ، ومؤاجه النكد ، يجب ألا يفسدا علينا نحن أبناء اقرن
العشرين مغزى الحادثة . فليس المهم أن الاتفاقية نقضت ، فتاريخ الأمم يكثد ينحصر
في إخلال ا!ومات بالاتفاقيات أو الدساتير التى تجبر على إصدارها تحت الضغط.
ولكن المهم هو أن مجرد إقرار الاتفاقية ، وصدورها باسم العلماء : " على صسب
ما رسم سادتنا العلماء " . وائوصول إليها عبر ضغط وتحرك العامة ، وبعد
مفاوضات ، كل ذلك يدل على أن الشيوخ والعامة لم يكونوا مجرد قوة رمزية،
بل كانوا يستطعون دألما تحويل كل مظهر سخط إلى إضراب عام يتطور إلى مواجهة
شاملة تطالب بإصلاحات أوسع من حدود المشكلة المبثسرة التى أثارت الجادث .
وأنهم كانوا يستطيعون مواجهة الأمراء وفرض مطالبهم وإجبارهم على التراجع
والتسليم ولو بنية الغدر . " فالكواكبى " بعد مائة سنة سيعلمنا أن " ملكة بريطانيا
لو استطاعت أن تستبد ولو ساعة من عمرها لما ترددت 48 دأ . فنية الغدر والتضلع
إلى الاستبداد والهرب من التشريعات واصدار القوانين بنية نقضها صفة طبيعية في
ات كمين . ولكن أهمية هذه الحادثة التي وقت عشيه الحملة الفرنسية أهميتهث في
أن أبطالها هم ذات المشايخ الذين سنراهم في مقدمة المجتمع في ظل

هؤلاء المشايخ الذين تركهم إ كليبر " يبولون على أنفسهم ! بسبب فداحة
الضريبة التي فرضها عليهم ، وامحعفى بأن أعلنهم بها ، ثم انصرف ، وتركهم في حالة
يرفى لها ، لا يملكون حتى حق التبول ! هم أنفسهم الذين كانوا بثورون قبل بضع
سنوات من جملة نابليون بسبب ظلم وقع على بعض الفلاحين في مديرية الشرقية،
فيجبرون الأمراء على اليفاوض معهم ، والنزول على إرادتهم وإلغاء جميع التشريعات
الضرائبية ، بل وتمتد مطالبهم لتشمل السياسة الخارجيه (ما دمنا نلعب بالكلمارت !)
فيقررون ميزانية الدعم للحرمين . ويستصدرون بذلك وثيقة يوقع عليها القاضي
والأمراء ، ويخرجون إلى الطرقات يعلنون باسم " السادة العلماء " صدور الدستور
أو اللائحة أو الاتفافية!
هؤلاء الشيوخ كان خلفهم العامة في مصر مستقلة .. ومن ثم فقد فرضوا
إرادتهم .. ولكنهم في المرة الثانية ، كانوا يمثلون ثورة مهزومة ، في بلد محتل . .
ولا شك أن الدور القيادي الذى لعبه شيوخ الأزهر ، يعود إلى العقلية الاسلامية
المتفوقة دائماً على اخهيار العصر . والى الفهم الإسلامي المتقدم لدور الدين ورسالته

إن هذه الصورة الخاطئة ، المستوحاة من ثقافة وتفكير رجال الدين في أوروبا
القرون الوسطى ، لاتنطق على شيوخ الإسلام ولا في احلك سنوات انهيار حضارتنا
وتخلفنا . لأن الشيوخ لا ينعزلون عن الحياة العامة . ولأن هذه الصورة الهزلية التي
تحدثنا عن انقسام العالم إلى حضارتين : حضارة روحانيات وغيبيات ، لا تشتغل
بأمر مادى ولا بعلم وضعي .. وأخرى حضارة مادية تختص وحدها بعالم المادة .
هي صورة لا ت!فق مع الواقع ولا تؤيدها ا!اتق ، ولا تسعقيم مع المنطق ، فالعالم

فعلم المواريث ، أعجوبة الإسلام ، يحغ دراسة الحساب لل وتقود إلى الجبر ، وكذلك
الركاة . وضبط الكيل والميزان يفتح الباب لدراسة الأثقال والحجوم والروافع
وخواص المواد التي تصنع منها . ومراتجة الهلال لمعرفة أوائل الشهور ودراسه حركة
الشص! والظل لتحديد مواقيت الصلاة ، والعدة وتحرير القبلة . كلها تحغ الاهتمام
بدراسة الفلك وتقسيم الرمن وتفتح الباب للراسات عن الضرء والجغرافيا والهندسه
وتةود إلى اكتضثف البوصلة ، او ؟ قال الوزير التركي ، في تأكيد أهمية

ولأن الإسلام ليس فيه اكلروت! يملك ان يحلل أو ان تحرم دراسة علوم ،تهعينها
وأيضا لهذه الطبيعة الخاصة بالفكر الإصلامي ، نجد انه في أحلك عصور الانيبار كان
البارزون من الم!فمايخ يدرسون هذه العلوم ويمتلكون الآلاتت التي تعينهم عل الدراسة.
ولا جدال ، في أن الفترة التي سبقت الفزو الفرنسي ، كانت المرحلة التي وصل
فيها تخلفنا إلى أبشع صوره ، ومع ذلك فتاريخ الجبرلط حافل بالمعلومات عن نوعية
اهماماتت الشيوخ في هذه الفترة ، مما ينفي تماما الصررة الهزلية التي يقدمها مؤرخو

ان المثعيخ سليمان لن طه !صح تلميذه بتنرع المعرفه وتعدد الدراسات : " ا ن
. . " صثلك لا يقتصر ع! فن من القنون فالاقتصار ضياع
ولتمأمل توعية العلوم التي درسها المثعيخ أحمد الدمنهوري ، ولنتعرف ع !
أساتذته:
ولد المثعيخ الدمنيورى سنة 1101 هـ (1689 م) وماتت سفة 1192 هـ
أي عا"8! /شابة قرن . . هو القرن ال!مابق على قرن) (م 1778)
(- . النزو الأوروكط
درس الفقه عل أفقه انث افعيه في عصره ، عبد ربه بن أحمد الدتوي " وع ،!
الشواب الليفي هـ س نصف المنهج وسرح ألفية العراقي وعل ألط

سرحي التحرو والمنهج وعلى عبد الداكم الاجهوري ابن قاسم
. . والاجر:مية
وأخذ عن (" سنختصر في هذه العلرم وننعقل إلى العلرم " المادية)
الزعتري الميقات
والحساب والمجيب والمقنطرات والمنحرفات وبعضأ من اللمعة . وعلى
"" السحيمي
منظومة ا اسفق الخص! ، روضة العلوم . وعلى الشيخ سلامة الفيومى ،
اتفكال
التأسيس والجغميتى . وعلى عبد الفتاح الدمياطي لقطة الجواهر
ورساله قسطا بن
لوقا في العمل بثلكرة ، ورسالة ابن المشاط في الاسطرلاب وابن
المجدى " ا

ففي وفيات 1122 هـ(. 171 م) اي قبل الحملة الفرنسية بتسعين سنة
تحدثنا
الجبرقي عن وفاة : " الاخل الفاضل العمدة العلامة رضوان افندي
الفلكى صاحب
الزيم الرضواق الذي حرره على طرقى الدر اليتيم لابن المجدي على
أصول الرصد
الجديد السمرقندى . وصاحب كتثب اسنى المواهب وغير ذلك تث ليف
وحسابيات
وتحقيقات لا يمكن ضبطها لكزض! وكتب !ه ما ينيف عن حمل بعير
مسودات
وجداول حسابيات ويخر ذلك وكان يسكن بولاق منجمعاً عن خلطة النايق
ضبلا
على شانه . وكان في أيامه حسن افندي الروزنامجي وله رغبة ومحبة في
الفن . فاممعى
منه بعض الات وكرات فأحضر الصناع وسبك عدة كرات من النحاسى
الأصفر
ونقش علها الكواكب المرصودة وصورها ودواثر العروض والميول وكنب
عليها
احماءها بالعركط ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالا كئيرة وذلك في
سنة اثنتى
عشرة او ثلاث عشرة ومائة وألف (فبل مائة عام من إنشاء المجمع
العلمي الفرنسي
في القاهرة) واشتغل عليه الجمالمط يوسف مملوك حسن افندي
المذكور وكلارجيه
وتفرغ لذلك حتى أنجب وتمهر وصار من المحققين في الفن واشتهر

في سنة 158 1 هـ (1745 م) مات " الإمام العمدة المتقن المتفنن الشيخ رمضان ابن صثلح بن عمر السفطي الخوانكى الفلكى الحيسولى ... حسب المحكمات وق! اعد المقومات على أصول الرصد السمرقندي الجديد . ومن تصانيفه نزهة النفس بتقويم الشمس بالمركز والوسط فقط . والعلامة بأقرب طريق وأسهل مأخذ وأحسن وجه مع الدقة والأمن من الخطأ وحرر طريقه أخرى على طر!ق الدر اليتيم يدخل اليها بفاضل الاثام تحت دقائق الخاصة ويخرج منها المقوم بغاية التدقيق لمرتبة الثوالث في صفحات كبرة متسعة قي قالب الكامل . واختصرها الشيخ الوالد في قالب ا!ف . ويحتاج إلها في عمل الكسوفات والخسوفات والاعمال الدقيقة !ومأ .يومأ . ومن تاليفه كفاتة الطالب لعلم الوقت ولغية الراغب في معرفه الداثر وفضله والسمت والكلام المعروف في أعمال الكسوف والخسوف والدرجات الوريفة في تحررر مسي الصر الاول وعصر ا! حنيفة . ولغية الوطر في المباشرة بالقمر . ورسالة عطمة في حركات الأفلاك السيارة وهياتها وحركاتها وتركيب جداولها على التاريخ . العرلمط على آصول الرصد الجدلد . ومطالع البدور في الضرب والقسمه والجذور وحرك ثلثمائة وستة وثلاثين كوكبا من الكواكب الثالتة المرصودة لالرصد الجد!د .بالاطوال والأبعاد وطالع القمر ودرجا-ته لأول سنة تسع وللاثين ومائة وألف والقول المحكم في معرفة كسوف النر الاغظم . ورشف الزلال في معرفة إستخراج قوس مكث الهلال بطرتقي الحساب والجداول . وأما كناباته وحساتياته في أصول الظلال واستخراج السموت والدسلألير فشيء لأ ينحصر ولا يمكن ضبطه . لكزته "53

وفي سنة 153 1 هـ (0 174 م) مات " الأستاذ النجيب الماهر المتفنن جال الدين ابن يوسف . قرأ القران وجود الخط وتوجهت همته للطوم الرتاضية كالهيئة والهندسة والحساب والرسم فتقيد بالعلاهه الماهر رضوان افندي واخذ عنه واجهد وتمهر وصثر ،له باع طويل في الحسابيات والرعيات ، وساعده علي ادراك مأموله ثروة مخدومه فاسفنبط واخترع ما لم يسبق به وألف كنابأ حافلا في الظلال ورسم ا!رفات ؤ البسائط والمزلول والاسطحة جمع فيه ما تفرق في غصه من أوضئع المتقدمين بالى*سكال الرحمية والبراهين الهندسية والتزم المثال بعد المقال . وألف كنالأ أ!أ فم .وهز صدبق حمبم لوالد الجبرفي *

منازل القمر ومحلها وخواصها وعاما كنز الدر في احوال منازل القمر . وغر ذلك
واجتمع عنده كنب والات نفيسة لم تجممع عند غيره . ومنها نسخة الزيم السمرقندي

وفي وفيات سنة 192 1 هـ(1778 م) يحدثنا الجبرق عن الوجيه المبجل عبد
السلام افندي مدرس المحمودية " كان إماما فاضلا محققاً له معرفة بالاصول وكان
يقرأ ف!ا الدرر لمنلا خسرو وتفسير البيضاوي ، وكان له تعلق بالرتميات وقرأ عل
المرحوم الوالد أسيثء من ذلك واقتنى الات فلكية نفيسة بيعت في تركنه"
وفي نض السنة مات " الوجيه المبجل بقية السلف سيدي عامر ابن الشيخ عبد
الله الشراوكط ترلى في عز ودس وسيادة ورفاهة . وكان نبيلأ نبها الا أنه لم يلتفت
إلى تحصيل المعار ف والعلوم ومع ذلك كان !تنى الكتب النفيسة ويعذل ف!ا الرغائب
واستكتب عدة كتب بخط المرحوم لشيخ حسن الشعراوي ليمن ذلك مقامات

وفي 194 1 (1780) مات " الفقيه العلامه الصالح المعمر الشيخ عبد اله خزام
الفـومى ، تولى الإفتاء.. وكانت له معرفه تامه في عليم المذب وغره من الفنون
ا اصعريبه كالفلك والهيثة والميقات وعنده الات لذلك ،571
أن نقف طو* عند فقرات أثبتها الجبرفي في تربة أليه - . . ،:
سا سمعطع
درس أشكال التأسيس في الهندسة وتحر!ر اقليدس ، والمتوسمطات والمبادىء "
والغايات وا!ر وعلم الأرتماطيقى .وجغرافيا وعلم انساحة " 8
وكانت مكعبته تضم كنبا " بها من التشاوول والتصاوور البديعة الصنمة الغرلحة
الشكل . وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس التى كان اعتنى بوضعها.
حسن افندي الروزنامجى بيد رضوان اقدي الفلكى ؟ تقدم . ولما مات حسن افندي
خ-كور اشترى جميمها من تركنه . وكذلك غيرها من الالات الارتفثعية والميالأت-!

وحلق الأرصاد والاسطرلالات والأرباع والعدد الهندسية وأدوات غالب
. الصنائع 91
بل نقف امام نقطة هامة جدّأ وردت عرضا في ترجمه الجرقي لرالده ، ولا ندري
لماذا لم تستوقف الباحثين عن كل شارثة وواردة تثبت تخلفنا المتأصل ولش العارض ا
والد الجرلط كان اشبه الرجال بعلماء أورولا في عصر النهضة فمد كان " فريدا
. " ؤ، صناعة التركيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان
وهنا يخبرنا الجبرلط بالواقعة المئوة .. وهي حضور بعض طلبة الإفرنج (أي من
الأوروبيين وربمث من الفرنسيين لالدات) الى القاهرة حيث ثرسوا على الشيخ
الجبرقي
الكبر ، وتبادلوا معه المعلوهات والآلات العلمية لل و!تقد الجرقي أن هذه المعلوهات
اقي تلقوها عن والده كانت الأساس في التبيقات أو الإنجازات العكنولرجية التي
، تحققت في أوروبا . ولعلنا نجد في هذه الفقرة من تاريخ الجبرلط ، أول تعريف عرر
. ، بل وربمث أدق تعريف حتى اليوم رغم تعدد القواميسى العصرية - للتكنولوجيا
عندما يتحدث الجبرقي عن الدور الذى قام يه مؤلاء الطلبة في الاذفاع بالمعلومات
. " النظرية التي تلقرها من والده فيقول إنهم أخرجوا العلم من " الذوة الى الفعل
. ، وفي اعتقادى أن هذا هو التر!ف الذى نطلبه لكلمة : " تكنولوجيا
وحتى اذا كان تلمورنا الحالى لا !سمح لنا. بالتشبث بفرضية الجبرقي عن الدور
الذي لعبته معارف والده في تطور الصناعة الأورولية ، ولا شك أنه غالى بعض
الشيء ، إلا أنه لم تنسمب لعيدا في تصور المسار الذى سلكته ا!ارة . فما من
.شك في أن أوروبا قد نقلت المعرفه النظرية ابتقدمة التق وصل إل!ا العقل المرثط
ولكن ظروفأ عدءيدة أثرنا الى بعضها* ، جعلت أوروبا مي المكان الذى طبقت
فيه هذه الحقاثق العلمهة على الصناعة ، فكانت النهضة والصناعة الحديثة فالثورة
.الصناعية
:يقول الجبرقي
وصو اليه طلاب من ألإنرنج قرأوا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين "
. ، راجع !:ظ كأ " ط!ق الملمين الى الثورة العنث!ة

وأهلوا له من صنائعهم والاتهم أشياء (هـ1746 م 1 1 59)
نفيسة . وذهبوا إلى
بلادهم ونشروا بهها ذلك العلم من ذلك الوقت . وأخرجوه من
القوة إلى) الفعل.
واستخرجوا به من الصنائع البديعة مئل طواحين الهواء وجر الاثقال
واستهاط المياه
. غير ذلك " 6،
هل يمكن أن يتفق هذا الشموخ والاعتزاز من جانب الجبرق
بحضارته ، وهذا
الوعي بتطرر المعرفه ودور أمته في البناء الحضاري والعلمي
للإنسانية .. هل يفق
ذلك وهذه الصورة المزرية التي يرحمها له بض المؤرخين كأنه

لا شك أن " الجرقي " أعجب بالآلات الفرنسيه والانجليزكة ،
وإعجابه بالثانية
كان دائما اكبر ، ولكنه لم يقف أبدأ موقف المسحوق حضارياً ، أو
الأبله الحائر
يفتش عن سبب خفي لتقدمهم وتخلف قومه ، فضلأ عن أن -رجع
ذلك، الى
الايدتولوجيات ا لالعكعى .. إن تفسصه للفارق الحضاري تن النرب
والشرق أسلم
واصح من كل التفسصات التى تشيد بل!رر الحملة الفرنسية . فهو

ونتثبع تربة والد الجبرلط - أصل الحضارة في اعتقاد ابنه - " وفي
اكام اشتغثله
بالرسم . رسم ما لا تحصى من المنحرفثت والمزاول على الرخام
والبلاط الكذان
. ونصبها في اماكن كثكلة ومساجد شهكلة "61
وحتى ان الحدم تعلموا ذلك (من والده) فصاروا يتطعون البلاط "
بالمناشص
ويمسحونه بالمماسح الحدّكد والمبارد . ويهدسون اعتداله
لالمساطر والقياسات بالبياكر
بل ويرعونه أيضا . وأما ما كان على الرخامات فيباشر صناعته
وحفره صناع الرخام
بالازمص بعد التعليم كل مواضع الرسم ومقادير أبعاد المدارات
الظلال . وما علعها

ومن مؤلفات والد الجبرقي ، أو تراثه العلمي الذي خلفه:
يراهين هندسية شتى وما له من الرسومات الخترعة والآلات النافعة المبتدعة ومنها
الآلة المربعة لمعرفة الجهات والسمت والانحرافات بأسهل مأخذ وأقرب طر!ق.
والدائرة التاريخية . وبركار الدرجة . واتفق أنه في سنة 6شتين وسبعين
وقع الخلل في الموازفى والقبانين وجهل أمر (هـ-1758 م 1172) وضعها
ورعها بعد تحديدها وريحها ومشيلها لاستخراج رمامينها . وظهر !ا الخطأ
والخفت مقادير الموزونات وتوتب عل ذلك ضياع الحقوق وتلاف الأموال وفسد
على الصناع تقليدهم الذي درجوا عليه فعند ذلك تحركت هئة المترجم لتصحيح
ذلك . . واصر الصناع لذلك من الحداد!ن والسباكين وحرر المثاهيل والصنج الكبار
والصغار والقرسطونات ورعها لطر!ق الاستخراج عل أصل العلم العملي والوضع
الهندصى وصرف عل ذلك أموالأ من عندهـ. ابتغاء وجه الله . ثم أحضر كبار القبانية
الوزانين مثل الشيخ علي خليل والسيد منصور والشيخ كل حسن-،

هل يختلف تاريخ الجبرقي الوالد ، عن تاريخ اي عالم من علماء عصر النهضة فى
أوروبا.؟ ا لولا أن تاريخهم كأهبم سار الى الأمام فازداد تألق الأفراد والرواد .. فما
محى ذكرى الأملاف الا نجابة الاحفاد.2. وتاريخنا كأمة تدهور الى الحضيض فمحت

لولا أن علماء أوروبا وجدوا نظاما ومؤسعات اجماعية سجعتهم واحتضنت
أبحاثهم . ووالد الجبرقي ، وأمثاله ، يددت أعمالهم على تد سلطة سفهة مهارة ، أبدع
ابنه المؤرخ ، في عرض جريمتهث عندما تحدث عن مصير المزولة التي وضعها بأعلى

القصر فقال :
وأخرى ع!مة بسطح الجامع بفي منها ظعة وكسو باقيها فراشو "
الأمراء الذين
كانوا ينزلرن الى هناك للنرامه (النرهة واممتع) يسحوا بها
صعوأفي الأطعمه
. " الصئر
ولرلا أننا رزئنا يالاحتلال الغرد ، وممثله " الرطني " " محمد ع! " ،
الذي عزل
العلم عن الأزمر ، لا حرصاً عل التقدم العلمي ، بل لتاكيد محلفنا
النهالط أول السبثق
الحضاري . إذ إنه -! سنرى - كان كستحيل تحقيق ضهضة ضهفية
بمعزل عن
الأزهر .. ولذلك كان قرار إنشاء المدارس الحدكة موجها ضد
الأزمر . واهم من
دلك ضد كل !اولات الجادة لتحقعق النهضة . وسنتناول ذلك
لالمفصيل فى موضعه
.بإذن اثة
بل كان الجبرفي ل صباه يسهر الليالم! مع زملائه (سيدي محمد
ومر الأكبر
وم!عدي ايو يكر اولاد الشعخ أيو عبد اثه عمد لن الطالب بن سودة
المري الفام!
التاودي المولرد فاس سنة (1128 هـ- 1715 م) :
نرعى المطالع ويلغارلي وممرات الكواكب بالسطح حذاء خيط "
. المساترة
ونراجع العث!هخ فيما يشكل عالنا فهمه . ومر معنا في ئاحية
أخرى . واوقفت سعدى
. " ألا بكر على طريق رسم ربع الدائرة المقنطر والمجيب
حتى بين الممالك تحدثنا الجرقى عن الذي " أنجب وحسب ورسم
واثتنل فكره
بذلك ليلا وخمهارا ورسم الأرباع المحيحة المتقنة الكبكلة والصغرة
والمزاول
والمنحرفات وغكل ذلك من الالات المبتكرة والرس!ت الد!قة "
. 63
ولنعأمل هذه اللمحة من روح او بفا!ا " عطر هذه الحضارة التى كان
قد فرغ
الوعاء منه منذ قرون " .. من تلك الوثيفة التى محعبها الشيخ "
"محمد مرتضى

مكارم الاخلاق وأن لا يرفع نفسه على أحد وأن لا يحقر أحدا من خلق الله وأن
يجعل دأبه لؤوم الصمت والادمان والقناعة بالقليل مع المداومة على ذكر الله بالسكينة
والوقار وأن يسمى الله في أول مصكه في صنعته ويستمد من الله القوة والحول ولا
يضجر ولا تيأس من روح الله ولا يسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ولا يحدث
نفسه بالعجز فانه يصل إلى ما وصل إليهه غيره فإن الرجال بالهمم ففى الحديث:
المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " . وأن " يديم النظر إلى
معرفة العيوب العارضة للقسى والسهام وعقد الأوتار ويتعاهد لذلك . وكيفية إزالة
ا!عيب ان حدث ويعرف من أممط حدث وأن لا يبيع سلاح المجاهد لكافر . ويقتش
عن دين من يضترى إن كان رجلا أو صبيا ، فيحتاج ذلك إلى إذن والده . فاذا
علم اسلامه ووثق فيه فيأخذ عليه العهد أن لا يرمى به سعلما ولا معاهدا ولا كلبا
ولا شيئا من ذات الأرواح . إلا أن يكون صيدا أو ما يجب قتله . وأن لا يعلم
صنعته إلا لأهله الذى يثق بدينه ، ضد روى أنه لا يحل منع العلم عن مستحقه

!!يم!!جم!
".(!،!جهحس!رح
ئخس1\3
حيهل!!بم لا!غ لإ
9 !،حمس
ا ! ع

صنفالصه آ 130 هـ 1 م

العام

أما عن العامة ، فبالنسبة للفلاحين لم تتغير صورتهم كثيرا .. وان كان بؤسهم
. يزداد باستمرار
ولعلنا نتعرف على ملامحهم في صورة مصوع " جركس بيك " حيث المعركة
الطاحنة تدور بين المماليك ، والفلاحان في حفلهما يديران الشادوف ويغنيان في
هدوء وعزلة مطلقة -. يزرعان القمح الذي سينهبه الأمير المنتصر ، والكتان الذي
. سيكغن به الأمير الجهزم
فله، انهزم 9 جرك! " وعثر جواده في الترعة وضق .. استخر%! جثته وجرد 51
من كل ما له قيمة ، وقاما بدفن ما سلباه في الأرض . ثم حملا الجثة وسارا إلى
البيك المنتصر ضبلا يده . وقالا : " هذا من المهزومين فلعله مطلوبلث
. " ! يا بيك
وبلا كلمة واحدة ولا سؤال .. اًخذ أحدهما ووضع في الحديد وأطلق الاخر
ليخرج الخبات ! ولو كانا مملوكين لما استخدم معهما هذا الأسلوب " أبدأ لأن الثافي
كان سيبادر فورأ بالإفلات مغتبضأ بمضاعفه نصيبه بمصرع شريكه . ولكن الفلاح
المصرممط لا يفعلها ولا يستطيع ان يواجه القريه أو الكفر بعارها . فسرعان ما ذهب
.وعاد بالكنز

بالطين " . ولا سبيل لإخراجها إلا بوضعه في " العرسيم ! . أي القيد والضرب .
وكا قيل كان الجميع يدفعون ويخرجون الخبات ولكن بعد الضرب . وكانوا يتباهون
من الذممط " أقر " بمكان المال بعد ضرب أ!طر (والمفروض أن تكون الشطارة . مادام
الجميع سيعترفون . المفروض أن تكون الشطارة في تجنب الضرب !) ولكنهث وسيلة
القلاحين في الرفض . فضلا عن أن الدفع بسهولة يغري بالمطثلبة اص.
والفلاحون بعد ذلك يقاومون إذا ما تجاوز النهب حده الممكن المتعارف عليه،
يقاومون بأ نفسهم أو يستغيئون بالمشايخ . أو !رون الأرض و-فحفون على المدينة.
وهذه في الحالات التى يختل فيها الناموسى تمثما . فلما زاد عسف الصنجق " إبراهيم
جربجي " تربص الفلاحون .من أهالمط سندبيس ومنية خلفه ، حتى سقط حثميه،
" فاجتمعوا " وقتلوه وحرقوه بالنار .
وقد رأينا كيف كانت شكوى فلاحي الشرقية للشيخ الشرقاوي سببا في الإضراب
الكبير الذي انتهى بأشهر وثيقة حقوقية لهذه الفترة - عند بعض المؤرخين - .
كذلك كان انضحام القلاحين وترحيبهم ب " حسن باشا القبطان " سببا لط
" انتصاره على " مراد ييك " و " إبراهيم بيك . .
كان الفلاح يواصل مهمته التاريخية التى لم تتغير مند ظ كور أول فرعون .. وهي
مهمة إطعام كل البنيان الفوقي ، أو كل الفئات التى يتكون منها المجتمع المصرى ،!لا
تعمل بالزراعة.
ويساهم الفلاح - بنفس الطريقة - منذ فرعون الأول لى اليوم ، في تحقيق
رخثء " مصر العجيب أو رخص الأسعار المذهل . لا بتفانيه فى الانتاج " فحسب
بل وأهم من ذلك - في نظري - امتناعه عن الاستهلاك . فالفلاح كان ولا

(5) . هده هى المهمة الرئيية للملاح ، ولكى ب! صحيحأ اله كان يعفى من الخدمة الصكرية سرسرم سة 148 1 هـ
يطلص حردأ وب!ي ساطق : " ولا ورسلوا عكراً س!فلاحير الفيولية والجرة (د 173 ء) والحبرة وضرق اطمح
. أثعوأ ة أ (63) .
لا جملر لارث الملاحير يى مده القرة العحية م! ممادح ضاده مهاك الفلاح الدى اصع"" (" . !

الإؤضاع في المدينة إلى أسوأ مستوي اداري ممكن ، حتى حينما
تبددت أموال مصر
بسفاهة الحاكمين . ولا تقع المجاعة إلا عندما يصل السفه ا!لى حد
التدخل فى إنتاج
الفلاح ذاته ، أو تنهار الادارة إلى حد منعه من الانتاج . وقها حتى
مدحر تعرف
المجاعات : ! استهل المحرم 7. 12 هـ(1792 م بيو! الخميس
والأمو في شدة من
الغلاء ، وتعابع المظالم وخراب البلاد وشتات أهلها وانتشارهم
بالمدينة حتى ملأوا
الأسواق والأزقة رجالا ونساء واطفالا ييكون ويصيحون ليلا ونهارا من
الجوع ،
ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع ، وكثر الصياح
والعويل ليلا
ونهارا فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحين بثلأزقة وإذا وقع
حمار أ و
لزس! تزاجموا عليه واكلوه نيئا ولو كان منتنأ حتى صاروا يثكلون
الأطفال) 6 .
وعندما يصل نظام حكم بمصر إلى المجاعة فلا بد أن ينهار .. وفعلا
لم يدن! النظام
، بعد هذه المجاعة إلا ست سنوات واندثر إلى الابد .
امث العامة في المدن ، وفي القاهرة والاسكندرية بثلذات ، فهم
يشكلون قطاع
التجار والحرفيين وأولاد البلد ، وإلى جانبهم يعيش فطيع هائل من
الدراويم!
والمجاذيب ، تحدوا السلطة بثلانجذاب ، وحلوا مشكلة الارتزاق
برفض الانتماء إلى
المجتمع المنتج .. وانضموا لطابور اكلي انتاج الفلاح . ولو ان هولاء
يأكلوفه برضاء
الفلاح وتبركها

،مر ضعر الئيح - الدري الجوني صه 1131 ث (18!11ء (5)
لر حققى مممليما الأ& أن بكرر البحا عدوسأ مهيأ :أ! أكلس! صه أ، سحه - ! (* *)

كان العامة يحيون حياتهم الخاصة ، تحاظين على تقاليد!م ، يحترمون الشيوخ
ويسخرون من المماليك بأسلوبط المصريين من خلال إطلاق الألقاب الهزلية عليهم:
بارم ذيده " ! المنفرغ " " أبو نبوت " لأن " على بيك الكبير " " ضربه بالنبوت .
صنجق سته " لان ام عمر بيك ، تزوجت به وقلدته الصنجقية مكان " سيده .
وهى تسميه لا يمكن آن تنطلق من تركي أو مملوك ، حتى لو تعلم العربية لعدة
أجيث ل ، بل تسمية مصرية أصلعة .. " جلب القرد " " أبو مناخير فضة " " السبع
بنات " وهى أفظع تشنيعة على جنرالات او صناجق على، بيك ا!- صص ا .
أو لإطلاق الامثال : " اخر خدمة الغزعلقة " " العبد وسيده على باب الله " .
فإذا تجاوز الاستبداد المملوكى حده .. ثار العامة وتظاهروا وفهبوا وحرقوا
وقتلوا . .
فلما نهب حسين لسك بيت " اًحمد سا لم الجزار أ " حتى مصاغ النساء والفرايق
ورجع والناس تنظر إليه " . " ثارت جماعة من أهل الحسينية بسبب ما حصل أ!
أمسه من حسين بيلث وحضروا إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول والتفت عليهم جماعة
كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبايديهم نبابيت ومساوق . وذهبوا إلى الشيخ
الدردور فونسهم وساعدهم بالكلام . وفال لهم انا معكم فخرجوا من نواحي الجامع
وقفلوا ابوابه وصعد مهم طائفة على أعلى المنارات يصيحون ويضربون بالطول
وانتشروا بالاسواق في حالة منكرة * وآغلقوا الحوانيت وفال لهم الشيغ الدردير:فى

* يج! ان للاحظ س الآن أن الحرقي ضد تجاور الحامة للمايخ . لهو

كان المماليك قد !مشفوا واستفالوا من صعفة أساسية في تحركات شعبنا ، هي
الانفعالية وانعدام التنظيم الذي يتابع المقاومة .. لذلك كان اجتهاثمم دائما ، هو
صرف الجماهو المنقعلة و " تبريد " القضية . فاذا ما انصرفت الجماهر ، صعب
ن لم نقل استحث ل - تحريكها مرة أخرى . لذلك كان القصاص الرادع)- هو
.ما شزله العامة قبل أن دبرد القضية
فلما كعل أتباع السردار " جممل من أهل البلد (الأسكندرية) ثار العامه
وقبضوا على السردار وأهانوه وجرصوه على حمار وحلقوا نصف لحيته وطافرا به البلد
. وهو مكشوف الرأس وهم ضربونه و!فعونه بالنعالات "67
: كان أولاد الب!لد !يشون في حارات وصفها الشيخ حسن البدري
حارات يولاد ا!رب سبعا حوتت من. الكرب "
بولا وغاظا كنا ترتب غبار سو أدب
وضجة وأهلها ثمبه ضاريت الترب
الا أن المساتص كانوا بعيشون في يعوقى، نطفة أنيقه وكان التجار منهم يمتلكرن
روات هائلة هي بقاكا الثراء الذي حقة، احتكار التجارة تنن الضرق" والغرب لعدة
قرون . ثروة كانت تتجلى في القدرة كل الإنفاق في الأفراح ، والقدرة على إشباع
سعال! المال لدى الحاكمين ، مماليك .!نوا أو محلين أجثنب - ! كان الحال مع أروملة
الفرنسية - القدرة كل الاستمرار بعد كل المصادرات والفرد والمكوس والصري
.واكياس التي لا صر لها والتي !دفعونها لعدة سنوات مقدما
وكانت لهم مكانتهم وقدإ تهم على الاحتجاج والمقاومه . علاقتهم بالسلطة والقانون
هي ما أعلنه السيد " بثعرو " من اعبر التجار في مواجهة الباشا الذي اتهم التجار
يث ضهم " تخعلسون الكعص هن ا!روم والبضاعة وتاتون بها من غو " . جمرك ولا عشور
فرد السيد " بثص " : " كا مولانا الوزرو جرت العادة ان التجار معلون

(*) صنة 1199 هـ - 4 ول

"و!رما فرض ام!عيل لجث ضرائب فادحة عل التجار ا اجمع جلة فهم
وحضروا إلى الجامع الأزهر وضجوا واستغا8توا من هذا النازل وحضر الشيخ العروصى
فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع فمنعهم من ذللث فصاحوا عليه وسبوه
وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشزام فمنع عنه المجاورون وادخلوه إلى الرواق ودافعوا
عنه الناس وقفلوا عليه باب الرواق وصحبته طائفة من المتسين وكنبوا عرضا إلى
اسمعيل بيك بسبب ذللث وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي وانتظروه حتى رجع
إليهم ومعه تذكرة من اسمعيل بيك مضموخها الامان والعفو عن الطو،تف المذكررة
.آن هذا المطلوب إنما هو عل سبيل القرض والسلفة من القادر على ذللص (وفيها)
فلما قرئت عليهم التذكرة قالوا هذه مخادعة وعندما ينفض الجمع ونقتح الدكاكين
يأخذونا واحدا بعد واحد . ثم فام الشيخ وركب وحوله الجم الغفير والغوغاء وبعض
المجاورفى يدفع الناس كه بالعصي والعامة يصيحرن عليه ويسمعونه الكلام غر اللائق
الى أن وصل إلى باب زويلة فنزل بجامع المؤيد وارسل إلى احمعيل بيك يخبره بهذا
الحال فحنق احمعيل بيك وظن أنها مفتعلة من الشيخ . وأنه هو الذى أغرامم على
هذه الأفعال فأجابه الرسل وحلفوا له ببراكه من ذلك وليـ! قصده إلا الحلاص
منهم . فقال أنث أرسلت إليهم بالأمان ودصهم ينفضوا وما أحد يطالبهم بشيء
ؤنافضوا وتفر!ا ومضى عل ذلك يومان فأرسلوا إلى أهل الصاغة والجواهرجية
والنحاسين وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم فلم يجدوا بدا من الدفع ثم طالبوا وكالة
الجلابة وتطرق الحال إلى باقي الناس حتى بياعين الفسيخ ومجموع ذلك نحو اثنين
. وسبعين حرفة)68

وكانت هناك محكمة تملك أن تحكم للتجار عل الأمراء وعلى
الباضعا . حتى أ الباشا
الحقيفي " الذى حكم مصر ملا تحق الفتح ا فعندما اختلف الباشا
،مع تجار البن
واشتكوا إلى "حسن باشا القبطان " قائد الحملة التركية التى
،أعادت فتح مصر
نصح القبطان باشا التجار بأن " يترافعوا ا! الشرع فاجتمعوا يوم
الأحد فى

(*) 787 ١ هـ 1 2 0 2 سنة

تمام . ثم حضر التجار في لافي روم وحضر الحلماء ولم يحضر ،كيل الباشا . ثم أبرز
التجار رقعة عتم ايراهم ت!ل! وتسلمه المبلغ مؤرخة في ثافي عر شعبان أ!ام قالمقاميته
ووكالته عن الباشا . وابرزوا خعاوى ا!ا . وسئل الحلماء ،خابوهم لقولهم حيث
ان الباسا أرسل فرمايا لإبراهيم دك أن يكون قائمقامه ووكيلا عنه الى حين حضوره
يخكون فعل الوكيل كالاصيل وتخلص ذمه التجار وليع! لليث ضا

مثط،ح!)")ء!
ر/رلمور

د

المحاولة

..ؤ

وفي نهاية القرن الثامن عشر دخلت تركيبه المجتمع المصري
. . امتحانها الأخكل
اذ أتيحت لكل من المماليلث . الدولة العثمانية ، الفرصة الأخكلة
... لتبرهـوجودهما
وقد فشل الفر!ان] فشل المماليلث في محاولة " عل بك الكبر
" .. التي سحقت
أو وئدت بيد الممالهك أنفسهم . وفشل العثمانيون في محاولة "
. " حسن باشا القبطان
ولو أنها فشلت " تاريخياً " بسبب متاعب الدولة في مواجهة النزو
الرومى .. إلا
أنها " واضيا " كانت ظشلة منذ اليوم الأول بسبب نوعية الجند
العثمافي ، وعجز الطبقة
الحاكمة في اللولة العثمانية.
وقد كدهع! لعفى المحللين لموقف الجبرقي من تجربة " عل بك
الكبير " . فهو يعتبر
السنة التي بدأ فها ظهور نجم علي بيلث 181 1 هـ(1767 م) ""
ابتداء نزول ا ابلاء
. " واختلال احوال الديار المصرية
ذلك أنه إذا لم تكن في الناس من يصدع بالحق ويا!مر بالمعروف"
وينهى عن المنكر
ويقيم الهدى فسد نظام العألم .. ومن المعلوم المقرر ان صلاح
. الأمة بالعلماء والملوك
. وصلاح الملوك تابع لصلاح العلماء "70
وبعد هذه المقدمه تؤرخ : " ومللث على بيك وضل ما بدا له . فلم
يجد رادعا
أيضاً ، ونزل البلاء حينئذ بالبلاد المصرية والشامية والحجازية .. ولم

لم

الجميع ،72 ويتهم علي بيك الكبير " بأنه هو الذي ابتدع المصادرات وسلب الاموال من مبادىء ظهوره واقتدى به من لعده "73 . ولكن ترجمته التي أوردها
قي وفيات عام 187 1 هـ(1773 م) تعكس اعجاب ! الجبرلط " بل وحماسته " لعلى
(بيك " ... فكيف نفسر هذا التنافض ؟
في اعتقادي ان " الجبرقي " انتقد في " علي بيك " دمويته في تصفية منافسيه
وخصومه وأنصاره .. هذه الدموية هي أسد ما يمصى " الجبرقي " وهي ما يرفضه
ولا يففره أبدا المصري الأصيل . وهذا يفسر الكثير من مواقف " الجبرلط " ، ولعل
اشد ما أعجبه في "احمحيل بيك " أو " قشطه بيك " هو أسلوبه السلمي وكراهيته للتصفية الدمو!ة نوعا ما.
والخطئة الثانية التي لا يضرها " الجبرقي " ابداً ، حتى ولو تغاضى قليلأ في
الأولى .. هي فتوحات " علي بيك الكبير " خارج مصر . هذه الأطماع التوسعية
التى لم كحص! لها المصري فط ، عبر تاريخنا كله . ومهما انتشت أجيال مقبلة بقراءة
خوحات مصر!ة ، فإن التاريخ !ؤكد أن الأجيال المصرية المعاصرة لهذه الفتوحات ،
كانت لا تنفعل بها ولا تتحمس لها .. وخوحات كل بيك في تلك المرحلة لم تكن
تبدو كخطوة وحدوية ، ولا ضرورة مصرية . كان النظام الذي أقامه " علي بيك"
في مصر ، مطلوبا ومرغرباً ويمئل مصلحة مص ية ، بل وبداية تطور ربمث تحول إلى
بعث شامل وتحاولة للحوق بالعصر ومواجهة التحديات التي كانت تحفجر بها أوروبا
وتطوق العالم الإسلامي ، وتستعد لضربه في قلبه باختراق الوطن العر! .
كانت مصر بحاجة إلى نظام " علي بيك الكبير " ومركزيته وقبضته القوية ، شرط
أن يغ ذلك في إطار الوحدة الإسلامية . اما كيف ؟ .. فذلك ما لم يجب عنه
الجبرقي أ ولا أجيب عنه الإجابة الواضحة حتى الآن . ولكن لا أعتقد أنه "

* مر احمحيل بك بن ايوط البهر اجه المصريرن وتهه المصرممات فظه بيك لجماله وصشر ت

لمجر ذلك أبدا حتى ولو كان من " على ليك الكبر " الذى ما كان يجالع! إلا أهل
الوقار والحشمة والمسنين .. ويتبع المفسد-لن والذ-لن كداخلون في القضاتا والدعاوى
ويتحيلون على إبطال الحقوق باخذ الرشوات والجعالات وعاقبهم بالضرب الشديد
والاهانة والقتل والنفي الى البلاد البعيدة و لم يراع في ذلك أحداً سواء كان متسأ
أو فقيها أو كاتبأ او قفيأ أو غ! ذلك بمصر ، أو غ!ها من البنادر والقرى وكذلك
المفسدون وقطاع الطر!ق . من العرب وأهل الحوف . وألزم أرباب الإدراك والمقادم
بجفظ نواحهم وما في حوزهم وحدوده! وعاقب الكبار بجنثتة الصغار . فأمنت
السبل وانكفت أولاد الحرام وانكمشوا عن قبائحهم وايذائهم بحيث إن الشخص
كان يسافر بمفرده ليلا راكبا أو ماسيأ ومعه جمل الدراهم والدنانكل الى أي جهة
ولصيت في العيط أو البرية امنأ مطمئنأ لا يرى مكروهأ أبدأ . وكان عظم الهيبه 6تفق
لاناس ماتوا فرفأ من هيبته . وكان صحيح الفراصة شديد الحذق يفهم ملخص
اندعوى انطوينة بين المتخاصمين ولا يحتاج في النفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له
الصكوك والوثائق بل يقروها بنفسه كالء الجاري ولر كان خطها سقيمآ ولا يخغ
. ورقه حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضها أو يمزقها "74
ما من شهاثة لحا لم مصرى أعظم من شهادة " الجبرقى " هذه . وما

واذا كان الجبرقي ضد سياسته التوسمية فهو معه لملى حد خدع الطاعة للسلطان
داخل حدود مصر : " وكان علثلع محمب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية
ويقول ! خاصته : ان طوك مصر كانوا مثلنا مماليك ا!راد مثل السلطان بيبرس
والسلطان قلاوون وأولادهم . وكذللث ملوك الجراكسة وهم مماليك بني قلاوون
الى اخرهم كانوا كذلك ، وهؤلاء العثمانيه اخذوها بالتغلب ومنفاق

هذا التنثقض الدي ما زال يحكم الفكر المصري حتى اليوم . نلمسه في كتالات
الجبرقى " وفى ملاظات " عرالى " عن فتوحات " محمد علي " "
(النسخة المتفرنجة
من " علي بيك الكبير ") وأعنى به التنثقض بين العمل داخل حدود مصر أ و
. الانطلاق الى ما يسمونه حدود الوجود المصري
ومهما قيل عن وجاهة الرأى القائل : " مصر أولأ " .. فان الذبن استطاعوا
توحيد مصر والانفراد بحكمها ، وجدوا ، أو هكذا اقتنعوا ، آنه يستحيل عليهم
الاستمرار في السلطة بالقاهرة دون أن يمتد وجودهم بصرره ما ولو إلى الشام على
الأقل ، ليكتشفوا - متأخرا جدا - أن اهتمامهم بهذا الوجود خارج مصر قد زعزع

، ولا شك ان خروج علي بيك " المبكر أ إلى الشام قد جند الدولة العلية ضده
.وعجل بنهايته ونهاية التجربة
على اية حال لقد استطاع " علي بيك الكبير " في ست سنوات أن يوحد السلطة
في مصر ، وأن يطرد الصحراء بعيدا عن الوادى الأخضر . وأن يحقق الأمن
والاستقرار . بل وأن يفتعل - نفس الأزمة التى أثارها " محمد علي أ بعده بنصف
قرن - وهى الاحتجاج على إيواء حكام الشام لخصومه والهاربين من سطوته في
القاهرة ، لمجد دولته إلى حلب ، وييسط نفوذه ع! الأراضى الحجازية ليهوي بسرعة
تفوق صعة صعوده . وبسبب خيانة مماليكه الذين كانوا أخلص منه لناموس الصعود
والهبوط المملوكى . فخانه - ؟ هو الحال - أخلص أتباعه ورجله الأول . تامر مع
الدوله عليه ، وعاد إلى مصر وأخرجه منها إلى الشام ليعود على بيك ، يخهزم بخيانة
اخر من بقى حوله من الأمراء * الذين انحازوا إلى " محمد أًثط الذهب " ضبتين عن
جدارة انفباط سلوكهم المملوكى ! .. وهكذا مات " علي بيك الكبير ، مهزوما
مجررحأ مأ سورأ مقهورا .. " والله أعلم بموته " .. على حد قول أو " اتهام " الجبرقي
.الواضح
كان رأى المصرلمحنن ني صناجقه عل بيك - ! قبا - أدق واصح من رأول !م فقد عوا *
صناجقه البة الذفى
! أعدهم لحرب " عمد تك المي الذهب " عوهم : " الع بنات ، وفلا لم يحاربرا

كانت هده هي الفرصة الأخيرة للمماليك لكي يقيموا دوله قوية مستقرة تستطع
أن توفر مناخ التطور المنشود . ولكنهم آثبتوا عجزهم عن القيام بهذه المهمة ، وأكدوا
أنهم قد خرجوا نهائيا من مسيرة التاريخ .. وأنهم قد تحولوا إلى مجرد نفايات في انتظثر
مكنسة التاريخ تقذف بهم إلى مزابل النسيان . ولعل أبلغ عبارة تسجل انتهثء دورهم
ألتاريخي ، وعجزهم حتى عن حماية مممالحهم كطقة حاكمة ، هي هذه اللفمة
الذكية من مورخنا العبقري ، عن وضع المماليك عشية الحملة الفرنسية لط السطور
الأخيرة من الجزء الأول : " ولكن لما فقدت منهم القابلية واستولى عليهم الطمع



المحاولة

حكم أ محمد بيك أبو الذهب " بعد غدره " بعلي بيك الكبير " .
وتطلع بدووه
إلي الوجود بالشثم (ا) رغم أنه كان يعلم بحكم تجربته الشخصية
،، أن هذا التطلع
كان المقتل الذي ضرب منه سيده وعلى يده هو لالذات .. ولكنه
حاول أن يتفادى
المصير ، بأن يوجد في الشثم باسم السلطان . وسبق نابليون في
تتفيذ مذبحة تافا
إذ " جمعوا الأسرى خارج البلد ودوروا فيهم السيف وقتلوهم عن
اخرهم ولم يميزوا
بين الشريف والنصرالي والهودي والعالم والجاهل والعامي
والسوقي ولا بين الظالم
والمظلوم وربما عوقب من لا جنى " . وإذا كان تاريخ " محمد بيك
"أبو الذهب
العسكري يتميز عن تاريخ نالليون بنجاحه في الاستيلاء على عكا .
فتثريخنا الاخلاقي
يفخر - أيضا - على جميع مؤرخي الغرب الذين ما زالوا يلتمسون

كان المرشحان لقتل " محمد بيك أر الذهب " ووراثته وفقا للناموس
كل، " مراد
بيك وإبراهيم بيك " ولكهما كانا اعجز وأفشل من أن يحققا مثل هذه
المهمة . فمات
محمد بيك أبو الذهب " حتف أنفه . وانطلق قانون الناموس تحقق "
نفسه ، فان
الجيش لم يعرف خبر موت الأمير ، إلا على روية النهب قد قام على
قدم وساق قي
متاعه وخيمته . " قال الناقل : وأقمنا على ذلك الثلانة أ!ام التى تمرض
ف!ا واهم!نا

اليوم الثالث إنه منحرف المزاج . فلما كان في صبح الليلة التي مات بها نظرنا إلى
ك!يرانه وقد انهدم ركنه وأولاد الخزنة فى حركة . ثم زاد الحثل وجردوا! على بعضهم
السلاح بسبب المال . وظهر أمر موته وارتبك العرضي . وحضر مراد بيك فصدهم
وكفهم عن بعضهم وجمع كبراءهم وتشاوروا في أمرهم ؟أرضى خواطرهم خوفا
من وقوع الفشل فيهم وتشتتهم في بلاد الفربة (!) وطمع الشاميين وكاتتهم فيهم.
واتفق رأيهم على الرحيل وأخذوا رمه سيدهم صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه
. . ! هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه "80
وبقية المراسم معروفه ، غسلوه و كفنوه .. اغ ونقلوه إلى القاهرة خوفا من تمثيل
أهل البلاد ، ونريد الجبرلمط ، إنهم شيعوا جنازته وسط سحابة هثتلة من البخور والعنبر
. " إ مشرا على رايحته ونتنه
وتهتك " مراد بيك وابراهيم بيك " في تربعهما على عرش السلطة في مصر.
ولا شك - ؟ قلنا- أنهما كانا أموأ مملوكين حكما مصر .. وك كان لأبد من
ا!يبز فان المرتبة الأولى في السوء يحتلهث مراد بنكل منازعه ورأت الدولة ين الفرصة سانحة
لاسترداد مصر ، أو تأكيد وجودها بعد ما تسلى مراد بيك بعزل الولاة ، مع تزايد
عجزه عن الحكم . وتأكد أن استمراره في السلطة راجع إلى الانهيار العثم الذي
لم يدفع إلى السطح بمفامر جديد يزيحه عنها . وهو الذي - ؟ وصفه " - " الجبرقي
لم ينتصر في حرب خاضها قط.
وأرسلت تركيا أسطولأ .. حملة لفتح مصر . وفي هذه الحملة تفاصيل عديدة
من الممتع مقارنتها مع الحملة الفرنسية التي تلتها ب 13 سنة.
ولما وصل نبأ الحملة إلى مصر ، كشف مراد بيك عن جانب من اخلاقياته
لخسيسة . فهذا المتكبر الذي عزل الولاة ، ورفض أن يصعد إلى القلعة(

بترلمط مراد وابراهيئ صكز محمد المط النب ، دون ان يقتلاه ، اخل اباموس نهائا .
وتحغ زوال مولة المعالين

القوانين القديمة "81 . (أي مدة ما كانت مصر خاضعة فعلا لارادة
. السلطان)
ولم يكن نابليون هو أول من استخدم المنشور في مخاطبة المصرتنن بل
استخدمه
قائد الحملة التركية بل وخلق منشوره تأثيرا أقوى وأنجح من منشور
نابليون . فالجبرقي
يقول : " وصلت الأخبار بورود حسن باشا إلى تغر رشيد يوم الأربعاء
سادس عشره
وأنه كتب عدة فرمانات بالعرلمط وأرسلها إلى مشايخ البلاد واكابر
. العربان والمقادم
وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلايون نصفا فضة لا غير . وذلك من نوع
الخداع
والتحيل وجذب القلوب . ومثل قولهم إنهم يقررون مال الفدان سبعه
انحيماف
ونصف نصف . حتى كادت الناس يطير من الفرح . وخصوصا الفلاحين
لما حمعوا
ذلك وأنه يرفع الظلم ويمشى على فانون دفتر السلطان سليمان وغير
ذلك . وكان
الناس يجهلون أحكامهم " فمالت جميع القلوب إليهم وانحرفت عن
الأمراء المصرية
. وتمنوا سرعة زوالهم "82
وهكذا نرى أنه حتى " العمافي " عرف أهمية مخاطبة الضعب المصري

وإذا كان المنشور التركي قد حقق لدى المصرتنن تاتيرا أفضل مما حققه
منشور
نابليون . فان الأسطول التركى لم يمنع مراد بالتسليم ، ؟ لم يفعل
ألآسطول
الفرنسى ، ولا أقنعه هو والضقى الاخر بعدم شرعية مقاومة جنود
السلطان . لذدك
استعدا لمقاتلة جيش السلطان ، الذي يحكمان باحمه ، ومندوبه تحمل
لقب الوالي ، ومازال
في موقعه بالقلعة ! بل لم يفتهم وهم يجهزون الحملة لمقاتلة السلطان
ان يسلبوا ممثله
ومندوبه ؟ الباشا " الدراهم التى كانوا استخلصوها من مصطفى بيك امير
الحاج
. "وأودعوها عند الباشا . فدفدٍثا لهم بمامها 83

لاكم ما كالوا بمكمود *

: العثماني ، عن أسلوب نابليون " الثورى " في معاملة الشيوخ
الأولى للسلام فقابلهم بالإجلال والتعني وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ورتب لهم "
ما !كفيهم من الطعام المهيأ ليئ الإفطار والسحور . ودعاهم في ثافي يوم وكلمهم
كلمات قليلة . وقال له الشيخ العروصى يا مولانا رعية مصر قوم ضعاف وبيوت
الأمراء مختلطة ببيوت الناس . فقال لا تخشوا من سىء فان أول ما أًوصالمط مولانا
السلطان أوصاني بالرعية . وقال إن الرعية وداعة الله عندممط وأنا استودعتك ما
أودعنيه
الله تعالى . فدعوا له بخير . ثم قال كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران
هـترضونهم حكاما عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم ولماذا لم تجتمعوا عليهم
وتخرجوهم * من بينكم . فأجاب احمعيل افندى الخلوتي بقوله : يا سلطانم هؤلاء
عصبة شديدو البأس ويد واحده . فغضب من قوله ونهره وقال : تخوفني ببأسهم
فاستدرك وفال ؟ إنما أًعنى بذلك أنفسنا لأنهم بظلمهم اضعفوا الناس . ثم امرهم
بالانصراف . واجتمعوا عليه مرة ثالثة بعد صلاة الجمعة فاستادنوه في السفر فقال
لهم : أ ء". أممعب لكم مكاتبة للرعية تقرءونها على الملأ في الجامع الأزهر . فقال
له الشيخ العروسى : هذا أمر لا يمكننا فعله في هذا الوقت . فقبل عذره **وفال
يكفى الا،صتفاضة . ئم تركهم يومين . وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان
بيك الشابوري . و أهـهـهم بالانصراف فوعدوه وساروا وأخفيت تلك
. " المكاتبات 4 8

ونجد " إبراهيم بيك " في نفس الموقف الذي وقفه الجنرال بليار بعد 15، سنة
فكلاهما دعا المشايخ إلى تسكين الرعية وتجنب الفتن:
ركب إبراهيم بيك في ذلك اليوم وذهب إلى الشيخ البكرى وعيد عليه " ثم إلى
الشيخ العروسى والشيخ الدردير وصار يحكي لهم وتصاغر في نفسه جداً وأوصاهم

* لوء حظ الرك آن دولهم إلقرضت ول! لتبنت مؤرحا يزلف عن أول دعوة للمصرلن الثورة واخبار عن بنزاهي

** هذا هر ضيخ الأزهر شذر عى إعلالى الولاء للسلطان العمافي من ط! مجر الارهر ويفهم القائد الركى عذره . .

فإنه كان يخاف ذلك جدا وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التى أرسلها الباشا
. " للمشايخ وتسامع بها الناس
بل ويذهب التاريخ في إعادة نفسه ، حدآ تكاد تختلط فيه الأعاء ، فسر عسكر
نابليون ، سر مق البكري وضاق بالسادات ، ونفس الشيء مع ص
!عسمكر التركي
فقد نال البكري عنده نفس الحظرة لأنه يات مع الباشا (1) سبه الأسير في القاهرة
يلة وصول الجيش الفاتع : " وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا! لحسق
باشا وشكره عليها وأحبه . وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية
المشايخ ! . بينما غضب على الشيخ السادات الذي احتج على تصرفات الفاتح
التوكى : " واغتاظ واحضر افندي ديوانه وقال له اكتب أعاء هؤلاء حتى أرسل
إلى إلسلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره . وتغير خاطره من ذلك الوقت على الشيخ
ا لساث ات 5 8 " ء
وإذا كان " نابليون " قد فال على السادات " إنه ليس " بونو ! ! فلا شك ا ن
حسق بثسا قال : " سادات سيس خرسيس ادب !ب ا! ! " ! لولا أن تاريخ نثتيبرن
!حفظ بدقه أكبر
واستطاع الباشا المقيم في القاهرة أن يعزل المماليك عن "لصويين ، بما أشاعه عن
نية جيعث! السلطان في إقامة العدل ومنع الظلم والجور ، وغر ذلك ، حتى ضرب
قلوب العا لم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنوا زوالهم في أ!بهـع وقت و،ميج الناس وأثارهم
. قبل وصول حسق باشا!18
انضم الشعب إلى الباسا الوالي ، وساعده في تحرير القاهرة قبل! وصول الحملة
إلى القاهرة . وفرحوا بانتصار 9 حسن باسا القبطان " واستبشروا به : " وفرحوا
"وظن!ا أنه مهدى * الزمان 87

الى نحرة اتظار عدى او المهدى المتظر .. قائدّ يخلص الملمين من الظلم ويملزها عدلأ - ! *

كبير مخيط عليه قطعة قماسق لابسها في دماغه والطربوس! مقلوب على قفاه مثل حزمه
البراطيمغ! . وهم لابسون زنوط وبشوت تحزمين عليها وصورهم بشعة وعقائدهم
نحتلفة . وأشكالهم شتى وأجناسهم متفرقة ما بين اكراد ولاوند ودروز وشوام .
ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد . واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصالحة

نفس الملاحظة الأخيرة سيسجلها الجبرقي عند دخول الجيش الفرنسي القاهرة ،
وهى عدم إيذاء أحد وشراء ما يحتاجونه ويدفحون ثمنه . وسرعان ما يكشف الجيشان
عن ظبعهما الحقيقي : الخطف والنهب . مما يؤكد ان نابليون لم يكن هو وحده
الذي .يجيد الدجل.
وهكذا بدأ الحكم التركي بداية رائعة .. منتصرا في القاهرة ، محبوبا من الشعب،
تتعلق به امال الإصلاح . وفر " مراد بيك " ؟ هي عادته - بل وعادة كل المماليك
الفارين - إلى الصعيد . وبدأ ساري عسكر التركى يجرد ضده الحملات في النيل
والبر . ولكن مراد ييعث برسالة تنفى اتهامات الباشا له بالكفر ، ويعير الدولة بعجزفا
عن استرداد : " البلاد التى غصبها منكم الكفار . واسترلوا عليها مثل بلاد القرم
والودن واحمعيل وغير ذلك " . و لم يجد الباشا ما يرد به على هذا الإحراج إلا اتهام
كاتب رسالة المماليك " بالجهل بصنثعة الإنشاء88 " !
ونحطب حسن باشث في الأمراء المماليك المتعاونين فيقول : ! اسمعوا ربما تحدثكم
نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا ظكهم بلادنا .. أًو انهم مقصرون معنا

وعرض على مراد بيك وإبراهيم بيل! أمانا شثملا شرط أن يحرجوا " ويتولوا

فرد إبراهيم ومراد بالسبع والطاعة وانهم " ممتثاون لجميع ما يؤمرون به ما عدا
السفر إلى غير مصر فإن فراق ا،طن صعب.9 " .

وسرعان ما تكشفت نوعية جنود الدولة وتتابع النهب
والظلم .. ولكن " الموسقو

برل وحاول الروس استغلال الموقف والاتصال بالمماليك واستخدامهم
لحساب
التوسع الروسى ضد الدولة التى كانت الامبراطورية الروسية تقوم وتمتد
على
آنقاةسا " . واضطر السلطان إلى سحب الاسطول والجيش من مصر .
" والعفو
عق إبراهيم بيك ومراد بي! من القتل وأن يقيم إبراهيم بيك بقنا ومراد
. ! بيك بإسنا
وكان مفهومأ بالطبع أن جلاء القوة العثمانية يعنى عودة الشقيين للقاهرة
وقد
. . ادا!
ويلخص الجبرقي هذه الغزوه التى تعد المحاولة الأخيرة لبعث الوجود
التركي في

وفي ثالث عشرينه (ذي الحجة 1201 هـ- 1786 م) سافر حسن "
باشا
من مصر وأخذ معه الرهائن ولم يحصل من مجيثه الى مصر وذهابه منها
إلا الضرر
و لم يمطل بدعة و لم روفع مظلمة لل تقررت به المظالم والحوادث "
ثم يقول : " ولو
مات حسن باشا لالأسكندرية أو رشيد لهلك عليه أهل الإقليم أسفا وبنوا
على قبره
. " مؤارا وقبة وصريحا يفصد للزيارة
أي لو مات قبل ان يدخل القاهرة ويحكمها بل مات في الاسكندرية أو
رشيد،
وهو مازال في مرحلة الوعود المعسولة والمنشورات والفرمانات
المثيرة بالاغراءات لظل
. . حلما للجماهير بالعدل والاصلاح أ

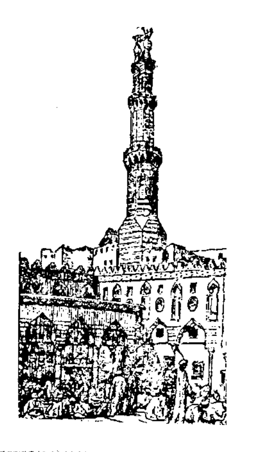
* حاعت /ا م!ط تات 3! ترال المر سمو : " للصا صع اس ع!!! الحا+- ا ا!دار معكم ! ش فو
ث ا ا!- ليكم لي قحده أث لعح-أ
يمل :هضا ئم لا لنى على من !قى منكم ويملك بلادآ وينعل بها عرلده من الظلم والجور
والحراب فإنه لا يضع
فدمه في تطر الى" ا !مه الدمار والحراب قيقظوا لأضكم واطردوا من ص يلادآ من العمانية
ورفعوا بندورتنا واختثروا

وما ان غادر " قبطنان باشا " القاهرة ، تعد أن ترك فيها بعض المماليك الذين
يحكمون باسم السلطان . ويفتوض فيهم أن يمنعوا عودة ! مراد وإبراهيم " حتى انتهى
الوضع نهاية مملوكية عجيبة إذ " خامر " الذين في القاهرة مع الشقيين " مراد
وإبراهيم " وفتحوا لهما القاهرة ؟ فدخلاها . وكان الطاعون قد حل مشكلة توفير
م!إن للوافدين إذ أصبحت القاهرة تتسع للجميع . فمات عدد كبير من الأمراء
المقيميز فى القاهرة وفى يفح! الوقت مات عدد كبير من نساء الأمراء الذين كانوا
!مهزمين هأرب!! و الصعيد . خمزوج العائدون أرامل الهالكين
وأكثر البيوت كان بها الامراء الهالكون بالطاعون وبقى بها نساوهم " ومات غالب
نسطء الغايبن . فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم والجواري والخدم فتزوجوهن
وجددوا فراشهم وعملوا أعراسهم . ومن لم يكن له بيت دخل ما أحب من البيوت
وأخذه بما فيه من غير مانع وجلس في مجالس الرجال وانتظر تمام العدة إن كان بقى
م!ثا شى.؟ وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم وآزواجهم " " وسكن مراد بيك
. بيت احمعيل بيلث وكأنه كان يبنيه من أجله "93
وهكذا حطكل السقيان الناموس مرة أخرى . اذ صعدا مرتين إلى الذروه ، وكان
.ذدك إيذانا بسقوط الناموس كله
أما فوات الد!سة أ ا!ثمانية التى كانت السبب في طرد " إبراهيم ومراد " فقد
أصبحت في ،صر المهزم بعد دخولهما القاهرة . فرحلت بطريقة لا تختلف كثيرا
صت ترحيا ا اعرسميس . فقد نادوا عليهم : " بالسفر ولا يتأخر منهم أحد وكل من

! هل هناك شك في طبيعة العلافة بين هصر والدولة العثمانية ؟
وهكذا فشلت اخر محاولتين:
محاولة " علي بيك " اشحقيق سلطة مركزية قوية وحكم مملوكى يستطنيع إذا منح

الرقت والاستقرار ان يبدأ تصنيع مصر وربمث العالم العري ، ومن خلفه العالم
الإسلامى . انتهت بتغلب الانهيار المنلوكى على إرادة الحياة والبعث . وباخطاء ! علي
بيك المحبير " واستفزازه للمشاعر الإسلامية سواء في الداخل أو الحارج (تتعاونه
. (مع العدو التاريخى للأمة الإسلامية : الموسقو
كا انهارت اخر محاولة عمانية لإخضاع مصر بصورة حقيقية لنفوذها . ولو أ ن
هذه المحاولة كانت محتومة العقم من ناحية النتائج ، حتى ولو نجحت ، لأن
الإصلاح ، إذا كان مقدرا له أن يكون تركيا ، كان عليه أن يمدأ في الآستانة . وهذه
قضية - كا أثبت التاريخ - كانت خارج نطاق الممكن ، بسبب التفسخ العثمافي،
كمجتمع ، وليس فقط كدولة .. هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى بسبب الإنهاك
الرومى لطافات الدولة واستنزافه لكل جهد يمكن أن يوجه للإصلاح الداخلي.
وهكذا ثبت عشية الحملة الفرنسية آن النظام المملوكى ليس اكثر من جثة تاريخية
تنتظر " التغسيل والتكفين والدفن " بعد " قطع الرأس وسلخه أ .





ا

ا!صتللآ"ط

!نا!يو

والميهه

الميأويئ

سأستعمر مصر

رغم كل البيانات والمنشورات والتحليلات التى صاحبت وأمحقبت الحملة الفرنسية
فان نابليون كان صريحأ وواضحا في تحديد مهمته في (إلى يومنث هذا) مصر ، عندما
! " قال : " سأمشعمو مصر
سأستعمر مصر ، وأستورد الفنثنين والعمال من جميع الأنراع والساء "
والممثلين . إن ست سنوات تكفيني للذهاب إلى الهند لو سارت الأمور
. " سيرا طيبا
ولو سارت الأمور سيرا طيبأ . وحتى ثون الوصول إلى الهند ، لكان نابليون
قد استورد المزيد من العمال والنساء .. ثم الفلاحين . ولكانت مصر قد واجهت
مشكئة سرفى أعرق من مشكلة الجزائر بثلث فرن . وهذا الخطط للاستعمار
البشري لمصر تحدث عنه نابليون صراحة في مذكر 6يه في " سانت هيلانه ! وهو
يتحدث عن أحلامه في مصر . وما يمكن أن يحدث فيها من رخاء وتقدم بفضل
ضبط ميثه النيل وتضاعف عدد السكان أربع مرات بفعل المهاجرين الكثيرين من
. اليونان وفرنسث وإيطاليا وبولنده وألمانيا "ا "
لكن الأمور لم تسو سيرا طيبا . لاسباب عديدة أهمها وأخطرها .. أن الشدب
المصري .. أن أولاد العرب .. أمة الاسلام رفضت المهمة الحضارية

ومحندما قرر نابليون " استعمار مصر " كنقطة انونقه لبناء

بدأ بدراسة الاسلام ، وطلب القران " وصنفه تحت قائمة الكتب
السياسية " 2
أيقول هيرولد : إنه " كان كلما دق من الساحل الأفريقى استغرق
في دراسه
. " الإسلام
وهو سلوك طبيعي ومفهوم تماما ، من قائد جاد يريد النجاح في
مهمته . أما
ص الجهود التي تبذل منذ الحملة الفرنسية إلى اليوم لتتفيه شأن
الدين ، والبحث
عن مكونات لشخصيتنث بعيدا عنه ، فليست إلا أسلحة هذا الغزو
الغر! . بينما قادة
الغرب عندما يواجهون الحقائق ويعدون الحملات ، فهم يعرفون اًن
الخط الحقيقي
الذي يقسم العالم إلى غرب وثرق هو الخط الديني . ويعرفون أن
الغرب الأورو!
لم ير في الشرق منذ القرن السابع الميلادي إلا ظاهرة إسلامية ،
ويعرفون أن القوة

كان ا نابليون " يدرس الاسلام .. و " كليبر " يستأجر عددا من
الموظفين
المصرتن والشرام المقيمين في فرنسا.
وييدو أن عددا من المصريين كان يقيم منذ زمن لويس الرابع عشر في
فرنسا.
وسنجد أن " الوفد المصر!ط " من أيتام المعلم يعقوب يشيرون إلى
جهود ذلك
العاهل العكل " الذي طلب عددا من شبان الأقباط لتدريبهم وإعدادهم "
لغزو

ولا نستيم أن نجد في التاريخ كله ما يثعير إلى تأثر هؤلاء المصرتن
!(وليم
لدينا ما يؤكد أنهم كانوا من الاقباط فقط) المقيمين في فرنسا بالثورة
الفرنسية.
ولا بالتطورات الاجماعية والفكرية الخطيرة التي وقعت في أوروبا وفي
باريس
بالذات . اذ أن شيئا من اثار هذه التطورات لم يتضح في سلوكهم ولا
في
مواقفهم . بل المؤكد انهم قاموا بالمهام التقليدية للعميل الضرقي ،
وهي صياغة البيانات

ا

الى جانب إرشاد الغازي الى بعفى نقاط الضعف في البلاد وتريشن الائيء
التي !بهب
اعتقالها . والاخري التي يمكن أن !ب ودها . وتوزيع الغرامات والإتاوات
على
. " العجار و " المساتص
ولا شك أن موقف هؤلاء العملاء سواء الذين جمعهم " كليبر " من حانات
وأديرة فرنسا ، أو الذتن جمعبم جيش الاحتلال في مصر ذاتها . موقف
هؤلاء جميعا
يختلف تماما عن موفف أحرار أوروبا ال!ين كانوا يتعاونون مع جي!ق
الئورة الفرنسية
او يرحبون به أو ينفعمون إليه كمقاتلين في سبيل إنجاز ثورتهم الوطنية .
لأن هؤلاء
العملاء العرب ، لم يخطر ببالهم قط فكرة تحقيق أي إنجاز ثوري ولا
سجل لهم التاريخ
)شبهة من مذا الموع في سلوكهم
انطلقت الحملة الفرنسية بما استطثعت براعة " نابليون " و " كليبر أ أن
تحشده
من جنود ومدفعية وعلماء ومطعة ومحمب وعملاء وتراجة ونساء في
ثياب نسائية
. أو متخفيات في زي جنود
ونقف لحظة عند مالطه حيث نجح نابليون في الاستيلاء " السلمي أ على
الجؤيرة
مستعينا بسمعة الثورة الفرنسيه ، والمسيحيه ، والمال ، والمدافع ..
نقف قليلا مع
كريستوفر هيرولد " وهو يقارن بين الأسلوب الفرنسى " الفعال " في "
تصفية
وجود فرسان " الاسبتارية " وبين أسلوب الاتراك .. لنتأمل مذا الفارق
بين
السلوكين فهو يلقي الضوء على احدي الخصائص الأساسية التي تميز
حضارتنا عن
الحضارة الغربية ، وأيضا أحد العوامل التي رحمت فهاية حضارتنث في
شكلها العثمافي
. . وحتمت سيطرة الحضارة الغربية
ففى عام 1522 - 1523 كانت السيادة العالمية معقودة لجي!ق الأتراك
بلا
منازع . واستولى الجيعشى التركي على جز-وة رودس ، وأجبر فرسان "
"الأسبتابية
على التسلم . ولكن السلطان المنتصر حمح لهم بالجلاء عن الجؤيرة
حامليرمعهم

فضلأ عن (0 0 0 35) بندقية ، وبارجتين ، وفرفاطة وأربع سفن خفيفه " وانتدب
من يفتش ! على دار سك النقود وعلى كنوز كنيسة القديس يوحنا . وعلى " ساتر
الاماكن التى قد يعز فيها على أشياء ذات قيمة 41 ومن الأشياء ذات القيمة التى
عز عليها ذهب قيمته 5 ملايين فرنك ، وانية فضية تقرب قيمتها من مليون فرنك
وكنوز كنيسة القديس يوحنا المرصعة لالجواهر التى تقدر كذلك بنحو مليون فرنك
ويسخر " هيرولد ! فيقول : " وتعطف بونابرت فأذن للفرسان بأن يأخذوا معهم
شطة من " الصليب الحقيقي " لا تقدر بمال .. ويدا من أيدي يوحنا المعمدان الكثيرة
هي ورعوسه الكثيرة المبعدرة في جميع ارجاء الشرق الأوسط ، بعد نزعها من صندوقها
المرصع بالجواهر ، ونقلت جميع قضبان الذهب والفضة والتحف الثمينة بعد جردها
. " إلى مامور الصرف الفرنسي ، وأخذ منها جزء كبير إلى مصر
وفي مقابل حماحة الاتراك أبلغ نابليون فرسان مالطة أن على كل من هو دون
الستين مغادرة الجزيرة خلال ثلاتة أيام : " دون أن يحمل احدهم أعر من 240
فرنكا لنفقات السفر ، واستثنى من قرار الطرد ثلاثة وأربعين فارسأ كلهم من
الفرنمإت دون الثلاثين . وكان بونابرت قد أقنعهم بالتطوع فى الجيش الفرنسى بمصر
وسبعة عشر موظفا اخرين فى الطريقة ا لم يكونوا كلهم فرسانا رحميين) ساعدوا
. " الفرنسيين بطرق شتى، في الشهور الماضية

نعود إلى موقف الأتراك .. يقول " هيرولد " ؟ ان فرسان القديس يوحنا بعدما
انسحبوا هذا الانسحاب الكريم الذي تفضل به السلطان سليمان المنتصر انتقلوا من
جزروة رودس إلى جزروة ماطة !را بعد ذلك شجى في حلق التجارة والأساطيل
الاسلامية ، ومصدر خطر وقلق وقرصنة في شرق البحر الأبيض المتوسط . ويقول
هيرولد " : ان السلطان " سليمان " ندم على عاحته وحاول غزو "

سراحهم . 8لم أجبر على رفع الحصار .. وواصل احفاد " الطلقاء " حربهم الصليبية
الدائمة على المسلمين لط البحر الأبيض المتوسط.
ربما ندم " السلطان سليمان " على استخفافه بشأن أسراه ، ولكنه لا يملك الندم
على حماحته واحترامه للعهد الذي منحه . فهذا هو خلق أصيل من أخلاقيات
حضارتنا . وهذا هو ما تعلمه الأتراك من الاسلام . ومهما تكن النتائج الوقتية،

نعود إلى الحملة:
كان الغزاة قد فرغوا لتوهم من الاستيلاء على جزيرة مالطه ، وحرروا كشوفأ
رحميه بما استولوا عليه من كنوز بعدما قاموا بنهب وسلب جزيرة " جوزو " عن
اخرها بعد ان أخلى السكان تيوتهم "6 . وعادوا إلى السفن يحملون ما نهبوه
إ وتنشدون الأناشيد الثورية الجماعية " مؤكدين بذلك هذه الازدواجية التى تتميز
بها " الثورية " الغربية . فهم ثوريون يتننون بالأناسيد الثورية في شوارع باريس،
بل وعلى ظهر البوارج الفرنسية .. ولبههم لا يجدون أي تناقض بين المقاطع التى
تتغنى بالحرية والإخاء والمساواة ، والتى ترددها حناجرهم الجماعية وبين ذبح الشعوب
غير الفرنسية ، واحتلال بلادها ونهب ممتلكاتها.
هذه الازدواجية ، هي التى مكنت أوروبا من انجاز تطورما في اتجاهين : تحرير
مجتمعها ، واستعمار مجتمعات الاخرين بذات الجماهير التى قاتلت الإستبداد في
يلادها ، وفرضت الاستبداد والعبودية على الشعوب الواقعة جنوب أو شرق خط
الجنع! المتحضر .. أو خارج خط الالتزام بالسلوك الإنسافي.
يبدو أن صناع الثورة الفرنسية قد اضطروا إلى وقف غنائهم ، وإنزال، غنائمهم
إلى الأرض والوقوف بانتباه ليستمعوا الى المنشور الذي أصدره نابليون والبوارج
تقترب من الاسكندرية (28 يونيه 1798 م) :
أيها الجنود " !

وستطعنرن انجلترا طعنة تؤديها لا محالة في أضعف مواطنها (1)
انتظارأ لليوم الذي
. " تسددون فيه إليها الطعنة القاتلة
ولن تنقضي على نزولنا البر أيام حتى نقضى على بكوات المماليك "
الذين لا
يراعون غير التجارة الانجليزية ، والذين يظلمون تجارنا بمعاكستهم
والذين يستبدون
. بأهل وادي النيل الأشقياء "7
ولا ندري كيف لم يجد " هيرولد " في هن! الخطة البلينة الجواب عن
: تساود
كيف كان يمكن لهذا المنشور أن يفسر للجندي العادي السر في "
(رساله الى
. " مصر
:الجواب واضح
لطعن " انجلترا منافسة فرنسا . لضرب البكرات المماليك النين " لا "
يراعون غير
التجارة الانجليزية " .. أليعى هذا سببأ كافيأ لتبرهـحملة أوروبية لط
القرن التاسع
عشر ، والهاب حماسة الجند حتى ولو كانوا همأنفسهم الذين ساهموا
في تحطيم
الباستيلأ
والمنشور بعد ذلك يدعو الجنود لاحترام دن البلاد ؟ تحترمون دين
موصى ودين
المسيح ، ويقنعهم بأن السلب الفردي " لا يزى منه الا الأقلون " . بينما
يقضي " على
مواردنا " . وهو بذلك يشرح مزايا السلب المنظم الجماعى على



بلاد

وفبل وصول الأسطول الفرنسي إلى الاسكندرية ، وقعت حادثة توصف عادة
بأنهث غيرت مجرى التاريخ ، إذا كان يمكن لحادثة أن تفعلأ
فقد وصل أسطول " نلسن " إلى الاسكندرية وأرسل الكابتن " هاردى " على
ظهر السفينة " موتين " في 27 يونيه ليعرض على المدينة حماية الاشطول البريطالط.
و!كن " محمد كريم " وهو من الشخصيات المصر!ة افوذجية ، وأسطررة من عصر
الاغاجيب هذا ، في عصاميته وذكاثه ووطنيته وصلابته ونهثت المأساوية ، وحا2
الأسكندرية فوق ذلك كله .. رفض هذه الحماية . واجمل تفسص لتلك المحادثة التي
رواها الجبرقي ونقولا الترك . . هو ذلك الد!!يطرحه " هصولد " : " رفض " محمد
كريم " حا 2 المدينة الذى أقى ليتبين نيات الرجل الانجليزى ، أن يقبل مساعدة الانجليز
ضد الفرنسيين . وإذا كان عديم الثقة في جميع الاوروتحنن على السواء لات لي صصه
وحذره !ظاهر باجمل . وقال لهم في رواية نقولا الترك : إن الفرنساو!ة غير ممكق
انهم يحضرون لبلادنث ، ولا لهم في أرضنا شغل ، ولا بيننا وبينهم عداوة . وهذا كلام
غو ممكن أن نصدقه . وأما أنغ فما لكم إقامة في أرضنا ، ولا معنا إجازة ان نقبلكم
جملة كافية . فانظروا الذى تحتاجونه من الماء والذخرة خذوه واذهبوا عنا بثهـ-لامة.

الانجليز يقينا . مشيراَ بذلك إلى أن " محمد كريم " قد دفع رأسه ثمنا لرففر الحماية
الانجليزية . فقد كان أول مسئول مصرمم! يعدمه الفرنسيون بعد انتصارهم ، أعدموه
بعد التعذيب والحبس والتشهير . فالذين جاعوا لتحرير المصرينن من المماليك كان
أول ضحاياهم هو الحا 2 " المصري " لمدينة الأسكندرية .. ولولا " تحمد كريم"
ولولا مصرعه ، لانطلى على الكثيرن فرية أن نابليون هو أول من فكر في إمكانية
ممارسة المصرينن لشئون الحكم ! .. ها هي أول مدينة تضربها مدافع الفرنسيين
يتصدر الأمر والنهى فيها مصري من عامة الشعب ، صعد من أول السلم الاجتماعي . .
ولم يسجل التاريخ ، حوارأ أو صراعأ أو صدامأ بين شخصية مملوكية وأسطول
بريطنانيا ثم أسطول فرنسا ونابليونها وجيشها .. وها هو الحا 2 المصري لمدينة
الأسكندرية أول من يقطع رأسه على يد الذي " ألهب حماستنا بحديثه عن الحكم
اطصري " !
أما عن تعليق " هرولد " فحتى لو أضفنا إلى كارتة " تحمد كريم " الشخصية،
النكبات والويلات التى نزلت بأبناء بلدته الأسكندرية ، وشعب مصر في مجموعه،
فإننا لا نستطيع - رعم ذلك - إلا أن نؤيد موقف الحا 2 المصري . فلا شلث أ ن
رفضه هذا ، الذي واجه به الأسطول الانجليزي ، قد وفر على مصر احتلال ثمانير
عاماً . فلو كان قد وافق على فبول الحماية الانجليزية ، وسمح بنزول الانجليز على
ا أبر ، وتمركزت بوارجهم عند الساحل . ونجحت خطة " نلسن أ في الايقاع
بالأسطول الفرنسي عند ضاطىء الأسكندرية ، وقبل نزول جندي فرنسى واحد إلى
البر .. لما خرج الانجليز من مصر بعدها . فليس في التاريخ البريطاني

ولكن " نلسن " لم يفعل ، ولعله لم يشأ - فكان حصيفا

سركنه المنتظرة مع الفرنسيين بمقاتلة المصريين . ويتولى الدفاع عن مدينة تشعل،
هـق ، النار في مؤخرته . بل لعله فضل ان يضع الفرنسيين فى هذا الموضع ، إذا
ما كانوا يتجهون لممر.
وسواء اص!ن هذا التبادل في الأدوار ، قد تم باختيار واع من " نلسن " أو أ ن
حسن طالع الامبراطورية المنتصرة هر الذي جعل ! نلسن " يتقبل صاغرا رفض
كرم " وينصرف باحثا عن الأسطول الفرنسي في البحر ، فلا شك ان " المصير
ا!نهالط للفرنسيين لم يتغير كثزا برحيل الأسطول البريطثفى بل لعله قد ساء .. وإن
كانت ا لغة " الأحداث في مصر قد تغيرت بفعل هذا الرحيل!
غير أن موفف " محمد كريم " يحتاج إلى مناقشة ، ففي بعض الروايات انه قال :
هذه بلاد السلطان ، ولا دخل للانجليز أو الفرنسيين فيها " . وقد تشبث " أنصار
تةصمير ! صراع الاستعمارين التركي والغرثط " بهذه القشة ليدللوا على أن معارضى
افرب من المصريين ، كانوا يعترضون انطلاقا من الولاء أو التبعية للاستعمار
اكركي . والرواية ؟ يحكيها الجبرقى الذ! كان دقيقا كعهدنا بأعظم المؤرخين
المصريين .. إذ أوضح أنه لا رورد النص الحرفي بل قال : " وفي يوم الأحد ا)!ايثر
من شهر محرم 1213 هـ(!نيه 1798 م) وردت مكاتبات على يد السعاة من
ثغر الأسكندرية ومضمونها انه في. يوم الخميم! ثامنه ت حضر إلى الثغر عشرة
مراكب من مراكب الانجليز ، وففت على البعد تحيث يراها اهل الثغر . وبعد قليل
حضر خمسة عشر مركبأ أيضا . فانتظر أهل الثغر ما يريدون لاذ بقابق صغير واصل
من عندهم وفيه عشرة أنفار فوصلر ا إلى البر واجتمعوا بكبار البلد . والرئيس إذ

* هل مناك خطا افا كان الاحد هو العاضر فكيف يكرن الحيى هو الثامن ؟!

بالماء والزاد بثمنه فلم يجيبوهم لذللث وقالوا هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيس ولا
لغيرهم عليها سبيل . فاذهبوا عنا . فعندها عادت رسل الانكليز وأقلعوا في البحر
تاروا من غير الاسكندرية . وليقضي الله أمرا كان مفعولا ثم ان أهل! الثغر أرسلوا
إلى كاشف البحيرة ليجمع العربان ولأقي معهم للمحافظة عل الثغر 101 .
إ هذه بلاد السلطان .. فاذهبوا عنها " سواء قيلت هذه العبارة فعلا خلال مباحثات " تحمد كريم " والكابتن " هاردى أ أو أنها أضيفت إلى المكاتبات الرهـممية،
والتقرير الذى رفع ا3لى السلطة في القاهرة والذي يقضي البروتوكول بتلاوته بحضور
ممثل السلطان اًي الباسا ، ورغم أننا نجد الحركة الوطنية تكز من استخدام هذه
العبارة حتى الحرب العالمية الأولى : " هذه بلاد السلطان فاذهبوا عنها " إلا أنها .
لا تعنى أكر من دفع بعدم شرعية وجود الاخرين . أو مواجهتهم بحجة قانونية،
باق!سك بالسيادة الوهمية " الشرعية " للسلطان في مواجهة أطماع الدول الأوروبية،
وما يعني ذلك من تدويل للصراع . بل طالما استخدمت هذه العبارة من جانب
الدول الاوروبية لتبرير أطماعها ومصالحها .. أ لم يستخدمها نابليون نفسه ليبرر حربه
للمماليك الذين يتطاولون على حقوق السلطان ! .. ألم يستخدمها الانجليز حجة
لإخراج الفرنسيين من مصر ؟ ! لقد كانت سيادة السلطان ، خرقة ، تصلح لمسح
كل النوايا ! " وتحمد كريم أ كان سيقاتل العمارة التركية لو أنها جئت تفتح مصر.
وأول ظن ذهب إليه المماليك - ؟ رأينا - هو تامر السلطان مع الفرنسيين لفتح
مصر . وما من " سلطان " يفتح (" بلاده ! ! ولكن الصورة الهزلية للاستعها ا. التركى
لا تكتمل إلا بقصة الأسطول التركى الذى كان بالصدفة في مياه الاسكندرية
ونسيه كل المؤرخين العرب ! - ففي الوقت الذي كان فيه الأسطول - الفرنسي
يعبر البحر إلى الأسكندرية لغزو " بلاد السلطان " ، وكان الاسطول

" قائلأ : إنه لا يقوأ العربية - ولعله لم يكن يقرأ التركية أيضا - فترجم له " فنتور
المنشور . وكان الزاتر عند سماعه كل فقرة تنالط من قدر الأمراء المماليك ي!ر
صرورا .. فطلب مزيدا من نسخ المنشور لتوزيعها ، وابتلع قدرا وافرا من القهوة
والحلى ، ثم ففل راجا بخطاب من بويابرت إلى قاتده يقول فيه : " سأكون في
الأسكندرية غدا فلا تخش بأسا ، لأنك من رجال السلطان صديقنا العظيم ، فاسلك
كصديق .. ولكني سأعاملك معاملة العدو لو بدت منك بادرة عداء للجيش
. الفونس! . ويسكون أنت الملوم لأن هذا أبعد الأشياء عن نواياكط "19
ويعلق " هيرولد " بقوله : " ولسنا على ثقه من أن الضابط التركي راعه إخلاص
. " بونابرت 0 9 لكنه كخ السر ولم يفعل شمئأ
وهكذا طلب ممثل السلطان ، نسخا من منشور إعلان دا تحر-رنا " ليتولى توزيعه
نكاية بالمماليكا
و لم يكن بالمدينة قوة عثمانية ، ولا اكر من عشرين مملوكا . . وقد حاول المصريون
الدفاع عن مدينتهم في أول مصاجهه بين الشرق العركط والغرب الحديث ، وبعد ما
أقام التاريخ فاصلأ حضثرياً ، حسم مصير الصدام قبل أن يفع . وكانت النتيجة
تحتومة - عسكريا - فان قروناً طويلة من التاكل والانهيار ، قد جردت المدينة من
كل عناصر الإلقاومه . فتعدادها يختلف فيه ما بين ثمانية وعشرة الاف ا (تعداد بضع
. (محمارات اليوم
ويعلق " هرولد " على فول الجبرقي : " لم يشعر أهل الثغر وقت الصباح إلا وهم
كالجراد المنتشر حول البلد " يعلق بقوله وهي " مبالغة تصور حالة (الفونسيون)
المدافعين النفسية " . ولكنه تعليق غير منصف . إذ أن التشبيه لا مبالغة فيه إذا ما
تصورنا مدينة تستيقظ على مقاتلين يحيطون بها . هؤلاء المقاتلون المدججون بالسلاح
تعدادهم أص من أربعة أضعاف سكان المدينة ، جميعاً من الرجال والمقاتلين والنساء
والاطفال ! .. تخيل ان القاهرة تستيقظ على جيش تعداده 0 2 ؟ يخيون مقاتل ا
ولندّن
يهط عليها اص من ثلاتثن ملير ؤ/ .ظلى ؟ .. من الذي يلوم الانجليز اذا وصفوا الغزاة
. " يأنهوا ة جبهـةد -منتشر
. كاتت قوات الحملة تتكون من 0 0 0 34 جندي بري و 0 0 0 16 بحر!ط وملاح

.إن أوروبا لم تكن متفؤقة في التكنولوجيا وحدها بل حتى في تعداد البثمر
وحتى في مرقعة امبابة الحاسى حيث قذف المماليك بالقوة الرئشية ، بل الوحيدة
المى كانت لهم فى مصر يشهد 9 هيرولد " بأن " الفرنسيين كانوا يمعازون بالتفوق
. " العددى الحاسم
أما الفارق التكنولوجي فكان بشعا ساحقا ، رأى " تحمد كريم " عند إشراقة
الصباح خمسماته سفينة تحيط بالميناء . فكتب إلى مراد بيك في القاهرة : ! إن
العماره
التى حضرت مراكب عديدة ما لها أول يعرف ولا اخر يوصف . دئه ورسوله
. داركونا بالرجال "12
.أما عدة " تحمد كريم " " فلم تكن أكر من برميل واحد من البارود لمدفعيتهم
.أما الخيالة إذا استثنينا البدو عديمى النفع ، فلم يكن منهم اكر من عشرين مملوكا لا
. كان عل " محمد كريم لا أن يواجه أقرى جيش في العالم بهذه الامكانيات
. وكأروع ما يكون الجندي تأدية لواجبه ، مهما تكن الظروف ، قرر أن يقاوم
. زأرسل إلى القاهرة يطلب النجدة

ونترك المواجهة التاريخية بين الشرق المنهار ، والغرب الزاحف كالجراد
. . المنتضر
لنلهث مع الخيالة والجئالة الذين هرعوا إلى القاهرة برسائل تطلب
. النجدة
وفي مثل هذا الظرف ظهر الباشا التركى ! ووجهت الدعوة إلى عقد
. . الديوان
وفور انعقاده بادر " مراد بيك " -؟ رأينا - باتهام الدولة العثمانية بتدبير
هذه
. النازلة ، ونفى الباشا الاتهام ، وحثهم على القتال
ويحكى لنا الجبرقي بمرارة المصرى الذي يمسه الأمر في الصميم ،
ومزاة احتواء

ثم ورد في ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول . مكاتبات مضمونها أن "
المراكب التي
وردت الثغر عادت راجعة فاطمأن الناس وسكن القيل والقال وأما

كان تعداد مصر حوالمي 215 مليرن يحكمها ويدافع عها عرة آلاف مقاتل من *
إلممالك و!در عددهم بنسائهم

ص!تموا بثني ء. من ذلك . وا يكترثوا به اعتماداً على قوتهم وشعمهم اَنه إذا جاءت
ميع الافرنج ، لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم "13 .-
للما جاءت
المكاتيب بعد ذلك بوقوع غزو الاشكندرية واحتلالها . " ركب " إبراهيم "بين
إلى قصر العينى وحضر عنده " مراد بيك " من الجيزة لأنه كان مقيما بها . واجتمع
با آب الأمراء والعلماء والقاضي وتكلموا في شأن هذا الأمر الحادث . فاتفق رأيهم
على أن يرسلوا مكثتبة بخبر هذا الحادث إلى اسلامبول . وان مراد بيك يجهز العسثكر
ويخرج لملاقاتهم وحربهم . وانفض المجلس على ذلك وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر
باشا مع رسوله على طريق البر (وهنا تحبك النكتة مع ابن مصر الأصيل : فيكمل)
. " لياءتيه بالترياق من العراق
هذا التعليق البسيط .. أو النكتة التى ذيل بها الجبرقي ، تأريخه للمؤتمر التارفي،
أو قرارات اخر ديوان قبل الاحتلال الفرنسي ، يكشف عن القيمة الحقيقية التى كانت
لادودة العلية ونجدتها لدى النخبة المصرية . بل عن مدى ما كانت هذه النخبة تتوقعه
مها لحماية وجودهم واستقلالهم . وهذا الفهم ، ولو أنه مبكر جدا ، ولكنه غير
مستغرب من عبقري مثل الجبرقي ، يعيننا على فهم المعنى العملى للرابطة الاسلامية
أو العثمانية التى رفعت كشعار في أواخررالقرن التاسع ع!فـر ، ومطلع

،نترك هـسول " بكير باشا " ينطلق مسرعاً بقدر ما تسمح له امكانيات العصر
وأيضا اخلاصه في تأدية مهمته .. ونعود إلى الاسكندرية التى كان عليها ان تواجه
حيش نابليون بنصف برميل بارود وعشرين مملوكا ! أما المدفع الوحيد الذك! كان-
بوشيد وهو من عيار ثمان وعشرين بوصة ، فقد لاحظ " دينون " ان الغرض الوحيد
من وجوده ! يكن يتعدى " تيسير حالات الوضع العسيرة ، للنسوة الحوامل أللواقي
المثل المصري يقول " عل ما مجي ايركاق من الراق كون الل امرص مات " ا وايري! هر ،
.الدواء المضتد للسم

. يذهبن بنية خالصة للخطو من فوقه ا "14
وفي تقوير " فولني " : ليس بالاسكندرية أربعة مدافع صالحة "
للعمل . وكذلك
لا يوجد بها مدفعى واحد يحسن التصويب . والخمسمائة انكشاري
الذين تتكون
من!ثم حامية الاسكندرية في الأصل - قد انخفض عددهم إلى
النصف ، وهم عمال
. عاديون لا يكادون يعرفون كيف يشعلون غليوناً " 1
ولم تكن هناك فرصة لتضليل الجماهير أو اخفاء طبيعة الصراع ،
وانفجرت مع
الطلقة الأولى ، ذكريات وتاريخ الحروب الصليبية بين الغرب
والشرق . لذلك هبت
الجماهير تدافع عن وجودها .. عن تاريخها .. عن مدينتها . وستمضى
سنوات
طويلة ، قبل أًن يواجه نابليون مقاومة " شعبية " كتلك التي واجهها
في الاسكندرية
ثم في مصر كلّها ، وستمضى سنوات حاحمة فبل أن تكتشف أوروبا
زيف رسالته
التحريرية ، ويضطر موسيقيوها إلى تغيير ألحانهم . أو قل قبل أن
تنتهي هذه الرسالة
في أوروبا ، وتدرك شعوب أوروبا أن عليها أن تتحرر من نابليون
وجنوده ، بعدما
. تحررت فترة بهؤلاء الجنود

ولا يفوت نابليون رغم أنه يمثل الثورة الفرنسية .. أن يعقد المقارنات
بين حملته
والحملة الصليبية التاسعة . وكل ما يلاحظه من فارق " حضاري " بين
الحملتين هو:
ان لويس التاسع أنفق ثمانية أشهر في الصلاة ، وكان أجدى أن ينفقها "
في الزحف
. والقتال واحتلال البلاد "16
لذلك كاشا المقاومة الشعبية الشاملة هى الرد الوحيد على الغازي
الصليبي .

ومن فوق أسوار الائسكندرية " انطلقت صرخات مخيفة ، من
أفواه الرجال
والنساء والأطفال ، وفي الوقت نفسه انطلقت نيران المدفعية

العرب . وأصدر بونابرت الأمر باع! ينيى في الأبواق عدعوة الجيش للهجهـء
. فتضاعفت قوة الصراخ "17
وبالرصاص والأحجار إ افع العرب ص مديض+ واستقلاله! رشخصيهم وكيانهم
ووجودهم الحضاري . وأصيب ا كليبر ومينو " . ويسجل " هيرولد " : " إنه من
النادر أن يصاب قائدان هذه الإصابز ت في ا اسدقائق الخمسة الأولى في أية حملة
كربية "18 . ؟ تعرض نابليون نفسه للقتل . " زلا شك في ان قلعة- ا)عنار التي
كان يتولى القبفنه فيها السيد " محمد كريم " ، قاومت إلى ساعة متأخرة ص الليلى.
وما من شك أيضا في أن فتالا نشب في شوارع المدينة . ريؤخذ من تفرير بونابرت
. إلى الادارة أن كل شا كان فلعة "19
وقتل اللواء " ماس " وخمسة ضباط آخرون . وكتب الجنرال مينو : " إن الأعداء
. " قد دافعوا عن المدتنة بشجاعة كبيرة وثبات عظيم
وهكذا نرى أن " محمد كريم " لم يترك للسلطان مهمة الدفاع عن " بلاده "
بل قاد مقاومة المدينة إلى اخر طلقة.
هدينتي تاومت .. تاثلت .. لم قرر بها هنشورات المس!حمر التي تفرر اليوم
ببص المؤرخين.
هدينتي حاربت ولم ثفتح ذراعيها للمعفوق ثكنولوجيا . . ولا !دتت ان تحررها
يتحقق على تد غاز اجنبي!
وأطلق أحد القناصة النار من النافذة على نابليون نفسه ، فآصابه في - " ذايه،
ورد بعض الجند سإطلاق النار وتسلق غيرهم إلى داخل البيت عن طريق السطح،
. " فوجدوا القناصة ، وكانا رجلا وامرأة فقتلوهما فورا
ورغم مرور ثمانية قرون بين الحملة الصليبية الأولى التى اطلقها بطرس الناسك.

بولابرت ص 96 " ذلك هر الحادث ق روايه بورين (المذكرك 1 - 261) أما برنابرت يخقول " انه لم يكى

كثيراً . ولعلنا نجد تشابها عجمباً بين الرسالة الت!! بعث بها المنتصرون في القد-! منذ
سبعمأئة عام إلا عاما واحدا .. إلى البابا الذهبى " اربان " يبشر با! " خيلنا تغوص
إلى ركبها في دماء الشرقيين في بيت المقدس " . وبين رسالة " أدجوتاقيت جنرال
: بوابيه " أحد هيئة أركان الحرب العامة الذي محنب لوالديه يقول
حين دحر المدافعون على جميع الجوانب ، احتموا بالههم ليرسولهم ، " فملأوا
الجوامع . وذبح الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الاطفال ، عن بكرة
أبيهم . وبعد نحو أربع ساعات هدأت سورة جنودنا في النهاية ".2 . وكتب جندي
اخر في مذكراته : " ظننا أن المدينة استسلمت ، وضد ما أدهشنا أن ينهال علينا
رصاص البنادف ونحن نمر أمام أحد المساجد .. فأمرنا قائد اتفق وجوده هناك ا ن
نقتحم باب المسجد ولا نبقى على أحد فيه . وهكذا هلك الرجال والنساء والأطفال
بحد السناكى .. ولكن لما كانت العواطف الإنسانية أفوى من الانتقام . فقد توقفص
المذبحه حين تعالت أصواتهم طلبا للرحمة . فاستحيينا ثلثهم "21 ولي!ح!ك أبدع!
من تعليق " هيرولد " جملى " المهمة الحضارية والرسالة التحريرية " التى كان يجرممب
تنفيذها في نساء وأطفالى مصر بحد السناكي . يقول : " والمدنيون غير مفروض فيهم
ان يطلقوا النار عك الجتود . وعمل الفرنسيين قد يبرر ، حتى إذا أخذنا بقواعد
الحرب المتعارف علي!ثا بين الأم التى تسمى متحضرة . وقد تلقى المسلمون ،

ء

* وفد الصص المنرحم إد ضمع هددـ--حص" ا شرصبر! " نا ا! فيما خ "اص! صحربة اث أهـللمز 3 كا احق ر لرصات

المرص

ففر ب أهلها ج! السيف وأحرفت بالنار ، وذبح وأحرق 6 0 0 رجل
وامرأة وطفلى
. ديمصنوا عبرة اسشعب همجى نصف متوحش]) 2
قد !كون " فرانسوا " مغاليا في تقدير عدد الضحايا لكم هذا المشهد "
كان
يقع مرارا وتكرارا ويصف الكولوني!! " لوجيه " مشهدا منها في يومياته
فيقول في
سيدور (4 1 يوليو) : وصلنا إلى فرية " نكلة " ، وكانت فرقتا " 26
"بون وفيالط
تعملان فيها النهب والسلب ، وأحدثت صيحات الرجال وولولة النساء
ضجيجا
رهيبا . وتسلقت النساء اًسطح منازلهن . وكلما رأين فرنسيا على صهوة
جواد نادينه
وأظهرن فجيعت!ثق بالتلوج خلفا واماما بطر يمسبهها بكلتا اليدين ثم
يختمن
شكواهن " بالتعديد " الباكي . كل هذا يحدث تحت بصر الفائد الأعلى "
. 24
ويقولط " هيرولد ا) : " ليس لدينا دليل على أن " بونابرت " كان
!يستمتع بأعما ا
الثأر أو الانتقام أو يمق!ثا فلا هو ببالقاسي ولا الرحيم . ولا هو بالوحشى
ولا الرقيق



محبنا السلطان

الفرق بين حملة لويس التاسع وحملة نابليون الأول ، أو بين الغزوة الصليبية وغزوة الثورة الفرنسية ، هو أن الثانية كانت تتمتع بقدرة هاتلة على النفاق
والدجل والادعاء . فلم يسجل التاريخ قط منشورا صليبيأ يتحدث عن الخير والنوايا

ولكن نابليون بعد أن أخمد مقاومه المدينة بالرصاص والسناكى والقتل والحرق .
لام بتوزيع منشوره الشهير . ولم يكن لدى المصرينن الذين بقوا أحياء من سكان
الاشكندرية حاجة إلى فراءة المنشور حتى لو أتيحت لهم الفرصة .. فقد كانوا يرون -
المهمة التحريرية رأي العين وليس من رأى كمن قرأ .. ولكن يبدو أن بعض حفدة
التراجمة " الذين استأجرهم كليبر ، والذين صاغوا الجشور بلغة " عربية ركيكة.
يحاولون الآن ، وبعد كل هده السنين ، التى عشناها ، في ظل ! الرساله الحضاريةأ
للغرب الاستعمار!ط ، يحاولون البوم الدفاع عن مهمه اجدادهم باعطاء أهمية خاصة

ولنلق نظرة على هذا الطراز الرفيع من الدجل حتى يمكن ان نناقتر الطراز غير

الرفيع الذي يتعرض له تار!ئخا في

بسم الله الرحمن)!

. " لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه "
وهكذأ نرى التخلى عن رسالة تحضيرنا منذ السطر الأول . فأوأ! دقاء بيننا ، بين
ا إخرب " العلماني " يبدأ بالبسملة ! بل ها هو نابليون يحاول أن ينفذ إلى ضمايرنا
بإشهار إسلامه ! والنص بالنمات على أن الله لا ولد له!

صت طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية . السر " عسكر الكبير
أصر الجير ش! الفرنساوية بونالبرته . يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد
الصتاجق الذين يتسلطون في إلبلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحقار في حق الملة
الفرنساويخة ، ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء ؟ التعدى . فحضر الان ساعة عقوبتهم.
وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة الممالك المجلوبين من بلاد الابازة
والجراكسة يفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد في كره الأرض كلها.
ق ما رب العالمين القادر ءلى كل شىء فإنه قد حكما على انقضاء دولتهم . يا أيها
المصريون فد قيل لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب
صرخ فلا تصدقوه . وقولوا للمغترين إننى ما قدمت إليكم إلا لاخلص حقكم من
يد الظاليت . :اننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه تعالى وأحتر م نبيه والقران
العظيم . وفرلرا أيضأ لهما إن جميع النا 3! متساوون عند الله . وإن الشىء الذي يفرفهم
صت بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط . وبين المماليك والعقا ليالفضائل
تضارب فماذا يميزهه كن غيرهم حتى يستوجحوا آن يمتلكوا .!ر وحدهم ويختصوا
بكل شيء أح!ص-ت فيها من الجواصى الحسان والخيل العتاق

والجربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنساويه هم أيضاً مسلمون
. مخلصون
وإثبات ذلك انهم قد نزلوا في رومية الكبري وخربوا فيها كرصي البابا
الذي كان
دائما يحث النصاري على محاربة الإسلام . ثم قصدوا جر-وة مالطة
وطرثوا منها
الكواللرية الذك كانوا -نرعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة
المسلمين . ومع ذلك
الفونساوية لط كل وقت من الأوقات صاروا محبين نحلصين لحضرة
السلطان العثمالمط
. " وأعداء أعدائه أدام الله ملكه
وهكذا نرى أن التروة ا!ارية لم تكف هط بتمنق إسلامنا . ب!! حاولت ان
تثير
فينا هشاعر الحرب الصدي!هة هن جديد بتليهرنا بعداوة الصلن (الاخر-
فى)
والتحبب إلهنث بقتل النمارى وتحيريب كرمي " البالا " " الذي كان دائماً
يحث
النصارى على محاربة الاسلام " ! ! لم يفهم - فى الطرقى - انزال
الفصاص بفرمان
! " هالطة ، " الد-فى كانوا نرعمون أن االه يطلب نهم هقاللة المسلمين
: نتابع المنشور
ومع ذلك إن المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان كير ممتثلين لأمره "
فما اطاعوا
أصلاً إلا لطمع انفسهم . طولى ثم طولى لأهالمط مصر الذين يتفقون
معنا بلا تأخير فيصلح
حالهم وتعلى مراتبهم . طولى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غر
مائلين لأحد
الفريقين المتحاربين . فابا عرفونا با اض تسارعوا إلينا بكل قلب لكق
الويل ثم الويل
للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلى
. الخلاص
.ولا يمقي منهم أثر
المادة الأولى . : جميع القوي الواقعة في دائرة قري!ة بثلاث ساعات عن
المواضع
التى يمر بهث عسكر الفرنسثوية . فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر
من عندهث
وكلاء . كيما يعرف المشار إليه أنهم أطثعوا وأنهم نصبوا علم الفونساوية
الذي هو
.ءبيض وكحلى وأحمر

.التى تتبع المماليك . وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدفى شىء منها
المادة الخامسة ؟ الواجب على المشايخ والعلماء والقضاه والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم
وعك كل أحد من أهالي البلد أن يبقى في مسكنه مطمئناً وكذلك تكون الصلاة
قائمة في الجوامع على العادة . والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه
تعالى لانقضاء دولة المماليك قلأللين بصوت عثل : أدام الله إجلال " السلطان العثمافي
أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى . لعن الله المماليك وأصلح حال الأمه .المص!هـية
تحريراً بمعسكر الأسكندرية في 13 شهر سيدور سنة 1213 من إقامة الجمهور
. القرنساوي يعنى في اخر شهر المحرم سنة هجرية اً هـبحروفه "27
وإذا كان نابليون فد وجد في المنشور " دجلأ من أعلى طراز " ، فلعله على حق
باعتبار تاريخ صدوره . ولكن هذا الدجل أصبح مألوفاً في كل غزوة استعمارية على
الطراز الغرلى . بل نكاد نجد نفس الألفاظ ، وذات اللغة الركيكة في المنشورات
التى وزعها عدوان 1956 على بور سعيد ... وفي بيانات " جيش الدفاع " العدوافي
!الاسرائيلى . التى تمتاز بلغتها الأفضل
وما من مؤرخ جاد يتوقف عند مثل هذه المنشورات أو يحاول آن يستشف سنها
تطورات أو يتعرف منها على النوايا الحقيقية للمستعمرين . فهي ليست أكثر من
دجل . وأهميتها التاريخية افها تعكس مستوى فهم مصدريها لعقلية واتجاهات ،ميول
الموجهة اليهم هذه المنشورات . وغالبا ما يكون هذا القهم خاطئأ وفاصرا .
على أية حال فإن نابليون كان يعتقد أن غزوه لمصر يمكن أن يغ برضاء الباب
العالي ، أو على الأقل يمكن لهذه الغزوة ألا تثير غضب السلطان أو تسبب عداوته
لفرنسا ، فقد فكر فعلا في إرسال " تاليران " لإقناع الباب العالي بأن فتح مصر

ص ،س أقي " مو ر هبد " و هذا ألاد الدى اعده لابليرن تجل كز، مـصص ع بمد تحها هـهـ: أ س

ولعلها أول مرة تجبر فيها السلطة العسكرية ، القرى المصرية ، على رفع الصنجق
العثمافي ، ولا نظن انه رفع في الريف المصري ، على نحو جدي فبل الحملة الفرنسية.
فمنذ حملة حسن باشا القبطالط ، كان هذا هو أول تذكير عنيف للمصرينن بأنهم
يتبعون الباب العالي!
أما ما هو تأثير هذا المنشور في المصرينن فالثابت ان الجماهير الشعبية لم تقبله.
ةل! هى فبلت أن تكون من المصريين ! الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم
وتعلى مراتبهم " ولا ! الذين يقعدون في مسكنهم مخير مائلين لأحد من الفريقين
. " المتحاربين . فإذا عرفونا باكثر تسارعوا إلينا بكل قلب
فعندما زحف " علم الفرنساوية " الذي هو " أبيض وكحلي وأحمر " وقف
المصريون ينتظرون أن يؤدف المحاليك دورهم التاريخى الذي نالوا بموجبه حق نهب
وسلب مصر .. ألا وهو القتال عن مصر ضد الغزو الإفرنجى . وتفرغ العامة

ويشهد (ا هيرولد " للعامة المصرينن بأنهم بذلوا أقصى جهدهم ، في حدود
المقاومة المسموح لهم بها فى ظل احتكار المحاليك لمهنة السلاح : " . يشهد " هيرولد
لو كانت المعارك تكمسب بالضجيج أو كان في الإمكان نقل " الحيرة والاضطراب
صفوف الاعداء ، لكثن للمصرينن تفوق حاسم على الفرنسيين !31

ب- مم المالغة والإسفاف الخث رق في القاق ، وهو أصلو! صار سالولث لئعر! العالم أجمع في اللحاية السياية في القرن
الحالي " (28) . وبرى ألى بذرة الصدق الوجدة لي مذا البيان هي أن لابون كاد بمتقد في هده

ولا شك أد " هيرولد " قد اصوحى ملاحظته هذه ، عر عدم جدوى الصياح ، من تمليق الجبرقي " الدى اشفد
الصياح لقرله : 9 وكا!حمم يقاتلرن ويحارلرد بصباحهم و حلتهم فكد العقلاء س الاس يصرخرد علبهم وبامروحمم لترك
دلك ويقر!رد لهم إن النصول والصحالة والمحاهدبر إنما كالرا يقاتلرلى لالص والحراب وضرب

وفبلوا بعد ذلك العمل تحت حماية الفاتح الجديد .. حمل العامة مسئوليتهم ، وسجلوا
.صفحة رائعة في سفر المقاومة العربية ضد الغزو الأورولمط
أما تأثير المنشور في " النخبة " التى تتعرض الان لحملة افتراء تدن في وطنيتها . .
فلا شك أن الجبرفط هو خير من يعبر عن مشاعر هذه النخبة التى لم تتردد لحظة
" واحدة في تحديد موقفها ، واختيار معسكرها ؟ سنرى ، ويرى أ مورهيد :
وأما حديث الفرنسيين الـورى عن الحرية والاخاء والمساواة ، فلم " يكن في نظر
المصريين ، إلا شقشقة لسان . وتلك حقيقة كان على " بونابرقي " أن يتعلمها عملياً
على يد المصرين . فالاتمة المصرررن والشيوخ الدينيون - الذين حيرهم وأثار ارتباكهم
واضطرابهم شىء كثير مما أبداه الفرنسيون في حملتهم - لم يخدعوا دقيقتين اثنتين في
حفيقة ذلك ألاعلان الذى نشره " بونابرت ! زاعما أنه ما جاء بجيوشه إلى مصر
إلا ليخلصهم من نير المماليد . إذ أدركوا ببداهتهم السديدة ، أنه إنما يريد انشزاع
السلطة لنفسه ، ولذلك ضنوا عليه بالصدافة والتعاون ، فلم يستطع أن يقيم ما يحلم
به من مشاركة المصريين للفرنسيين في أعباء الحكم والإدارة . فلم يكن في !بصعة
المصريين - إذ ذاك - أن يتعاونوا مع حاكميهم الطغاة ، بل كانوا يوثرون أ ن

أليع! من المشين ضاَ ، أن يكون هذا الفهم متوافرا لكاتب غرد ، بينما يصدع
بعض المصرون والعرب ، مهووسنا بالحديث عن الدور التثريخي للمنشور

* ر!ئع ! تحفظ مرريد : " (ذذال ، . وليها لطئه أن هدا الاصلر! لم يتر ، مر حا!
.الحماهير على الأقا
وإلى كان قطاع كبير من المثقفين - لأسبا! شئـرحها سمبلأ - قد تعى إل الحد "لدى

و-تن اتار تعاون المصريين مع المحتلينأ
أما الجبرلمط ، فرأيه سسء في المنشور ، إذ يصف موزعيه وحملته
بائهم " جملة من
الأسارى الذين وجدوهم في مالطة ، ومعهم منه عدة نسخ ومنهم مغاربة
وفيهم جواسيس
. وهم على شكلهم من كفار " مال! " ويعرفون اللغات "32
وقد أثبت الجبرقي نص المنشور " بحروفه " ولم !لق عليه اص من هذا
الوصف
المشين للذين روجوه ووزعوه .. والذي يغني عن التعليق . ولكن رأي
الجبرقي في
هذه المنشورات بصفة عامة ، سنتعرف عليه لعد قليل ، وهر لا يخرج عن
رأي
.نابليون ومورهيد ؛ أي دجا! وتغروو
آما الرافعى الذي تتمزق تحليله تحت وطأة تناقض مزعج تنن " تطرفه "
الوطني
ومثاليته ، ولين تأثره - في نفس الوقت - بأفكار وخرافات المدرسة
. . الاستعمارية
: فهـو يرى
أن فكرة إنشاء حكومة أهلية من المصريين هي أظهر ما في المنشور "
من الوعود
التى اراد أن يجتذب بها قلوب المصريين ، والواقع ان نابليون في هذا
المنشور قد
استثار الروح القومية المصرية 331
وبالطبع نحن نرفض هذا المفهوم لأننا نعتبر ان الغزو هر الذي استثار
الروح القومية
لا المناسير والوعود الجوفا ولا شك أنه توسع شد!د في تفسر العبارات
أن نقول
ان المنشور يعد لابشاء حكومة أهلية من المصرتين . ولكن الرافعى لا
تفوته الإشارة
إلى نق! هامة د المنشور تغفلها المدرسة الاستعمارية في تعليقاتها
وهي : " آن منشور
نايليون مع ما فيه من الوعود والعبارات الجميلة قد حوى مبدأ التهديد
والوعيد وإنذار
المصريين باسهدافهم لآشد أنواع الآذى إذا هم لم !ذعنوا للحكم الفرنسي
، لان
إنذاار القرى لاجراقها بالنار إذا هى خرجت على الجنود الفرنسية أمر لا
يتفق والقواعد
الإتسانية في معاملة الشعو! ولم نر فى منشورات نابليون للايطاليين
أثناء حروب

"

بقى !) ويستنتج الراصئ آن إشفاع نابليون وعيده بتهديده " وإنذاره الرهيب " كان
وحده كافياً ليصرفهم (أي المصرتنن) عن الاطمئنان لوعود نابليرن . 9 وفد أورد
رييو " في كتابه منشور نابليون وحذف منه هذه المادة واشار إليها " اسارة حمهمة،
ولعله تعمد حنفها ليكغ عن القارىء مبلغ ما فيها من القسوة والخروج عل قواعد
. الحضارة والإنسانية 341
وإن كان الرافعي يتفق معنا ، ولو عل لهيب حرق القرى المصرية ،. والعقوبات
الجماعية ، في أن منشورات نابليون كانت عاجزة عن اقناع المصرتنن بأي مضمون
تحرري إزاء ما يلمسونه بحواسهم الخمس من سلركه الاستعماري البربري . الا أننا
لا نعتقد ان القارىء الأورود كان سينزعج كثيرأ اذا ما أثبت " رييو " في كتابه
نص الإنذار أو أنه انزعج فعلا عندما قرا في مصثدر أخرى تنفيذ الوعيد . لأن
القارىء الأورو! كان قد اعتاد منذ القرن السادس عشر ، ومنذ أن انتصر الإنسان
الأورولى عليإ إنسان العالم الثاك .. اعتاد الإنسان الأبيض حرق وإبادة هذا
الانسان الملون . واعتاد اعتبار أي تنكيل ينزل به غير مخالف للقيم الانسانية بل
.بالعكس جزءا من رسالة الرجل الأبيض الإنسانية
اما عن الذين أصدروا المنشور فقد رأينا كيف اعتبره نابليون : " قطعة من
الدجل " وكنب المندوب البحري جوبر الى وزير البحرية " لعلكم أيها الباريسيون
تضحكون حين تقرأون هدا المنشور الإسلامي الذي وضعه قاتدنا الأعرا ، ولكنه
لم يعبأ بكل سخريتنا من المنشور لم 3 فلنترك اذن الدجل الذي هو من أعل طراز ،
ولنتابع سلوك الحملة الفرنسية الذي لا يختلف كثيرأ عن سلرك سائر الفزاة الا فيما
أضاخط الحضارة الحديئة من وسائل إتقان القتل الجماعي والتنكيل بالشعوب التي
. لرفض الاحتلال
وبعكس صدق التوقعات السيئة للشعب المصري عن سلوك الفرنجة

يكتب إلى حكومة الإدارة : " هذه الامة تختلف كل الاختلاف عن الفكرة الى
. اخذناها عنها من رحالتنا . إخها أمة هادئة باسلة معتزة بنفسها "36
ويكتب أخوه : " إن في الشعب رباطة جأ!ق مدهشة ، فلا ثىء يهزهم ، وليس
الموت عندهم ث! من رحمة عبر المحيط عند الرجل الانجليؤى .. أما طلعتهم فمهيبة.
وسحننا نحن ، حتى أقواها وأبرزها ملاع ، تبدو كوجوه الأطفال إذا قيست بخهم " *
وتمكن نابليون م!ت شق طريقه إلى المدينة ، بفضل التفوفت الساحق لقواته . وتدخل
الضابط التركي صاحب الخروفين ، والمعجب بالمنشور ، لاقناع الاهالي ، رعية
سلطانه ، بعدم المقاومة والاستسلام للغزاة الجدد .. فحمل رسالة نابليون التهديدية
ألى الشيوفي وأعيان المدينة .. وحضر هؤلاء لتسليم المدينة وحلف يمين الطاعة . وبينما
ايسسلم الاعيان بمساعي المندوب الثركي في الصباح ، تأخر استسلام 9 "محمد كريم
.ألى ا!يوم التالمط . وثبته نابليون في منصبه كحا آ للمدينة
ولكن " تحمد كريم " لم يضمر أية نية للتعاون أو الاستسلاء . كان ذلك واضحا
قي ملامحه التى اسش!ف تثا " فيفان دينون " : " تبينت في التعبير الذي ارتسم على

ويخطىء " فيفان دينون " مرة أخرى في فهم الروح الإسلاميه ، والصلابة المصر يد
فيضت أن رفض " تحمد كريم " ينبعث من مجرد سوء تقدير لتفوف الغرب المادي ،
فيفسر ملامحه الخادعة هذه با"نه " لم يكن قد عرف بعد مدى موأردنا ولا زا"كد
من أن ما وفع لم يكن نتيجة تهويش فقط . ولكنه حين رأى ان 0 0 0 ، 30 جنا-لى
و.!دفعي!ثم قد أنزلوا إلى البر ، لم يأ ا! جهدأ في الالتصاق ببونابرت ، إ لم يبرح لمجقر
القيادة ء وكان بونابرت قد ذهب إلى فراشه " ومحمد كريم " لا يزاصا فى الحجرقي
. المجاوره)371
هكذا ظن " فيفان " وربما نابليون نفسه . ولكن الحقيقة كانت نحالفة

وبدأت قوإت " نابليون " تشق طريقها إك القاهرة وسط " شعب معاد
متعصب ، عديم الثقة ، سهل الانفعال "38 (؟ يصفه مؤرخ غرلى يعيش
ويكتب
قي الستينيات من القرن العشرين . ورغم معلوماته المدهشة في
وفرتها وصدق
معظمها . إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من مفاهيم الحضارة ا اخربية
وصليبيتها وميراثها
. (المعادي
ورغم المنشور الاسلامى الذي وزعه نابليون ، فإن استجابة البدو لنداء
مشايخ
القاهرة ، كانت أقوى وأفعل ، فقد بادروا إلى قطع مساوماتهم التجارية
مع جيحق
نابليون ، فور تلقيهم أمرأ بالجهاد من مشايخ القاهرة ، " وبدأوا يطاردون

ويبو أن ظروف الزحف القاسية عبر الصحراء وفي فصل القيظ ،
وبالذات في
الشهر الملتهب (يوليو) كانت تغري أفراد الجيش! بالتخلف قليلا ،
أو التباطؤ في
السير .. وكان بعض هؤلاء المتخلفين يقع في أسر قوات البدو
المطاردة ، كرها دون
مقاومه جادة من جانبه ، فقد كان لدى اسريه ماء وغذاء ، وكانوا

ولمواجهة تفشى حالة الرغبة في الاسر هذد ، عمدت القياده إلى تروج ،
أو إلى
تضخيم أنباء تخيف بها غلمان فرنسا الذين جندهم نابليون وجاء يفتح بهم
. الشرق
كانت هذه الا"نباء المروعة تتحدث عن ممارسة البدو اللواطة مع
الأسرى من الجنود
الفرنسيين . نفس القصة التى سيحكيها لورنح!ر بعد ذلك بقرن وربع
قرن ، ولكن
عن افي! التركى ا دون أن ينجح ذلك في وقف ولع المستشرق!ن
! بالشرق
وحتى لو ك!حت هذه الروايات التئ يهخ بها -ويا للغرابة - مؤرح
امريكى ، اهتماما بالغأ . وفي عام 1962 ! .. بل ويفسرها تمسيرآ يتسم

ولا ندري بماذا يفسر ر جود 13 مليون لوطى في الولايات المتحدة ، لم يذوقوا لبن
! الابا! طوال الفترة التى عاشها إنسان الغرب على ظهر هذا الكوكب ؟
على أية حال - وبمقاييس الحضارة الغربية - كان هؤلاء البدو يسبقون رفاق
ا اصسلاح ال*مريكيين باكثر من فارف القرن ونصف القرن الذي عبرنا به نف!ص! الكاتب!
أو كانوا في نفس المستوى الحضاري لنابليون الذى يروي عنه (هيرولد " آنه انتهر
جنديا أسيرا غلبه التا"ثر وهو يروك! ما فعله به البدو . فانتهره نابليون قائلا : " وما
يبكيك .. أهذا كل ما تثير حوله هذه الضجة أيها الغبى ؟ لقد دفعت ثمن إهمالك.
وكان يجب أن تلزم وح!تك . والآن كف عن البكاء وأجب عن أسئلتى " 40 .
واستنكر نايليون عفة أحد الرماة الفرنسيين الذمم! اتر الموت . ولا شك أن نابليون

ان صحت ادعاءات الفتيان الفرنسيين - ضباطا وجنودا - عن معاملة: البدو
لهم ، !ى تنتقص من ادعاءات المدرسة الاستعمارية التى يقول تلاميذها إن احملة
الفرنسية أحدئت انقلابأ جنسيا في مصر ، فنقلت اهتمام المصريين من " الغلمان إلى
النساء "به! (إ !)
إن هذا الادعاء يتهافت ، فلو صحت الروايات الفرنسية ، لكان لنا أن نفترض
آن (ا اللواطه. " قد شهدت موحما من ا!ثر مواحمها رواجأ وازدهارا مع الاف الفتيان
الفرنسيين يبكون وهم يحكون مغامراتهم في خيمة البدو .. " وسر عسكرهم " ينهاهم
. " عن الأسى والأسف على مثل هذه " الأمور البسيطة
على أية حال سواء اص!ن استجابة لنداء الج!اد أم طلبا للبشرة البيضاء في جنود
الئوا-ة الفرنسية ، فقد استمرت مطاردة البدو للجيش الفرنسي ! طوال الطريق من

ء ؟ نتاهی لوبمر

لأنهم ماتوا من ضربة الشمس ، أو آرادوا الموت . (أما الذين ظلوأ عك
قمد الحياة
. فقد قتلهم البدو أو ألسروهم "42

وكان اللقاء الأول بين الجيش الفرنسي وقوات المماليك الرئيسية
عند شبراخيت.
ورغم ان نابليون قد أمر بعزف المارسيلييز : " لأنه كان عليماً
بتأثيره في الجنود فهذا
النشيد الرائع يثير شجاعة الجند ويلهب وطنيتهم "43 0 إلا أن
الذهب والجواهر في
ملابس المماليك كانت أقوى تأثيراً من المارسلييز في إلهاب
حماسة جبش التحرير
الفرنسى . فما إن رأوا فخامة ثياب المماليك واكتشفوا مدى الثروة
التي يحملونها
معهم في ميدان القتال حتى الهت حماستهم للفوز بها : " ومن تلك
اللحظة صمموا
. على الظفر بهذه المفانم من أعدائهم 44
وبالطع لم تقتصر حماسة جيش التحرير على نهب المقاتلين وسلب
جثثهم ، بل
واصلوا مهمهم التحضصرية حيثما اتيحت لهم الفرصة.
وكان م!م الضباط قد استسلموا لما !قوم به جنودهم من أعمال "
النهب
والسلب لأن نظام اممو! انهار فعلأ . وكان الضبثط العاجزون عن
النهب ، يرقبون
رجالهم في ضيء من الحسد وهم يشوون ما سرقوا من حمام
. ودجاج وضاف " 4
وكان اللقاء الئاق بين الشرق في ابشع صور تخلفه ممثلا في مراد
بيك ، والغرب
. في قمة تفوقه ممثلأ في نابليون ، عد امبابة ع
فقد جاء مراد بأومام الشرق عن قوة الفرب ، التي زصعتها بدون
شك أنباء
المعارك التي سبقت امبابة .. ولكن الوقت كان متأخرا جدما ،
للندم على ضحكته
التي آطلقها عدما حذره قنصل ا!سا من احمال غزو فرنسى ،
: وكان رد مراد
ماذا تر!د من إخاخنا من الفرنسيين ؟ أليسوا اشباه الخواجات "
الذ!ن نراهم بيننا؟

ويعلق (مورهيد " : على غفلة مراد التاريخية بقوله : ! و لم يكن " مراد بيك!
وحده في الانسياق إلى هذه الاوهام ، فقد انقضت قرون طويلة على ان!هاء الحروب
الصليبيه بالفعل ، وقد استقو في أذهان الناس - في طول الامبراطورية العثمانية
وعرصها - أن اولئك المسيحبين الغربيين محاربون فاشلون ، وأن قيادتهم لا خبرة
لها بفنون القتا(، . وقد لخص الاستاذ " توينبى " الموضوع بوضوح شديد ، حين
فال " إن المفارقة الحريفة في المرضوع كله ، أن الفرنسيين كانوا - في الواقع - فد
هبطوا مصر مق قبل بنية غؤوها ، وذلك في القرنين الثافي عشر والثالث عشر في
زمن كانو! فيه أدق مرتبة من الشرقعنن من حيث الحضارة العامة ، وصت حيث إجادتهم
لفن القتال . فالفارس الفرنسي في العصور الوسطى كان صورة ممسرخة - وأقل
خبرة وبراعة - من الفارس المملوك ، ولذا حاقت به الهزيمة المرة عندما اقدم على
مواجهة المماليك في ساحة القتال . ورجع عن عزمه عن غزو مصر . واعتبر التفكير
ي دلك مخير مجد * وقد ظل المماليك مدة خمسة قرون ونصف قرن على حالهم (فيط
عدا انهم تحلوا عن فسيهم المجلوبة من اسيا الوسطى ، واستخدموا البنثدق الانجليزية
الطويلة) وقد خئل اليهم - بطيعة الحال - ان الفرنسيين لم يتغيروا إلا بمقدار ما
تغيروا هم انفسهم . ولذا فابهم عندما حمعوا بأن نابليون اجترأ على النزول في
الاشكندرية ، حصبوا أنهم سيذيقونه ما أذاقوه من قبل للقديس لويس ا لويس التاسع
م) وهكذا ركبوا خيولهم وهم خليو البال ، وانطلقوا وفي نيتهم أن 12!9 يطأوا
. الغزاة تحت سنابك خيولهم أ 47
كاف مصر غير متاهبة إطلافاً لصدمة قىول الجيوش الفرنسية على " ارضها.
ولم يكن لديها سبيل لمعرفه أن هذا الغزو لا يشبه في شىء اًى غؤو حبث للبلاد

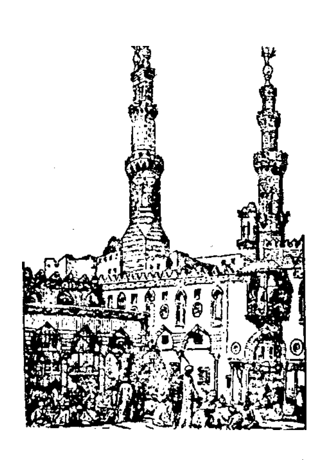
ء

وارتكب " مراد بيك " كل الأظاء الممكنة ، ولو أن نتيجة المعركة - ؟
-رأينا
كانت مقررة سلفأ (رغم اعتراضات مكلولد) بين . . . " 25 جندي
فرنسي،
وأقل من ر!هم من القرسان المماليك .. لم ككن نابليون بحاجة إلى
مربعات ، كان
لدول من الجنود ما ككفي لعمل مربع فرنسي حول كل فارس مملوكي.
وسحقت ترة الممايك بملية عسكركة سهلة ، تخللتها بض بطرلات من
اخر
فرسان المصور الوسطى.
وعكف جنود " دفيه ورينيه " -؟ يقول " هرولد " - على تجريد جثث
الاغداء المهزومين وسلب ما تحمله من غنيمة ، وقد " ظفر الملازم
ديفرنوا بعمامة
صفراء مصنوعة من الكشمير ، واكئر من خمسمائة قطعة نقود ذهبية
مخيطة ني
طربوتق عمامته (عمامة المملوك الذي استشهد) وسيف رائع رصع
غمده وطرف
مقيضه بالذهب ، ومقبضه مصنوع من فرن الخرتيت ، وسلاحه من
الصلب
الدمشقى 491 كل هذا كان مع جئة مملوك متقدم في السن ، أبيض
اللحية قاتل
ببطولة أو بعبارة أدق اندفع إلى الذبح داخل صفوف الفرنسيين ببطولة
أدهشت جنود
الثورة الفرنسية ، وهم يندفعون من طوابكلمبم لتحطيم رأس المملوك
الشيخ الذي كان
فنحف على يديه وركبتيه ولحيته تكنس الارض بعدما سقط جواده وأصر-
هو
على الاندفاع داخل المربعات الفرنسية لقتل " ديفرنوا " وعرقلة "
تحرهـ" مصرأ
رعكف الجنود في الأيام التالية للمعركة على تصيد الجثث من النيل ، "
وقد
وجدوا مع كثر فها 0 20 - . .3 فطعة نقود دهبية . وكان! الأجسام العارية
تقذف ني الماء ثانية بعد بحريدها مما تحم! ،، تنقل نبأ هزيمة المماليك
إلى البحر
. المتوسط ه
ولكن الجثث العارية المسلوبة المنهوبة دون أى احترام للموت ، كانت
تنقل أيضاً

* هل يكون هو أكرب بك

أما في القاهرة حيث كان اتجاه النيل لا يسمح بوصول الجثث . فقد كان
الإحساس بالكارثة لا يقل عن إحساس القرى الممتدة من الاشكندرية
إلى امبابة والتى
أممعدها الحظ برؤية الراية المثلثة الألوان . كان المصريون العايدون
إلى المدينة " في

غ!
-ح!،.س!
ص!ججح.؟ر،///إي!
ت
!ي!لإزز؟حز يت!!



إ فص!ا!الف
!اور
وأ!ولص



الدحال يدخل

لاشك أنه من دلائل الانهيار العام لواقعنا ا الحاضر أن أمتنث لم يتح لها " جبرلمط"
معاصر ، يؤرخ معاركنا المصيرية .. فلو أتيح لنا هذا " الجبرقي " لما اختلفت ملاحظاته
عن دور الجماهير اليوم ، عه، سجله سلفه منذ مائة وسبعين عاما!
وإذا كانت جماهير حرب 1967 لم تضطر للخروج إلى سيناء والجولان والضفة
الغوبية لتتبع أنباء المعركة التى تقرر مصيرها ، فلم تكن بحاجة لذلك الخروج بفضل
التقدم التكنولوجي الذى أتاح لها منابعة الاثباء من مقاهي القاهرة ودمشق وبلاجات
الأسكندرية واللادقية بواسطة الترانزستور .. بيما تولت الإذاعات مهمة الصياح
والدعاء ! .. أما جماهر معركة " الأهرام " ، فكانت مضطرة بحكم تخلف العصر،
ألى الانتقال تنفسها والخروج ألى " بولاق " لمتابعه المعركة ، و لم يفكو أحد فى تجنيدها

الجبرقي " يصف لنا ما هى واجبا! العامه عندما أعلن النفير" العام .. ويجب
أن نتحلى بالتواضع ، فلا نسخر من أجدادنا ، إذ أن إعلان التعبئة العامة اليوم في
أى بلد عرثط ، لا يفرض على العامة اكثر مما فرضه النفير العام الذى أعلنه ابراهيم
بيك والطرابلسي باشا ونصوح باشا منذ مائة وسععين عاماً!
نادوا بالنفير العام وخروج النا 3! للمتاريس وكرروا المناداة بن! "

طوائف أهل ا ا!ناغآسف يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون
في مكان خرتب أو مسجد و-رتبون لهم قيماً يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم
.التى جمعوها من بعضهم . وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الاخر
ومنهم من يجهز جاعة من المغاربة او الشوام بالسلاح وا اخلى وغير ذلك (كالتبرع
والحماسة اليوم للفد 6لون الاخرين !) بحيث إن جميع الناس بذلرا وسعهم وفعلوا
ما في قوتهم وطاقتهم (ا) وعحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح في ذلك الرفت
. " أحد بشىء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر 1
وحتى يومنا هذا مازالت العامة تشكو من عدم إسعاف الدهر ، رغم ما يبدو
لهم ، وكأنهم قد بذلرا كل جهد ممكن لاستعجال هذا الإسعاف وتوفير !يثروطه
وخرجت الفقراء وأرباب الأشارر بالطول والزمرر والأعلام والكاسات " وهم
يضجون و!يحرن ويذكرون لأذكار نحتلفة . وصعد السيد عر افندّى نقيب
الايثراف إلى القلعة فأنزل ما يكلقاً كبصأ اعته العامة البكلق النبوى ، فنشره بين
يديه من القلعة إلى بولاق . وأمامه وحوله ألوف من العامه لالنبابيت والعصي لجلون
ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم البول والزمور . وغص ذلك . وأما مصر
فإنها باقية خثلية الطرق . لا تجد بها احدا سوى النساء في البيوت والصنار وضعفاء
الرجثل الذ!ن لا !درون على الحركة فاخهم مستترون مع النساء في بيوضهم والأسواق
مصفرة والطرق مجفرة من عدم الكنع! والرش " . ويمضي الجبرقي فيعينا صورة
معاصرة في كل تفاصيلها : " وغلا سر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل البارود
بتسعين نصفاً والرصاص بتسعين وزر جنم! أنواع السلاح وقل وجوده وخرج
معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق وجلسى صثايخ العلماء بزاوكة على بك

* ومما كان اخفاء هذا الآخر هو الطرر لوحيد

ورسم لهم أن يكونوا في المقدمه بنواحى شبرا وما والاها . كذلك اجتمع عند مراد
بي! الكثر من عرب ا!بحصة والجيزة والصعيد والخبصيه والقيعان وآولاد على والهنادي
وغصهم + وفي كل يوم !زايد الجمع ويعظم الهول و!يق الحال بالفقراء الذين
تحصلون أقوا!م يوماً فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد
. " وا-!3
وهكذا تمت التعبئة العربية التقليدية التي لم يخرج عنها " الكفاح " العرو حتى
اليوم . التعبئة التى تحشد الجميع للمعركة ولا تتيح لأحد أى دور حقيقى فى
، المعركة . التعبئة التي تتيع للجميع أن يصرخوا ، ويهللوا ، ويهتفوا ، ويتألموا
ويفسوا مق أجل المعركة دون مساهمة حقيقية في المعركة أو تحقيق أى نفع يخدم
المعركة . ورغم ارتفاع سعر السلاح والإقبال على شرائه ، وكسب تجاره لزوات
مفاجئة . فإن هذا السلاح لا يستخدم في العادة ضد العدو ، وبالذات في المعركة
ا!احمة حيث يتولى الجيعق التقليدى مسئولية القتال ، وتحقيق الهزيمة ، وحيث تحرصر
الأوضاع على إبعاد الشعب عق المعركة . أو عق الفعل الإيجار الوحيد المطلوب !
وهو : القتال ! بل إن هذا الابعاد لا يغ ساعة المعركة ، ولا في شكل قرار ، بل
- كنتيجة محترمة !سياسه طويلة الأجل تجعل الجماهير عاجزة - حتى لو أرادت
!عق تخطى حاجز السلبية
بل و!لغ إعادة التاريخ لنفسه مرحلة المهزلة ، عندما يحدتنا الجبرق عق اختلاف
المصرين حول الجهة التي ينتظرون وفوع الغزو منها أو قدوم الفرنجة منها ، مع أنه
لم يكن لديهم أجهز! رادار يمكن تضليلهاا
وتختلف الناس في الجهة التي يقصدون المجيء منها فمهم من يقول انهم واصلون "
من الو الغرر ، ومنهم من يقول بل يأتون من البر الشرقي ، ومنهم من يقول بل
يأتود من الجهتين . هذا وليع! لأحد من أمراء العسكر همة ان ييعث جاسوسا أ و
طليعة تناوشهم القتا! قبل دخولهم وقربهم ووصولهم إلى فناء المصر . بل كل من
ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ، ومكث مكانه لا ينتقل عنه . ينتظر ما يفعل
! ! بهم وليم! ثمة قلعة ولا حصن ولا شل . وهذا من سوء التدلر واهمال أمر العدو
وقد كان الظن بالفرنسيس أن لمأتوا من الرين . بل أشيع في عرضي إبراهيم بيك "
إنهم قادمون من الجهتين . فلم يأتوا إلا من البر الغرر 3 " (برضه !)

وإذا كان أمراء العسكر العرب ، لم يختلفوا كثيرأ في معارك 1967 ، عن أمراء
-العسكر المماليك في حرب 1798 . فإن الأمة فد اختلفت إلى الأسوأ - فكما قلنا
لم ينجب عصرنا " جبرقي " اخر ، له من دفة الملاحظة وصدق التعبير والإخلاص
ما يمكنه من تسب!يل الأخطاء ، ؟ سجل الجبرقي آخطاء الحاكمين ، أو طبقة المماليك
المنحلة : " ولكن الأجناد منحلة عز تمهم . نحتلفة اراوهم . حريصون على حياتهم
وتنعمهم ورفاهيتهم . نحتالون في ريشهم . معتزون بجمعهم . محتقرون شأن
عدوهم . مرتبكون في رويتهم . مغمرون في غفلتهم . وهذا كله من أسباب ما وقع
.مي. خذلا
. " كم وهزيمهم 4
، لا أظن آن محللأ ديالكتيكيأ معاصرأ يستطع أن يقدم تشريحا لطبقة منهارة
وجيش انت!ثى دوره كقوة مقاتلة ، مثلما فعل الشيخ الجبرقي الأزهري ، مما يؤكد
. . آن فهم قوانين التخلف ، وعوامل النصر لم تكن مستعصية على شيوخ الازهر
ولكن " لم يسعفهم الدهر " أ
والخلاف الوحيد الذى تسجله صورة الجبرقي ، عن الصور المعاصرة ، هو حالة
النهب والسلب التي سادت الإقليم المصري بفعل انحسار قبضة الدولة ، وتمركزها
.عند شاطىء النيل في انتظار زحف الفرنجة
والمعروف ان في الريف المصري طاقة هائلة مكبوتة بفعل أربعة الاف سنة من
السلطة المركز!ة التي تفرصها طبيعة النيل -؟ أشرنا من قبل - وهذه الطاقة تشبه
القازات انحزونة لاتحتاح إلا لثقب صغير من الانفراج لكى تتفجر .. ولأنها ليحت موجهة
فهى تتفجر في شكل أعمال تدميرية غالبأ . فما تكاد السلطة المركزية تنهار ، حتى
. . ينفجر الريف في أعمال عف جنونية
وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعفحهم "
بعضأ وكذاط! ال!هـب غارت على الا"طراف وا أضر احى . وصار قطر مصر من أوله
إلى أخره ك! لمحت! ونهب وإخافة طر!ق وقيام صر وإغارة إعر الأموال وإفسا!
المزارع
! ! زغير 6 لك مق أنوأع ا اغساد ألذب لا يحصى 3
و !ندما تمت أ!شيمة فر مراد بيك إ!! تمصر 5 (ؤ حيت قف!ق يع!ر ضمعا اسه في نحو
ربو! صماعة ء ثم ر!صب ،*هب إو، الجهة القبلية ، وبتهي! أ اعقلى واعثياب 5 الأمتعة

. " والأسلحة والفريق ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرجل 6
أما إبراهيم بيك والباشا وبقية القيادة فلم يتوقفوا إلا في العادلية في الطريق إلى
الصا!ية.
. " فلما استقر هناك " أرسل يأخذ حريمه وكذلك من معه من الأمراء
ومرة أخرى تصدمنث نفع! الصورة لسلوك هذه الجماهص التي تحشد على طبول
المعركة ، ثم لا يسمح لها بالقتال دفاعث عن وطنها ، فإذا وشت الهزيمة تكتشف أنها
تقف وحدها ثون اي تشكيل ءرعثها ، أو يدافع عنها ، أو يوجهها ، أو !ف معها.
فلا يكون امامها إلا " الهرب " .. " الهجرة " .. " النزوح " ... التحول الى
لاجئين . ولأن نف! العوامل ما زالت تحكم علاقه الفئات الاجتماعية بعضها ببعض،
فان صورة اللاجئين عبر المائة وسبعين عثما الماضية لا تختلف كثيرا عن مثيلتها يوم
: الثلاثاء الثالث من صفر 1213 هـ(يوليو 1798 م)
فأركبوا النساء بعضهن على الخيول ، ولعضهن على البغال والبعض " على الحمير
والجمال والبعض ماضى كالجواري والخدم . واستمر معظبم الناس! طول الليل خارجين
مق مصر البعض بحريمه ، والبعض ينجو بنفسه ولا يسال احد عن أحد . لل كل
واحد مشغول بنمسه عن أبيه والنه . فخرج تلك الليلة معطم أهل مصر . البعض
بلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم ا!ر وأقام بمصر كل مخاطر! بنفسه لا
يقدر على الجركة ممتثلا للقضاء متوقعاً للمكروه . وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده
وما كفقه على جمل عياله وأطفاله . ويصرفه علهم في العربة . فاستسلم للمقفور
ودئه عاقبة الأمور " . " وخرج اعيان الناس! وأفندية الوجاقات واكابرهم. ونقيب
الأشراف وبعض المشايخ القادرتن . فلما عثين العامة والرعية ذلك ائتد ضجرهم
وخوفهم وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم . والحال أن الجميع لا يدرون
أي جهة يسلكرن . وأي طريق يذهبون . وأي محل يستقرون . خلاحقوا وتسابقوا
وخرجوا من كل حدب !نسلون . وليع الحمار الأعرح او البغل الفعيف بأضعاف ،

فلما خرجوا من آبواب البلّد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا
متثعهم ولباسهم واحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صشدفوه ما يستر به عورته . او يسد
جوعته . فكان ما آخذته العرب شيئا كثرأ يفوق الحصر بحيث ان الأموال والذخائر
التى خرجت من مصر في تلك الليلة أضعاف ما بقى !ا بلا سك لأن معظم الأموال
عند الأمراء والأعيان وحريمهبم . وقد اخنوه صحبتهم . وغالب مسلأير الناس
واصحاب المقدرة أخرجوا أ!ا ما عندهم . والذي أقعده العجز وكان عنده ما تعز
علههم من مال آو مصاغ أعطاه لجاره او صديقه الراحل . ومثل ذلك أمانات وودائع
الحجثح من المغثربة والمسافرفى فذمب ذلك جميعه وربما خعلوا من قدروا عليه ا و
دافع عن نفسه ومتثعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن و!

وباخهيار القيادة الرحمية ، انبثقت قيادة جديدة من المشايخ الصفثر . باعتبار آن
المشايخ الكبار كانوا مع الخارجين ... أو يتعذر عليهم بحكم مكانتهم ان يبدأوا هم
الاتصال بالسلطة الجديدة . فاجتمع هؤلاء وتشاوروا وقرروا مفاوضة الفازي .
وسنرى ان دات الجماهير التي تصرفت على هذا النحر عندما سقطت قيادتها الرحمية،
أو حتى في ظل هذه القيادة .. ذات الجماهصر تحولت الى قوة مقلاللة متشبثة بأرضها
تعرف كيف تستخدم السلاح ، بل وتصنعه . وتواجه ذات الجيمثى الذي قابلته
بالصياح ، وفرت فور انتصاره .. ستقاتل من بيت إلى بيت ومن شارح ، إلى شارع
عندما تحمل هي مسثوليه الدّفاع عن وطنها . وستظهر قيادة جديدة من بينها،
وتقودها الى تحقيقه.
ودخل نابليون القاهرة واستطاع الدّجال البارع أن !كرر لعبه " حسن باشا
القبطان " فيحدث تأثيرا حسنا في الجماهص ، في اللقاء الأول . ففي الوقت الذى

ويشترون ما يحتثجون إليه بأغلى ثمن . فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها ئمنها
ريال فرانسه ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم .. واكان
بضائعهم . فلما رأي منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمائوا لهم وخرجوا إليهم بانكعك
وأنواع الفطير والخبز والبيض والدّجاح وأنواع المأكولات وغر ذلك مثل السكر
والصالون والدّخان والبن . وصاروا لبيعون عليهم بمث أحبوا من الأسعار وفتح غالب
السوقه الحوانيت والقهاوي " 8
لا شك أن هذا الاسلرب أفضل من مطاردة الفلاحين وتفتيم! البيوت بحثا عن
الطعام .. وبعد يومين فقط سيدفع المصريون العملة التى تكفى لكى يشتري جنود فرنسا
نقدأ .. وحيثما لا توجد عملة ، لن يتردد هؤلاء الجنود في اغتصاب ا!ام أو الإنسان
ذاته . وستتحرك المقاومة الشعبية في مواجهة هذا الغزو ، بالدّوافع القومية التي أشرنا
اليها ، وهي التي تحرك الأعم ، بفعل الفطرة السليمه ، لمقاومه الإخضاع لمصلحة
الغازى .. كا ستتحرك هذه المقاومة بدافع العوامل المباشرة التي تستثير نقمة الناس
.ويضعهم في مواجهه السلطة الاخنبية الغاكة
هب الشعب المصري يقاتل هن اجل فرصته في دا مسايرة الزمن " وذلك بالقتال
.صد الوجود الفرنسي في هصر
بدأء المقاومة " محمد كريم " الذى رفض أن يضع مصر في القبضة الانجليزية من
خلال عرض " نلسن " بالدفاع عنها . وقائل الفرنسيين إلى أن نفذت ذخيرته ، وأجبر
على الاستسلام ، ولكن ليدير من خلال منصبه كحا آ للمدينة ، أول حركة مقاومة
صية ساملة ا!سطاعت بتدبر " محمد كريم " أن تنزل خسائر موجعه بالفرنسيين
الغزاة . فعزل واعتقل وارسل مخفورأ إلى " نابليون " وهناك قررت العدالة الثورية
ان من يدافع عن وطنه يستحق الموت ، ولكن عدالة الحرية والإخاء والمساواة ،

أن يقول اشتروفي يا مسلمين أ بل الأحرى به أن يتوجه إلى الاعدام وهو يهتف
ثلاثاً بحياة مصو .. وحياة " الحركة القومية " أ ولأن " الجبرقي " . كان صادقا،
استحق من " الرافعي " التأنيب بل والتشكيك في مجرد شهوده للحث دثة ، بل ورماه
الرافعى " بأنه كان " مختبئا في منزله " رغم أننا لانجد أية نبرة استنكار في رواته
الجرقي " . بل (نه تتفوق بصدقه ، عل مؤرخ البورجوازية الذي قدم لنا ا!اثيل
المصقولة " لمصطفى كامل " " ومحمد فريد " كنبيين للرطنية ، كا

الجبرقي " كان آعر صدقاً ووعياً وانسانيه .. فهو يسجل الموقف " الوطنى.
ولكنه لا يهمل أبدا ولا يخفي الدوافع الفردية ، حتى الانانية ! ولا يرى عيبا أ و
تناقصاً لأيجبر ، او يجب اخفاؤه ، آن كون المصري وطنيا يعرض حياته للموت
في القتال ضد المحتلين ، ولكن .. !ذا وقع في الأسر بذل كل جهده لكي يطلق
مراحه . هذه قضيه تجرح عفة من كان محور تقديسه " لمحمد فريد " ، أنه هدد
زوجته بالطلاق اذا كتبت ا!اساً للخديوى بالافراح عنه . ولكن مذكرات " محمد
فرتد " حافلة بمواقف اص إنسانية .. او اع! ضعفا من وجهة نظر " الرافعى " . .
من صيحة : " اشتروفي يا مسلمين " . ولم يكن المسلمون وقتها بحالة تسمح بشراء
أحد أ فقطع الفرنسيون رأتر أول مسئرل مصري التقى بهم ، مؤكدتن بذلك انهم
جاءوا حقا لمشجيع المصريين على ممارسة الحكم .. ومثيرين طموحهم لتولي المناصب!
وفرضت سلطات الاحتلال إدارة جدتدة من المصريين لمدينه الأسكندرية . كان
من أبرزها " المسيري " الذي عينه كليبر رئيساً للديوان بعد تحطم الاسطول في موقعة
آ! قير " . وهو منافق من الطراز الرفيع جدا .. كان نموذجاً للقادة الذين تمحث
عنهم الفرنسيون ، بل وكل مستعمر . كان رائعاً في تمثله لروح العصر ..

المتعاونين " . ولكن قادة الشعب الحقيفيين كانت لهم وجهة نظر أخري .. فعندما
حمع نابليون المشايخ وأراد تكريمهم : " فلما استمروا عنده ضهض بونابرته من المجلس
وإ جع وبيده طليسانات ملونة بثلاثة الوان ، كل طيلسان ثلاثة عروص أليفى وأحمر
وكحلى فوضع منهث واحدا محلى كمف الشيخ الشوقاوي فرمى به الى الأرض واستعفى
وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه (حياهـالله ورضى عنه) فقال الترجمان يا مشايخ
أنغ صوتم أحبالا لساري عسكر . وهو يقصد تعظمكم وتشركفكم لزول وعلامته
فان !زتم بذلك عظمتكم العساكر والنتس وصار لكم فنزله في قلوبهم . فقالوا له:
ن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين . فاغتاظ لذلك وتكلم! للسانه.
وبلع عنه بعض المترجمين آته قال عن الشيخ الشوقاوي انه لا كصلح للرياشة وخكو
ذلك . فلاطفه لقيه الجماعة واستعفوه من دلك فقال إن لم !كن ذلك فلازم من
وضعكنم الجوكار في صدورآ . وهي العلامة التى يقال لها الوردة . فقالوا : أمهلونا
خى شروي في ذط! . واتفقوا عل اثني عشر كرما . وفي ذلك الوقت حضر اثخ!
السادات لاستدعاء ا لاحظ باستدعاء هذه) فصادفهم منصرفين . فلما استقر به
الجلو! بعز له وضاحكه ساري عسكر ولاطفه في العول الذي العرب الترجمان
وأهدي له "(أي نابليون هو الذي أهدي) خاتم الماس . وكلفه الحضور في الغد

وكان الفاق الجلبل بين الئيخ المكلكي ونابليرن عل سرى رفيع حقا ، ومفضرحاً للغاية في نضى ، الرقت.
الموكي ، !ت الرور في نضى الجد طبخ الرز الملرن . وتتدكله في ضكل الملم ا!رنس ا " ! ونابليون !كتب له
متيأ اليوم : " الذكلط سيضع فيه فظاما موحدأ مؤسسأ عل مبادىء القران . تلك المبادىء المحتة التى تكفل للناس
صادتهم " (9) . واذا كان " المكلى : هذا هر جد " المكلي : الأفاق الذى تال ان المسرح المفوى خرج من تحت
جبابه . وهر الذكلط تدم لمصعر اضهر ثلالة بوهيعيين او فل أناف!ت ، في تليخها الفني وهم : الخميس ، وزكر!ا الحجاوكل!

ثم في عصر ذ!ك اليوم نادوا بإبطالها من العامة وألزموا بعض الأعيان ومن يريد
الدخول عندهم لحاجة من الحاجمات بوضعها فكانوا تضعونها إذا حضووا عندهم
ويرفعوضها إذا انفصلوا عنهم وذلك أيثم قليلة . وحصل ما يأقي ذكره خم. اك ا*" ا ع

وقد استاء إمام المدرسه الاستعماركة** (الذي كان كل من ظهوره ومصرعه مثصا ا) استاء من موقف العثبيرخ هذا ، وعلق عليه بأن احرار أورولا كانوا يتخاطفون هذه الشار* وقها . نفمى الشارة الني ألقاها المشايخ على الأرض . وأنف الحامه المصريون من لبسها . ثم أخعوا بأن لبسها ليمى من المحرمات ، لأن لابسها م! 3 . . وأخكلا استخدموما كجواز مرور ، ولاتقاء شر " الحاكمين
أما نحن فنرى أن الحق مع المشاغ عل طول الخط ، وموضهم مفهوم على ضوء الحقيقة التي تعتبر الثورة ، أي ثورة أورولية ، غص قاللة لعبور البحر الأبيض مع سفن النزاة ، بل إنها. بمجرد هذا العبور تتحرل إلى غزو وسيطرة .
. . * * *كانت الثورة الفرنسية تمئل مضموناً محريرتا - لفترة ما - في كل أوروبا كانت عطم الاقطاعيات وتطق الفرصة أمام ا!و البورجوازي . ثم سرعان ما فقدت دورما التحرري هذا في اوروبا ذاتها ، واصبح عل البورجوازيات الأوروبيه أن تحمل السلاح ضد جيعش نابليون .
هذه المرحلة التحرورية في تاريخ الثورة الفرنمبعية لا وجود لها في الشرق ، لأن جيش نابليون كان يمثل الجانب الاستعماري من الثورة البورجوازية ، لا فرق بينه وبين جيش " كروموول " الذي خعح " أ!رلندا " ولا جيوش وحملات البرلمان الريطالط على شعوب العرق .. شارة الثورة الفرنسية عندنا لم تكن تحني إلا الاستعمار الأورولى، ومن ثم فان إلقاءها عل الارض هو رض! لشارة المحتلين ، رفض للتبعية ، رفض الانتماء إلى المحتلين ، تشبث بالذات ، وباستقلال هذه الذات .. و(صرار عل الانتماء لهذه الذات .. إصرار عل حق المصر-سن في إنجاز ئورتهم ،-! انجز الفرنسيون ثورتهم.
ه. ومأ با ر ذكره هر ثرؤ ا(قاهرة ، الي كانت من تاثجها الايجاية ، يطثل اجار المفر!ن عل حمل رهز المتحر.
صجي وجدة " مزلف محاب " في أمرل المالة المفركة " . صكرتو انحاد الصناعك " * الذى اغاله عرظف
مذا ادا ما يخا وجهثت ابظر الاخرى عن طية الئررة النرنية ، ، *.

وكئاب الحملة الفرنسية أصدق في الحدكث عن شعور الشعب المصري ، وعن
العلاقة التي قامت بين المحتل وشعب المستعمرة ، لأن تجميل التاريخ مرحلة تالية

فالمسيو مارتان !ول : " لم !رك الأهالمط وسيلة لمقاومة السلطة الفرنسية الا
. " واتبعوها ، وقد دهب كثر من الفرنسيين ضحية لهذه المقاومه
وقد اتخد المصرررون شعارهم ذلك المبدا المشهور الذي أعلنته فرنسا ، وهو أن "
. مقاومة الاصطهاد مي اقدس واجبات الشعب "11
وقال الدمحعور ديجنت كبص اظبثء الجيعثى الفرنسى في مدكراته " لقد تكلموا كئوأ
حى في اوروبا عن حفلات أول فنديمعرو (عيد الجمهورية الفرنسية) وتأثصها في
ن!وسى المصريين ، عل آن كا-تب هذه المذكرات يؤكد انها لم يكن لها أثر ما في سكان
. " القاهوة
أما المسيو " رلمو " فقد راى ما عجز عن رويته مؤرخو المدرسة الاستعمارية (من
. العرب) حتى المعاصرون منهم . ضثل
كانت هنا ا؟ عقبات وطنية تحول دون ثقة المصريين بحكثمهم الجدد"
الفر!سيير ، ف! كان من "لصعب أن توجد أمة تبلغ بها السذاجة مبلغ ان تنتظر)
ايخر من جيش وركب متن البحار و!سهدف للأخطثر ومحل بلادها ويخوض !ها
غمار الحرب لمجود الدفاع عن مصالحها . ولا يمكن أن تؤلر المنشورات والكلمات
الفخمة في تغيير حالة الشعب النفسية . لذلك كان الوجه البحري بالرغم من احتلال
واخهزامه ، غير خا!ع ولا مستسلم ، وكثيرأ ما تمردت القرى التي مز بها الجيعثى
+ الفونسى ورفعت علم الثورة "12
،وقال : " كان الجنود يعملون عل اخماد الثورة بإطلاق الرصاص عل الفلاحين
وفرض الغرامات عل البلاد ، لكن الئورة كانت كحية ذات مائة رأس ، كلما إخدها
السيف والنار في ناحيه ظهرت في ناحية أخرى أقوى وأشد مما كانت ، فكأنها كانت
. " تعظم ويتسع مداها كلما ارتحلت من بلد إلى للد اخر
وقال : " إن مصر قد فوجت بالحملة الفولسية ، فأخذت تنتفض ومحثذب

للتخلص من قبضة الفاتح الحديدية ، لقد كنا نرابط ي مصر ونحتلها احتلالا عسكرياً ، وع! الرغم مما بذلناه من الجهود ليقبلنا الشعب ؟ يتقبل محرريه ، فقد
يقيت سلطتنا قائمة على القوة لا على الاقناع . وكان اختلاف الدين واللغة والطباع
العادات مما يجحا ألامتزاء يين الغالص وا أطغلو! عسيرا بعيد الأحتمال ،: فكانت سياستا
. . . ت
قائمة على إكراه الشعب على الاذعان بالحزم مرة وبالقوة مرة وقمع كل يورة ومكافاة
من يخدم السلطة الفرنسية ولادراك هذه الغاية وزع بونابرت الجيش على مختلف انحاء
القطر لاخضاعها وجعلها موضع مرافبة دفيقة . وكان فواد الفرق فضلأ. صت

واطق مع المسيو ا ريبو " ، فالأمة الساذجة لى توجد فط . وإن وجدت فلم
أمتناا باية حال .. أمتنا لم تتوقع خيرا فص من جيق الاحتلالى ، بل قاتلته منذ ! -
!النحظة التي وطئت فيها أقدامه أرض الوطن الى يوم الجلاء . والسذج هما الذير
!لظنون أنهم يستطيعون تزوير التاريخ
وإذا كانت تجربة الحملة الفرنسية المريرة هى التى جعلت الحكمة تنطق على لسان
ريبو ا) فإن إلاستعمارتنن قد انخدعوا قبل الغزو ، أو صدفوا تقاريرهم ومنشوراته!أ "
.فظنوأ آنها ستكون " نزهة سهلة " ، إذا ما تم التخلص من قوة المماليك العسكرية
وهذأ هو الخطأ الذي تفع فيه كل الاستعماريات ، بالتهوين من فدر مقاومة
الشعوب . أخطنأت حسابات الحملة الفرنسية تقدير مدى الرفض الذي سيجابهها
ص الشعب المصري ، ؟ أخطأت كمبيوقي ات البنتاجون تقدير المقاومة المتوفعةص
.شعب فيتما ا
-تاليران توفع ، ؟ توقع هتلر ، ان الشعب المصرى أو الرومى - في حالة هتلر
سينتهز فرصة العدوان الأجنبي ليصفي حسابه مع مضطهديه في الداخل . وفي جميع
الحالات كانت النتيجة عكس كل توقعات المعتدين . إذ كان لدى الشعب من الاضالة
.والوعى ما جعلاه يدرك أن الخطر الخارجى اكبر وأفدح من كل ما يعانيه في الداخل
.وأن مقاومة هذا العدو الأجنبى ودحره تحتل الأولوية في قائمة الواجبات الوطنية
. . بل لم يتردد الشعب أبدأ في تمنى النصر لمضطهديه الوطنيين ضد غزاته الأجانب

بل والقتال معهم من أجل !يق هذا النصر على الذين توهموا أنه
سرحب بهم كمحررولا
تاليران " رغم ذكائه الذي اشهر له ، يقع هو أتضأ في هذا الوهم ، فيكتب "
لحكومته منر!ا بفتح مصر : " إن أهالم! مصر قاطبة كرهون حكامهم
المماليك الذفى
يسومونهم الظلم والاضطهاد ، وهم صل ، لا سلاح معهم ، لاذا اغطاهم
المماليك
سلاحا بحجة الدفاع عن البلاد من الغارة الأجنبية ، فإنهم لا شك سيحاربون
له
طائذة الممالك أنفسهم ، فليس ثمة خوف من مقاومة أو وثبة من الأهالى
" " ا ن
الشعب المصري سيتلقانا باحترام لأنه يأمل من زمن مديد أن يتخلص من
حكامه
. الظالمين "14
وحتى نابليون ، رغم ما اشتهر له من فراسة في فهم الرجال ، ظن أن
رجلا
مثل " محمد كريم " يمكق أن ينعل ولاع! ، ؟ يفعل أشباه الرجال من
طراز
قوب " و " نقولا " و " برطلمين " لل ظن أنه قد يكون أسعد في خدمه! "
حكومه
أفضل ، حتى ولو كانت أجنبية ا فيخاطب " محمد كريم " قائلا : " لذلك

كان رد " محمد كريم " لالفعل لا لالقول حيث كد الموقف الوطني،
، الذي
يتلخص في أن الحكم الوطني مهما يكن سووه فهو أحسق من
أفضل حكم أجنبي.
والرافعي يعلق على مقاومة الشعب المصري للحملة الفرنسية
بقوله:
والواقع ان من يتتبع سلسلة المقاومات التى لقيها الجيمث! "
الفرتسى من المصريين
يعجب لشدة مقاومة الأمه وكعمذ للاحعلال الفرنسى واستمرار هذه
المقاومة وانفساح
مداها د آنحاء القطر المصري ، حتى كأن ثورة عامة قد اندلعت في
وجه الفرنسيير،

للاسف هذه الفكرة عدتها الطبقات الحاكمة منذ نابلبون فكانت تخئي دائعاً توزح اللاح عل النعب
. مع
ن تجارب انريخ ،لبت ان الثعب لم بخطى ء أبدأ لط اشخدام اللاح اذا ما حصل عليه لحظة

ولكن الرافعي لا يقدم لنا تفسوأ لهذه الظامرة العجيبة ، وهي فوة
و 6سعاع المقاومة
المصرية للحملة الفرنسية .. ثم اختفاء هذه الروح مائة عام (حتى
لو قبانا تشبيه
ثورة 19 بالحرب الفعلية التي شنها الشعب كله ضد الفرنسيين)
. . !فسيبقى السؤا
لماذا لم دواجه الانجليز مثل هذه المقاومة بعد الاحتلال (1882) 1
1 إن " محمد
عبده " حاول ان يجيب عل هذا السؤال بنسبة ذلك الى استبداد
محمد علي وخعله
هو وأولاده لروح الأمه . ولكن الرافعي المعجب بدور " باعث الأمة
المصرية"
ولافي مصر الحد!ثة " إلى حد الغضب من الجبرقي لأنه انتقد "
محمد عل أ .. !ستحيل
عليه أد رراجه نفشه لالسؤال عن حقيقه الدور الذى لعبه " محمد
عل " في إعداد
مصر لقبول الاستعمار أو وضع الأمه المصركة في حالة القابلية
للإستعمار . وذلك
من خلال عمليه التفريب التي قام بها بنجاح ، واستحق علعا ثناء
المدرسة
الاستعمارية.
والفرق بين المدرسة الاستعماركة والرافعي ، هو أن " الرافعي "
وركد ان تاصلى
الحلرى وتحتفظ بها ، !و هـيد التفريب ، وهـيد بقاء الروح الوطنية ا



كان تفسكل " الإمام : " خرى " منثبة تقول جانجا من الحققة وترضى " أولى .

المقاومة

كان الوفض المصري ، يشكل حركة وطنية عامة ، تشمل الأمه بكل طوائفه!
وطبقاتها ، فالقعر والحرافيش والغوغاء ، في شوارع القاهرة يقاتلون ببسالة وتضحية
تذهل نابليون رجل الثورة الفرنسيه . والفلاحرن يشنون أول حرب فلاحين في تاريخ
الشرق ، أما الاغنياء ومساتير الناس فلم يكونوا أقل وطنية أو أقل استعدادا للبذل
وا إتضحية .. رأيناهم في القاهرة يدعمون الحركة ويعتصرون حتى الموت من جيش
الاحتلال ، وفي !ال الدلتا نجد " حسن طوبار " الممثل المبكر للبورجوازية العربية
لو أتيحت لها فرصة افو - وصفه الجنرال لوجيه بقوله : " هو غني تقدر - ثروته
بالملايين (من الفرنكات) يملك الأراضي الواسعة ومصانع نسج القطن ، ومصانع
الصياغة والمتاجر الكثيرة " . وكان " محبوبا من الأهالى حبا شديدا " .
كانت الأمة تدرك بغررزتها الصادقه ، وبحكم ما تراه مق سلوك ، وقرا،رات الغؤاة
وبما ترسب في ذاكرخها مق تاريخ الحروب والغزوات التي شنها المرنجة طوال القرون
أدتى إنقضت منذ الحملة الصليبية الأولى محلى بلاد العرب (095 1) . كانت تدرك
أخها مطالبة بالمتال دداعا عن وجودها وكيانها ومصالحها * وآهم من ذلك كله عق
فرصتها ي دخول عصر الحضارة الحديثة . ذلك أن فرصتنا الوحيدة بل وفرصة أ ي
بلد ثرقي لدخول عصر الحضارة الحديثة ، كانت تبدأ بنجاح هذا البلد في

تذلك كانث أمتي على حق ، عندما رأت ان فرصتها الوحيدة في أن تصبح
متحضزة كالفرنسيين ، هي في منع استقرار الفرنسيين في مصر ، رفض
خدعة
. التحديث على يد جيمق احتلال
وتاريخ الحملة الفرنسية في مصر ، يسجل يومّيأ مدى المقاومة الباسلة
التي بذلها
الفلاحون المصريون ، والعامة في المدن ، والنخة الوطنية ، ممشلة في
الشيوخ والتجار
والا!كيان ، مدى المقاومة التى بذلوها ضد استقرار الجش الفرنسى ،
ولافساد
رسالة نا ابيون الحضارية . ورغم كل الحقائق المتاحة ا لحرستوفر
هيرولد " والتي
يعترف بكمية كبيرة نها ، إلا أنه لا يستطيع أن يتخلص من المفهوم
الصليبي الغركط
في تفسيره لمقثومة الشعب المصري وفشل الدجل النثبليوفي في
خداعه . . فهو يقول :
ولم يفق مستعمر أوروكط بونابرت في محاولاته لكسب الأهالمط "
لصفه - بوضعهم
في موضعهم الصحيح منه - فإذا كانت جهوده قد فشلت فشلأ ذريعاً ،
فلب س العيب في
سياسته التي كانت تستحق النجاح . بل هو أولأ وقبل كل شسء عيب
استحالة
المهمة التي كان عليه أداف.هـا . كان الاسلام بالطبع هو الحائل اكبر دون
هذا الجو
المنشود من الثقة المتبادلة " . .
ثم يفقد تفسيره كل قيمة علمية عندما يقول ؟ " ولكن مع أن شعب
مصر ، كباره
وصغاره ، كان محقأ في التشكك في اخلاص بونابرت حين أعدن على
الملأ أنه مسلم
فعلأ ، !ان خوفه من أن يقضي على دينه لم يكن له أساس . فالذي كان
بونابرت
يريد القضاء عليه هو جمود النثس وتشبثهم بالتقاليد العتيقه ،
واستسلامهم لقضاء
لم يكتب عليهم ، وكراهتهم الخروج من العصور الوسطى ، وعدم رغبتهم
ف

ولا ندري ما الذي يقصده مؤرخ كبير مثل ! كرستوفر هيرولد أ من
طمأنة

المصريين مشلأ ؟ . حتى هذا حاوله الاستعمار الغوثط قي جع البلدان التى استصموها،
وجميع المسيحيين الجدد من اندونيسيا إلى السنغال كاوا مسلمين ، وقضى على دينهم
لى يد.الغزاة ه . بل حتى المس!حيون الوطنيون تعرضوا لمحاولات! خطره لسلخهم صت
الكنيسة العربيه ، وكل الانشقاقاتت ا!تى اصاتجا الكنيسة الوطنية ، في البلاد العربية،
هي بفعل الن!ثماط التبشميرى للغرب ، هذا النشاط الذى امحتمد على التفوق
الاسمعماري اكثر مما اعتمد على الهداية والمنطق . إذن فحتى هذا المفهوم الساذج
للقضاء على الدين ، جرت محاولته ، وكان خطره واردا .. ولكن لا نظن ان الخطر
ا اضاريخى الذكط هثت ا-لجماهير في مصر ، مصرية وعربية وإسلامية لصده كان يتمثل
في !ذا الخطر المكشوف والمفضوح الذى أثبتت خبره الفرنجة ، أنه آصعب السبل،
وأبعدها عن النجاح . لأن وضوحه وطابعه الاستفزازى يسهل مهمة

كانت الصدمة التاريخية التى أحدثتها مدفعية الفرنسيين ، كافية لتبديد ليل الغفلة
والأمق ا!اذب الذ! عاشته الشعوب العربية مخدرة بانتصاراتها على- الصليبيين
وبالفتوح العمانية . وكانت ردة الفعل هي الاستجابة للتحدى ، ومحاولة التغلب
عليه ، بامتلاك وسائل المعرفة التى تقلت التفوق إلى الجانب الاخر من البحر
.ا،"بيض ، بعدما استفر على شواطئنا قروناً ليست بالقليلة 1
فلم تكن اطمثمكلة أبدا ، هى إقناعنا بأنه يمكننا أن نساير عجلة الزمن مع الاحتفاظ
بديننا وتقاليدنا سليمة لا كلس ! إن هذه قضية لم توجد قط ولا طرحت على هذا
النحو ، ولا كانت مقاومة المموبين نابعة من شكهم في إمكانية الجمم بين الاثنير . .
وإننا أخيرا فهمنا هذه الامكانية واقتنعنا بها ، بعد أن علمتنا الأيام والليالي ! ولكن
أين هى مسايرة الزمن التى حققناها ؟ هل يمكن وصف أية دولة عربية بأنها قد

كان ذلك !و مسايرة الزمن " فكرستوفر هيرولد " ومدرسته على حق
في أننا سايرنا
!الزمن ، أحا أننا لا احتفظنا بديننا وتقاليدنا سليمة لا تمس " .. فلا
وإذا كنا نفهم عبارة " مسا-سة الزمن " ؟ يجب أن تفهمهث كل أمة جادة
، بمعنى
انتاج ما ينتجه العصر . أي دخول عصر الصناعة ، التحول من مستهلكين
الى
منتجين .. المساهمة في ،الإنتاح العالمي بحصة انتاجية كاملة ، فلا بد آق
نعترف بأننا
لا نساير العصر ، فنحن لا صنعنا إنتاجنا ، ولا تثقفنا ولا تحضرنا . وما زلنا
نبرر
هزيمتنا بتخلفنا الحضاري ، مازلنا نستورد من الابره إلى الصاروخ .. وأيضا
ولا
.حافظنا على ديننا وتقالعدّنا
والحقيقة ان هذه القضية : مسايرة العصر والاحتفاظ بالدين والتقاليد ..
هي
وحدة لا تتجزأ . ولقد أدركت النخبة منذ زمن مبكر . ولو آنها لم تستطع
أن تحول
علمها الى عمل لأسباب عديدة ، أدركت هذه النخبة ، آن الحفاظ على
الدين
والتقاليد هو الطريق الوحيد أمام الشعوب الاسلامية لكى تحقق التجديد
والتحديث،
وأدركت في نفع! الوفت آن اممدين الذي يدعوها اليه الغرب هو عملية
اعادة تنظيم
المجتمعات الاسلامية ، لكى تصبح اص! قابلية للاستعمار الغرثط ، وأكز
فابليه لعملية
الامتصاص . لأنها بالتغريب تصبح اكز تقبلا لإدارته لها . إن غلي النبات
وسواء
اللحم يجعله ا!ز تحضرا ولكن لمصلحة الذي يلتهمها
بل إن بعض الحيوانات والطيور قد تم تطويرها ، وربما على نحو كانت
فيه فائدة
لهذه الحيوانات أو الطيور ، ولكن المحرك والدافع والنتيجة النهائية لهذا
التطوير ، كانت
مصلحة المستهلك والمطور (بالكسر) .. للإنسان الذى يعجز أو يصعب
عليه
تسخير أو الانتفاع من هذه الكائنا! فى حالتها الطبيعية " المتخلفة " ومن
ثم يسعى
إلى تطويرها ، إلى ترقيتها وتهذيبها لكى تكون اممر فابلية للتدجين ،
وأقدر على
خدمته ، وأصلح لتلبية احتياجاتبما . فالتغريب الذي جمله وفرضه الغرب
علينا هو

وهنثك (اوبرا " ولكن !ثيل أوبريت ايطاليه ! ولا بأس ان تكون حول
اسطورة
مصريه ، لتسلية امراء وملوك واباطرة أوروبا القادمين لافتتاح فناة
!السريسى
وتظل " الاؤبرا " ا! من نصف قرن لا يمثل على مسرحها مصري ، تمثما
كقناة
السريسى ، فلا شك انها عمل حضاري من أرفع طراز ، ولكن من الذي
يقول إ ن
مصر استفادت منه ، وم سفينة مصرية عبرتها خلا! القرن التالمط لشقها
؟ ... ألم
تكن ترعة المحمودية ، ا!ر ارتبثطا ونفعا للاقتصاد المصري ؟ . واص
مساعدة له
. . على " مسايرة الزمن " ؟
هذا التغويب الذى يجعلنا اكثر قابلية للاستعمار ، ويدمر إمكانيتنا وفرصتنا
في تحقيق
ال!حديث الحقيقي ، كان يتطب في نفس الوقت تجريدنا من ديننا
وتقاليدنا حتى
. لو بقيت أعاونا إسلامية ، وتحولت تقاليدنا إلى طقوس مشوهه بلا روح
وليسى من الإنصاف أن نقول إن العالم الإسلامى احتاج الى قرن ونصف
من
الؤمن ليتقبل هذا التغويب .. بالعكس هذا التغريب شرعنث فيه فور جلاء
الفرنسيين،
وربمث لو طال العمو بنابليون أربعين سنة أخرى وزار مصر لأدهشته
السرعة التي
أ-بحز التغريب بها أفضل نموذج للنخبة التي كان نابليوفى يفتش عنها
عبثا بين شيوخ
الأزهو
هذا الألبافي الذي التقطه سفينة انجليزية وقذفت به عند شواطشث ،
والذي نفذ
بعبقرية نادرة عملية التغريب هذه ، وقضى على أملنا في !يق الثورة
الصناعية،
وأسلمنا فريسة معدة للابتلاع للاستعمارية الغربية ، التي كافأته بأن
خلعت عليه
صفات المجد والاصلاح ، وسمته بافي مصر الحديثة . ثم يألط اليرم
"كرشوفر
هيرولد ! فيشج! كل ما كتب عن " بافي مصر الحديئة " . إذ يقول إننا لم
نتعلم
مسايرة الزمن إلا بعد قرن ونصف من الحمله المرنسية ا إذدق ماذا كان
"" محمد على

.الحقيقي ، هو الاحتفاظ بالدفى والتقاليد
الاصع إذن أن يقال إنه خلال فترة القرن ونصف القرن التالية لغزوة نابليون لم يفعل
العا لم الإسلامي - للأسف - إلا إنجثز هذا التغريب .. أو التحدث المزيف الذى
جاءت مدفعيه العرب تفرضه .. و لم يكن هدم بعض مظثهر التخلف وبناء مظاهر
التقدم ، إلا نوعا من عمليات هدم الائواب القديمة والقلاع البالية وشق الطرق لكي
.تسهل حركة قوات الاحتلال الفرنسية
أما لفسير تخلفنا عن مسايرة المصر لأننا أفسدنا نوايا نابليون الطبة بسوء ظننث،
وسوء سلركنا ، وغباتنا . فهو تفسير .خاطىء وظا لم . . فإن بلاد" إسلامية عد!دة،
بل كل البلاد الإسلامية ، سقطت تجل حملة نابليون وبعدها تحت الحكم الغرئ ،
ومحظمها استسلم بعد مقاومة طالت او قصرت . واصتقر حكم النرب مطلق السلطة
في سائر البلاد الإسلامية ، خرات تتراوح ما يين ثلاثة قرون . . ونصف قرن . . فلماذا
لم كبت النرب حسن نيته وينجز التحدكث المنشود ؟ . أكن هو البلد الإسلامي الذى
خرج منه الاستعمار النر! أو زال عنه الحكم الفرد فاذا له بلد !ساير الزمن ؟ .
وإن كانت العقبة في الاسلام فقد استعمر النرب شعوباً غير إسلامية ، بل وبلا
. دكن جدى كل الإطلاق ، فلماذا لم يحدثها ؟
صحيح أن كل البلاد ال!!مية التي " حذثها " النرب تعج بالكباريهات ، وتبيح
الزنا برضاء الطرفين ، والمتشد! مها كثترط مواضة الزوج أو الزوجة . وبعضهث
يبيح اللواطة للراضدكن (قبل إقرار ذلك في برطانيا بنصف قرن) وكلها ت!ثرب
الخمر وتأكل لحم الخ!زير ، وكلها كستطيم السائح النر! أن يقضى !ها + و+أ طاً .
وباختصار فإن التقاليد والدين قد مسعامسثا عنيفا ولكن آهذا هو التحديث المنشود ؟ .
إن كان ؟ . فنحن إذن دولة عصركة .. فلماذا كل هذا الجدل حول الطر! إلى دولة
عصرية ؟ .

الغوبية ان تتصنع المسشعموات طالما ظلت خاضعة لسيطرة الدول الاستعمارية ، وإذا
كنا قد لعلمن! خلال مائة وخمسين سنة ان الطررز إلى التصنيع لمدأ بالتحرر من
الاستعمار ، فلا شلث في صحة موفف أجدادتا الذين حاولو! صد هذا الاستعمار
قبل آن يستقر في بلادنا.
هذه الحقيقة التى اكدها التاريخ خلال المائة وخمسين عاما ، كانت خلف مقاومة
الشعوب للاستعمار ، حتى دون أن تعها وعيأ كاملا ، وذلك بموجب القوانين التي
تحوك المناصو اللازمة لصنع التاريخ ، حتى دون ان تعي هذه المناصر انها تصنعه،
ولما كانت الجماهر تعرهـبغريزتها ، ان الفزو الفرثط يقضى على فرصتها في
التحديث الحقيقي ؛ و!ضى على دينها وتقاليدها ، أي يفوغ هذا الدين وتلك التقاليد
من روحها ، مع عملية نزح ثروتها ونهب خاماتها.
وإذا كان! الجماهير تتحرك في اتجاه مقاومة هذا الفزو مرة تحت أعلام الغضب
للدين ، أو الذود عن التفاليد ، وموة للاحتجاج على لعبة الأسعار والسوق التى تنظم
ب انتابها . أو ضد عمليات السطو السافرة على اللروات ، أو من أجل! الحفاظ
على لقة البلاد ، أو المطالبة بحق الأهالي في فتح بنك أو مصنع .. فإن هذه المظاهر
المتعدده والمعقدة هي طبيعة السلوك البشرى ، والأسلوب الإنسافي الذي يتحرك من
خلاله التاريخ.
و!ن هذه ال!ثمعارات يجب ألا تضللنا عن جوهر الصدام .. فلي! المهم الصيحة
التى يوجهها الضارب ، ما دامت الضربه توجه للعدو الحقيقى ، وفي الاقياه الع!محيح.
على ضوء هذا الفهم ننظر إلى مقاومة الشعب المصري لكل مظاهر الوجود

س عادتا أد عار الأسنله الصارحة حتى تحنب (*)

وجهة نظرنا أن تعبئة الشعب وتحريكه ضد السلطة الأجنبية هو عمل وطنى
تقدمى ، هو المدخل الشرعي والوحيد للتحديث ومسا-رة الزمن ومن ثم فكل ما
يحقق تعبثة الجماهر وتحريكها ضد الوجود الاستعماري هو عمل تقدمى حتى لو
اتخذ صور! الدفاع عن أوضاع خاطئة وسيئة ، لأن هذه الجزئيات تحجبها الحقيقة
الشاملة ، وهى أن مصلحة ووجود وتقدم وازدهار شعب المستعمرة رهين بزوال
السيطرة الاستعمارية واختفاء الوجود الاستعماري . ومن الذي يرفض

كان استقرار مصر كمستعمرة يتطلب إخضاع شعبها بثلقوة أو الدجل أو الاثنين
معا .. وكان مستقبل مصر وسيادتها وتقدمها رهن نجاحها في منع استقرار المحتل
الأجنبى .. أي بمقاومة وجوده .. وجعله غير امن في كل شبر من أرض مصر.
ولقد حاول الفريقان بكل جهد متاح تحقيق أهدافهما.
يقول " كرستوفر يرولد " : " ولكن اص! فلاحي الدلتا الذ! كانت قراهم
فلاعا منيعة ، كانوا لا -رحبون على الإطلاق بثلفرنسيين ، بل (ن المدن لم تكن دائما
مكانا مأموناً لهم . والى القارىء على سبيل المثال ، التقر-ر الذي قدمه الجندي
مورستون " أحد جنود فرقة الفرسان ، والوحيد الذي بقي على قيد الحياة من "
حامية المنصورة إلى الكولونيل لوجييه " .
ترك الجنرال فيال أثناء مروره بالمنصورة فصيلة من . 12 رجلا .. وفي اليوم "
التالي لرحيل الجنرال فيال بأورطته ، اغتال الافالي ثلانة من جنود الحامية ، وجموا
واحدا منهم وهو يقف في نوبة حراسته ، والثافي وهو يا قي بثلحساء للديدبان ، والثالث
وهو عائد من مكان حراسته . وفي ذلك الوقت تحصنا في البيت الذي اخترناه ثكنة
لنا .. (وبعد يومين) في حوالمط الساعة الثانية صباحا أحاط بالثكنة عدد كبير من
المسلمين تحملون مختلف الاسلحة . وحاول احدهم أن يشعل النار في البيت . .
رجال الثررة العرله م -سوا ر صر لا " الدمير : ! ولعد فرذ ،نفص فرد س ماوة الرس *
للحصارة الص لب
فاد للاعات القيادة العراصية عمء ضهداء الحر ئر كات لا تحد سا تعر!هم (ويى المكر)
له يلا ثلمة 1 صلعير ! .
ئي بررصعيد ضاهد مقبرة ،صحه الفرليرر "ناء ستلالهم للمدية سة 1956 ،كتبوا عليه :،
ها يردد 26 1 سلط ! !
تدا بى الحرادث ...

و!ق أحد بخود الفرسان قمله . فحاولوا بعد ذلك *هدم البيت . وياختصار استمر
القتال إلى الرابعة مساء . وعندها خرجنا من ذلك البيت الذى فقدنا فيه ثمانية رجال .
وبينما نحن سائرون في شوارع المدينة لنغادرها ، كان! الطلقات تأتينا باستمرار من
نوافذ المنازل . فنرد علها على قدر ما نستطيع . فلما وصلنا إلى الخلاء طثردنا هؤلاء
الأفواد أنفسمهم ، وظلوا يطلقرن علينا النار . وجرى بعضهم إلى القرى القريبة في
طلب التعزيزات . وفي الفجر كان منا على قيد الحياة خمسة وعشرون أو ثلاثون ،
وهـزال العدو يطثردنا . وإذ فرغ رصاصنا فقد دافعنا عن أنفسنا بالسلاح الأبيض.
وفضمل الجرحى وعددهم عشرة ، أن يغرفوا أنفسهم عن أن يقعوا في قبضة العفو . .
فلم يبق منا غر خمسة عشر ، ألقى حشد من الفلاحين الهائجين أنفسهم علينا ، ة
وجردونا من ثيابنا وقتلونا كلنا بالشوم . وألقيت بنفسي في النيل عريان لأنتحر
غرقا . ولما كنت اعرف السباحة ، فقد تغلبت كرورة حب الحياة على رغبه الانتحار ،
ووصلت إلى الضفة المقابلة .. ورحت أسير دون هدف . فوأيت سبعة فرسان من
اررن يدكون منى ، فألقيت بنفسى في النيل ثانية . وإذ لاحظت أن اشين منهم
يشيران إلي بالمجيء عدت إلى الشاطىء ، فأطلق أحدهما النار على رأسا ولكق
الرصاصة لم تنطلق . وفال الآخر شيئا معناه الإبقاء على حياتي ، ثم سلمنى الى
فلاحين !سلحين ،. فأويقا يدى وقادافي إلى قرية ، وانا أمشى على طريق كله سوك
المنى جدا لأننى كنت حافيا مجروحا . وفي القرية فك الأهالى وثاقي واعتنوا ثط
وأ!لعموفي وترفقوا لمط كثيرا " .
وكان إقليم الاسكندريه ، بعد احتلا! دام شهرين من الزمان ، غير "

ألاثسكندرية أن نحصل على جمل واحد أو فربة واحدة لحما! الماء عل
رغم أوامر
الجنرال كليبر ، وبلغت بنا الحال أنه في يوم تحرك الفرقة اختفت
الجمال من
الاشكندرية ، ثم عادت إلى الظهور في شوارع المدينة غداة سيرنا مما
يدل على أ ن
. هناك تواطؤا لنن الأهالي وأصحاب الإبل "17
أما الكابتن " جرليان " ياور نابليون فقد حدث له - على حد تعبير
: - الرافعى
إ ما هو أشد وأدهى " ! ! ضد أوفده نابليون من القاهرة إلى الا!سكندرية
برسالة
منه إلى الجنرال كليبر وأخرى إلى الائرال بوريس في " أبو قر ! فاستقل
سفينة ومعه
بعض الجنود وجنحت به على الشاطىء الغرثط لفرع رشيد فما كاد ينزل
هو وجنوده
إلى الشاطىء حتى هجم عليهم أهالي " علقام " فقتلرهم عن اخرهم ،
فلما علم
نابليون بنبأ هنه الحادثة أًمر بإحراق القرية عقابا لها على احدائهث
فأحرقها الجنود
وخربوها و لم يبقوا منها بيتث قائما "18 . وأسف الجنرال " ديموي "
محيراًً لأف : " لم
أجد في جولتى هذه مصرياً واحدا يحمل الشارة الفرنسية " . " واستشج
من حوادث
دمنهور أن هناك مخثبرات سرية بين الاسكندرية والمدن التى مرت بها
الفرقة ولاحظ
أن اهالي دمنهور كانوا على علم بقدوم الفرنسيين قبل وصولهم ، معدين
لحربهم "19
أما الكولونيل داماس ، فقد كان لديه الكثير مما يمكن ان يستخدمه ابنه
في تأليف
قصص المغامرات . . لولا أًن الفروسية في الأدب الغرثط ، ممق

إ فصدت الكتيبة إلى كفر شباس عمير ، وكانت محصنة بسور عال
،يحيط بها
وبهذا السور أًبراج حصينة كان يحتلها الأهالي ويطلقون منها النار ،
فاتتحمت الكتيبة
الفرنسية هذا السور . فلم يجد الأهالى بدا مق اخلاء الا"براج ما
عدا برجا واحدا

جواد الجنرال " مينو " فخر فتيلا ، فأثرك خ!ا رة الموقف . وكان رجال البرج
هستمرين في إطلاق الرصاص ، فرأى أنه من المجازفة الاقتراب منه ، فأمر باضرام النار في
القرية . وكان الليل قد أقبل وجاء كثر من القرى المجاورة لإنجاد إخوانهم ، فامر
مينو أ جنوده بإطلاق الرصاص في الظلام لمقاومة المهاجين ، واندلعت " النيران في
القريه كلها ، فاضطو الأهالي المدافعون عن البرج إلى إخلائه ، وكانت الجموع قد
تكاثوت حول القرية حمى بلغ عددهم من الفين الى ثلائة الاف من الفلاحين،
فاضطر ا!نوال مينو إلى الانسحاب وعاد بكنيبته إلى سنهور المدينة ثم ، إلي دسوق
بعد أن فقد بعض القتلى وتسعة عشر جريحا ، ثم قفل راجعا إلى رشيد بعد أن عدل
عر، متابعة اكنشافه "ا 2 . وكتب إلى نابليون والجنرال برتييه يعتذر عن أوهامه عن
تحية الأها! له!
قصدت الكتيبة يوم 4 أغسطس قرية الط زعبل ولكن صدهم عنها بم " من
العم ب والقلاحين المسلحين بالبنادق والعصي (الشماريخ) !ادت الكتيبة أدراجها
إلى الخانكة وأخذ الأهالي من العرب والفلاحين يتعقبونها إلى مستقرها وفى مخباح
أغسط! هاجم الأهالى الخافر الأمامية لمعسكر الخانكة بقوة ابمر من 5 قوتهم الأولى
إذ انضم إليها ماصهسان من المماليك . وبدا الهجوم ، فبرزت من غابة أد زعبل قوة
من الفوسان العرب يتبعهم عدد حاشد من الفلاحين ، ولم يكن هؤلاء يحملون في
الغالب إلا أسلحة ضعيفة فلم يتجاوز عدد حملة البنادق منهم السدس ، فاحاطوا
بالفرنسيين من كل جانب ، تخفيهم الزروع والغيطان ، وانضم اليهم سكأن القرلمحما
المجاورة . فأطلقوا النار على القرتسيين من كل صوبا . ولكن نيران

عاده يدرك " مينو " هذا .. خطورة الموتف *

عندما انبثت فكرة الثورة في القاهرة ، وبدأت تذيع الدعوة اليها في " الأقاليم،
فاجترأ على مهاجمة انحافر الفرنسية . وقتل الأهالي ترجمان الجنرال رينيه الخاص على
مقربة من معسكر الفرنسيين في بلبيم! . وقاوم أهل 9 بيشه لم الفرنسيين عندما سرعوا
في مصادرة خيولهم . وبداً أهالي بلبيم! وأعوانهم من العرب المجاورين لهه يهثجون
معسكر الفرنسعن في المدينة .. وتشجع الأهالى فهجموا على محسكر بلبيم! فجر
يوم 21 أمصربر 1798* فأفبل ماتة من الفرسان من قبيلة العاتد ، قادمين من
الصحراء فالتقوا بكتيبة من الفرنسيين وفتلوا منهث بعض الجنود ، فرد الجنرال " رينيه!
هجمة العرب ، ولكنه اضطر ان ينسحب الى " بلبيس " ليرد هجوما اخر كان يتهدد
مركزه في المدينة . وقد اشترك فيه 0 25 من الفرسان و 0 0 12 من المشاه . فرابط
رينيه " بالمدينة حتى أقبل إليه المدد ثم أخذ يهاجم الثوار إلى أن ارتدوا " عنها وسار
بجنوده يتعقبهم حتى غابوا في الصحراء ، فعاد الى " بلبيس " ، وفي هذا الوقت كان
عرب " بلى لم قد أفبلوا من طريق " القاهرة " وهاجوا المعسكر ، فردهم الجنود
الفرنسية ، ثم كروا بعد قليل ولهم قوة أكبر فكان عددهم ؟ قدر الجنرال "! رينيه
قارس و 0 0 12 إلى 0 150 راجل . فمال جمليهم " رينيه " 50 . بجنرده ومدفعيته
ففرقهم بالبنثدق والمدافع وردهم الى ترية " غيته " - في الجنوب الغرد -من بلبيس
وفيما هو على أئرهم هجم الجمع الحاشد من أهالي البلاد المجاورة - "قدرهم " رينيه
بألفين من المشاة و 150 من الفرسان - على الفضاء الذي يفصل المعسحر عن
بلبيس " ولكق " رينيه " رث!م على أعقابهم عند عودته الى المدينة ، "

* لأحظ أنه يوم ثورة

-

في 9 غمرين " ، واشتبك الأهالي والجنود في طرقتهث ، فاخهمرت فيها الدماء وغطت
الأرض بجثث القتلى 241 فال الكابتن " فيروس " يصف هذا الدفاع : " جاءنا المدد
وتعاونت الكتيبتان على مهاجمة قرية غمرين فأخدناها عنوة بعد قتال ساعتين ، وقتلنا
صن الأعداء (الاهالى) من أربعمائة الى خمسمائة بينهم عدد من النساء

وهنا تبلّغ الحماسة - وله الحق - " بالرافعي " الذروة فلا يملك إلا أن يعلق:
فالظر إلى هذا الوصف ، وتأمل كيف كان النساء يشاركن الرجال في " مقاتلة
الفرنسيين ودفاعهم ، وهذا لعمرى (عمر الرافعي) من أبلغ ما يذكر عن استبسال
. ! شعب في الدفاع عن كيانه . وأبلغ منه ان الشهادة به جاءت من عدو
وظهرت أعراض المجاج (! !) والثورة في طنطا " في اوائل 9 امممو بر 1798
وأجمع أهلها على الامتناع عن دفع أي ضريمة أو غرامة تفرض عليهم " 2 .
وصل الكولونيل " لوفيفر ! تجاه طنطا يوم 7 امموبر سنة 1798 " ورالط
بجنودهـوكلف حاكمها " سلم الشوربجي " أن ينفذ إليه أربعة من كبراء المدينة
يكونون رهائق . فجاء بأربعة من أئمة مسجد السيد " احمد البدوي " ورفض اعبر
المشمايخ أن تحضروا معه ليعطوا القائد الفرنسي موثقا بالمحافظة على السكينة في طنطا،
وكان المولد قائما في ذلك اليوم ، وقد تجمع فيه خلق كثير من أرجاء البلاد ، فلم
يكد " لوفيقر " ينزل الرهائن الأرلعة إلى المراكب ليبعث بهم الى القاهرة ضى هرعت
الجماهر مسلحين بالنبادق والحراب يصيحون صيحات العضب والسخط ، رافعين

ء

" لري! عرض : مزرخ تاريخ البغايا ايعاونات - جيق الاحتلال والساتطات اللاقي الحقن بمحسكرات الجود
والمواخكل الى أقامها ايرنلأيرن ليرفه عن الجود . يفتق بين هرلاء البغابا عن طلائع حركة غرو المراة ، ولا بتم بهولاء

البلد . ورأى الكولونيل 9 لوفيفر أ ان لا سبيل الى تعقب الثاثرين في مدينة كبيرة
كطنطا لقلة عدد جنوده ، وافتقاره إلى المدفعية ، فلزم خطة الدفاع واقتصر على شع
الثائرين أن يحيطوا بجنوثو ، وعلى الدفاع عن مراكبه ، وتمكن من انزال معظم فواته
بالسفن ومعهم الرهاثن ثم أقلعت سفنه وترك فوة من رجاله على شاطىء الترعة بعد
معركة دامت أربع ساعات . وقد قدر الجنرال " فوجيير " عدد الثوار بعدة الاف

،وكاصا الجماهير معبأة باستمرار ضد المحتلين وعلى استعداد داكم للقتال ضدهم
. . فور وفوع أممط حادث ، حتى ولو لم يكن يحمل أي مغزى ولا مية
فلما مرت طائفة من الفرنسيين بالمحنة الكبرة " تعصب أهلها واجتمعوا إلى فاضيها
وخرجوا لحربهم فأكمن الفرنسيرن لهم وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق فقتلوا
منهم نيفا و!تمائة انسان ومنهم القاضي وغيره ، و لم ينج منهم لىلا من فر وكان طويل
العمر . وكذلك أهل طنتداء (طنطا) عند حضورهم إلهم وصل إليهم رجل من
الجزارفى المنتسبنن للعثمانية من جهة الشرق لزيارة سيدممط " أحمد البدوي " وهو
راكب على فرس وحوله نحو الخمسة أنفار . وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة
يقضون بعض اشغالهم فصاحت السوقه والبياعون عند روية ذلك الرجل بقولهم نصر
الله دفى الإسلام ، وهاجوا وماجوا ولقلقت النساء بألسنتهن وصاحت الصبيان
وسخروا بالفرنسيس وترامو بما على رعوسهم (أخذوا البرنيطة ولعبوا بها الكورة !)
وضربوهم وجرحوهم وطردوهم فتسحبوا من عندهم . فغابوا ثلاثة أيام ورجعوا
. إليهم بجمع من عسكرهم "27
أ إءلت!ر (!) أهالي افسصورة والل!! المجاودىة بجنود الحىاممة و تفقوا على الفتك
ثم فبيني علت ا!ضو! يخا مسمـكر!م نوم 10 أغسطش !/!لم؟1 د!لت أ)حدينه جمو!أ-
صير، مق "محالي أ أسلاد المجاورة . وكان اليوم يوم السو ق الصإ"4 ، ئختلثئوا %!ل
ألمدينة ، ووإةقو هم على إلفتح!ا ةفيو! الحامية ، فهاجصو! ألجند ، ونادت المدينة بانثورة
هـجالا و-نم!إ ، ، وصح ن ا إشسا.ء !وضمن أزوأ!هن ىلما ءلط !ورزا بئ لفون!ممين ، ولمما ضعر

ا!نود بالخطر ، امتنعوا في معسكرهم ، فحاصره الثائرون وئرعرا في دكه واشعلوا
فيه النثر فاضطر الجنود إلى إخلايه هاربين لرانحدروا إلى السفن قاصدين الفرار ، ولكن
الجموع تكاثرت علهم وألى رجال المسفن ان يحملوهم ، فالتجأوا إلى البر ، وقصدوا
إلى دمياط . ولكن الثوار أخدوا عليهم الطر! ثم قتلوهم عن اخرهم - التقارير
. الفرنسية تشير إلى أن عددهم ما لنن 120 - 160 مقاتلا "28
بل وتر! ا!مّيه المبادة زوجة أحد الضبشط حيه .. وتزوجت شيخ العرب
أبو قورة " وساهمت في إعطاء بنات المنصورة هذا الطابع الفريد من " لون العيون
.الدكط يتميزن به
وحلت سفنهم في بحر. " أثهون " من قلة المياه ، وانتهزها الأهالي " فهاجموا السفن
الفرنسية ، وكانوا يتبعونها من بعيد ، واشترك في هذا الهجوم أهثلمط الجماليه . فا"طلقوا
انبار على السفن وأمطروها وابلأ من الحجثرة من أعلى سور بلدتهم . فأمر الجنرال
داماس " بإنزا! الجنود إلى البر لرد هجوم الأهالمط . وأمكنه آن يفوق ا! " موع التى
أحدقت بالقوة الفرنسية ، ولكنه بعد فتال أربع ساعات انسحب من الموقع الذكط
نزل به ورأي انه لا يسمطيع الثبات به ولا متابعة السير في تحر أثهون ، فأضرم النثر
. قي ا!مالية ، وعاد أدراجه إلى المنصورة ، ومعه جرحاه وقتلاه "29
:وكتب احد ضباط الجنرال " داماس " تقريراً عن هذه المعركة جاء فيه
،وقد رأيت بنفسي جماعة من الفلاحين ليس بيدهم سلاح سوي العصى "
"يهاجمونعا بحماسه فيستشهدون بين أسنة رماحنا
وجاء في يوميات ابخرال " لوجييه ! !قد تأكدنا ين " حسن طوبثر " كان
بخوب بنفسه البلاد الواقعة على محر أئهون صيهرض الأهالي على-
الثورة ، وكان يرسل
اك بعض البلاد الأخرى رسنه وآيبامحه لتنظيم المقاومة ضد ا!فرنععسيين ، !وأنه هو الذ
. بر واقعة الجمالية .، وا!ق الدلائل تدل على ان الثووة عامة)30!
إمتدت شعدة الثورة إلى دمماط مق أوافلى !بت!و 179! فاءوسهـل ا! " !نوا
إ فيا! ث! إلى ا!نوال " دوجا " !نذره نجقربط !عجوم الثوار محلى المديغة . ويطاب المدد

ووقع الهجوبم المنتظر ليلة 16 سبتمبر سنة 1798 واشترك ني أهالي البلاد المجاورة
لدمياط . واسترك فيه أًتضاً اسطول " حسق طوبار " الذي تحرك في بحيرة المنزلة
قاصدا شطوط دمياط . فوصل الى - غيط النصارى - سرقي المدينة . التقى الاهالي
القادمون من القرى بالنتزلي! من السفن ، وكانوا مسلحين بالبظدق والرماح ، وساروا
فاصدفى دمياط لمهاجة قوة الجنرال " فيال " فقتلوا الحراس الفرنسيين المرابطين في
الخافر الأمامية للمدينة . وظل القتال متواصلأ ليلة 16 سبتمبر إلى ان رتب الجنرال
قواته فتحول موقفه من الدفاع الى الهجوم ، وتمكن من التغلب على الثوار وردهم
على اعقابهم بعد ما كبدهم خسائر جسيمة . وفي خلال ثورة دمياط فابم أهالي عزبة
البرج وثاروا بالحامية الفرنسية فقتلوا من أدركوهم من رجالها " 31 .
وكنب الجنرال " لوجييه " في يومياته يقول : " لم تتحسن الحالة

حتى في ا(.حر فاتا! انفا،حو!

خرجت السفن من بوغاز دمياط - 3 امممومبر 1798 - ثم عرجت على " فم
الديب - 16 سفينة منها ثلاث سفن حربية - فرت منه الى بحرة " المنزلة " ،
وقطعت هذه المرحلة في ثمافي ساعات ، ثم اتجه الجنرال " اندريوسى " بقوته صوب
المطرية ، ولكنهم شاهدوا في نحو الساعة الثالثة مساء اسطولأ من المراكب الشراعية
متجها نحر الشرق ، تحجبه عن القوة الفرنسية ، الجزاتر التي في البحيرة ، فواصلت
سفن الجنرال " اندريوسى " المسر حتى اقتربت من " المطرية " وقبل ان تصل اليها
خرجت !راكب الأهالي فجاة من خلف الجزر التى تحجبها ، وأقبلت على السفن
الفرنسيه قاصدة الاصطدام بها واغراقها ، فأدرك الجنرال " اندريوسى " خطورة
الموقف ، وخضي عوافب الاصطدام لأن المراكب المصرية كانت تبلغ

نفسه !راجع تفادياً من الاصطدام بمراكب الأهالي ، وكانت هذه تتعقب السفن الفرنسية قاصدة احتلال دمياط ، ورست بالقرب من المنية - جنوب دمياط بغوب -33،

وأقبلت جوع الفلاحين المسلحين تقتحم رصاص الفرنسيين ، واستمر " الضرب والقتال مدة ساعتين ، وانتهت الواقض بيزيمة الفرنسيين فولوا الادبار ، وتعقبهم الأهالمط حتى ردوهم الى للبيس !34 .

فهجم أهالمط ميت غمر والبلاد المجثورة على المراكب واستولوا عليها وقتلوا من " فيهث من الفرنسيين وأخذوا ما بها من الذخائر والمدافع وارتدت السفينة الحربىة ا! شى

كانت تحرسها الى القاهرة بعد أن عجزت عن رد الثاثرين وجرح تجطانها وعد! من ا جالها جروحأ بليغة ،35 .

: معركة س!نهور 3 مايو !179 "

وصل المدد الى الرحمانية ، وانضم الى الجنود الذين بها ، وسارت القوات " الفرنسية مجتمعة فالتقت برجال " المهدي " يوم 3 مايو بسخهوا البحيرة على مقربة من دمنهور ، ودارت معركة من أشد المعارك هولأ ، قال " رييو " في وصفها ا ن ءلبد رجال " المهدي " كانوا خمسة تحر ألف مقاتل من المشاة وأربعة الاف من الفرسان ، والت القتا ا استمر سبع ساعات كالت فيها أشبه بمجزرة قطيعة ، وهذه الواقعة من أشد الوقائع التي واجهها الفرنسيون في القطر المصرى ،.أظهر فيهث اتباع المهدي " من الفلاحين والعرب شجاعة كبعرة واستخفافا بالموت لا نظير له ، وبذل " الكولونل " لفيفر " اقصى ما انتجه العلم والفن في القتال ، فجعل جيشه على شكل مربع ، على الطريقة التي ابتكرها نابليون ومجم على الجموع المقاتلة عشرين مرة ، فكان يحصد صفوفهم حصداً بنيران البنثدق والمدافع ، وكان اتباع المهدي قد غنموا في دمنهور مدفعاً فرنسيا فاستخدموه في المعركة وركبوه على مركبة تجرها الثيران ، واخذوا يطلقون منه النار على الفرنسيين ، واستمر القتال حتى جن اللمل وكان الجنود الفرنسيون قد خارت قواهم من القتال . ففكر " لفيفر " في الانسحاب من الميدان

ر قرية 9 بردين ! ممحافطة ضفه * .

والاتجاه الى الرحمانية ، ولكن جوع " المهدى ا لكدرة عددها كانت تسد الطريق
أمامه ، فأمر رجاله ان يضموا صفوفهم ويخترفوا الجموع التى طوقتهم وركب المدافع
على رءوس المرئ !قتحام هذه انجموع وانسحبوا من ميدان المتال بعد ان فدحتهما
. الخسائر "36
هكذا كان لقاء شعبنث للغزاة في الوجه البحرى ، فثذا انتقلنا الى الصعيد حيث
كان " ديزيه " وعميله " يعقرب " يشنون حملة اخضثع الصعيد ، كانت المقاومة
الشعبية تعم كل قرى الصعيد ، حتى ليستحيل أن تذكر فرية على جانبي النهر لم
تسجل صفحة بطرلة في سجل مقاومة الغزو الفرنسى .. ولم تقدم اكز

واجه الفرنسيرن في الصعيد فيما بين جرجا وأصيوط ثورة واسعة النطاق بعيدة "
المدى ، ولكنهم عاجلوها قبل ان تجتمع فواها وتتحد عناصرها فكانت المعارك التى
نشب! بينهم وبين الاهالي أًسبه بمذابح فتكت فيها نران المدافع والبنادق بجموع من
. " الأهالي محرومين من النظام غير مزودين إلا بأسلحة قديمة
إ ووصمل الجنرال " دافو " الى " سوهاج " يوم 3 يناو 1799 حيث كانت
تحتشد فوة من الثائرين قدرهم الجنرال ! دافو " بأربعة الاف من الفلاحين مسلحين
.بالبنادق والحراب يشد أزرهم سبعمائة من ا الفرسان ، ونشب القتال بين الفريقين
ولكن الأهالي على كثرة عددهم لم يكوترا معتاد*ت خوض المعارك الحديثة فأصلتهم
فرقة الفرسان نارأ حامية ، تراجعوا أمامهم تاركين ثمانمائة من القتلى ؟ يقدرهم
. " الج! أ ا! دير يه

وكانت هذه الواقعة كارثة أصابت الأهالي وكان طبيعيا أن تفضى الى " ارهاب
البلاد الأضرى واخماد الثورة فيها ، لكنها على العكس! لى تكسو شوكة الثائر-ش ، و لم
تثنهم عق عزمهم ، واحتشدت جوعهم المسلحه عك مقربة من أسيوط قادمين رجالا
ركبانا من مديريات " المنيا " و " بني سويف " و (! ألفيوء أ ، فكلف "! "ديزيه

. " بالخاطر لأنه كان يتسحب في النيل بين بلاد تثثرة وجموع هائجة
ؤوصل " دافو " " طهطا " يوم 8 يناير .. وهجم الثوار على مؤخرة " الجيش
الفرنسى .. فأمو الجنرال " دافو " باطلأق النار علهم ففتكت جهم خمكأ ذريعا وخسو
الأهالى عددا كبيراً من القتل قدرمم الضالط " راباس " 150 قتيلا من الفرسان
وثمانمائة من المشثة . وأنتقم القرنسيون انتقاما فطعا من القرى التى اطلق! عليهم
. " النار فقتلوا من أهلها خمسمائة رجل وأحرقوها
وعند جؤوة فيله " أنس الوجود " قال الجنرال " بليار " : " جمل الأهالي
أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال ، ورأينا النساء ينشدن أناشيد الحبرب والهيجاء
ويحثون التراب في وجوهنا ، أما الرجال فأطلقوا الرصاص عل رجالنا الذين ربرا
البحر ، وكنت قد احضرت معي مد!أ لإخضاعهم فدعوتهم الى الصلح والسلام

فالتقى بهم لط " الصوامعة ، - جنو! طهطا - يوم 5 مارس ، وألفى نار " الثورة
مشتعلة ووجد بيا نحو ثلأنة الاف من الفلاحين يحتلونها ، فهجم على المدينة واحتلها،
ودفع الثوار المط النيل فقتل فهم عدد كبير قدرهم الجنرال " دكأيه "

،و- كان الجنرال " بليار " يسمح لجنوثه باغتصاب النساء ليرفع معنويتهم "
ويائر بإتلاف اولحاصيل ليهبط بمعنوية المماليك .. اضصر " ديزيه " الى ترك اصطوله
. فرب " قنا أ حين زحف شدالا بأكثر جيشه ""4
وبعدت الشقة بينهما فاتهز الاها(؟ هذه الفرصة لمهاجمة الاسطول وكان عدده "
نحو 12 سفينة حرتمة تغل ذخائر الجيش ومؤونته ، تتقدمها السفينة الحربية
اكاليا " . هاجم الأهالمط هذه السفن يوم 3 مارس (اذار) سنة 1799 على مقربة)
من فرية " بارود " واطلقوأ علها الرصاص فأجالت السفينة الحربية " ايتاليا " على
،العض يقرى .عليكم كا أجدادى .. انكم ق!اللش بتحريض الممالك او لاعادتهم +

هجمات الأهالمما باطلاق المدافع فقتلت منهم عددا كثيرأ ، لكن الأهالى ومعهم العرب
القادمون من القصير تجمعوا وازداد عددهم ونزلوا النيل سباحة وهجموا عل السفن
فاستولوا عليها عنوة وأفرغوا سحنتها على شثطىء النيل ، ثم ركبوها وقصدوا الى
السفينة
الحربية " ايتاليا " للاستيلاء عل!ا ، وكان يقردها القومندان " موراندي " فضاعف
اطلاق الرصاص عل المهاجين ولكنه رأى رجال مدفعيته قد اثحنتهم الجراح على ظهر
السعفينة ، ورأى من جهة اخرى جموع الأهالمط من الشاطىء الآيسر يتحفزون للهجوم
عليه ، ففكر في الانسحاب ولكن الريم عاكسته فجنحت سفينته ، وإذ ذاك هرع
" إليها الأهالي والعرب من كل صوب وحدب وصعدوا على ظهرها ، فتحقق إموراندي
الخطر المحدق به ، ولكنه ألى السليم ، فأشعل النار في مستودع البارود ، وألقى هو
ورجاله بأنفسهم في اليم قاصدين النجاة ، وانفجر مستودع البارود فنسف السفينة
نسفا ، وتفجرت شظايا القنابل عل الشثطىء فقتلت عددا كبيرا من الأهالي ولكن
الباقين منهم قاتلوا " موراندي " ورجاله في اليم فمات مثخناً ببهراحه ، وقتل جميع
، الفرنسيين الذءش كانوا على ظهر السفينة " اكاليا " وعل ظهر السفن الأخرى
وكانت خسارة الفرنسيين جسيمة فبلغ عدد خلاهم من البحارة والجنود خمسمائة
. خعيلا 4

وفي " ابنود " كان مع شعبنا هدافع حديثه " وكانت هذه أول مرة
واجه ف!ا
. الفرنسيون هدفعية حديثة في صفوف المصريين "42
وبعد ساعتين كان الفرنسيون قد فقدوا ستين قتيلا ، وجرح منهم "
مثل هذا
العدد امام هذا المنزل وحده . وتوقف القتال بعد غروب
الشممى .. ولكنه استؤنجف

ودكبد الفرنسيون خساثر جسيمة فكفوا عن الضرب لعد أن أحرقوا "
المسجد
وأخذوا يحاصرون المنزل طول الليل ، ونصبوا المدافع بحيث تعثرف
. عليه "44
وأفلحف في ثق طريقنا الى الحوش واشعال النثر في البناء " 4 . " "
ليكرهوا من فيه
على التسليم " ولكن المقاومين كا تصفهم هذكرات " دينون " : " نزلوا
عدوا الى
الحوش وهم صاة يمسك كل منهم سيفا بيد وبندقية بالأخرى . وهم
يطلقون النار

ء

يخوضون النران كأنهم الشياطين خرجت من الجحيم وأحسست وأنا أشهدهم بمزيم
من الرعب والاعجاب . وتخللت المشهد خعرات من السكون تسمع فها صوتا واحدا
وتسمع رد الجماعة لافي ناشيد الدينية ، وصيحات (يصلي) الحرب ، ثم علقرن
. بأتفسهم علينا ركم يقينهم من انهم ملاقون في ذلك حتفهم "46
كانت أمتنا ما زالت على ظرتها السليمة ، تحركها روح الاستشهاد التي قهرت
الغوب وصدته 12 فرنا . لم كن فد تم تغريبهث بعد ، ولا تم تجريدها من روح
. العفيدة وروح الجهاد
أما المماليك فيقرر " الرافعى " انهم " لبثوا يشاهدون هذه المجزرة بعيدأ ، لم يأتوا
شيئأ ولم يعملوا عملأ ، وعسكروا في الصحراء . فلك كان شأنهم في كل المعارك
التي اشتد فيها القتال .. فكانوا يضنون بأرواحهم ويعرضون الأهالي فداء

هذه الصورة اذا كانت معلوماتهث صادقة من ناحية جبن المماليك وهروبهم وتجنبهم
مقاتلة ه الفرنسيين ، واكر من ذلك لقد سبق هذه المعركة انضمام عدد من
المماليك إلى الجيش البازى ، بعضهم كان لديه ضىء من الخجل ، جعله يدعى انه
من أصل أورود ومن ثم فوضعه الطيعى أن يكون مع الجيش الغازي ودمضهم !
لم يفكر حتى في عذر .. إلا أن التحليل الذى يخرج به " هيرولد " عن " تحريضهم
للأهالي " غير صحيح ولا دقيق ، وكذلك ملاحظة " الرافعى " : 1 ويعرضون
! الأهالي فداء وضحية ! " فداء لمن ، وضحية ماذا ؟
فتحرتض المماليك كان اخر عامل يمكن ان يستثر الفلاحين

كانت عارة الجبرق جاممة مانحة بلية ومختمرة : " واخهزم

و " الرافعي " يعلم ان الوجه البحري كان خالياَ لمرتعا من المماليك بعد
الاحتلال . ومع ذلك لم تكن ثورة الأهالمط فيه ، أقل من ثورتهم في
الصعيدّ.
والذي حدث أنه لما سقط المماليك وأفاقت الجماهر على ايهارهم - بل
واصبحت
تتبرأ من جبهم وهربهم ؟ رأينا في ردهم على الجنرال بليارد - حملت هي
مسئولية
الدفاع عن وطنها ووجودها . ولأن الفلاحين والصعايدة واولاد البلد في
القاهرة -
؟ سنرى - قد محوا لالدم الأسطورة التي راجت تجل الحملة الفرنسيه
عن الشعب
القطيع الذي يتعقل من كد غالب الى غالب ، ولا دخل له بقضية من
يمتلك البلاد . .
لأن شعبنا محق بالدم الفرية الى يركد البعض ترويجها اليوم بأنه لم يكن
طرفا في
الصراع كل السيادة ، لل كانت حرباً لين القرنسيين .. والسيادة العثمانيه
والعسكر
المماليك .. لأن وقاهتع التاريخ تكذب ذلك الزعيم ، نرى بحض المؤرخين
يعحثؤن
حاترين عن " تفسير " لاستشهاد المصرتن دفاعا عن وطنهم ! ا
كانت المقاومة عامه والرفض شاملا ، ففي رسالة الى الجنرال " دفبيه "
عن معركة
ابنود : " اننا نعيش هنا عيثه ضنكا فان بم القرى تقفر من السكان كلما
اخعرلنا
منها ولا نجد !ا شيئأ من القوت ولا نرى فلاحأ واحدأ تدلنا أو يأتينا بالأخبار
أو محمل رسائنا . ولا ادري السبب في هذه الحالة (؟ ا) على اننا مع
ذلك لا
نعمل عملا ضارأ في البلاد التي نجتازها " (11)
و!رر الراضي ان " الفرنسيين لقوا أشد الجهد ني استخدام النوتيه
المصرلمحن في
مراكبهم لامتناع الكثر منهم واستعصائهم.أن يخدموا المحتلين في منفعة
أو ضارة " .
اما " دفنته " (رغم خدمات العميل يعقوب) !ر !ر لنابليون : " لا امح!
مكم
الحقيقة وهي اننا مع ذلك لا نكون سادة البلاد ، لأننا اذا اخلينا للدة لح!
واحدة
من الجنود عادت الى حالها القديمة " .
ولط " بني عدي " وصل " دافو " اليها يوم 18 أبريل 1799 " ألفى أهلها
جميعا محملون السلاح ويتحضرون للوثبة والقتال .. فاشتبك الفر!ان في
معركة
حامية !دارت رحاها في طرقات " بني عدي " وبيوتها التي حصنها

وانتهت المعركة بغلبة المدافع والنيران الفرنسية على مقاومة الأهالي ،
ذلك ان الفرنسيين
لما عجزوا عن الاستيلاء على " بنى عدي " لجأوا الى وسيلة الحريق التي
اتبعوها في
ابنود " وغرها ، فأضرموا النار فيها ، فأمتدت الى بيوتها كافة ، "
وأصبحت البلدة
كأتون من نار ، وبهذه الوسيلة تغلب الجيش الفرنسي على مقاومة "
" بنى عدي
. . واحملهث الجنود وأمعنوا في اهلها قتلأ ونهبا
:فال الجنرال " برتييه " رئيع! اركان حرب الحملة الفرنسيه في مذكراته
أصبحت " بنى عدي ! اكواماً من الخرائب ، وتكديست جثث القتلى في "
،شوارعها
ولم تقع مجزهـة اسد هولا مما حل ب" بنى عدي " وقدر الجنرال يا دافو
" عدد

وهناك واقعة سمهرة ينتبه لهث دائما المؤرخون الغربيون ، وبعض
المصرتنن ، ولو
ان الاهتمام بهث وقف عند حد " الاعجاب " بغلام .. فلاح مصري ، يسرق
بنثدق
الجيعق المرنسي ، و-سفض الاعتراف على محرضيه ويتحمل الضرب
!لصبر عجيب
ففي "الفقاعى! - قرية تابعة لمركز ببا في مديرية "بنى سويف " على
الضفة الغر!ة
للنيل - (لالصعيد) تقدم أحد غلمان القر!ة وتغفل جنود الجنرال " د-نريه
" ؟ تغفل
جواسيسه بقيادة " !قوب " . واستولى على لنادقهم فراه جندي اخر ،
وتعقبه وهو
يحمل بندقية الى ان ادركه وضربه بال.صيف على ذراعه ، وساقه جريحاً
الى الجنرال
ديز، ! للاقتصاص منه ... ! وهنا تمسجل المصعادر الفرنسية (وهي "
وحدها التى
سجلت الواقعة) حوارا يبدو أته أذهل قثدة جيش الاحتلال من غلام لم
تتجاوز
سنه الثانية عشرة عاري الجسد تقريبا ، حافي القدمين ، على بعد مئات
الاميال من
الشاطىء الاورولى ، جرتحا مضروبا بالسيف في ذراعه وساقه ، يمسك
به جندى
فرنسي ووسط معسكر كامل من اثفاتلين ، المسلحين باسلحة أوروبا
!الحديئة
فعندما سأله الجنرال عما دعاه الى ارتكاب هذا العمل ، أجاب الغلام
: ابط الحأش

ارحم من القضاة الانجليز عندما واجهتهم فتاة فرنسية في زى غلام
(بنفس الكلمات
فجلد الغلام لا يتأوه ولا يتململ حتى استوفى الثلائين سوطأ ، وقد فص
الجنرال
بليار " حكايته في وومياته قائلا : ان هذا النلام افث عنى بتربيته كان ذا "
شخصية
نادرة المثال ، وروى المسيو " فيفان دينون " حكاية هذا الغلام في رحلته
" . اما
رواية المسيو " دينون " التي يتحفظ عليها الرافعي بسبب أدبياتها فتقرل
ان : " الغلام
جرى بأصرع ما يستطع وهر يخفي السلاح تحت جلبابه ، ولم يقف الا بعد
ا ن
اًصابه الجندى بجرح سيف في ذراعه . وجيء به أمام الجنرال " د-نريه "
فاستجوبه.
فأجات وهر يطلع الى السماء بأن الله أمره ان يسرق وأن " لد-نريه " ان
يفعل به
ما يشاء . ثم خلع طاقيته وأعطاها للجنراك وطلب اليه ان يفصل في
مصيره . وظل
طوال الوقت ها*ئأ هدوءا عجيبأ . وأبدى ترة خلق نادرة . أما الجنرال فقد
راعى
صغر صنه وخضوعه لحكمه ، ثم حكم عليه بثلاتين جلدة . وانحنى الغلام
طواعية
وتلقى الجلدات على ظهره دون صوت أو دمعه . وعمره يتراوح بين
الثامنة
والعاسرة (!) وهو حلو الصورة . ولو اتيح له بعض الحليم لتقدم كثيراً
. "
ونرجح أن النلام كان يتبع تنظيما ما .. اذ لا يعقل انه كان يسرق البنادق
لحسابه
الخاص ، ولا شك أن أهم ما كان يعنيه ، ونجح فيه ، هر عدم افشاء صر
هذا التنظيم،
؟ يمكن أن نفهم من هذا الحادث ان التنظيم الوطني في الصعيد ، أو
مصر كلها،
كان يعتمد - ؟ هي الحث دة في كل الحروب التحر!ية - كل مخازن العدو
كمورد
أساسى للسلاح . وقد ثبت دألما ان الأحداث هم خير من يقوم بحمليات
من هذا
. النوع
ولا نجد في جع الروايات المتاحة ، ما يشير الى دين الفتى ، ولكن اتشار

اضف الى ذلك انه ما من مصدّر من المصادر الفرنسية قد حرص عل اثبات
،اسم الفتى ، ولو كان مسلما ما فاضهيا ذلك . فمن ضنا اذن ان نتخيله .غلاما قبطا
ضرب بجذوره في هذه الأرض منذ الاف لا حصر لها من السنين ، و!سمو بإحساسه
الوطني الى الافاق الحضارية التي ترى في هؤلاء الفرنجة النزاة ، أحفاد الرومان الداه
الذتق نكلوا لأجداده وطاردوا رهبانه واضطهدوا كنيسته ، واغرقوا تاريخها لدم
. . . الشهداء وأجبروا لطريركها كل اللجوء الى الصحراء حتى معاده العرب
هذه هي اثفاومة الشاملة التي اجتاحت الريف المصري صعيده ودلتاه .. تلخصها
: ،الرافعي ، وهو الذي كان - بحق - خص من أرخها بدقه كاملة ، علخصها لقوا
،وصفرة القول أنه لا يمكن لأمة عزلاء لا سلاح معها ان تدفع عن كيانها "
. بأكلر مما فعلت الامة المصرية في عهد الحملة الفرنسية "47
حتى المؤرخ الصهيوز ناثاف صافران !رف بأن مصر شهدت ثورة فلاحين "
. في 1800 ضد المحتل الفرنسي "48
وهكذا كان تاريخ الحملة الفرنسية في الريف المصري من الدلتا الى الشلال ، هو
سلسلة متصلة شبه ورمية من أعمال القمع والايادة والنهب والتنك! الوحشى توم
بها جيش الاحتلال . وثورة دائمة ومقاومه متزا!دة باستمرار من الفلاحين المصرون
اونهم ابناء البلاد العر!عة والاسلامبة من مكيبن وجداوتنن ومغاربة وأحباش!
وتونسبين .. وطبعا الشوام .. و؟ سردنا بعض مات ، من دعض صقحات المقاومة
التي أثبها المؤرخون عن مقاومة الفلاحين ، نستعرض بحض سطور من سفر التنكيل
،الوحشى لجيعثى البرابرة الفرنس!نن بالفلاحين المصر!ن : ففور احتلال الاسكندرية
"أمر نالليون بهدم منزل الشخص المتهم بقتل جندي نرنسي ، سالقا بذلك " المدنية
)الإسرائيلية بقرر وسبعين عاما
وعندما ثار الفلاصن في الدلتا وام!تطاعوا محرير " دفهور " وحكمها حمسة عشر
ررماً . كأن الانتقام : " ان دمنهور زلت من الوجود ، وقد أحرق ز ضرب بالنار
. " ألف ومادان الى ألف وحمسم!تة من أهلها
وصلنا ررم 26 مسيد!ور (14 !ليو) الى قرية (النجيلة) ببما كان جنود "
تامل مهزلة التاضى - و بالاحرى الؤافق - بين التاريم بالخريم سثورى ، وبين الشل -
! البربرى

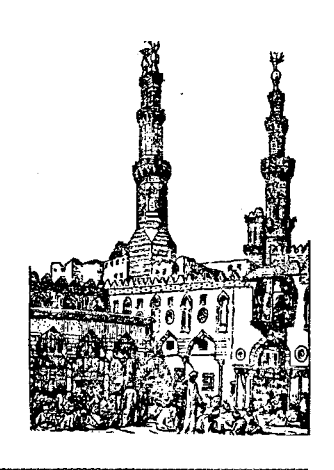
الجنرالين " بون وفيال " ينهبونها ، وكان صياح الأهالمط وبكاء النساء ونحيبهن يصم
. الاذان "49
صادرنا بعض المواضى التى وجدفثها في طريقنا ، وبينما كانوا يقيدونها " كان الجنود
ينهبون هذه ا اعرية ويخربوفها . إن فرقتنا لم تكن تعمل سرى اتمام خراب القرى التى
كان يمر بها الجيش لأن الفرق التى تقدمتنا لم تترك فيها إلا ما لا يمكن جمله أو تخرتمه،
وفي بعض الأحيثن كنا نرى النار مشتعلة في النيطان قبل حضورنا بحيث لم نكن
نعرف كيف نحصل على ما يلزم من التبن والشعير لخيولنث " . " ووصلنا الى
وردان " . وبالرغم من ان الجنود كانوا في حاجة الى الراحه فإن ذلك لم وردهم
عن الخب . " ووضعوا اتديهم على ما وصلت اليه من المتاع وأخذوا منها ما راق
. " لهم أن يأخذوه
ومن الخطأ ذ نتصور أن هذا الاسلوب كان ي!ميز به صغار القادة فان " مينو"
محعب الى، " كليبر " بتاريخ 13 أغسطس يقول : " لقد قمت هذا اليوم بجرلة لمعاقبة
قرية قتلت بعض الفرنسيين ، فأحرقت القرية وقتلت تسعة من الأهالمي ، وسيعتبرون
. " بهذا الدرس كا يعتبر به أهالمط وادى النيل
. . وطبعاً لم يجر الالرفان

وليمى صحيحا أن نابليون كان مستاء من ذلك - كا يشهد الرافعي - " إنصافا
للتاريخ ! إ! بل كان نابليون - الذي يبدو اًن اهتمامه بالوثائق وتبرئة نفسه أمام التاريخ،
كان كل ما يشغل باله - يكتب عبارات الاستنكار هذه للث ليمى إلا وأيضا
كان يرفض في بعض الأحيان أن ينشغل الجنود بالنهب عن الحرب ، أو أن تمزق
وحدتهم ، عملية الصراع على اقتسام انمهوبات ، ولكن تعليماته كانت تتضمن : " أ ن
يأخذ أهل " دمنهور " أخذا شديدا بمسلكهم ازاء محعيبة الجنرال " ديموئ " وتجريد
الأهالي من السلاحِ وإعدام خمسة من أعيان المدينه ف!3 واحد من

لنتذكر دائما أن نابليون هر أول حا 2 لمصر تحرأ على إعدام " العلماء "
المصريين.
. وتابليون هو الذي أمر : (اظظوا العقاب للقرى بصرامة وقسوة ،2
إن الجنرال لتورك بم الخيول والأموال من جميع القرى المجاورة "
لدمهور وأنه
ارسل الى الاسكندرية بستين حملا محملة غلالأ مما صادره من البلاد "
3 .
ولكنه اسرف في التنكيل و لم يفوق بين القرى الثاثرة والقرى الأمنة !
الهادئة ، وأوقع
بها كلها نهبا وإحراقأ ، مر أولأ " بلظاهرية " - بمد-سية " الغربية " على
الشاطىء
الغرلمط لفرع " دمياط " ثهال " سربنن أ وتسمى الضمهرلة - فوجدها
خالية من
السكات لأن أهلها أخدوها قبل أن تصل إليها الجنود الفرنسية ، لكى لا
يستهدفوا
للانتقام ، ثم بغ " كفر المياسرة " فوجدها كذدك خالية .. ووصل الى "
"ميت الخولى
فاستولى الجنرال فيال على المدينة وعلى ما وجد فها من الاسلحة ،
ومها ثلآنة مدافع
قديمة وأمر جنوده بنهب البلدة وإحراقها . وفي اليرم الذي عاد- فيه
الجنود الى
دمياط " بعد هذا النهب . كانت مدينة " دمياط " أشبه بسوق ؤ مولد "
باع فيه
الجئود الفرنسية الى الاروام ما نالته ايديهم من الى والسلب ، فكانوا
يعرضون
المواضى والطيور والثران والبقر والخيول والحمير والغتم والدجاج الأوز
وكثيراً من
. قطع الذهب والفضة التي كانت حليا للنساء"54
وطلبوا كلفة من أد زعبل ، فامتنعوا فقايلوهم وضربوهم وكسروهم "
وبهوا
. " البلدة وأحرفوها وارتحلوا الى بلبيس
ولما وصل الجنرال " لانوس " الى " ميت غمر " أراد أن يقتص منها "
انتقاما
لما حل بالفرتسيين والسفن الفرنسيه تجاهها ، فأمر باجراقها وتدميرهث
" حتى لم تعق
. مغ، حجر على حجر " ؟ يقول ريبو))آ 5
إ بعد ان احتل الجنود دمنهور قتلوا من صادفوه من رجال " المهدي "
جيعا،
ولما كان أهل دمنهور هم أول من اتبع المهدي من سكان البحيرة ، فقد
أراد

وذكر الجنرال " لانوس " في رسالة بعث بها من الرحمانيه الى "
"الجنرال " دوجا
شيئأ من الفظاح التي ارتكبها في دمنهور قال : " كانت مدينة
دمنهور وأهلها هدقا
لانتقام الجنود ، فقد قتلوا من الأهالم! نحو . . 2 أو . .3 وبعد ذلك
أمرت بتسليم
المدتنة لفظائع النهب وسفك الدماء . والان لم يعد لدمنهور وجود ،
وقد قتل من
. " أهلها نحو . . 12 أو 0 150 ماتوا قتلا أو حرقا
وفي اليوم الذي وصل فيه كلهبر (كليبر) الى صالقاهرة ليتولى
منصبه الجديد
كخليفة نالليون . " قدمت .طائفة من العسكر من جهه الشرقية
وصحبتهم منهوبات
كثرة من بلد عصت علهم ضرلوما وضهبوها ومعهم نحو السبعين
من الرجال
والصغار وبعض النساء وهم موثوقون لالحبال فسجنرهم لالقلعة "8
.
أما تعليمات نابليون فكانت : " ان الوسيلة الوحيدة لإخضاع هذه
البلاد هي:
أصدروا أوامرم بأن تقدم لكم كل قرية جوادين من خير الجياد ،

!-*،\/!ح!-"؟!
ش-/!ر كم !حما! صأ) *
ث



ا!صث!ارايغ
وئارت
مزيالئ

تنظيم

أما في القاهرة ، فبعدما ادت مسرحية .. الدخول بلا سلاح ، وسراء الدجاجة
بريال فرانسة دورها قي بلبلة القاهريين الفترة اللازمه .. بدا الجنود يقومرن
بالمهام التاريخية لجيش احتلال تتري :
وفي كل يوم ينقلون عل الجمال والحمر من الأمتعة والفرش " والصنادتق
والسروج وغير ذلك مما لا !ى ويستخرجون الخبا!ا والودائع وطلبون البنائين
والمهندسين والخدام الذ-فى يعرنرن بيوت أسيادهم لل ويذهبون لأنفسهم ويدلونهم
على أماكن الخبايا ومواضنع الدفاين ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ووسيل! ينالون بها
أغراضهم " 1 .
وأحقاد ابناء المهنة الواحدة معروفة ، والدولة التي تزور العملة بخفض قيمتها،
لا نألو جهداً لط مطاردة منافسيها من هزيفي المملة ، الذين يعملون لحسابهم الخاص ،
كذلك فابى جيعق نابليون الذي شن عملية نهب واسعة النطاق ، شن في نفس الوفت
حملة مطارد! لمنافسيه من اللصوص غير الرعيين الذين ساهموا في استغلال الفرصة
التاريخية بنهب جانب من بيوت المصريين . ولأن ساري عسكر الفرنسيس كان أقوى
تسليحاً واسهر جندا من ساري عسكر اللصوص ، فقد تئم القبض : " على شيخ
الجعيدية ومعه اخر وبندقوا علهما لالرصاص ببركة الازبكيه ثم عل اخرين

.

مراد ليك وحدها في احدى الدشات مائة وعشر! ألف ركال أي ثمن
مائة وعشر!
الف دجاجة ، بالسعر لوهمي الذى حلىل الجند خداع المصر!ن به
في الأكام الأولى.
وزوجة رضوان كاشف كانت صالحت عل نفسها ولها بألف ركال "
وثلمائة
ر!ال واخذت قغ ورقة والصقها عل باب الدار وردت ما كانت وزغه
من المال
والمتاع عند معلرصا واطمأنت " ولكن اطممنانها كان كل ص
أساس ، فسرعان ما
حضر العسكر ، وضروا ونهرا واخنرا : " صاحبة الدار ومعها جارية
ليضاء
واخنوهما مع الجوارى لسود وذهبوا بهن . فأقمن عندهم ثلائة اكام
وبهوا ما وجدره
لالدار من نرش وامتت ثم تررروا عيا ار!ة الاف ردال اخرى . قامت
يدشها
وأطلقوها . ورجعت الى دارها "* .
واضح ان نالم!رن كان يفضل ان 3 انهب دالوساتل العصرية أي
لالفرد والضرائب
والرسرم .. اغ .. ولكن ثورة القاهرة الأولى جاءت تكشف عن
التترى المتخفي
في ثهاب القرن التاسع عشر . .
واذا كان بع المؤرخين يتفقون في اعتبار الحملة الفرنسية هي لداية
المرحلة
الحديئة من المسأله. الإسلامية فان ذلك الاتفاق يقرم في نفس
الوقت على خلاف
جوهري يين المدرصتين : الاستعما!ا" والوطنعة .. فبظ ترى
المدرسة الغرمة
الاستعمارية ، ان الحملة الفرنسعة كانت بداكة ث القرمهة
المصرية (بالذات) أو
لداية ذلك الطريق الذي عئدته ا!دّ ذلك اقدام لإنجالز والفرنس!نن

وفى آخر رواكة الجبرلط عارة يد، ان دعض طررها ضط من الامل تتى !وله : " وحفل
ينا (اى بين زوجة

ولر أنه لم يصل لالاستثارة الى المستوى الذي كلكن الأمة من التغلب عل التحدي
وقهره ومن ثم تحقيق البعث وتخطي حافه الخطو . ولا نجح هذا التحدي في سحق
مقاوهة الأهة خهائيأ .. وما زالت الأهة العرمة والشرق الا!مي كله يراجهان هذا
التحدي في نويات من الانفعال ، وارتناع مزثت في حرارة لرص ، ثون أن يصل
الى الرفض الشامل والمقاوهة الخلاقة . وقد سيدنا كيف قاكلث الأهة من الاسكندرية
الى النوبة ، النزو الفرنسي بالرص والمقاوهة .. وكيف نكل النزاة النرنسيون بمقاوهة
. الشعب مؤكدين يذلك الطا اح الاستعمارى للنزوة
والمدرسه الاستعمارية التي تعتبر مقاوهة الشعوب المستعمرة " ظاهرة " "شا
تحتاج الى قفسص ، وأحبانا الى تبركر ، تجهد نفسها دائما في ظيل " " أسباب
الثورة .. وبالبم فان اخر سبب تجده هو التناضى المحتوم بين الاستعماريين والبشعوب . ء
وهي محاول دائما أن تفتعق عن سبب الورة من " لا مصلحة لهم اضصت
بالنزو " ا .. " فنابلهون " نرض الضر 6لب عل الاغنهاء ، فلماذا كور الحامةأ
والفلاح المصرى أعفى من السخرة في ظل ي!نجليز فلماذا ثور أ ولالذات في السنة
التي ارتفع !ا سعر القطن أ ا لا بد أن السبب هو ارتفاع سعر القطن .. وما
[أدى اليه من " بطر " وتطلعات
ومنذ " ريتشارد قلب الاصد " الى " هكلولد " .لا لد ان تفسر مقاوهة الغزو النرفط
بأخهث من فعل التعصب الديني .. وهذا التفسير يجب الا يفزعنا فنسقط ن! شراك
نفيه ، فلهس !ب الام ان ك!عصب لدكها ، وقد محرض المشاغ على ناللهون 9 ا ن
يسلم ، فتدين له الأمة العربية بالطاعة ، فرفض ! ولكن المهم هو :-ما مي المواقف
الاجماعية والسهاسية والانسانعة والحلقية التي تزتب عل تعصب الأمة لدينها .. فلأا
كان شيوخ الأزهر " يفزون " فرنسا و!يدون شعها لفرض الإسلام عله ، بالقوة
فهذا تعصب يصكق الفرنسين أن كستنكرمه وأن يقاتلوه .. ماذا كان

الزمن ، وخير ما يفعله المستعمر الأورولى لكيلا يحترق بنيرا،ن هذا التعصب " " ،
هو إلايتعاد عنه بالحوده الى وطنه!
ونحن نرى خطأ العفاسير التى تحاول ان تفسو ثورة القاهرة الأولى بأنها كانت
ضد الاصلاحات الفرنسية ، كالزام السكان بدفن الموقى خارج المنازل ، أو هدم
البوابات أو اجبارهم على تعليق الفوانيس . فإن الثورة قد نشبت في شتى انحاء القطر
ء

والثورة لم تنشب فقط بسبب الضرائب ، فكما يعترف " هيرولد " تفسه ف!!
الذين فاموا بها هم العامة الذفى لا يدفعون ضرائب.
الثورة لم تقم بسبب ازمه افتصادية بل ؟ يشهد المؤرخون المعاصرون كان
الدام اوفر من العاثة ، وهبطت اصعار المواد الاساسية ! بل ابدى جندي فرنسى "
دهشته من استمرار انخفاض الاسعار رغم وجود عدة الاف من الجنود الفرنسيين كمستهلكين من الدرجة الأولى في احدى القرى أ
الثورة قات لهذه الأسباب كلها ، ولكن السبب الرئيسى الذي يجمع كل هذه
الاسباب ، ويتغلب حتى عل ما قد يعارضها من عوامل ، هو التناقض بين الشعوب
والاستعمار . فهى ثورة وطنية مصرية مائة في المائة وذلك لا ينفي عروبتها،
واسلاميتها في نفس الوقت ، ولكنه ينفي السخف القائل بأنها كانت من تحريض
ووعود ممثلي العثمانيين والمماليك . فهؤلاء ؟ يسجل " الجبرلط " لم يكن ثمة مّن يأمل
جديا في مساعدتهم ونجدتهم . وقد رأينا تعليق " الجبرقي " الساخر على نجدة السلطان
المأمولة عندما ارسل يطلبها منه ، اخر ديوان ، فكان تعليق المؤرخ المصري ، قبل
وقوع الهزيمة ، بل حتى قبل وقوع القتال : " أرسلوا يأتون بالترياق من العراق " . .
وبعدما اخمدت الثورة وصدر بيان نابليون لم يعجب " الجبرقي " فيه إلا وصفه الدولة
العثمانية بأنها " المفعمة جهالة " . فهذه دولة لم يكن القادة الحقيقيون للأمة يتوقعون
الكثير.من نجدتها . وان كان هذا لا يمنع ان المصريين كانوا يتمسكون " بعلقة الدولة
العلية " حتى ان نابليون حاول أن يمن عليهم بأنه ابقاها لهم.
ولا غرابة ان تثور الأمافي أو حتى الأوهام بين المحاصرفى الذين يقاتلون تح!

وابل من ضرب المدفعية 9 الذي ما كانوا قد عرفوه ، ولا من قبل قد عايتوه " لا
يمنع انهم ينادون خفى الألطاف ، وياءملون نجدة تصل اليهم من المماليك أو جيش
السلطان فحتى الحرب العالمية الأولى كان الجزائريون الطيبون يأملون وصعول اسطول
السلطان ليخلصهم من الاحتلال الفرنسي ، وكان المصريون يتابعون باهتمام انباء
الحمله التركية التي يجري اعدادها في الشام لطرد الانجليز من مصر ، ولا عج!
فلطالما دعا الجزائريون والمصر-ون للسلطان بالنصر ، وإن كان دعاوهم

فبعكس تفسرات " هصولد " لا نجد في ثورة القاهوة ظاهرة غرلمة عن سائر
الثورات - على الأقل فيما يتعلق بحمل الجماهير للعبء اكبر فيها - ولذلك
نستغرب ان يفسر " هرولد " هذه الظاهرة الطبيعية جدا بأن " الاغنياء والمستنيرين
. ! استخدموا الفقراء المتحمسين والمحرضين مطيه لبلوغ هدفهم
ريما كان هذا الوصف أقرب للصدق بالنسبة للثورتين الفرنسية والأمركية ، حيث
كانت مصلحة الطبقة البورجوازية هي المعنية بالدرجة الاولى ، بينما كانت الدماء هي
دماء الجماهير ، اكز عددا ، وا!ز سخاء بدمها عادة ، واكثر استعدادا للاستجابة لصيحة الاستشهاد .
ومع ذلك فما من صؤرخ يستطيع أن يفكر مصلحه الجماهو الفرتسية أو الامريكية
في مقارعة الأوضاع التي سقطت ، ولكن مصلحه الجماهكل في ثورة وطنيه بمستعمرة
شرفية اكبر من ان تحعاج لاثبات ، وتنفي كل حديث عن التسضر والمطايا!
ولا شك ان سكرتير (بوسييلج ! كان يعيش تحت أوهام هذه التحاليل التي
يوددها تعده بمائة وسبعين عاما المؤرخ الامريكي .. عن العامة الذين لا مصلحة لهم
في عداء الاحتلال .. لا بد انه كان واقعأ هو والسلطة الفرنسية

السنين ، يجمعون على وصف جماهير الثورة : !بالدهماء لم و
""الزعرنة
و " الغوغائية " .. وهذا يؤكد أصالتهاا
أو ؟ يقول هيرولد : " و لم يكن هذا الجمع يختلف كثيرا عن الجمع
الذي سار
الى فرساى لط 5 اممعوبر 1789 (فبل تسع سنوات واسبوعن) أو
الذي جاب
شوارع باريس في 2 سبتمبر 1792 وهو يرفع ثدفط الأمرة دولا مبال
على رعوس
. " الرماخ
هل كان هنال تنظيم دبر ثورقي القاهرة ، الأولى والثانية ؟ بمعنى
الاعداد لهما
وتنسيق حركتهما مع الأقاليم ، وقيادة معاركهما في القاهرة ؟
هذه النقطة لا تقف المدرسه الأستعمارية عندها طوتلا .. لخطورة
النتائج المترتبة
على اثبتها . . ولكن وثائق الحملة الفرنسية تؤكد وجود هذا التنظيم .
" ريو " يحدثنا
: عن لجنة لتدبير الثورة
ا لقد اجتمع الى جانب تنمر الأهالمط واستيائهم ، نشر الدعاية الى
الثورة فكان
في الجامع الكبر المعروف بالأزهر لجنة لتدبير الثورة تعمل على إثارة
الكراهية في
. نفوس النثقمين "4
ويقول نابليون في مذكراته ان الشعب فد انتخب " ديواناً " للثورة "
ونظبم
المتطوعين للقتال واستخرج الأسلحة انحبوءة ، وان الشيخ السادات
انتخب رئيسا
لهذا الديوان " وذكر في تقريره الى حكومة " الدهـكتوار " عن ثورة
القاهرة ا ن
. " ا لجنة الثورة) كانت تنعقد بالأزهر
و " الرافعى " يقرر أن " دعاة الحركة تعاهدوا على الاجتماع ليلة الأحد
2 1
أ!عوبر 1789 لرسم الخطة الواجب اتبثعها : فاجتمعوا وكان عددهم
في ذلك
الاجتماع ثلاثين ، فاتفقوا رأيا على البدء بالعمل في اليوم التالمط ،
وأزمعوا اقفال

ذريعة .. وهذا التدلير يدل على مستوي عال في الكفاءة والخبرة ، فإن هذا هو
الأسلوب الأنسب في تفجير الثورات . وتاريخ القاهرة حافل ب!ا النوع من الاحتجاج
الذي تمدأ به الاصطدلم ، ولكن الجديد لط ثورة " القاهرة " انها كانت أول صدام
شامل على نطاق المدينة كلها ، وانه اتخذ شكل المقاومة المسلحة الدامية.
هذا التنظيم الذي دبر بكفاءة تفجير الثورة ، أثبت في نفس الوقت كفاءته في كمان
تدليره ، وكتمان تشكيله والمنتمين اليه ، بل ونجاحه في الاستمرار حتى لعد ضرب
الثورة اذ استر التنظيم ، واسمطاع ان يعد للثورة الثانية ، بل ونظم اغتيال القائد
العام للحملة الجنرال "كليبر " ؟ سنري .
ولا بد ان " ديوان الشعب " هذا ، كان اكبر من الثلاثين عضوا الذين اجتمعوا
لتحديد موعد الثورة ، ومن الطيعى ان تكون هذه اللجنة التي أشار الها الرافعي
هي " اللجنة المركزية " أو " الديوان الخصوص " الذي يحدد ساعة الصفر والذي
يتحغ ان تكون عضويته تحدودة ، ولأن نابليون أعدم ثمانين عضوا من هذا الديوان !
ومن الطيعى ان تكون قيادة الثورة ، أو اللجنة التنفيذية للديوان من المشايخ . .
القيادة "لشرعيه للأمة . ولكن عضوية الديوان م تكن مقصورة على الشيوخ ، بل تضم
ممثلي جمع فيادات الأمة ، ولا كانت مقصورة على الرجال ؟ سنرى من

وكان المحروقي يد 2 ض!ة في القاهرة والدليل على ذلك حادثة او " كالنة " - بتحبير الجبرقي - سيدلى محمود وأخيه
سيدى عمد المعروف تأر دفة .. الذلى كانت تث تيه المراسلات بوا!ة اليد " أحمذ المحروقي " فلما كار في اياريخ
ورد عليه رصل ومحه جواب وأربمة أوراق مكتربة بالانة (رمضثن 1215 هـمارس 1 . 18 م) الفرنساوية وفها الأمر
بتوز!ها ووضعها في اماكن مينة جث سكن الفرنساوية فرزع اثنتين وتصد وضع اثالة في صضع جميهم فلم يمكنه
ذلك إلا يلا فاعطاها خثدمه وأمره أن يكلها بممار في حائط دلك للكان وهو بالترب من الحمام

في ذات روم نهار الأحد في عشر-فى ربيع اخر نزل أحد المشايخ الصغار "
وكان
من مايخ الأزهر . وبدأ ينادكط فى المدينة ان كل مؤمن موحد بالئة ، عليه
بجامع الأزهر،
لأن اليوم تنبفي دنا ان نغازي في الكفار . وكان اظب أهل اللد هيم الأس
بذلك .. أما الفرنساوية فكانوا متغفلين عن ذلك " .
ولفظة " الأس " التي اختارها " نقولا الترك " تعنى في العامية المصرية
أمرأ متفقا
عليه مكتوما ، له رمز معين .. مما يؤكد وجود تنظيم وعلى مستوى
جاهيرى واسع،
وان كلمة السر كان متفقاً علها.
ويقول الرافعي ان " د!وان " الشعب هذا ، قد نظم حملة دعاتية ناجحة
ضد
أعضاء الدتوان الرحمي " وكموخهم بممالأة الفرنسيين حتى لا كستمع
الجمهور
لنصائحهم في الاخلاد الى السكينة ، وقد افلحوا في احراج مركز أعضاء
الد!وان
فأخذت منزلتهم تتضعضع في نفوس الشعب " .
وهذا الموقف طبيعي وضروري لكل قيادة جاهيرية ، إذ لا بد لها من عز!
الاجهزة الرحمية ، التي مهما تكن عواطفها ، الا انها بحكم الضظ الواقع
عميها،
يمكن أن تكون عاملا مئبطأ في مرحلة المد الوطني .. لذا وجب كشفها
وعزلها،
وتجريدها من كل قلرة تأثير على الجماهير .. مع استغلال مراكزها في
خمرات الجزر
لتخفيف وطأة التنكيل.
واهمامنا بجلاء نقطة التنكل هذه ، ينبع من اهتمامنا بتحديد دور " الدتوان "
الشعبي الذي انتخبته الجماهير وقاد حركتها .. لكشف تهافت التحليل الغرر
الذي
يثير الضجيج حول الديوان الوهمي الذي اقامه نابليون " لتسكين القتنة " "
وتنني
مالية البلاد " بمث يعمر خزينة الاحتلال . هذا الديوان الذي سنرى كيف
كان يعامله
الفرنسيون ، بل كيف كان يتطاول عليه أمثال " برطلمين ويعقوب وشكر
الله"
من الاعوان المفضوحين للاحتلال ، والدي عوقب عل فشله في تسكين
الفتنة
بحله ، وفرض الغرامات عل اعضائه . ورغم ذلك يثير المزرخون الغربيون
وتلاميذهم

. باهظا في أول وأشنع مذبحة استعمارية عرفها الوطن العرد
هؤلاء هم نواب الأمة وقاثتها ، وتاريخ هؤلاء هو بداية تطورها
الحقيفي ، وليع!
. . تاريخ العاملو في شرطة الاحتلال ، الهاربين مع الجيش انمهزم

ان الحركة القومية .. أي حركة ترمية .. لا يمكن تتبع مولدها وتطورها الا
في
اطار صراعها ضد القوى الاجنبية التي تخضع هذه القومية لارادخها او
تعترض نموها،
وما مق بداية شرعية لمولد قيادة هذه القومية الا تلك اللجان الثورية
التي تتكون
خلال الثورة التحررية .. لذلك فان الديوان الوحيد الذي يجب اعتباره
قيادة الامه،
وممثلا لتلك الإمكانيات التي لا حصر لها ، التي فجرتها مقاومة الاحتلال
الفرنسي،
واجهضها حكم " محمد على " . هو ديوان " الدفاع " الذي تزعم ثورة
القاهرة ،
والذي اعدم نابليون ثمانين عضوا من اعضائه مرة واحدة مبررا ذلك : "
بأنهم كانوا
قوما ذوي تفكير عنيف متطرف 8 " . وهو تبرير مثير مق ابن " الثورة "
القرنسية،
ومزعج حقا للذين تحاولون نسبة اتجاه تحريري لحملته فط مصر ! وهكذا
رد ابن
الثورة على " التفكير " العنيف ، للوطنيين المصريين ، " بالذبح "
الضيف . ولا شك
ان " اللواء " " سومموفسكي " لو أخطأته بنادق الثوار المصريين ، هو
وحرسه
الحمسة عشر ، لكان قد ساهم في 1 اعدام أبناء ثورة القاهرة ، وهو "
الذي انضم
الى جملة نالليون ، واحترف الجندية ، لا لشيء الا لأنه حسبها معينة له
في النهاتة
على القتال لتحرير لولنده . وكان مثاليا تغلب عليه مبادىء الراديكالية
" .. ولكن
لا مبادئه الراديكالية ، ولا اماله في تحر-س بولنده افادته في تحسس حق
المصريين في
تحرير مصر ، وحق المشعايخ في ان تكون لهم نظرة " راديكالية "
تتنافى مع قبول
الاحتلال الأجنبي .. ألى ان يكون للمصريين نفع! الحق ، الذي تطلع هو
الى ممثرسته

من المؤرخين ، فالاعم لا تولد بمرسوم يصدره قائد جيش الاحتلال ، والقومية لا
تبعث خلال احتفال يتلى فيه فرمان قائد جيش الاحتلال بواصطة مترجم وتحت
حراصة حراب المحتلين .. اي فوميه هذه .. وأي مولد مشبوه هذا ؟



ء

وتمدو ان " د!وان الدفا! " الذي قاد عملياتت الثورة ، قد سبقت
ظهوره ، عدة
يلات تولت التحض!هـللثورة ، واثارة الجماهير ، ويعدو انها كانت تعمل!
في
المراحل الأخيرة بشكل شبه علني مع دقة في التنظيم ، استحال على
جواسيس نثلليون
من أمثال برطلمين ويعقرتب وثءس الله و " آضرابهم " ، استحال على
هؤلاء ا ن
تحسوا أو كتبهوا الى ظورتها . وحادثه قواعة القاتحه لنابليون تثبت ان
عملياتت الاثثرة
والتجنيد كانت قائمه على قدم وساق ، وان مناقشة قضية الثورة كانت
مطروحة
على نطاق الجماهير . وان المنظمين والداعين لها كانوا يتمتعون بسرعة
خاطر مطلوبة
دائما في منظمي الثوراتت . وان التشكيل الداخلي كان بمنأى عن
. جواسيس نثبليون
فقد كان نابليون في زيارة مفاجعة للشيخ الساداتت ، ليسأله عن أخبار
شاعت
عن منشور معاد ، ولكنه فوجىء - ؟ فوجعت لدورها - بجماعة متجمهرة
من
المصرينن ولغط شديد يدور بينهم ، ولم تكن يعلم ، ولا كان له ان يعلم
ان ذلك
من فعل الديوان الحقيقي - الذي ايقن هو بعد فلك انه برئاسة مضيفه
فأي
شرية ! - " فلما نظروه وشاهد هو جعيهم داخله أمر من ذلك ضاحوا
لأجمعهم

ولكنه كان في هذا وما . واغلب الظن انه لم ينخدع في ولاء المشايخ ، ولكنه كان
يعتمد على خو!م ، وما من ريب في انهم كدروا به فقد أمسكوا عنه علمهم بالثورة
الوشيكة . ولكن من المؤكا- انه لم يكن لهم يد في التحريض على الثورة ."ا .
وهذا يؤكد تصورنا لطبيعة التنظيم ، وانه كان جهازا مستقلا ومنفصلا عن ا(قيادة
الرعية المجرة على التعامل مع الفرنسيين ، هذه القيادة التي كانت تطف على الثور!
وتتجاوب معها ، ولكن جماية الثورة وسلامتهث حتت عزلها وكمان +التفاصيل عنها
ويقول " هرولد " : " ان الفرنسيين غفلوا مماما عما كان تحيت لهم " .. فالأمر
لم يكن مصادفة ولا انفجارا عفوياً بل اًمرا يبيت ويغفل عنه من يبيت لهم . .
ويقرر الرافعي " ان طبقات الشعب كلها اشتركت في ثورة القاهرة " ولم يكد
يبدأ شهر امموبر حتى قات الاضطرالات في الدلتا ، ففي من!ة المنزلة شن الفلاحون
حربا تشبه حرب العصابات بقيادة حسن طوبار الثرى "" . " وفي طنطا قام
الأهالي بثورة في 7 امموبر "12 . ولكن الرافعى يرفض القول بوصد صلة تنظيمية
بين تشكيل القاهرة ، والحركات الثورية التي قات خارح العاصمة ، حفاظا على
عفوية وطهارة الحركة .. ؟ يتخيلها مؤرخ البورجوازية المصرية:
والواقع انك اذا استبقت الحركات التي قات هنا وهناك من ئصى البلاد " الى
أقصاها أخذتك الدهشة من تقارب تلك الحركات وتشاجهها ، على انه

وبهذا التفسير (1) يعتقد الرافعى انه يمكننا " ان نفهم الحوادث التي وقعت في
. الوجه البحري في شهر سبتمبر وشهر امموبر من تلك السنة "14
وهذا التفسعر رغم ادبياته ، وصوره البلاغية ، لأ يفسيم لنا لماذا تظهر صورة الثورة
في المراة في سبتمبر بينما لم يظهر الأصل إلا لط ا!عوبر ! .، وكيف ينطلى الصدى قبل
ان ينطلق الصوت ذاته ؟ ا .. ولا ما هو العيب في جود تلبير سابق الا الكراهية

البورجوازية المقأصلة للتنني .. لأنه يفرض الحضور الدثم للجماهر ، ليما كان
الأسلوب المفضل للبورجوازتة المصرية هو استدعاء الجماهو عند الحاجة اليها وصرفها
فور الاتفاق مع المتجبرممن .. على أية حال فابى الطهارة البورجوازية ،مفيدة أحيانا
فأمحانة الرافعي تجعله يذكر بعد هذأ النفي البليغ للتدبير : " ان وحدات من الجيش
ا!ر نسي أنطلقت تفتث! القري التي اشتركت في الثورة وتطالب مشايخ البلاد " بتسليم
الرسائل اقي وردت عليهم ليله الثورة ، تلحوهم الى الانضمام لصفوف الثائرين
. \ " بثلقاهره وشد أزرهم
كا قبض على " سليمان الشوارلمط أ شخ الناحية وقيل انهم عزوا له " على مكتوب
أرسله وقت القتنة السابقة الى " سريثقوس " فيثض اهل تلك النواحي في القيام
ويأمرهم بثلحصور وقت ان يرى الغلبة على الفرنسيس " . واعدموه بقطع
. الرأس 16
كانت هذه هي أول ئورة شعيية تواجه نابليون الذي اختص قبل ذلك وبعد
ذلك - بفترة ليست بالقصيرة - بمحاربة الاقطاعيين . والأسلوب الذي واجه به الثورة
يدل على ان ابن الراية المثلثة الأل!وان - كألوك اطباق الرز محند المسري - لا يتردد
قي استخدام المدفع في دك حصون الاقطاع والنبلاء ، أو دك استحكامات " الزعر
والرعاع والجعيدية والحشرات والبلضاسات " !. ها دام ذلك ضروريا لمد خريطة
فرنسا ، ولا عجب فان مجده كله تعدأ بثستخدام المدافع في تفرت
. . جماهير يار!س
اما بونابرت فقد ثار غضبه وهو في مقر قيادته بقصر الألفي . فأمر " مدفعية القلعة
المعززة بمدافع اطاويتزر والمورتثر ، بأن تسدد المدافع الى الجامع الأزهر وما حوله
. كه أحياء هي مركز الثوره -"17
لم يكن الأزهر الذي صب نابليون نران الئورة الفرنسية عليه ، يمثل فقط القيادة
المباشرة لئورة اممنولر 1798 ،. بل كان قيادة الأمه كلها ، تثريخيا وواقعيا
ومسسقبليا . لن!لك كان الحقد عليه والتركعز على سحقه مسجداً

بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع
الأزهر،
وحرروا عليه المدافع والقنبر ، وكذلك ما جاوره من أم!ن المحاربين ،
كسوق
الغورية والفحامين "19 .. " وتتابع الرمي من القلعة والكيمان حتى
تزعزت
الأركان ، وهدمت في مرورها حيطان الدور ، وسقطت في بعض القصور ،
ونزلت
في البيوت والوكائل ، وأصمت الاذان لصوتها الهائل . " والى جانب "
الضرب في
المليان " استصدر نابليرن باسم العلماء بيانات ضد الثورة " الفتنة " تحض
" على
السكينة والهدوء " . وهي البيانات التي انتقدها " الرافعي " ورأى انه لا
حاجة " الى
تبيان ما بها من الاغلاط والعبارات الركيكة والأفكار السبخيفة ، فابى مجرد
تلاوتها
يغني عن البيان .. " وهي مملوءة نفافاً وسخفاً .. وهو ينشرها " لتعرف
منها الفرق
بين موقف كبار العلماء في بياناتهم للشعب وموفف أواسط العلماء في.
قيادتهم
- . " للثورة
غكل انه يكفينا مئونة الرد عندما يقول : " ومن الواجب تقرروا لحقيقة
واقعة ا ن
نقول ان هذه البيانات وغكلها مما نشر خلال الحملة الفرنسيه عل لسان
العلماء قد
أمليت تحت تأث! الضنط والإرهاب ومذا ظامر مما ذكره الجبرق عن
طريتة تحرروها
فقد قال عن البيان الأول " وفبه كنبرا " وظامر انه !صدّ الفرنسببن يكلمة
" " كنبرا
؟ هو سياق العبارة في الكناب . وتال عن البيان االعاق : " وفيه كتبرا " ..
وقال
عن البيانات التى نشرت باسم الدروان 1هشاء الحملة على سور!ا : "
اجتمع أعضاء
الدروان فقرأ عابم تلك الرسالة بعد تعر!بها وترصيفها على هذه الكيفية
وهي عن
. روساء اللإروان " 2
وهو هنا كفق مع الرأي القثئل لأن هذه البيانات كانت تحرر بواسطة
الفرنسيين
ومترجمهم ومستشاريهم . و!يف " الرافعي " ان الثعيخ " محمد المهدّي "
كان كولى
تدبير سجعها وترصيفها بالايات والأحاديث والحكم

على سورتا " انه من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء والاشارة هنا الى الشيخ
المهدي " لا محاله ، لأنه لاتفاق المراجع الفرنسية هو الواضع لمنشور" " " " نالليون
في قالبه العرئ ، ولأن الثابت في رساله نابليون التي بعث بها من " كافا " بتاريخ
10 مارس سنه 1799 الى المسيو " بوسيلج " مدير الشئون ألمالية بالقاهرة أثناء
الحملة على سوريا قوله !ها : " عليكم ان تاهروا لبم كل المنشورات التي يععث
بها " فانتور " الى الديوان وان تضيفوا الها المحسنات والتنميقات التي هـى الشيخ
المهدي " (دخالها علها وأن تنشروها في أنحاء ممر "22 " فلم ليق" شك في أ ن
الشيخ المهدي هو الذي كان يتولى كنابة المنشورات التي !وعز بها " القرلسيون .
لقد اطلنا في كشف حقيقة هذه البيانات ، لأن لنا عردة في هذا الشأن عند
نقاش المكانة الحقيقية للديوان الرعي . . ولكنها - أي البيانات - لم تؤثر في مجرى أحداث
الثورة ، ولا اهغ بها أحد من الثائر-ش .. اما عندما انتصرت مدفعية الحضارة الغرتبة
على بقاكا أسلحة القرون الوسطى ، وهزمت مقاومه الشعب ، وقتها قام اعضاء دروان
ناتليون بدورهم المنتظر وهو التدخل لمنع (لادة الشعب:
فركب المشايخ الى كبكل الفرنسيع! لكلفع عهم هذا النازل ، ويمنع " عسكره من
الرمي المتراسل ، ويكفهم ؟ انكف المصلمون عن القتال " .
ولكن أترانا نشرح مهمة المشاغ الكبار بأيرع وأوضح من عبار! الجرقي التي
لخصت هذه المهمة في ئلاث كلمات اضى بها فقرته تلك التي أشرنا الحا فقال :
ويكفهم ؟ انكف المسلمون عن القتال . واطرب خد! وسجال " . " فالجبهة
الوطنية واحدة . الشيرخ الصغار تودون الجماهكل المقاتلة ، والمؤذنون سنادون
لا!هاد ، والشيوخ الكبار يتسترون على الحركة ، ويكتمون أخبارها عن نالليون
ويسعون في الهدنة اذا ما لدا أن الثورة ستتحول الى مذبحة ، وتبين ان الاستمرار
في القتال في هذه المرحلة ضرب من الانتحا

استمر ضرب البنادق الموجه للبطاريات الفرنسية من ماذن جامع "
السلطان حسن
وقبته طوال الصر . ولما أقبل المسثء وأحدثت القنابل فعلها أحدقت
ثلاث أورط
من المشاة و 300 فارس بالأزهر . وتقدم رجالها لا يعترض ضرببم
وسيوفهم
. " معترض ودخلوا الجامع عنوة
وهم راكبون الخيول . ولينهم المشاة كالوعول ، وتفرفوا بصحنه "
ومقصورته
وربطوا خيرلهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القنادل
، والسهارات
وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة . وخهبوا ما وجدوه من المتاع
. والأوافي
والقصاع . والردائع والخبات بالدواليب والخزانات . ودشتوا الكتب
والمصاحف
وعلى الارض طرحوها . وبأرجلهم ونعالهم داسرها . وأحدثوا فيه وتغرطوا
. وبالوا
وتمخطوا . وشربوا الثراب وكسروا أوانيه . وألقوها بصحنه ونواحيه .
وكل من
. صادفوه به عروه . ومن ثيابه أخرجوه "23
نعم ويل للمغلوب . وكانت هذه هي أول مرة في التاريخ !تحم !ا الأزهر
على
هذا النحو ، وخهدر كرامته بهذا الاسلوب الربري الذي لا يشهه الا الاحتلال
الصليبي لبيت المقدس في القرن الحادي عشر .. ولا يفوقه الا احراق
الاحتلال
.الصهيوفي للمسجد الأقصي في القرن العشرفى
وفي كناب " نقولا الترك " أن نابليون رفض الجلاء عن الأزهر ، وان هذا
الاحتلال قد أحدث أثرا فظيعا في الجماهير المصرية وفياداتها (وما زال

كان الأزهر ؟ قلنا هو مركز قيادة وزعامة الأمه المصرية ، ورمز عزتهث
وسيادتهث .. واقتحثمه وإهانته على هذا النحو ، هو وهانة للأمه او اعلان
لهزيمها على
يد غاز بربري .. فهو ليس مجرد مسجد .. فالفرنسيون هدموا عدة
مساجد وضربوا
الأزهر من مسجد السلطان حسن الذي احتلوه وركبوا المدافع في ماذنه
.. ولا شك
ان الاعتداء على حرمه المسجد أثار المصريين وأهان مشاعرهم ، ولكن
الأزهر أكبر
من ذلك .. وباقتحثمه على هذا النحو ، سقط كل زيف حاول النزاة أن
تستروا

تكن خساتر ثورة القاهره الأولى ، فان مكسبها الأغم ، هو كشفها طبيعة الصراع
. . المصري بين الغزاة والأمه
وقد سجل " نقولا الترك " أن " الشيخ محمد الجوهري " (وقد عرفنا مكانته
وزعامته في القصل الأول) دخل على نابليون قائلا : " ما قاللت حاكمأ عادلأ كان
أو ظالما . والان قد 6ليت متوسلا اليك أن تأمر لاجراج العسكر من الجامع الأزهر.
. ، " فقبل نابليون رجاءه وأمر لاخراج الجنود من الأزهر
رحم الله الشيخ " الجوهري " .. عرف أن كرامة الأمة وكرامة رموزها
ومقدساتهث فوق الكرامه الفردية .. وعرف ان مصر قد احتلها الأجنبي وأصبحت
مستعمرة .. وانه لم يعد لالامكان -؟ كان الحال - أن يترفع قادة الشعب محن
زيارة الحام .. وغفر الله للشامتين بنا الذين يعتبرون ان مصر تحررت في هذه الفترة
! ! بالذات وبدأت تمارس الحكم الوطني
وكانت نيه نايليون متجهة الى هدم الجامع الأزهر فقد أصدر الجنرال برتييه رئيس
أركان الحرب تعليمة (وهي صادرة بأمر القائد العام الى الجنرال بون لتاريخ 3 2
اممعوبر) : " يهدم الجثمه! ا!بر ليلا إذا أمكن ، وترفع الحواجز والأبواب التي كانت
. تسد الشوارع "24
ئم بدأت " العدالة " الئورية الفرنسية في الاحصاص من " الثوار البلدامجين " لسواء

ومن أجل المزيدّ من التشريف ورفع القدر .أصدر نابليون للجنرال برتييه:
تنهضل ا:ب المواطن القائد بأن تأمر قومندان القاهرة بقطع رعوس " جميع المسجونين الذين
امسكوا وبيدهم سلاح . فليؤخذوا الى شاطىء النيل بعد هبوط الظلام . ولتلى
جمثهم المقطوعة الرعوس في النهر "26 . وفضلا محن هؤلاء المسجرنين ، أعلم في
القلعة ثماتون عضوأ من " ديوان الدفاع " (الذي تزعم الثورة) وهكذا محد جهرأ
لالعفو عن الأبرياء واعداماً للمعارضين في الخفاء ، وتحت جنح الظلام ، وهي سياسة
. خليقة بأن تحظى برضاء ميكافيللي ،27

اضهموا بقيادة الثورة . والمؤرخون الذ!ن يتشدقون بشكلية محاكمة " سليمان
الحلبي " . لا يكلفون أنفسهم عناء تبرير اعدام هؤلاء المشايخ بلا محاكمة معروفة
ولا وقائع .. بل اعدلم شيخ طائفة العميان بتهمة القيام بعمل مسلح ضد المدفعية
الفرنسية . بل ولا يخجل امام من أئمه المدرسة الاستعمارية مثل " هرولد " من تبر-س
جريمة نابليون ، بأن يخلع عل هؤلاء المعثايخ أوصافا تحريضية مئل " لا جدال في

وفي الصحف الفرنسية ان المعثايخ الذ!ن أعدموا لقيادة ثورة القاهرة " الأولى كانوا
. ستة ولش خمسة ؟ قال الجبرقي ،29
وهذا يعزز الظن بأن الجبرقي كان يفتقر الى المعلومات الكافية عن التنظيم ا!ثورى
.وأشخاصه
أما الشيخ عبد اللة الشرقاوى رئيس الديوان (؟ يعرفه الرافعي) فقد ذكر ا ن
العلماء الذين اعدموا هم ثلاثة عشر عالما . " ودخلوا بخيلهم الأزهر ومكثوا فيه يوما
وبعض الليلة الثانية وخعلوا فيه بعض علماء وضهبرا منه أموالا كئيرة . وسبب وجودما
فيه (اى الأموال) ان أمل البلدّ ظنوا ان العسكر لا يدخله فحرلوا فيه أمتعة بيوضهم
فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الحامع الأزهر ودشتوا الكتب التى في الخزالن
يعتقدون أن بها أموالا . وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجون لهم ، كتباً
. ! ومصاحف نفيسة
وكانت هذه هى أول مرة يعدم !ها مشايخ الأزهر كالمجرمين .. اولي مرة يتجرأ
.فيها حا 3 على اعدام قادة الأمة
أما المعثايخ الذ!ن !دموا .. فرغم تبا! عواطف الجبرقي نحوهم ، وهو

* " تحفة الاظريى ا للبوئ

ومعلوماته عن شضياتهم ، تضعنا أمام صفة مشتركة !م جميعا هي:
الجماهرلأ " ، لكل ما يحيط بهذه الصفة من مواهب ، وصفات مكتسبة "،
وغوكاثية في بض الأحيان ، ان لم يقل البعض ، في اص!ها ا المهم انهم
كانوا طرازا
خاصا من المشايخ يستطعون نحاطبة الجماهير ، وتحركها .. بل وتنظيم
الجماهير.
فالشيخ " العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي
الشافعي
الأزهرممعا " ... كان " يأقي اليه الفلاحون من جرة بلادهم بقضاياهم
وخصوماضهم
وأنكحهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوي في الدعاوي التي يحتاجون
فها الى المرافعة
عند القاضى وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويستمعون لقوله
ويمتثلون لأحكامه.
وربما أتوه بهداتا ودراهم وأشتر ذكره . وكان جسيما عظيم اللحية فصيح
اللسان
ولم يزل على حالته حعى اصهم في خمنة الفرنسيس المعقدمة . ومات
مع من تتل بيد
الفرنساوكة بالقلعة ولم يعلم له قبر " .
أما " الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب
الشبراوي
الشثفعى الأزهري " " فكان حسن الالقاء سلس التقرير جيد الحافظة
جميل السرة . .
حتى اضهم في لإتارة الفتنة وقتل بالقلعة سهيدا بيد الفرنسيس " .
و " الشاب الصالح النبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحي
الشثفعي
الأزهر!ا .. كان مهذب النفس لطف الذات حلو الناطقه مقبول اطلعة
خفيف
الروح " .
والعمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان " " .
وهو شخصية دتكنزية أو دستوفسكية ، استطاع أن كظم العميان ، ويجعل
منهم
قوة ارهاب تخشى صولتها في القاهرة والأر!اف . حتى أصبح بفضل هذا
التنظيم
المرعب من " أعيان الصدور المشار اليهم في المجالع! تخشى سطوته
وتسمع كلمته
وية،ل : قال الشيخ كذا وأمر الشيخ لكذا .. ولم فىل حتى جمله التفاخر
في زمن
الفرنسيع! عل توليه كبر ائارة الفتنة وخل! فيمن ض بالقلعة ولم !لم له
قبر " .
والى جانب الجوسقى الإرهالى نجد الغوغالى : " الأجل المفوه ءالعمدة

مع من خعل شهيدأ ولم !لم له تجر . وهر الن أخي الشيخ عيسى البراوي غفر اطه
. لنا وله "30
لقد كشفت لورة القامرة وثماء الشيرخ ، الحقيقة الاستعماريه للوجود الفرنسي ، وكشفت عن بربرية ووحشية النزاة ، الذ! طالبوا بأن " جميع الذفى
شهدت عيونهم ، الجنود الفرنسيين يستسلمون . كان يجب ان !دموا دون
اسممنث"31
احى الفرنسيون المنتصرون ، ان هيبتهم لإستعمارية قد محطمت . وان الاسطورة
التي نسجتها هزيمة الممايك وجبهم وهروبهم .. زالت بفضل مقاومه ث! عبنا وتحت
قباده شعوخه . فوضة الأزهر والأحعاء الشعبية لإتبنت ان الفرنسببن لمسرا ففط فايلبن
للقئل ، لل وايضا يحبون الحياة ممر من شرف الرية المثلثة اكران ، الى حد انهم
روفعرن ايديهم ويشسلمون د " صقي مسلم " ا يحتلون بلاده وكفوقون عليه
تكنولوحمأ .. اذن فهزكهم ممكنة وجلاؤهم محتوم ، واستقلال لأدنا بحاجة الى
ضربات جديدة مريرة ، ولبهها ضرورية وممكنة ، ومثمرة ، فما لا يزيد ينش كا
يقول " نقولا الترك " : ان الناس " فهموا جعدأ .. انه انقطع أملهم (أى امل
القرنسصن) من اهدادـكأ!هم من يلادـهم ، فقالوا في فواش! نحن

واستمرت عملية " التشريف ورفع القدر " و " بعث القومعة الصرية " فكتب
نابليون لرينيه يقرل : " في كل ليلة نقطع نحو ثلاثين رأمأ ا!ها لزعماء الثورة ، وفي
. اعتقادي ان هذا سيطعهم درسأ ناصا "32
وكا لم تتعلم نابليرن .. لم يتعلم ضعبنا،فقبا انقضاء عام واحد كان ناالليون قد

و!ول " هوولد " إن دنمرن (صثحب هنا الغرل المائور) كان محروفأ تجاعه ، وانه كان يعبر 8 يقرله عن حاله

وينقل الرافعي عن المراجع الفرنسية ان الكثير من المتهمين قد أعدموا سراً (للا
. تحاكمة) بل يثبت الرافعي ان هؤلاء المتهمين قد قتلوا بحد السنك "33
ولنا أن نتخيل - إن تحملت أعصابنا - كيف تم هذا الاعدام ، وفرصة الاختيار
أمامنا ليست واسعه ، فالسنكي إما أن يذبح ؟ تذبح الخرف! ، أو يقتل طعناً في
الجسد حيما اتفق ، في انسان هدفي اعزل أسر في تد جيش منتصر ا! .. بل وهذا
.المذإوح شيخ في الأزهر ، أو سيدة باسلة هبت تدافع عن وطها
إنها حالة وحشية وكافية لفضح أى ئرثرة عن دور تحريرى أو تحضيرى لجيش
. الاحتلال " الثوركط " هذا
قال المسيو "بوريين "34 سكرلر نابليون الخاص في مذكراته : " سيق
المسجونون الى القلعة ، وكنت أتولى في مساء كل !م كنابة الأوامر القاضية باعدام
ا!ى ضر سجينث كل ليلة ، وكانت جثث القتلى توضع في زع!ب وتغرؤ في النيل.
واستمر ذلك ليالى عديدة ، وكان كثير من النساء ممن نفذ فيهن أحكام الاعدام
. " الليلية
وهكذا نرى ان الدور " التحر-سي " الذي ينسبه مؤرخو المدرسة الاستعمارية
الى جيش الاحعلال القرنسي بالنسبه للمرأة المصرية ، لم يكن يشمل كفاحها من
أجل التحرر الرطنى ولا حتى من أجل !يف الضرائب . بل هو لا يتعدى
خصسها ، وإلا لرحب الحكم الثوري " بانطلاق " المرأة من ." عقالها " واشتراكها
. في الثورة
واذا فهمنا دوافع جيش الاحتلال والسلطة الحاكمة في اعدام النساء الثائرات . .
فأي عدر وأي منطق يخفي عار من يتصدون اليوم لتزو-س تاريخ هذا الشعب فيجعلون
من مظاهرة تطالب بفتح الحمامات * ، أو الخروج مع العسكر الفرنسيين فى ثياب

ـث

عل نحو دفعت معه حياتها ثمنا لهذا الاشتراك . فأعدمت قيادة الثائرات ، بحد انسنثكي
في القلعة ، أو أغرقن في النيلا
أفى يمكن ان يبحث المؤرخ الشريف عن قيادة الحركة النسائية .. وطلانع تحرير
المرأة .. في سجن القلعة بين "لنساء الثائرات ينتظرن الاعدام بسناكي جيش
الاحتلال .. دون أن يسجل تاريخ الحملة الفرنسية حادثة اخهيار واحدة للمجاهدات
الباسلات .. أم تيحث عن هذه القياته وهذه الطلائع في خامير أثباه " برطلمين " ،
وقي فراش جنود الاحتلال يقودهن أمثال " يعقوب " ؟ ! على اية حال فان ذلك
المفهوم يلقي الضوء عل طبيعة مفهومهم " لتحرير " المرأة .. - سنناقش ذلك
بالتفصيل - المهم ان هذه السطور ليست الا تحية عابرة للمجامدات جداتنا الباسلات
اللاقي لم يخفهن نابليون ولا جيشه بل اشتركن في تنظيم العورة وشنها .. يقول

ومن أجل المزيد من أعمال التشريف ورفع القدر انطلقت قوات نابليون تنهب
. . وتذبح العرب على طول الطريق من العريش الى عكا
فبعد معاهدة لم تحترم مع حامية العريش وبعد سلب ونهب غزة ، وقضاء يومين
مع المسيدش في الرملة " أتم جيش " غلاة الجمهوريين " خح يافا " بنفس الاشلوب
الذى تم به فتح القدس منذ ثمانية ترون ! بل وبنفى الوصف " الشاعرى " الدى
تتحدث به كتب التراث الهودى عن المعارك " الظافرة " والأعمال " النبيلة " التي
قام بها جيش اسرائيل بفيادة مجرم الحرب يهوه :
وحالما استولى هؤلاء الجنود البواصل على المدينة ودخلوها ، أعملوا) السيف في
نحو 0 0 20 جندي من الحامية ، كانوا يحاولون التسليم . وراح الفرنسيون يقتلون
آعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله ، والليل كله ، وفي صباح الغد ، فالرجال
والنساء والأطفال والمسيحيون والمسلمون ، وكل من له وجه انسان

المشهد البشع تتجاوب بشعور الفزع والخزي .. وفي يافا كان النب
والسلب وشق
البالون وهتك أعراض البنات وهن مازلن في أحضان أمهاخهن الماسدات
. "
كل هذا ، وشر من هذا وفع في يافا في 7 و 8 مارس .. أما نالليون "
فكان
تعليمه الهادىء : " بلغت سورة الجند قمتها : فأعملرا السيف في كل
انسان ،
. وفاست المدينة بعد بهها جميع الأهوال التي تقاسها مدينة مقتحمة " 3
ونابليون لم يخطىء في اعتبار ما جرى في يافا فانونا عاما بالنسبة
لسلوك الحضارة
الغربية . . ولكننا - وبكل تواضع - نرفض اعتبار ذلك السلوك البربري ،
فانونا عاما
للسلوك البشر! ، وبالذات ، فان ضارتنا أثبتت العكسى .. حضارتنا عندما
دخلت
ذات المدن لم ترتكب هذه الأعمال .. وكان الفارق مجرد 12 فرنا .. الى
الوراء ا
واذا كان ذبح أهل يافا بالسيف لا يستوففف المؤرخين الغريعين كثرا ،
لانشغالهم
بما يسمونه " مذبحة يافا " فان هذه المذبحة بدأت ب " اثنين من
ياوران بونابرت هما
بوهارنيه " و " كروازييه " ، ارسلهما " نابليون " الى المدينة ليريا ما "
الذي يمكن
عمله لاعادة النظام الى ربوعها ، ونادا‌هما الجنود والترك من نوافذ
القلعة بعد ا ن
تبينوهما من حزاميهما العسكريين . وصاح الترك بأنهما على استعداد
لثعسليم اذا و"ممدوا
بآلا يعاملوا ؟ عومل بفية أهل يافا . وأعطى الشابان على مسئوليتهما
تأكيدات شفوية
بأن رجال الحامية لن يقتلوا . وعلى هذا الوعد خرج الجنود وسلموا
سلاحهم.
فلما رأى " بوتابرته " ياوريه يودان مع بضعة الاف من الاشرى أصفر
وجهه وقال
. ساخطا " ماذا يريداننى ان أفعل بهم ؟ مث هذا الذي صنعاه "36
وبقية القصة معروفة وشائعة . إذ أمر نابليون بذبح الثلاية الاف .. الأصى
العزل .. الذين منحوا أماناً باسم الشرف الفرنسى .. ولكن في حضارة
لا تؤمن
بأن أفرادها " سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم " .. نفذ "
الاعدام بدقة

.في 8 مارس رعى بالرصاص 850 تركي
.ون! 9 مارءسا ر!! بالرصاص 0 5 6 تركي
.وفي 10 مارس رمى بالرصاص 1041 تر!ا
.الجملة 4441 تركيث
:كتب المواطن " بيروس " الى أمه !
أو
اء
لا أ " ،ن قيام الجنود الحانقين ، بعد اخمحام مدينة ، والاستيلاء عل!ا عنوة ، باعمال
ا السلب والنهب والحرق والتقتيل كيفما اتفق ، أمر تقعضيه قوانين الحرب . والانسانية
لا تسدل قناعاً على هذه الفظائع . ولكن صدور الأمر بعد انقضاء تومين أو ثلاثة على
الهجوم ، وبعد ان تهدأ سورة الغضب ، في وحشيه هادئة ، بقتل 3000 رجل
استسلموا لنا بسلامة نية ا تلك جريمة لشعه ستشجبها الاجيال القادمه ما في ذلك

وفي صباح اليوم التالمط أخذ المغاربة جيعهم الى شاطىء البحر " ولدأت كنيبتان
في رميهم بالرصاص . وكان املهم الوحيد في النجاة هو ان يلقوا بأنقسهم في البحر،
فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة ، فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم
تمض لحظة حتى اصطغ ماء البحر بلمائهم . واتشرت جثثهم عل سطحه . واسعد
الحظ نفرا قليلا فوصلوا الى بعض الصخرر ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء
أثرهم في قوارب والاجهاز علهم . اما وتجد تم اعدام هؤلاء الرجال فقد رجونا
جمادقين ألا تتكرر هذه الجريمة وأن تعفى الأسرى الباقون من القتل . . ولكن سرعان
ما خاب رجاونا حين اخميد 0 120 مدفعي تركي في اليوم التالمط ليعدموا ، وكانوا
قد جوعوا يومين امام خيمة الجنرال بونابرت . وصدرت التعليمات المشددة للجنود
بألا يسرفوا في الذضرة ، فبلغت بهم الوحشية ان أعملوا !هم الدن . . لالسمنكي

يقول : " كانت فرقة الساحل الرميبة لا تزال تواصل مهمغا حين أصدر بونابرت
في 9 مارسى منشورا لأهالمط فلسطين يقول فيه " الزموا الهدوء في بيوتكم .. وانا
اصمن سلامة الجميع وحمايتهم . وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية
. " والاحترام لأن جميع الطبات من عند الله والنصر من عند اللة
وفي اليوم نفسه كتب الى الجزار يقول " ما دابم الله ييبني النصر ف! في أحب أ ن
أحذو حذوه تعالى فلا اكون شفيقا رحيما بالشعب فحسب لل بحكامه . " ايضا
.والحطاب دعوة للتسليم
ومن المؤن التي استولى *علها الفرنسيرن في يافا 000 ، 400 جراية " من
البسكويت و 5 ه . 2 قنطار من الأرز . وقد نهب الجنود اهم! من هذا كئوا قبل
ان يتمكق القومسر من الاستيلاء عليه ، ولكن الاصى وجب ضربهم لالنار لأته
! " . لم يمكن توفير الطعام لهم
وفي 8 مارس وهو اليوم الثافي من أكام المذبحة ، ارسل الله - الذى " من عنده

ويتساءل مؤرخ سكلة نابليون عن نوعية هذا الرجل الذي " أمر روما في هدوء
بقتل 41 0 1 شخصا بالسناكي ليخدث ضربا من التاثص ، وأق في اليوم التالمط بنف!ر
الهدوء عملا يحجم غه أعظم القديسين " (يقصد زيارة نابليرن لمستشفى الجنود
الفرنسيين المصابين بالطاعون وتطوعه لحمل جندي مصاب !لبة فادحة

إما تحن فلا نجد فط حكلة الا إذا عحنا لأنفسنا لالدهشة من أقدام المسعر
هرولد " عل دلح !دجاج وصيد العصافو والهام ضرائح اللحم لذى " نعر ! أنها

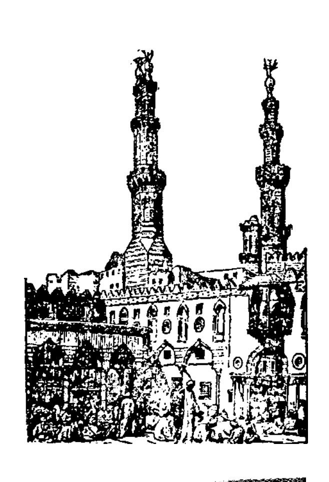
* أبر عيدة قثند الجيى الضر في اثم رفض كل محاولات اه! المؤمنين عمر لإخراجه ش لبطغة الموبرعر بالطاعرن
وأسر كل اليعثء في جنده خى اصيب ومات به تجل نابل!ون بالف صنة . فضلا عن ان ايا عيد

من حذاء ضيق ! لا تناقض ولا حيرة .. ان ممثلى الحضارة الغريية لم يحسوا ابدأ
بأن الكائن الملون مكتمل الانسانية ، ومن ثم فذبحه لم يشكل أبدا جريمة انسانية!
ولا نفى عن الذابحين رقة مشاعرهم ، ولا شكك في حسن سلوكهم البشري ا لل
اننا نجد صورة نموذجية لهذا التفكر الذي يدين خل الهمج للبثعر ، ويفخر بمابادة
المتمدينين للهمج الذين هم نحن . .
نجد هذه الصورة في مذكرات مدرس ، كهل ، في إحدى قرى فرنسا يصف
فيها ، هذا المدرس الفاضل ، ذكرياته في الشرق .. إحدى المعارك التي دارت على
شاطىء طبرية ، حيث كان " الهمج " على وشك الانتصار على قوات كليبر ، عندما
خف نابليون الى المعركة ، وظب الوضع ، وحول هذا التطور يكتب " ميديه " في
شيخوخة هادئة : " تذكر أيها القارىء - ما قلته لك - اننا كنا نموت ظمأ . ولكن
ظمأنا للانتقام أطفأ ظمأنا للماء ، وألهب ظمأنا للدماء .. والواقع أننا رحنا نخوض
الى خصورنا مياه هذه البحوة التي كنا نشتى أن نشرب منها قدحاً قبل لحظات .
غر اننا لم نعد نفكر فا الشرب . بل في القتل ، وفي صبغ البحرة بدماء هؤلاء
ا!ج الذين كانوا طمعون منذ لحظة في قطع رعوسنا واغراقنا في البحيرة التي أغرقوا
ف!ث مم ، والني امتلأت بجثثهم " .
بل لعل هذه التفرت بين مشاعر الانسان ثهال البحر الابيض ، والام الانسان
جنوبه ، هذه !تفرقة التي تميز الحضارة الغربية ، تحمل الجواب على سؤال هكلولد،
الذي يبدو في تاوله أص! سذاجة من سذاجة ضيوخ الأزهر المزعومة ! . . فهو عتدما ينافش
واقعة أمر نابليون بتسميم صالم! خمسين جندتا فرنسيأ كانوا مصابين بالطاعون
وميئوسا من شفائهم وذلك قبيل اخلاء يافا ، ولعجز الجيش المنسحب أو عدم
استعداده لحمايتهم وهم تحملون هذا المرض المعدي ، وتجنبا لوقوعهم

ولا مجال للدهشة .. فالجدل مفهوم جداً ، والاستنكار طبيعي من
جانب المعلقين
الغرليين ، فقرار نابليون المستنكر موجه ضدءكا الانسثن أ الغر!
ولذلك يتعرض لنقد
شديد لتحديد مدى انطاقه على المفاهيم الانسانيه ؟أما القرار الاخر
الصادر بذلح
مسلم فهر يتناول الهمج ، الكائنثت التي خلقت على هيئة 30 50
انسان لتسهيل
مهمه الانسان الغرلى ، الانسان الحقيقي المكلف باستغلال - هذه
الكائنثت وحسن
الانتفاع بهاا
أما المسجونون المسلمون في القلعة فقد أضهى بونابرت "
متاعبهم بحل حاسم على
بساطته : فأمر بين 19 و 22 يونيه بأن يرمي بالرصاص ائنان
وثلاثون مهم دون
اتخاذ أي اجراء قانوفي سرى توقيع بونابرت . وكان بعضهم أصرى
حرب اخذوا
في سرريا ، استنفدوا أغراضهم بمجرد أن صضهم في موكب نصره
. "39

!!ء،،!،.
ش/رر لم
حجا ،)ث





ا!متكفي!ا
المؤ للثليلمات
ا ل1 !متكما
لصية

وايشِ يكون

وإلى جانب عمليات الاعدام بالرصاص والسونكي واكياس -المثقلة وخنق
السيدات ، وإلقاء الجثث في البحر .. كل هذه الاجراءات التي " تشرف
وتعلي
القدر " .. كان الادارى نابليون يجرب لعض التنطمات الادارية التي تضمن
ضبط
الاهالي وتنطيم اعنصار موارث!م.
فلنقطع تتابع المقاومة الشعيية والتنكيل العسكري لنتأمل هذه
المؤسسات التي لم
تكن اص من أجهزة ، تغ من خلالها السيطرة على الجماهر لمنع إخلالها
لأمن المحتلين
و " تنني مالية البلاد " أو بعبارة اممر صدقا " نهب ثروة البلاد " وهما
هدفان كانا
مق الوضوح في ذهن منشي ء هذه التشكيلات بحيث لم يهغ باخفاء
طبيعتها لل سارت
الأمور على هذا الترتيب الذي تعرضه الجبرقي:
وفي يوم الثلاثاء عدت الفرنساوية الى بر مصر ، وسكن " بونابرت " "
ليت
محمد لك اكفي " وفي يوم الخميس ارسلوا بطب المشايخ والوجاقلية "
عند قائمقام
سثري عسكر ، فلما استقر بهم الجلوس! خاطبوهم وتشاوروا معهبم في
تعيين عشرة
أنفار مق المشايخ للديوان . وفي يوم السبت اجتمعوا بالديوان وطلبوا
دراهم سلفة،
وهي مقدار خمسمائة الف ريال من التجار المسلمين والنصاري القبط
والشوام وتجار
الافرنج أيضأ . فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذو! في " تحصيلها "9 .
وهكذا نرى ان الأمر شديد البساطة ، ولا حاجة الى فلسفته وتعقيده
..

ء

الديوان ، الجمعة عطلة .. السبت طالبوهم بالدراهم .. فاممسوا التخفيف ، فلم
! ! يجابوا .. وأجبر " مجل! الأمة " (ا) على التنفيذ
.الديوان إذن ليى امحر من جهاز لجمع الضرائب والغراماتت
بل إن " الجبرقي " يسجل لنا في واحدة من عباراته البليغة العميقة الايحاء يسجل
لنا فهم معاصريه لطيعة الديوان ، وسلطاتت اعضائه الحقيقية أو بمعنى أدق حقيقة
وضعهم اذ يقول : " فما ضم هذا الأمر حتى زالت الشص! فادنوا لهم بالذهاب " .
الا توحي هذه العبارة : " فأذنوا " بأنهم رهائن أو على أفضل تقدرو مجرد موظفين
لدى السلطة الحاكمه ، سلطة الاحتلال ... التي تملك ان تاذن ! بالانصراف ،
وتملك في نفس الوقت أن تحبسهم حتى تصل بهم الى حالة مزرية لا يفوتت عبقري
.أمتنا في ذلك العصر أن يسجلها
فبعد إخماد ثورة القاهرة الثانية جمع سارى عسكر الدتوان " وجلى سارى عسكر
على كرمى في وسط المجلسى ، وفال كلاماً طويلا بلغتهم حتى فرغ ، فالتفت،
الترجان إلى الجماعة ، وشرع يفسر لهم مقاله سارى عسكر ، ويترجم عنها بالعرر ،
والجماعة يسمعون فكان فلخص ذلك القول أن سارى عسكر يقول لكم يطلب
منكم عشرة الاف ألف الى اخر العبارة الاتية " .
ثم يقول للمهدي عبارة تلخص المهمة الثانية التي فامت من أجلها هذه التشكيلات
وهي إخضاع " العامة " لمبنلطة الاحتلال . . " وإذا كان الأمر ؟ ذصتم ولا يخرح
من يد 2 تسكين الفتنة ولا غرر ذلك فما فائدة رياستكم وللق يكون نفعكم ؟ "
ففائدة " رئاستهم " ونفع هذه الرئاسة المرجو هو تسكين الفتنة ، أي إخماد
الثورة . تورة جاهير الشرق المستعبدة ضد رجال الورة الفرنسية . وجمع الدراهم

افكارهم ، ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم ، وتمنى كل منهم أن لم يكن شيئا
مذكورا . و لم يزالوا على ذلك الحال الى قرب العصر ، حتى بال اكرهم على ثيابه،
. ! وبعضهم ضرضر لتوله من شباك المكان 2
أي قلم فوتغراني غير قلم " الجبرقي " يستطيع أن يمنحنا صورة معبرة مفحمة
لوضعية " نواب البلاد وممثلى الشعب " . وهم تحولون ني ثيابهم .. والايجار منهم
يشرضر لبوله من الشباك " أ ليس فيهم من يجرو على طفب السماح " له بالتوجه
الى دورة مياه ، رغم ان الحضارة الغربية تمن علينا بأنها هي التى علمتنا ! نظام المجاري
غير ان المدرسه الاستعمارية في تحاولتها التدليل على الدور الحضاري والتحر-سي
الذي لعبته الحملة الفرنسية تجد نفسها مندضة في تعداد " الأولات " التي أدخلها
الفرنسيون ني بلادنا . . فهناك أول " برلمان ! وأول " مجلس وزراء " وأول " حكومة
مسئولة " وأول " محثمة عادله " وأول " مطعة " وأول " عزل صحي " وأول
تحطيم للبوابات ".. وأول "فيلق من العملاء"... واول "مشروع" للاستقلال ! .. أول " طلب للحماية الأجنبية " .. إلح.
وهذه المدرسة تصف هذا الديوان " المحصور " بأنه كان تدريما للمصرتين على
النظام البرلمافي ومسئوليه الحكومه أمام النواب وتجربة للحكم الذاقي ... ولا شك
ا!ا ان كانت قد فهمت -وهو مالم يحدث لحسن حظ الديموقراطية - على هذا
النحو ، من النخبة المصرية ، فلا شك انها قد تركت أثرا عكسيا ، ونفورا من هده
التِجربة . . وكيف يصدق " التلاميذ " المصرررن ان " الحكومه مسئولة

غير ان المدرسة الاستعمارية -؟ قلنا - تنقسم الى ا!ديمية التي ، بالخارج
ومدارس الارساليات التي تعمل في بلادنا .. فالمدرسه التى تخاطب " الأسي"
طر الى ذممر جانب صن ا!يقة : لذلك نجد " كرستوفر هيرولد "! صرفض حكاتة
أول " هذه بقوله : ان موقفا من المواقف لا يصبح تاريخيا الا لأحد "

لأن المشاركيز فيه على وعي بأنهم يصنعون التاريخ ، وإما بفضل نتائج
. " اعمالهم
ثم يطبق هذا القانون الصحيح ، على حالة الديوان الذ!ط جمعه نابليون
فور احتلال
: القاهرة ، والذي شرحنا الهدف من انشائه فيقول
ولو كان النواب الذين حضروا افساح الديوان العام الذي عقد بالقاهرة "
في
أممعوبر 1798 يعلمون انهم يؤلفون أول مجلعى نياثط في الشرق 4
الأوسط او لو
كانت اجتماعاتهم خلال الأسبوعين التثليين قد تمخضت عن أ!ط نتائج ،،
لكان هذا
. " الموقف تاريحياً
فعميد المدرسة يعترف بأن الموفف لم يصبح تاريخيأ ، فلا نتائج أعمال
، الديوان
ولا الذين شاركوا فيه كانوا على وعي بأنهم يصنعون التشريخ ، بل لقد
رأينا كيف
سجل الجبرقي نظرتهم الى هذا الديوان ، وسنناقش أسباب قبولهم
لعضويته . وما
حاولوا تحقيقه من خلال هذه العضوية ، بل مخن نذهب ةلى أن نابليون
نفسه رغم
كل مواهبه في تخيل نفسه كصانع للتاريخ ، ما كان ئرمن ولا يهدف إلى
إقامة حكم
نيار في مصر . والاحعلال الفرنسى حكم المغرب العرر منذ احتلال
الجز ائر الى

ومن المؤلم أن نجد أنفسنا فى حاجة الى مناقشة عداء
الاستعمارية الغربية للنظم
النيابية في المستعمرات ورفضها قيام ممثلين حقيقيين للأمه .
خاصة في مراحل الغزو
الأولى حيث يجري عزل الطبقات الحاكمة ، وحيث لم يكن

ويعترف " هيرولد " نفسه بآن الاجراء المالي الوحيد الذى اقترح
هو فرض ضريبة
على العقارات في المدن 3 . ويقول (ن نابليون بعد ما أحس بعجز
الديوان عن تحقيق
هدفه . أعطته الثوره التى قامت أثر ذلك ذريعة لحل الديوان . فلما
أعيد تشكيله
بعد شهرين ، لم يبق له من أهميته الأولى غير ظلها . ولما كانت

الشعب بطرق أقل مباشرة فما داموا لا تحترمون غير القوة فيج!
أن يحكموٍا حكما

وهذه هي العبرة التى استخلصتها كل فوة احتلال عبر التاريخ كله ،
فما من شعب
على طول تاريخ الاستعمار . أثبت أنه يتقبل " اصلاحات "
المستعمرين وانه يستطيع
ان ينفذ هذه " الاصلاحات ! طواعية وبراسطة ممثليه . بل يتحغ أن
يتجرعها
بالسيف والمدفع والسوط . واذا كانت شخصية نثبليون المنتفخة
بالعظمة والاستاذية،
وأيضأ لأنها كانت أول تجرلة للغرب في العالم العرلى .. جعلته يفكر
في تجربة دغدغة
مشاعر " الوطنيين " بلبع! عمامة ، وامساك مسبحة وتشكيل ديران
، فقد كان ر د
الشعب على " دجله " قاسيأ وعنيفا ، أجبره على ان يكشف عن
أنيابه وان يتصرف
تصرف الاسبان مع سكان العالم الجديد قبل الثورة الفرنسية !
بقرنين.
ولقد حاول نابليون ان ينتزع الاعتراف بشرعية احتلاله .. بتشكيل
الديران ،
ثم باستصدار فتوي من المشايخ : " أريد من الأزهر أن يصدر كموي
تأمر الناس! بأن
يحلفوا يمين الطاعة لي " ورغم ان المشايخ كانوا يعلمون انهم
جميعاً -؟ قال
الجبرقعا - " في القبضة مأسور " فإن عملية التدجين والافساد التي
تولاها " محمد
علي " هو وخلفاوه لم تكن قد أنجزت لعد . فكان المشايخ
مجعفظون ببقية من صلابة
الإسلام : " فاصفرت وجوههم لهذا الطلب فأنبأت يرعب دفين . ثم
غلبهم الوجوم
والارتباك . وطلب الشيخ الشرقاوي كبير علماء الأزهر ، الكلمة ،
وقال بعد أ ن
استجمع شجاعته ، إنك تطلب رعاية الرسول الذي يحبلث ، وتريد
العرب المسلمين
ان ينضووا تحت رايتك وترغب في استرداد امجثد العرب . وأنت
لست مشركأ ولا

سواء الامبراطورية ، أو الاصلاحية ، ويمكنه من بناء مجده
الشخصى أو تحقيق رسالته
الانسانية .. كيفما اختار ! ولكنه رفض لسبب واحد .. هو سبب
دينى ، رغم
كل علمانية الثورة الفرنسية ا فلماذا يختص شيوخ الأزهر باللوم
لرفضهم اغراءات
نابليون واصرارهم على مقاومته لنفس السبب الذي جعل نابليون
يرفض اغراءات
الشيوخ .. وهو رفض التخلى عن الدين الموروث !
ربما يقال ان نابليون كان يحاول بناء امبراطورية عربية بسواعد
العر! المسلمين،
دون ان يغ!ر دينه ، وانه كان يحاول ان يثبت ان الامراطور
المسيحي .. يمكن ا ن
يحكم الشرق دون ان يمس الدين المسيحي أو تقاليده ، تماماً !

هـ!-،أ،
ض/رر كم!
كحما ،)ث

التفسير

فاذا انتقلنا الى التفسير الذي تروجه المدرسة الاستعمارية في
بلادنا منذ أول محاوله
لكتابة تاريخنا ا!! ان تتبلور هذه المدرسة بوضوح في المقالات
الصحفية التى نشرها
لويمى عوض " .. فابنا سنجد الألقاب تخلع بغير حساب على "
التشكيلات التى
. . أفامها الاحتلال الفرنسي ا
فلما أصدر بونابرت مرسومه في 25 يوليو 1798 م بتشكيل اول "
مجلس
. للوزراء عرفته مصر من علماء الأزهر "6
أما " الشيخ تحمد المهدي ، فقد اختر سكرتيرأ عامأ لمجلس
. الوؤراء "7
والمرة الاولى التى -سد فيهث اسم الجبرقي وؤيرأ ، هي ي "
لشكيل الديوان بعد
. " مقتل كليبر

ولا ظث ان ا الديوان " كان موجودأ في مصر قبل الحملة
الفرنسيه ، وبصوف
النظر عن أي جدل حو! مدى تمثيله للشعب أو نوعية السلطة التى
كان يمارسها،
فإن الحث إذا ما جرى وراء الاعاء ، لرجحت كفة " ديوان "
المماليك على
دواوين " نابليون .. فلماذا هذا الافراط في خلع الأعاء "
والصفات .. " أول
! (برنان) " أول مجلس وزراء " " وزير " .. " سكرتر عام
كان فى مصر قبل الحملة الفونسية ديوان داكم هو الديوان الذى

الوجاقلّية او روساء الفرق ويكون " مجلس شورى الباسا المسمى بالديوان " واذا
كان ثمة مقارنة يمكن ان تعقد بين الديوان العثمافي ، والديوان الفرنسي أو كان ثمة
مجال للحديث عن المجالس النيابيه فان الحقائق التاريخية في صف ديوان العثمالط:
ولهذا الديوان سلطة كبيرة في إدارة الحكومة ، لأن الباشا (الوالي) " لا يستطيع
أن يبرم أمرا الا بموافقة اعضاته ، واذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البت فيه الى
ان يرفع الى الآستانة ولهم أن يطلبوا عزله ، فكانت سلطة ضباط الفرق بمثابة رقابة
. واضراف على سلطة الوالمط ".1
وبهذا الوصف يصبح الديوان العثمافي ، سلطة برلمانية حقيقية ، تعادل سلطة أرتط
اليرلمانات المعاصرة ، فهو له حق الفيتو على تشريعات الوالمط " بل وحق طلب عزل
. اطا آ
واذا أغرتنا لعبة الألفاظ فابنا نلاحظ تطور هذا " الرلمان " على النحو الذي
تطورت اليه كل المجالس النياتية.
فقد " انشأ السلطان سليمان بدل مجلس سورى الباشا ، ديوانين ، الأول الديوان
الكبير ، والثافي الديوان الصغير ؟ فالديوان الكبير مؤلف من روساء الفرق
ودفترداريها وروزنامجيتها وأمر الحج وقاضي مصر وروساء (أغاواتها) المشايخ
والأثراف . وروساء المذاهب الأربعة . ولهذا الديوان سلطة البت في شئون الحكومة
. " الوئيسية . وله نقض أوامر الوالي

؟لزكد 11 اس أ ا هددـالوحاقات أ: ا أعر% ا اصكرية الر كا! لكل القوة الحاكمه لى لمر تريهة لا يزكد
أكا : 9 سد أد استفت ر اللاد اشظ! فا كر مر المصرير ودحلرا ر عدادها مصار لا صمة محله ونجاصة لعد
أ- الصرفت تريها و عهد تقهمرها عر إرصال الحرد اف ممر فذ المصريود على ترالي افي ،

أما الديوان الصغير فكان ينعقد يوميا .. وكان الباشا يحضر جلسات الديوأنين
من وراء ستار . وللتسليه يمكن أن نشبه ذلك بتحريم الدساتير على الملك حضور
جلسات مجلس الوزراء أو البرلمان ! ولكنه كان ملؤما " بتنفيذ قرارات الديوانين " .
وأفى من ذلك الوصف الهزلى للديوان المعتقل والذى لا !ستطع أعضاوه تجنب
التبول على ثيابهم ! .. من اجتماع ديوان مصر المستقلة الذي بهر فنصل فرنسا ذاته
المسيبر " دي مايليه " الذي لم يكن قد رأى حتى ذلك الحين 1 1692 م-) اتجاعأ
مماثلا قي فرنسا * فقال : " إن ديوان القاهرة أممز ابهة من ديوان الآص"ته .! وقد
رأيت بقاعة الديوان عو اربعة الاف شخص مجتمعين وبعد تلاوة أمر السلطان وبيان
الباشا ، صثح هذا الجمع بأن السلطثن قد خدع . وانه من الواجب رفع الحقيقة
ال!ه .. وانتهى الاجماع بحسم الخلاف على طريقة رضيناها ورضوا عنها "ا"
فاذا كان الحديث عن مجالس تراجع قرارات الحثمين فقد رأينا ان مصر لم يكن
أول عهدها بهذه المجالس تلك التنظيمات التي شكلها نابليون ، ولا كانت هذه
المشكيلات تملك أي سلطة حقيقية ولا نظرية في عهد الاحتلال الأجنبي .. وكيف
!يمكن تصور سلطة شعبية في ظل المستعمر ؟
أما المدرسة الاستعمارية التي يمثلها " لويعى عوض " فترى ان : " الديوان
العمومي المكون من ستين عضوا ، وهو أول مجلى نياب عرفته مصر في العصر
الحديث " .
والديوان ا!صوصي المحتار من بين أعضائه والمكون من أربعة عشو " عضموا
وهو أول مجلى وزراء عرفته مصر "12 .
أما عن مو! الشعب المصري من الحكم النيالى ، فقد ينن الجبرق فرح " الشعب
بعودة الديوان بعد تعطله ، بما يدل على انه برغم وجود رأي عام متطرف يرى

هناك أصس! للحكم استخلصها الزعماء المصرررن من بونابرت وخلفائه ، ففي البيان
الذي أصدره الديوان الى الشعب المصري بتاريخ 8 جمادى الثانية 1213 هـ
لهدئة الخواطر . وهذا يدل على أن العلماء ، فبل اصدار مذا البيان (م 1798)
قد اشترطوا العمل بجملة مبادىء أساسية -للحكم ، واستخلصوا من بونابرت تعهدا
بها وهي احترام الدت وعدم المساس بأحكام الشريعه وافامة العدل وإلغاء مظالم
.المماليك (المماليك ؟ !) واخمصار واجبات المصرتين إزاء الدولة على دفع الضرائب
والمنشور الدي يتحدث عنه صدر والديوان معطل في أعقاب ثورة القاهرة الأولى
. حيث " بطل الاجتماع بالديوان المعتاد "13
يقول الجرلمط : " وفى يوم الخميى 16 ربع الثافي 1213 هـأهمل أمر الديوان
الذى تحضره المشايخ ببيت فائد أغا ، فاستمروا أياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا
. " الذهاب فلم يطلبوا
ولم يصرخ عضو : " لن ننصرف إلا على أسنة الرماح " لأن ما من أحد كان
يريد اليقاء أصلا . ورواية الجبرقي عن المنشور لا تترك مجالا لمثل هذا التفسير الذي
يطوحه " لو- عوض " فالجبرقى يقول : " وفيه كتبوا (الفونشون) عدفى أوراث
وأرسلوا منها نسخا للبلاد وألصقوا منها بالاخطاط والأسواق وذلك على لسان المشايخ
. !! .... أيضا ولكن تزيد صورتها عن الأولى وصورتها
والجبرقي لا يلقي الكلام على عراهنه فهم الذتن جمسوها والصقوط ووزعوها عل
،لسان المشاغ ، وسياق الكلام يؤكد أن المشايخ لم يطلعوا عليها فبل أي مصري اخر
فضلا عن ان يكونوا قد استئذنوا في اصدارها أو توفيعها ، ودعنا من الهذر الذي
يزعم أن مساومة أو مفاوضات قد جرت بينهم ولنن السلطة المحتلة وانهم اشترطوا
التعهد بكذا وكذا .. وقد استعرضنا رأي المؤرخين الذي أكدوا ان كل صلة المشايخ
بهذه البيانات لا تزيد عن استخدام اسلوب الشيخ " المهدى " في بعض الأحيثن
لاضافة المحسنات " ! ونمضي مع مؤرخ المدرسه الاستعمارية : " وبتحليل "
نصوص هذه الملصقات نخرج بنتيجتين على غاية قصوى من الأهمية : أولاهما ا ن
هذه المجالس النيابية والتنفيذية المصرية كانت لها سلطة اصدار القوانين فيما لا
!يمس
السهاسة العليا . وثانيهما ان بونابرت كان يعد نفسه (شكليا) مسئولا أمام (محفل
. لربد عوض

الديوان) المصري بمثل ما كان مسئولأ فعليا أمام حكومة الادارة أو المؤتمر الوطني
في بلاده ، فكان يقدم التقارير للديوان أولأ باول عن أعماله وتحركاته وانتصاراته
وانسحاباته الدسكرية بتفصيل شديد ، بل لقد عى في تقرير مشهور له جيشه
المحارب في سوريا بشسم (جيش مصر) . وتحدث عن انتصار هذا الجيش تحدثه
عق انتصار الجي!ث! المصري " . ولا شك ان مراعاة بونابرت ان يحافظ على هذه
* " المسئو!ية الشكلية أمر يلفت النظر حقا

وبهذا يكون قد استجد في مصر تقليد دستوري أساسه .ان يقدم القائد مباضرة "
أو عن طريق نائبه تقريرا عن نتثئج أعماله العسكرية الى " تحفل الديوالأ " قبل نشرها
"على الناس . ومن العبث ان نظن ان هذه التقاررو كانت تقدم سواء لمجرد " العلم
أو للتصديق عليها ، فكلا الفرضين يقوم على التعسف *وانمث كانت تقدم كعرف
دستوري شكلى يتضمن اعترافا شكليا بشخصية الديوان العمومي على انه سلطة نيابية
ضرعية وانه حلقة وصل بين السلطة العسكرية والشعب المصري . وفي كثر من
الأحوال كانت هذه التقارير المقدمة الى البرلمان لا تنشر مباشرة ولكن تصدر في
. " صورة بيان يصدره (تحفل الديوان الكبير) للشعب المصري 14

ومن التقارير المؤكدة للصفة النيابية للديوان العمومي ، التقررو الوارد من "
السلطات الفرنسية الى هذا الديوان بشأن الاعمال الحربية في أبو قر . وهذا النص
يؤكد أيضث مسئولية الجيش أمام البرلمان من ناحية الشكل والتنظيم الدستوري ، وهو
وضع مشابه للاوضاع في فرنسا ذاخيا بعد الثورة الفرنسية " ا ا

وأهم من هذا مبدأ " نشر " القوانين والاحكام كشرط نفاذهث بشستعمال "
الملصقات في الميثدين وعلى رعوس الشوارع والحواري ، لعدم وجود " جريدة
. رحمية " وقتئذ وكبديل لنظثم المنثدي الذي لم تكن العصور الوسطى تعرف سواه
فقارىء الجبرقي يرى بكل وضوح أن عملية النشر هذه لم تكن قثصرة على البيانات
أو الاندارات السياسية أو العسكرية بل كانت تشمل أيضث وبصفة أساسية القوانين
. " واللوائع والاحكام ا
يحاول ان روهمنا ان هذا النشر هو المقصود حاليأ بعدم سريان القانون الا من
!لا جدال في المانة الفكربة الى تصيب جيلا بثكصله تجة نراعة هذا النحليل

تاريخ نشره قي الجريدة الرسمية ! وهذا هو التعسف ، لأن الفرنسيين قد استخدموا
اسلوب المنادبن ، واستفادوا من المطعة في اخطار المواطنين بقوانينهم أو فراراتهم.
ومن قبلهم منذ عهد " خوفو " كان لا بد من اعلان القانون على الناس ، لكي ينفذوه
ولا نعرف أمة قد اكنشفت وسيلة أخرى لتنفيذ القانون دون العلم به . ولكن الزعم
بأن هذا ضرط دستوري يمكن الطعن على أساسه في ضرعية القانون هو زعم لا أساس
له من الصحة ، ومجرد شقشقة ولغو ، تمثمأ كالقول بأن الفرنسيين قد حملوا الى
مصر مبدأ مسثواة المواطنين أمام القانون ، استنتاجأ من اصدارهم قانونأ يحغ على
كل صاحب خمارة أو وكالة بالتبليغ عن الغرباء الذين يقيمون عنده ! .. واضح طبعا
وكا قال الجبرلمط ، ان الهدف كان ضبط الغرباء الذين يخشى من نشاطهم . ويستحيل
طبعا ان يستثنى الفرنسيون من هذا القانون اذ يفقد مفعوله ، من وجهة نظر المسئولين
عن الامن . إذ تصبح خمارات الفرنسيين ووكالاتهم ثغرة خطيرة ينفذ منها الغرباء . .

أمث وصف بيانات نابليون للشيوخ ، بأخها اعتراف بمسئولية نابليون ، أمثم الشيوخ
وانه كان يسمى جيشه جيش مصر إ! فهو خروج بالمنثقشة عن حدود الجدية تماما . .
فهذه البيانات التى كانت ترسل الى الديوان لم تكن تفترق في يثىء عن البيانات
التى يناد! بها المنادى في ثوارع القاهرة ، وأزقتها ، وتشبه في غايتها وصحتها،
بلاغات اذاعة الشرق الأدق وصوت الحق ، ورادرر اسراثيل خلال حربى

أما البيانات الحقيقية التى تصح نسبتها الى الاحساس بالمسئولية والمحاسبة فهى تلك
التى تضمنتها " المكاتبة " التى أرسلها " بونابرته الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقما

وعبقرية مؤرخنا تتجلى في اتصالاته العجيبة " ، التى مكنته من الالمام بالخمسة
عشو سببا كاملة ، وهي تختلف تماما عن الهذو والدعاية الساقطة "" بتفصيل شديد

ولم يجد الجبرقي ما يعبر به عن احتقاره لهذا المنشور أبلغ من أن يتبعه مباشرة
بنشر الوثيقة المفترض انها سرية للغاية ، والتى لو كان لدى نثبليون أى احساس
بالمسئولية أمام المثعايخ لاهخ بعبليغهم ولو بسبب من الاسباب الخمسة عشو ! ولكن
نابليون ذاته ما كان يصل في دجله الى حد اعتبار تسمية جيشه " جيش مصر"
انه اصبح جيشنا الوطني ! وانه مطالب بتقديم كشف سير الحملة الى المئعايخ ! ولا
حه ل ولا قوة إلا بالئة كلت هذا التفسير الذى يحمل مشايخنا مسئولية الحملة على سوريث
وما جرى فيها من أهوال ومذابح اشهرها مذبحة " يافا ! الخسيسة . انظروا كيف
أرخ الجبرقي بوعي من يفضح الزيف ، ويسلح المستقبل بالقدرة على التقييم الصادق
الماض ... فبعد عبارة " المحبه للأهالي " [illegible]

أ ذلك ألى الحر - كان ملعآ بالحلالات داخل الضادات العلا لحق الاحتلال ، فهو !وى تفاصل ، الحلاف
- - و عحص مق . لي
الدممط دار بير القيادة "لعليا الفرلة في الاسكندرية ،. والرواية في جوهرها ممقة مع ما أثته المصادر الفرلية لصرفص
الظر عن عباراتها : 9 ويخه -مع ونقل عن بعض الفريخر انه وفع الحرب بيز الفرناوية والانكيزية . وكات الهزيمة
على الفرلاوية وفتل بيهم مقية كيرة . وانحازوا الى داخل الاسكندرية ووفع بيهم الاختلاف وانهم فو سارى عكر
ريه وداماص . ورابه صهما ما رأله . وكانا سيا لهزتمه فيما. يظن ويحتفد فقبض علما وعرلهما من إمارتهما . ودلك
أن رفي وداماص لما ذبا على الصورة المتقدمة ونظر رفي وأرصل س كص على ماري! ألانكيز فوجدها في عاية الوضع
والاتقان فاحتمعوا للمورة على عادتهم ودبروا يم أمر المحاربة فرأى صاري عصكر منو رأيه .

بونابرته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها ان الأمر الموجب للانتقال
. عن تحاصرة عكا خمسة عشر سببا 161
وبعضها أسباب متفق عليها في جميع الدراسات التى تؤرخ هذا الفشل البونابرقي،
وبعضها يوحى ان الجبرقي قد أطلع على ترجمة أو أخبر بمعلومات عن هذه الوثيقة،
معلومات دفيقه الى أبعد حد.
على أية حال لم يكن المشايخ غافلين عن حقيقة الاوضاع ، ولا كانوا في وضع
يسمح لهم بتصديق بيانات اللورد " هاوهاو .. فنتور " فضلا عن اعتبارها دليل
مسئولية نابليون أمامهم ! بل على العكس فان معلوماتهم الحقيقية كانت تثبت لهم

ولا صك ان من يعرف خمسة عشر سببا لعجز نابليون عن أخذ عكا واضطراره
للعودة الى مصر ، فها التاخر في مهاجمة عكا ستة اتام حتى وصلت الانكليز و-ضنوا
عكا باصطلاح الافرنج .. وسقوط " المدافع الكبار التي توجهت من الاسكندرية
بيد الانجليز . ووقاة " ولدتيب " اكبر خصم للانكليز في الهند . " ونقض الصلح
بين فرنسا والنيمساء " .. من يعرف هذه الأسباب يحتاج الى شجاعة أدبية نادرة
وأمانة تأريخية ، لكي يثبت السبب الهزلي الذى أورده ! جوبلز بونابرت " في بيانه

.واذا كان نافل الكفر ليس بكافر ، فناقل اللغو ليس بجثهل
ويقارن 4 الرافعي - بحق - بين رسالة نابليون الجادة الى جنوده ، عن نتائج حملته
فى سوريا ، تلك الرسالة التي طبعت بالفرنسية ووزعت عليهم عشية الا!تداد عن
عكا ، وبين رسالته الهزليه الى (" محفل الديوان " فيقول : " هذا هو موقف نابليون
من جيشه . أما موقفه من الشعب المصري فقد اجتهد في تعميته بستر الفشل الذئ

والاعلان عن سطوته وقوته . ولذلك بادر فهيأ رسالة بعث بها الى ديوان القاهرة
بتاريخ 16 مايو (1799 م) حشاها بكثير من امموبهات وخلاصتها الزعم انه محق
دار ا!زار بعكا وهدم البلد بالقنالل . وأن أهلها فروا الى البحر وان الجزار جريم
في خطر الموت . وقد وصلت هذه الرسالة الى مصر في أول المحرم سنة 1214 هـ
. وقرئت بالديوان . فلم يصدفها أحد "17 (يونيه 1799 م)
وغير ذلك مق امموبهات التى كان يذكرها في منشوراته تارة على " لسانه
. وطورا على لسان أعضاء الدروان دون أن يأبه لهث أحد "18
وادا كانت الحكومات في المشرق بعد تعلمها تجربة الديموفراطيه ، قد اعتادت
ان تفدم للبرلمانات بيانات كاذبة . ولعل ذلك هو وجه الشبه الوحيد الذي يمكن
ان يستند اليه من يصف مهزلة البيانات التي كان نابليون يوجهها الى الديوان ، لكى
تعمم على الشعب . الا ان تزوير " نابليون " في بيثناته كان مفضوحا ومبالغا فيه
الى حد يفقده كل تأث!ر .. فاي حكومة هذه التي تزور على " ممثلي الشعب " حتى
صسعية الجيـث! الذي يغزو للادهم ! فعندما نزل الاتراك . . جيش . . الخلافة في أثط قير
زعم نابليون في بياناته الى " محفل الدروان " انهم من " الموسقو الافر! الذين كراهتهم
طهرة لكل من كان يوحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول
الله ، يكرهون الإسلام ولا يحترمون القران وهبم نظرا لكفرهم في معتقدهم يجعلو 1 ن
الالهة ثلاتة وان الله ثالث تلك الثلاتة . تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر
لهم ان الثلاتة لا تعطي القوة وان كزة الآلهة لا تنفع .. ونخبر 2 بالمسلمين ان كانوا
بصحبتهم يكونوا من المغضوب عليم لخالفتهم وصية النبي عليه افضل الصلاة
والسلام . بسبب اتفاقهم مع الكافرتن الفجرة اللئام . لان اعداء الإسلام لا ينصرون
الاسلام . ويا ويل من كانت نصرته باعداء الله وحاشا لئه ان يكون

العاصمة ان يلزموا الهدوء والسكينة ، لأن الم!يجة لا تخلو من واحد
،من أمرين
فاما هزيمة للفرنسي!من وعنذئذ يجلون عن البلاد ، واما نصر لهم
وفي هذه الحالة
. تستهدف العاصمة لأشد أنواع الانتقام اذا نشبت فيها الثورة ".2
وأهمية هذا المنطق لا تنبع من طابعه العملي ، بل من الضوء الذي
يلقيه على حقيقة
العلاقة بين السلطة والديوان ، فهى علاقة تربص متفق عليها من
الجانبين . وهى أبعد
ما تكون عن علاقة حكومة بمجلم! تشريعى ؟ يصورها البعض . ؟
تلقي الضوء
. على اهمال الجانبين لبيانات نابليون
وكل الوثاتق تؤكد ان " بوسليج " كان يتمتع بنظرة صادقه لطبيعة
العلاقه مع
رجال الديوان ، ونوع المشاعر التي يكنونها للسلطة وأهم من ذلك
انه كان يتمتع
بقدرة نادرة على الصدق مع النفس ، وفي مواجهة الاخرفى ،
وخاصة الروساء
الدجالين .. فقد كتب لبونابرت عن مشثعر أعضاء الديوان اثناء
:معركة أر قير
ان الشعب المصري بالرغم من ثوراته العديدة ضدنا يمكن "
،اعتباره شعبأ وديعا
على انه يكرهنا وهيهات ان يحبنا ، مع أننا نعامله بأحسن مث يمكن
ان تعامل بلاد
محتلة . ان اختلاف العادات ، وأهم منه ، اختلاف اللغة ، وخاصة
،اختلاف الدين
كل ذلك من العقبات التي لا يمكن تذليلها ، والتي تحول دون ايجاد
صلات الود
بيننا وبين المصريين . انهم يمقتون حكم المماليك . ويرهبون نر
الاستانة ولا يحبون
حكمها . ولبههم لا يطيقون حكمنث ولا يصبرون عليه الا بأمل
. التخلص منه "21
أليس من المؤسف أن يكون " بوسليج " اكز فهماً ، واصدق تحليلا

ا- - أ. الأها أذ ثمررناللون " لا تاعة لة ولكن نزولأ على حكم 11 *

بالأسواق 22 " . وهل كان يستقيم أن يقول الجبرقي ، 9 وألصقوا نسخه بالأسواق
..-: وقري ء بالديوان " ! ألم يكن يستطع - وهو المعروف بدتته - ايغ يقول
وقرى ء بالديوان ئم ألصقوا صوره المطبوعة " أو " فلما قرىء بالديوان " ألصقوا
صوره " ... ولو اننا لا نعارض في ان يكون قد قرىء فى الديوان قبل عملية اللصق،
ولكن المدهش هو أن يرتب مؤرخ على ذلك تنظيما دستوريا ! فروايه الجبرلمط ا ن
كان يستفاد منها ثىء حول ترتيب الأفعال فهي تفيد ان المنشور صدر في غزة ثم
جرى طبعه .. نسخه ، أو بصمه كا يقول الجبرقي . وبعد ذلك قرىء بالديوان الذي
كان يعلم كذبه وتضليله كا عبر عن ذلك " الوزير " عبد الرحمن الجبرقي بنشره
الأسباب والمعلومات الحقيقية!
أما حكاية ان نابليون عى " جيشه المحارب في سوريا في تقرير مشهور له باسم

والرافعي يقول انه :(أراد ان يجتذب قلوب المصريين وان يشعرهم بالسرور
بانتصثر الفرنسيين ، ولذلك نراه يعبر عن جيشه بأنه " جي!ق مصر " وانه ا!ص
على ! أعداء المصريين " ويعلق الرافعي : " ولكن هيهات ان ينخدع ايشعب عن
. ذا! نفس بذات لسثن "23
ترى هل صدق أحد في مصر ان حملة نابليون على سوريا هي " حمله
مصرية "؟ ! .. وان جي!ق مصر حارب هناك ! وان السوريين هم أعداء
المصريين .. وان انتصثرات نابليون كانت انتصارات لمصر وشعبها ! .. ألم يصدر
نابليون عدة منشورات بعد ذلك تحذر من الشماتة التى انتشرت جمن صفوف
! " المصريين ، عندما شاعت أنباء هزيمة " جي!ق مصر
وتابليون كان يتحدث في تقاريره أيضا عن " جي!ق ايطاليا " و " جي!ق الصعيد"
و كانت له باخرة اسمها ! ايطاليا " أغرقها المصريون بالصعيد فتشاعم واعتقد بأن فرنسا
خسرت " ايطاليا " البلد.

إننا - في الحقيقة - امام إلحاح ذكي واع على انفصال المصريين
، عن العرب
والعالم الإسلامي .. فالمصر!ون يمكن أن يسروا بذبح عرب " يافا "
وتدمير
العريش " وحصار " عكا " .. حتى لو تم ذلك على يد جيش "
فرنسى .. يكفهم
. أن ينسب هذا " المجد " لجيمق مصرا
والديوان عند مؤرخ " المدرسه الاستعمارية " ، هو مجلس وزراء ،
وبرلمان في
نفس الوقت فهو يقرر ان " دراسة الجبرقي والوثائق الفرنسية ،
تدل على ا ن
كان حكومة بالمعنى التام . إذ كان يدخل في اختصاص (الديوان)

ولم يكن مجلس الوزراء المصري مجردا تماماً من الارادة "
. المستقلة " 2
ويستدل على ان اختصاص المجلس النيا! باصدار القوانين ، "
فواضح من الأمثلة
التي ساقها الجبرقي وهذا نموذج منها خاص بفرض عقوبة الاعدام

وصحة هذا المنشور انه يتحدث عن مرض الطاعون وليس السفلس
(!!) 1 لجح
الخطر الضرور!ط وهو تشويش الطاعون عدم الخالطة مع المشهورات "
. اما الديوان
فلم يكن له علم بالقانون أكز من علمه بأسباب مرض الطاعون ، أو علم
الذين
أصدروا القانون . والجرقي واضح في نسبة القانون الى الفرلسيين : "
ففي سابع
عشرين القعدة 13 2 1 هـلخص الفرنساوية طومارا " . . وفيه - اى هذا
الشهر - كتبوا
أوراقاً باوامر ونصها : " من محفل الديوان العمومي الى جميع سكان ..
. . " !!
ولا أظن ان مؤرخا يمكن ان يكون أوضح من ذلك لتأكيد اصل ونسب
. . المئضور
فصلة محفل الد!ان العمومّي بسن عقوبة الاعدام ومسئوليته عن أى دم
أريق تنفيدا
للقانون لا تزيد عن صلة مصر وجيشها بأعمال " جيش مصر " لط سوريا
. !
ولكن المدرسة الاستعمارية تصر على ان هذه الوثيقة (مرسوم تشويش
الطاعون)

الديوان الديمومي لا يمعد أن يكون تسميته الأصلية من ديموس أي (الشعب) بمعنى
. ديوان الشعب " 28
وهذا الاغداق في الاشادة لأهمية التنظمات الادارية التي أقامها نابليون ، لا يقصد
به " تمجيد " هذه التشكيلات ، بل لقصد به تأكيد فكرة اننا ندين بتفكيرنا السياسى
وتعلمنا للديموفراطية .. بل واحساسنث القومي .. بل وتعلمنا لأول مرة فكرة اشتواك
المصرينن في الحكم أو المسئولية السياسية .. نديق بذلك كله للغزو الفرنسى . فاذا
ما تحولت التجربة إلى نظرية أو حئى قانون عام ، كان لنا أن نقول إنه لولا الغزو
الغرلمط
للشرق لبقي الشرق محروما من المؤسسات الدستورية ، ممنوعأ من ممارسة أية
مسئولية
. . أو المشاركة لط السلطة
: فهو يقول
كل هذه التنظمات السياسيه والتقليدية الدستوريه التي استجدت في مصو "
خلال الحملة الفرنسية ، وفصل الجبرقي ذكرها تفصيلا وافيا بالاضافة الى النظريات
الأساسية الواردة في بيانات " بونابرت الأول " الداعية ضد فلسفة الحق الإلهي
، والنظام الافطاعي والامتيازات الطقية الوراثية .. والمنادية بالمساواة أمام القانون
وبتكافؤ الفرص وبكافه حقوق الانسان وبتمجيد القوة المصرية * ، كانت بغير شك
الدعاممم الأولى للفكر السياسى والاجتماعي الجديد في مصو الحديثة " ولو أنه يقر
بأنه
من " العسير العثور لط الجبرلط على افكار سياسيه واجماعية لالمعنى المنظم
المبلبرر في
فلسفة فظرية "29
وهدا اتهثم خاطىء لفكر " الجبرقي " اكثر نضجأ وأصدق انتماء من فكر لويص
"ع!بض -؟ سنرى - اما القول لأننا كنث نرزح تحت فكرة " الحق ا إلهى
والامتيازات الطبقية الموروثة ، ونفتقر الى من يعلمنا المساواة أمام القانون .. وتكافؤ
، الفرص وكافة حقوق الانسان ، واننا فوجئنا بمن يذكر القومية المصرية لأول مرة
وأسعدنا ان يشيد بقوة جيسق مصو الفرنسى إ أ فذلك قول إن أمكن اعفاء قائته
من سوء النية ، فلا يمكن نسبته الى العلم بواقع الفكر السياسى الإسلامي .. أو واقع
الوضع في !و . لقد كانت فرنسا ترزنج تحت وطأة الامتيازات الموووثة ا!ر مما
!يقصد الاضارة الى انتصارات " بخ! !ر : ق سوريا إ إ *

ترزح مصر ، رغم الثورة الفرنسية ، بل انها عادت الى الملكية
الوراثية بعد 15 عاما
ليس الا من " تنوير " المصرين ! بل ان نابليون نفسه الذي ترلى
تعليمنا فلسفة إلغاء
الامتيازات الوراثية " سيطلق زوجته التى يحها ، ويهين المشاعر "
الدينية في أوروبا،
ليتزوج من جديد بحثا عن " ولي عهد " يرث امتيازات ومملكة
نابليون ا وسيبعثر
الملكيات الوراثية في أوروبا ، وبعضها سيبقى الى اليوم أ
الملكية الوراثية التى لم ينجح المماليك أبدا في اقامتها في مصر ،
ولا استقرت
أبدا في الضمير الإسلامي .. حتى ولو قامت بالقرة ، لأن الفكر
السياسى الإسلامي
يرفض المفهوم النرر لها ، وهو المفهوم الذي يعتبر الن الحا آ وليأ
للعهد بمجرد
ولادته .. فولى العهد في حضارتنا لا بد أن تغ له بيعة ، أي اختيار
لشخصه ، حتى
ولو كان ابنا للحا آ .. ورغم شكلية هذا الاجراء في معظم التاريخ
الاسلامي منذ
معاوية الى عبد الحميد ، إلا ان اشتراط البيعة ، ورفض مبايعة
القاصر ، يعبران عن
عدم افتناع الحاكمين والمحكومين في الدوله الاسلامية ، بمبدأ
الوراثة ، بالمفهوم
الغرر ، وعدم اكتمال الشرعية للحا آ لمجرد انحداره من سلالة حا آ
.. والمؤرخون
يؤكدون أن أحد أسباب انهيار دولة المماليك ، بل السبب الرئيسي
الذي وصل
بحكمهم الى/ هذه الهاوية من الصراع الوحشي .. هو عجزهم عن
إفرار مبدأ
الوراثة ! ، انهم لم رومنوا لحظة واحدة بالامتيازات والحقوق "
الموروثة ، بل الامتياز
للسيف وللساعد الذى يحمل السيف ويقطع الرأس .. حتى الأموال
التي جاءت

وتقاتل كبار الصحابة فيها حول الحكم، وما فكر أحد منهم في أن ..

أما المساواة أمام القانون +. فأكط مسثواة اكبر من أن يتقدم أحد العلماء لبيع
سلطان مصر ، تنفيذا لحكم القانون ! في وفت كان النبيل الفرنسى أو بالأحري
الضعب الفرنسى ، يعتقد ان دم النبيل أزرق ، ويحا آ النبيل أمام محكمة خاصة من
طبمته ، الأمر الذكط لم يقم له مثيل ولا شبيه في حضارتنا . فليس في حضارتنا قضاء
مخصوص !
ما هى الامتيازات الموروثة التى أزالتها الحملة الفرنسية .. وما هو تكافؤ الفرص
الذى أتاحته ؟ !
امتيازات موروثة ؟ !
ألن وجدها نابليون ؟ ! في قتيله " محمد كريم " الذى كان صبى قبان فجاء
نابليون ليجده حاكما للاسكندرية ؟ ! بعمامة اكبر من عمامة السلطان

امتيازات موروثة 3ت ؟ : الشيخ " المهدى ! صديق " نابليون " ومحل اعجابه
الذ،ئي كان صبيا مسيحيا ، وفي رواية يهوديا ، فأسلم وأصبح من المشايخ المتصدرين
وامتطاع ان يصل الى مشيخة الأزهر ؟ !
امتيازات موروثة ؟ !
من .. " مراد بيك " ؟ عن من ورث امتيازاته ؟ ومنن هم اباوه الصيد ؟ ! كان
عبدا مملوكا عند الباشا التركي فباعه وجاء الى مصر فاصبح حاكمها المطلق وجاء
الباشا والبا على مصر فعزله عبده السابق الذي أصبح " مراد " بيلث.
امتيازات موروثه ؟ ! أيمكن أن يكون بحثا علمياً ذلك الذي يقوم على أن أوروبا
علمتظ نحن المسلمين رفض الامتيازات الموروثة ؟ !
يقول : " إن المصريين قحل مجيء بونابرتت لم يكن لهم مكان في نظام الحكم لا

راجع كتابنا ! الحق

في الحقيقة ولا في الظل ، وكانوا يعيشون في عهد الأتراك والمماليك
في عزلة مطلقه
عن سلطات الدولة من حيث ه! كيان سياسى ، أي ان الشعب المصري
كله بكافة
. " طبقاته كان معزولأ عزلأ سياسيا أيام الاتراك المماليك .3
ثم جاء الاحتلال الفرنسى ، الذي لم يفك العزل عنا فحسب بل " بعث
القومية
المصرية أولأ ، وثانياً أمس! أول مجلس مصري للرزراء واول برلمان
مصري لط
. القاهرة " 31
و " نقل أداة الحكم الى المصريين بدلأ من المماليك والاتراك ، وحاول
تصفية
أي جيوب غير فرنشة او مصرية مستندأ الى بعث القومية المصرية في
محاربة منافسيه
. " من المستعمرين 32
أما الخطوة التي اتخذها بونابرت نحو انشاء سلطة تشريعية في مصر "
فقد كانت فكرة
ثورية أوروبية بغر جنور واضحة أو تقاليد معروفة في مصر ، فكرة من
وحي الثورة
الفرنسية ذاتها التى كان بونابرت نفسه أداة من أدواتها حتى هذه المرحلة

. " وذلك بانشاء أول برلمان مصري عرف في أيامه باسم " الديوان العام "
خطبة افتتاح الديوان العام التي قرئت على الأعضاء في أول اجتماع لهذا المجلس
. " النيالى وهى أشبه شرء بخطة العريق في العرف الدستوري 34
وتؤكد فكرة القومية المصرية التي رأتنا ان الفرنسيين ركزوا عل ايقاظها في "
نفرس المصريير نيؤلبوهم عل الامبراطورية التركية ليسلخوا مصر عن الجامعة
. " الإسلامية التي كان مركزها اسلامبول ء3
فالاحتلالط الفرنسى اذن هو " لدايات الديموقراطية المصركة ، فكرة وتنظيمأ ، بل
وبدايات الحكم الجمهوري * . و(ذا كان من حقنا ان نستنتج شيئاً من شروط
لقبول حكم بونابرت والحكم تحت بونابرت (! ؟ ! ؟) فان (الروساء المصرية)
اشتراطهم عدم المساس بالشريعة الاسلامية كشرط للقبول ، يوحي لأن بونابرت
كان يحاول جادأ ادخال القانون المدفي والجنالط الوضعى في مصر ليقوم مقام
الشريعة
هل كانت مصر ملكية في عهد المماليك ؟أ *

ثم عدل عن ذلك " . ويعلن ان المصرتنن بذلك الوق! " قبلوا النظام البرلمافي من
نابليون ولكنهم رفضوا فصل الدين عن الدولة " ا
ومن السعير على النفس حقاً ، أن تتاقش نظرية تجعل احرول مصر - بداية تاريخها
الديموقراطي " فكرا وتنظحماً ، .. ما من أمة ترضى أن تمتهن كرامها وكشوه تاريخها
على هذا النحو .. وأممط سم يترسب في عقول الجيل الناشىء ، عندما يلقن ا ن
الأحتلال - بعك!ر ما يقال - هو الذي حمل الديموقراطية الى مصر فكرأ وتنظيماً . .
وان المشاركة لط الحكم لم يكن لها أي جذور في تثرتحنا لا فكرا ولا ممارسة ؟ !
أما ان المصرلين كانوا في عزل سياصى ، ففد رأينا في الفصل الأول حقيقة الدور
الذى كانت تلعبه كل خة من ثمات المجتمع المصرى ، والمكانة الخاصة التى كانت
لقيادات الشعب المصرممط . الشيوخ والتجار .. أما ان فكرة انشاء سلطة تضريعية
كانت فكره ثورية أوروبية بغر جذور واضحة أو تقاليد معروفه في مصر ، فيكفى
للرد لجيا أن نعرف ان المماليك والباشا لم يكن لهم أى حق في ممارسة ا!ريع
بأي شكل من الأشكال وان التمثريع بمعنى " الفتوى " أممط تفسير النصو!!
الشوعية ، واصدار الأحكام في الحث لات المعاصرة ، كان من حق الشيوخ وحدهم . .
فضلا عن ذلك فان نابليون تعهد قبل أن ينزل الى البر تحماية الشويعة ! كاذباً بالطبع
فات نزوله على بر مصر كان اكبر هدر لأحكام الشريعة ، ولكن المهم هر أنه لا
مجثل لادعاء اشتراط الشيوخ ، وتقدم بمطالب .. ليبنى على ذلك الفرض الكاذب ،
فرية شنيعة تدعى ان الشيوح قبلوا حكم نثبليون أو قبلوا الحكم تح! تابليون عن
اختيار حر ء. وبموجب مفاوضات دستورية ، اضتوطوا فها عدم المساس! بالشوتعة،
وان كانت حتى هذه " المكرمة ! لا يفوته أن يغمزها " فيستوحى ! أن نثبليون كان

ولكن على نحو اعر بطشا ، واعر فعالية ، واص وحشية في التنكيل بالشعب،
والتهجم على مقدساته ، واعدام قياداته .. أي مشاركة واي ديموقراطية في عهد كان
الأول في اعدام الشيوخ .. قيادة الأمة " فكرا وكنظيما " ، فهل كان غريما أن روفض
الشعب الوجود الفرنسي بكافة مظاهره ، أو ؟ يقرر " وليم سليمان " : " ان الشعب
ثار ضد الوجود الفرنسي ولفظه " وان قادة الشعب كانوا يتشككون في كل ا%ساءات
بونابرت ، بل ويتحالفون مع المماليك والعثمانيين رغم كل مظالمهم " .. ويؤكد انه
فيما يتعلق بنظام الحكم فان الهدف من اقامه المؤصسمات " المحلية هو حكم مصر
لصالح الاستعمار الفرنسي بأكز فاعلية " " وان " بونابرت " رويد ان أعضاء الديوان
يحكمون مصر لا باعتبارهم ممثلين لشعبها ولكن كممثلين للفاتح " 36 .
اما الرافعى فرغم تأثره الى حد بعيد بتهويش المدرسة الاستعمارية ، واستجابته
لإغراء الحديث عن " أول برلمان " ، و " أول حكومة " لإثبات عراخنا الدستورية،
وللتقليل من مية دستور 1924 م الذي يأقط بالوفد الى الحكم ا إلا أن الرافعي،

وهذا التناض! " غكل الجدلى " يطالعنا لصفة عامه في تحليل الرافعى لدور الحملة
الفرنسية . " فنابليون ، وليد الثورة الفرنسية ، ؟ كان جنرد فرنسا ابناء ذلك
الانقلاب العم الذي أعلن حقوق الانسان ، وقرر حركة الشعوب ، فعلم الثورة
كان لم يزل يخفق عل الجيوش التى ساقتها الجمهررية الفرنسية الى مياد-ش القتثل .

في ننيمات نابيور : ". عل التويان تالان د يحفر جمع جلات الدروان وأن !حر، في * معرفة أخلاق اعضائه

الاعتداءات أثارت كراهية الامة للاحتلال الفرنسي وجممتها على مقاومته بكل
الوسائل ، فكانت هذه المقاومة هي النواة التى انبثقت منها الروح
. " القومية المصرية
وهنا يتفق معنا في ان القومية تظهر خلال مقاومة القهر الوطني ، وليس خلال
.ال!عاون مع القاهرين
ومهما قيل في مبلغ ما كانت عليه الامة المصرية في ذلك الحين من " التأخر في
العلم والمدنيه ، فان الحملة الفرنسية وما اهتاجته في نفوس المصريين من روح المقاومة
قد هزت أعصاب الأمة ، هزه عنيفة أزاحت عن ابصارها شيئأ من الغشاوة التي
. " رانت علها في خلال العصور
فالأمة المصرية لم تذعن للحكم الفرنسي ولم تطمئن اليه بحال من " الأحوال ولم
. تخدع في حقيقة الأغراض التى كان يرمي اليها نابليون من الحملة "38
وتحن نتفق مع الرافعي في هذا التحليل تمام الاتفاق ، ولكن الرافعي - كانت
نقيصته وميزته في نفس الوقت - أنه لم تكن يمتلك نظرية عامة او موقفاً عاماً من
التاريخ ومن الصراعات التى تصنع هذا التاريخ .. لل كان ينطلق من حب شديد
لمصر وكل ما يجلب لها الخير ويجنبها الشر .. ولعل ذلك يفسر موقفه العداد من
الئورة العرابية فهو يدين الظواهر بنتائجها .. لا يفترق في ذلك عن الحامة.
فنحن ندهمش مثلأ من دهشته للمقاومة المصرية وتأريخها بأنها " وتللث أول مرة
من تحو مائة وثلاثين عاماً - دط تاريخ مصر الحديث - ظهرت فها الروح القومية
المصرية لمقاومة اعتداء دوله اجنبية أ 39 ، ولم الدهشة يا استثذنا ألم تكن هذه هي
المرة الاولى منذ ماتة وثلاثين سنة التي تعرضت فها مصر لاحتلال اجنبي ؟ ا
اما الحقائق اقي رررردها " الرافعي " عن الديوان فتقرر : " ان الديوان لم تكن
له سلطة ما في منع الغرامات والقروض الاجبارية التي تفرضها الفرتسيون ، ولعل

وصف لطيعة الد!ران التي قدمها الجيرق : " وصورته انه اذا اك!مل حضرر المشايخ
يخرج الهم الركيل فور!ه وصحبته المترجون فيقومون له ، فيجل! ممهم . ويقف
الترجان الكبر رفائيل ويجتمع ارباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند اخر الديوان
وهو من خشب مقفق! وله باب كذلك وعنده الجاو كيمنع الداخلين خلاف أرباب
الحوائج .. ويدخلهم لالترتيب الأسبق فالأسبق فيحكى صاحب الدعوى قضيته
فيترجمها له الترجان فان كانت من القضاتا الشرعية فإما ان يتمها قاضى الد!ران
بما يراه العلماء ، أو يرسلوها الى القاضى الكبر بالمحكمه ان احتاج الحال فها الى
كتابه حجج أو كشف من السجل . وان كانت من عر جنس القضايا الشرعيه
. كأمور ا!تزام أو نحر ذلك . يقول الركيل ليع! هذا شغل الديوان "42
. وهي صورة لعيدة كل البعدّ عن مجدس وزراء وبرلمان ... إغ
ورأي الرافعي صريم في ان التثعر!ثت الصحية لم تكن تعرض على الدوران
لتعليق تنفيذه على اقرارها ، لل كان القصد استشارته ومجاملته ، وقد " نفذ
فعلاً "43 . فرأي الرفعي لصرف النظر عن حكاكة " اول " ان الدروان لم يخرج
عن كونه مجلسا بلديا لمدينة القاهرة عديم السلطات وذلك في بداكة ، تكوت فمحكمة
د نهاية المطاف ، تفصل في القضايا الفردية والأحوال الشخصية أي في " جنس
القضايا الشرعية " ؟ قال الجبرق ، وما عدا ذلك يدفع بعدم اختصاص ! الديوان
وقرار " نابليون " بابشاء الد!ران الأول ، يؤكد طبيعته هذه ، كمجلس بلدي خاص " بادارة " مدينة القاهرة :
معسكر القاهرة في 7 ترميدور من السنة السادسة للجمهورية (25 " يوليو
1798 م) بونابرت عضو المجمع العلمي الأهلى والقائد العام للجيش يأمر بما !أقي:
. أولأ : تحكم هدفة القاهرة بدروان مؤلف من تسعة اعضاء "44
ومهام الديوان هي : الشرطة ومراقبة الأسراق وتموين المددنة ومراقبة دفن الموقى.
ولكن " لر!ر صض " يرفض وصف الدكوان بالمجل! البلدّي ، ويرد على رأي

اختصاصات بعض اعضاء الديوان كانت تشمل مصر كلها ... اما من هم
هؤلاء
الاعضاء ؟ (فهم " بالصدفة " .. الفرنسيون وحدهم ؟ ا الذين تولوا - ؟
يسسيها - وزارات المالية والمواصلات والجمارل . ولاحظ أنها الأعمال
اقي لا لد
من المركزية في ممارستها ، والتي تتجسد فيها السلطة المدنية ، والتي
تشكل في الحقيقة
جوهر أكط حكم في تلك الظروف ، ويقسر هذا الوضع بقوله : " واذا كان
الفرئسيون قد احتفظوا بهذه الوزارات الثلاث : المالية والمواصلات
والجمارل ، في
ايدي " وزراء " فرنسيين لاعتبارهم اياها لازمه للمجهود الحرثط فهذا لا
تغير من
الأمر شيئا وهو ان هذه الاجهزة كانت ذات ولاية على البلاد كلها ، وأن
التنظيم
هو التنظيم بغض النظر عن أشخاص الوزراء . ان كانوا من الاجانب أم
من المصريين

وهكذا نرى الاصرار على تنقيح حقائق التاريخ لتتفق مع وجهات النظر (..
فكل
اقليم ول فيوان .. وذلك يعني ان مصر كان بها 4 1 مجلس وزراء
(والسعلطة المركزية
تلك التى يتمتع بها الفرنسيون وحدهم ، ورغم ذلك يطلب منا أن !!
نفترض ا ن
ذلك الديوان كان مجلس وزراء ، وأن سلطاته كانت تشمل مصر كلها
بصرف النظر
ص! من الذي كولى السلطة ، أجنبيا كان أو وطنيا ، وواضح ان هذا
الفرنسي ليس
مجرد أجنب! في مجلص! مصري ، يستمد سلطثته من عضويته في
المجلعى ، ؟ كان
الحال مع كربار وأرتين فى مجلس الوزراء المصري بعد ذلك بأكثر من
.سبعين عاماً
بل هو يستمد سلطته من كونه ممثل جيعث! الاحتلال ، فهو لا !شرف
على مالية
البلاد بموجب كونه عضوا في الديوان ، ولالتالمط فان سلطاته خسب
للدتوان ، بل
هو يمستمد سلطاته من مصدر خارح الديوان تماماً .. لأنه هو المحتل ،
هو السلطة
. الحقيقية والوحيدة

غادرت القاهرة قبل احتلالها ، وبعضها رفض الاشتراك وبعضها لم يعجب نابليون
بسلوكه ، فأحل نابليون محلهم أعاء أخرى ... وهنا يتحتم علينا أن نفترض - لحل
الإشكال ! - وجود " مرسوم لونابرقي ضائع ، أ فيقول لريس عوض : " فمن غير
المعقرل أن يياشر الدمنهوري والشبراخيتي والدواخلي في العشكيل الجديد ، سلطة
. الرزراء عرفيأ وبغير سند قانرفي "46
مسل جدا أن يندبم الممثل في دوره الى حد الانفعال والبكاء ، ومسل أكز أ ن
يندبم المتفرجون مع الممثل الى حد الانفعال ، ولكنه يصبح مزعجا للفاية إذا ما أصر
الممثل على فرض روايته الرهمية كحقيقة من حقائق التاريخ ! بل وأن يطعن في التاريخ
بالتزوير والنقص والضياع لأنه لا يتفق مع روايته ! ولا نلري لماذا فاته أن يشير
الى " مرسوم ضائع ، اخر تحدد اختصاصات بقية الأعضاء من غير . . الفرنسيين
فالمرسوم الموجود - للاسف - يحدد سلطات من لهم سلطات وهم . الفرنسيون
أما بقية المشايخ فلا نجد لهم سلطات تحددة ، فما من شيخ صدر مرسوم بتحديد
اختصاصه ولر كمسئول عن الصحة ، ما من شيخ مسئول عن الكنس ، والرش
وهي وظائف ليست " مهمة مباشرة للمجهود الحرد " ورغم ذلك ضن المرسوم
حتى بتحديدها .. ولو فكر " نابليون " أنه سيأقي روم ، يعتبر فيه ديرانه مذا أول
مجلس وزراء مصري ا فلربما اهغ بتحديد اختصاصات الشيوخ ! ولكن حتى
الدجال من أعلى طرازا لم يصل في دجله الى هذا الخاطر ا .. لذلك " اقتصر
التحديد على الفرنسيين الذين يتولون مناصب حقيقية .. وحتى هؤلاء م يبلغ بهم

ويصعب على المورخ الجاد أن يلمس هذا التغيير من وجهة نظر المصرتين على
الأفل فيما يتعلق " لالرزارات " الثلاث : المالية والجمارك والمواصلات ... فهذه

أو أن عكم . فالمالية بصرف النظر سكق وسيلة جمعها ، وما تتسرب منها في الشقوق
والقعوات التي تفصل بين القاهرة والفلاح .. الا أنها كانت تصب في النهاية في
القاهرة . والجمارك كانت تخضع مباشرة لاشراف مركزي حتى لو بيعت بعد ذلك.
كل الذي حدث هو أن " المال " أصبح يجمع بكفاعة أكبر وبعسف ام! تنطمأ
ودقة . وإن كان بنفس العناصر وبنفس الاختلاسات ، بل وبنفس التقسيم الهرمي.
فلم تكن هناك مركزية يمكن أن يحس بها المصريون .. بل عندما طلب المصريون
ضم بولاق الى القاهرة في دفع الغرامة التنكيلية ، رفضت السلطات الفرنسية ، و لم
يملك الديوان أو " مجلع! الوزراء " حتى أن يصدر هذا القرار البلدي البحت!
لالمرصية المثليه بمعثى أن تصب الأموال في النهاية في خزينة فرعون العاصمة بعد أ ن
تشرب منها كل ديدان المجتمع ، حقيقة ليست جديدة على المصرتنن ، بل يعانونها
من أيام مينا والى ما بعد نابليون بكثير* .
وهو يعتبر التفيير الذي تم في تكوين الديوان بعد ثورة القاهرة الأولى : " هذا
التعديل في نظثم الحكم النيثر الذي صدر به مرسوم 21 ديسمبر 1798 م انتصارا
ديموقراطيا محققاً للشعب المصري ! . وهو ما اعتبره " هيرولد " إلغاء للديوان !
كذلك كان انتصاراً ديموقراطيا عدول بونابرت عن الاحتفاظ للقائد العام بحق "
دعوة البرلمان للانعقاد ونقل هذا الاختصاص إلى حا آ القاهرة "48 .
وحا آ القاهرة فرنسى ا وهو ممثل سلطة الاحتلال ، وممثل القائد العام .. فهل
يعد انتصارا ديموقراطيا أن يكلف نابليون أحد معاونيه بالاسراف على دعوة الديوان
بدلأ من دعوته هو بنفسها
أما منصب " رئيعى الوزراء " فهو حائر بين الشيخ الشرقاوي - الذي يعلن
لويس عوض أنه " أصبح رئيس الوزراء " وبين " المهدي " الدي من وصف موكبه
يري أن من حقنا أن نستنتج أن " محمد المهدي كان في حقيقة الأمر أول رئيس
وزراء مصري " .
رغم أن " المهدي " لم يصدر بعضويته " مرسوم " ا ولكهم اختثروه سكرتيرا
صه وصف احد ضخا الاجلاء كابات لوص عوض بائا " عاد! " وذلك صحيح نجعد 4 *
صفحات من الإطاب
بالحدث عن أصية المركزكة التي اتد!ث نابليون يقول هو اشعأ " أما جمرد يثم حكوهة
مركركة قوية أو ططة ننيذكة
قر+ ضد عرخه سر ن كا عصور جمدها ، نجونا!رت لم كات بجدمد في هذا المضار ، 11

للديوان .. " والجبرقي " كان واعيا بحقيقة الديوان .. ولا تعنيه هذه البحوث التى
ننشغل بها اليوم .. فكل الشيوخ الذين يحضرون ويشتركون في هذه اللعبة يكونون
الديوان . بل ان ذلك السكرتير الذي لم -رد احمه في مرسوم نابليون بتشكيل
الديوان ، كان هو الكل في الكل ، كا يقول المصريون ، ونعني به علامه استفهثم
عصره ، الشيخ " المهدي " .. فهو لم يكن عضوا في الديوان ، ولكن الجميع يمشون
بين يديه كا يعجب الرافحيا
فقد ذكر الجبرقي : " ان الفرنسيين أحبوه وأكرمره وقبلوا شفاعته ،ووثقوا بقوله
فكان هو المشار اليه في دولهم مدة اقامتهم بمصر وعلى تده تقضي عندهم حوائج
النثس وفضاياهم وكانت أوامره نافذة عند ولاة أعمالهم حتى لقب



ا لمتعاو

والحديث عن " المهدي " مجرنا طبعا الى امحضاء الديوان ..
. . وبالذات المشايخ
لأن المدرسة الاستعمارية تحاول من خلال خلع الألقاب عل
الديوان ، أن تصورهم
كشركاء ، أو مضعاونين عالمحتل في حكبم مصر .. وما دام هؤلاء
الشيوخ لا يرقى
الشك الى وطنيتهم . فان ذلك ينفي صفة العمالة عن عملية
التعاون مع المحتل،
أو قبول الحمل في خدمة جهازه الحام ، ولالتثلمط تسقط التهمة
"عن كل " المتعاوتين
وبالطع فالهدف ليس! " لبرته الشيخ الشرقاوي " بل ادانة "
الشرقاوي " بما يسمح
بتبرئة العملاء من امثال برطلمين وشكر الله ويعقوب ، والأغا عبد

يقول " هيرولدك! : " وقد ضمن " بونابرت " بانشائه الدواوين ، التأتمد
الظاهري من اكثر عناصر المجتمع المصري تفوذا واستقبراراً ، وإن لم
يضمن قط
. " ولاءهم أو ثقتهم
هؤلاء هم المشايخ الذين بحكم مراكزهم يمثلون قيادات حقيقية وزعامات
موجودة
قبل ظهور الاحتلال .. والاستعمار يكاول - إذا ما استقر - خلق زعامات
جديدة
ومنافسة ، وتحطيم الزعامات القديمة . ولكنه في البداية لا يستطع
تجاهل هذه
الزعامات . وهي لدورها لا يمكنهث ، بحكم بروزها عل سطح المجممع ،
أن تتجاهل
السيد الجديد ، فإما أن تقاتله وت!تقل الى مواقع المطاردفى الخارجين

الاستعمارى . وبعضهم اختار ذلك فعلأ ، وخرح الى المنفى باختياره لكى لا يكون
تحت سيطرة المستعمر ، ولكي يدير المقاومة بحرية ، ويعود عندما تحين فرصته
للانقضاض على المحتل . كا فعل السيد النقيب لا عمر مكرم " وبعضهم يبقى الى
جانب جاهيره وعلى راسها ، وإن كان يرفض تلويث نفسه بالانتساب الى جهاز
السلطة كالشيخ " السادات " الذى يقول الرافعى ، انه " رفض الاشتراك في مهزلة
الحكم مع الفرنسيين " ويفسر ذلك " لعله تورع عن فبول هذه العضوية لأنها لا تتنايسب
. ." مع مقامه في البلاد " " ولم يقبل هذه العضرية أنفة وتورعا
وبعضهم يتمتع بمرونة تكفيه لكى يتعاون مع كل سلطة دون أن يهبط الى مستوى
العمالة المفضرحة ، أو أن يتدذس بالأعمال القذرة التي يقوم بها العملاء من مستوى
الشرطة .. من هؤلاء المرنين الشيخ " البكرى " مثلا .. وإلى حد ما " المهدى " . .
.ولو ان المهدى كان أبرع واص! احتراما لنفسه في نفس الوقت
أما الفئة الغالبه في ظروف المجتمعات المجردة من وسائل الدفاع الفعالة ، المحرومة
من التنظيمات الدائمة ، الفئة الغالبة مضطرة بحكم مركزها ، وبحكم مسئولياتها أمام
جماهيرها مضطرة الى التعامل مع السلطة . ا لا أن تعمل لحساب هذه السلطة)
: ويركها في ذلك عاملات
الأول هو استحالة مقاطعة السلطة او تجثهلها ، لان السلطة لن 5 تتجاهلهم.
ولأن العامة ، جماهيرهم ، ستطالبهم بمراجعه السلطة ، وحماية مصالحهم وقضاء
حوائجهم.
والثافي هو حماية الرعية من التنكيل والابادة ومنعأ لطغيان الذين * تحركهم
الاحقاد في حالة وقوع المقاطعة الوطنية الشاملة للسلطة ، وحتى في البلدان المتقدمة،

و!زه وا!دة من تناقضات الرافعي ، فهو نا يمى الد*ان - *

هذا الفريق هو الذي وصفه الجبرقي ، أصدق وصف عندما قال : " من هو في
. " القبضة مأسور
هذا عن المشايخ ووجوه الناس . أما الفرئ الاخر فهم نفايات المجتمع ، عملاء
كل سلطة حثمة .. وعمالتهم أشد وسرورهم اكبر اذا ما كانت هذه السلطة،
. أجنبية عت البلاد
ا!ا افاذج التي عملت مع الفرنسيين ثم مع الانجليز بعدهم . بل وقبل ذلك/
وفيما بين السيدين ، عملت لحساب المماليك ثم في حدمة أي مستبد.
من هؤلاء كاد " برتلمي " فرط الرمان .. و أ شكر اللة " والمعلم " يعقوب ! .
وعن هذا الفريق يتحدث " هيرولد " فيقول : " ولكن كان هناك مهام حكومية
بغيضة كره الاضطلاع بها الفرنسيون والمسلمرن صن الأهالمي على السواء .. وهي
حمع الضرائب والبوليس . كان المماليك يستخدمون الصيارفة الاقباط في جمع
الضرائب فبل وصول بوتابرت وكان مما تؤهل الاقباط لهذا العمل تعليمهم ، وطاعتهم
وخبرتهم بشئون المال . واضطر (؟ا) " بونابرت " للمضي في استخدامهم لأداء
هذه المهمة ، ؟ كانوا يؤدونها !! قبل ، وإن قدر أن جانبا كبيرا من الأمر ال اك،
يجبونها من الفلاحين يحتجزونه لأنفسهم . فوضع نظاماً يشتمل على مراتب ودرجات
من الجباة الاقباط " . " وعلى رأس هرم هؤلاء الموظفين الاقباط كلهم ، ملتزم عام
هو المعلم " جرجس الجوهري " . هؤلاء الصيارفه الذين خلعت عليهم الان (أ ي
في عهد الحملة) صفة رحمية كانوا يسلكون مسالك الحكام على حد قول الجبرقي
الذي يقول : وفيدوا بذلك الصيارف من القيط ونزلوا في البلاد مثل الحكام يحبسون
. ويضربون ويشددون في الطلب "1
اما المهمة الثانية ـ المهمة البوليسية فيقول " هيرولد " : " أنشأ "

فارع القامة ، لا ينسى النثظر مظهره وهو !نهرج عل رأس أتباعه الأوغاد في عمامة
بيضاء ضخمة تظهر بشرته البرونزية وعيناه تلمعان ، وعل شفتيه ابتسامة يجمد لها
الدم في العروق ، وقد ارتدى ثوبه اليونافي المرشى بالقصب ، وحزاما أحمر،
وسراويل ضخمة ، ومعطفأ تعلوه رمانتان مما يضعهما الكولونيل عل كتفيه . وكانت
زوجته العملاقة الرهيبة تركب أحياناً إلى جواره . وكان " بارتلمى " ، تحب العراك
لأنه يتيح له اظهار شجاعته والتباهي بثيابه ، ولكن أحب الأشياء إلى قلبه قطع الرقاب
بالجملة . روى أنه إذا لم يجد من البدو المتمردين من يحمل رعوسهم إلى القاهرة
تذكاراً كان يعزى نفسه برعوس بعض الفلاحين العاثري الحظ الذين يصادفهم في
عودتهم للمدينة . وقد قدم للجنرال " ديبوي " مرة زكيبة بأكملها مملوءة برءوس
البدو تينما كان هو وضيوفه يتناولون طعام الغداء ، وقد المه أنه نغص عليهم طعامهم.
يقول مؤرخ قديم للحملة المصرية : " كان في منظره وهو يسير إلى القلعة وقد جرد
سيفه في يده ومن خلفه ضحاياه المكبلين ، ما يكفي لاخماد كل النوايا الشريرة في
قلوب الكثيرين "32 .
وسنرى أن نفرة المؤرخ القديم هذا ، غكل صحيحة ، " فالنوايا الشرررة " لم تخمد
في قلوب الثائرك المصريين الذين لم يرعبهم هذا المرتزق " السافل " ، بل اطلقوا
ضده لسان السخرية المصرية ، فسمره " فرط الرمان " هزء بالشارة العسكرية التى
يضعها عل كنفيه . وصورته كا سجلهث مؤرخ المصرتين : " قلدوا برطلمين وهو
الذي تسميه العامه فرط الرمان ك!خدا مستحفظان وركب بموكبه

هل كان " برطلمين " تحركه دوافع قومية أو عقائدية أو حضار!ة وهو ! وم بمهمته

البوليسية ضد المماليك والبدو والفلاحين والعامه المصرتنن ؟ .. هل
يحترم مؤرخ
نفسه اذا ما وصف برطلمين وبقية الأسافل بأنهم رواد القومية
المصرية ؟ !
ولماذا نفتمق عن صفات ودوافع مختلفة عن صفات ودوافع 9 برطلمين
" عندما
نتحدث عن المعلم " يعقوب " وتاريخ الاثنين واحد سواء في خدمه
المماليك أو خدمة
السيد الجدتد؟
برطلمين " المرتزق في الجيش العثمافي ، من نصارى الاروام "
العسكرتن .. واثناء
ا!تبطل يبيع القوارير الزجاح .. ثم يخدم طوبجي عند المملوك " تحمد
بيك الألقي " ،

،*"ثم!ص،؟
فى /أ(،ثطم،)

أ!!!

!امملا!م

!بم!تيم --ب

ا!أ أجم!ا%ل!فى!

!نم

أبم هـ0\خ!اس

إء م خءشمتطأ-

!ا- /3ثم.-دلأ !

أ أ في ؟"كو ما ، !

)4يرا!ع

!زلإللأك!.لم !

ا!ا بى كا

إ- !سور!ز

أت ل! !ر



ئورة القاهرة

ومعروف كيف نشبت ثورة القاهرة الثانهة ، عل اثر نقض الانجيز اتفاتية
العريث! " التي ن!ت جلاء الفرنسيين عن مصر بعد صدة " نابليون " "
الى فرنسا
وتولى " كليبر " قيادة جيعث! الاحتلال الفرنسي وكان !ائسا من جدوى
الاستمرار
لط مصر .. ولكن الحكومة الانجليز!ة رفضت اقرار الاتفاق .. ومن ثم
انقض
كليبر " على الجيش العمافي ، في عين كس ، الذي جاء بموجب "
الاتفاقية وشرع
في نهب البلد .. و! هي العادة تمزق الجععق العمافي في ساعات ..
"وعاد " كليبر
. . ليجد القاهرة مد!نة تحكمها الثوار
وئورة القاهرة الثانهة صفحة مجد مصرلهة .. فالجي!ق العثمافي كان قد
سحق تماهأ
عل تد " كليبر " خلال ساعات .. فلم يسعخرق خروج كليبر من القاهرة
وسخفه
الجيش الذي كالط يقوده الصدر الأعظم في " عين همس " (. 2 مارس
0 180 م)
وعودته منتصوا الى القاهرة ، ث! من حمس عشرة ساعة لظ قاومته "
قاهرة
. . الشعب " خمسة أسابيع كاملة
والجماهير التى رأت سوء سلوك الجيش العثمافي وبلغتها أنباء مريمته
الفادحة والمروعة ئم
ثارت واستمرت في ثورتها .. لا ككن اضهامها أو اتهام تيادتها - عل الأقل
- بأنها
كان! تثور من فرط الحنين الى الحكم " العثمافي " أو لوعود واضامات!
العمانيين والأمل

انحاز نهائيا وعلنيا الى القرنسيين ، وقد رفض حتى مقابلة مندوب العثمانيين إلا بعد
استئدان أسياده الفرنسيين .. وكرفىء هو وزوجته + . وأصبح يتقاضى مرتبا لابتا
من الخزانة الفرنسية ، وتدفع الجزية للفرنسيس 2500 كي! ، وتحكم باعهم
الصعيد واتفق مع الفرنسيين على تبادل الحماكة والدفاع المشترك ، خععهد الجيش
الفرنسي بحماتته في حالة مهاجمته واذا حصل هجوم على المنطقه التي تحتلها الجيعث!
الفرنسى فعلى " مراد ببك " أن يرسل ال!ا قره من جنوده توازي على

هذه المعاهدة التي يقول عنها الرافعي : " وتمت مفاوضات الصلح وشروط الاتفاق
وامضيت بيما كانت مدافع الفرنسيين تمطر قنابلها على سكان العاصمة "2 الثاثرة . .
ويأق خلف المعلم " يعقوب " ، فيتهمون القاهرة المجاهدة ، بأنها كان تئور باغراء
وتحريض المماليك بل وقيادضهم ا . .
كانت المعاهدة هي مكافأة المحتل لمراد بك على موففه من لورة القاهرة الثانية،
فهو قد ساهم في العمليات التى نفذها " كليبر " لإعادة سيطرته على البلاد ، ولعب
الدور الأول لط تجرتع العاصمه الثائرة بمصاثرة أربعه الاف رأس

وقد بالغ مراد بك في الولاء للفرنسيين بعد هذه المعاهدة ، "

بمد الصلح مع " صاد بيك ، صرفت سلطات الاحتلال لزوتجه المضمة في القثهرة " ط4 الف " فضة كل ضهر " .

بدأ " نثبيرن ، المفاوضات هع " مراد " ، ويعلق " الرافي 6 عل هذه المفاوضات توله : " * " وهذا يخافي ها أعلنه

نثبليرن " في مثوراته ويانلاسه للمصرين من ا. انما جاء مفر لمحاربة الممالك اوثل عرشهم " وأنه لا بشربم ولا يهدأ

علها حتى انفذ الى معسكر الفرنس!نن الهدايا والمهماتت والغلال
والمؤن ، وسلمهم
بعض العثماتيين اللاجعين اليه ، وطرد من الصعيد ، لروي!ق باشا الذي
جعله يوسف
باشا الصدر الأعظم والياً على الصعيدّ ، وكان قد نزل الرجه القبلي طبقاً
لمعاهدة
العرت! " .. فطلب " كليبر " الى مراد لك مطاردته تنفيذأ للاتقاق "
المبرم ليهما،
. " فتعقبه مراد بيك واضطره الى الانسحاتب ضطلا3
بل كان مراد بك يستشار في الأسلوتب الناجح لاخماد ثورة القاهرة ، وقد
لذل
جهده لتخريبها من الداخل ، عن طريق الاتصال ببعض العناصر ، ؤمحاولة
اقناعهم
بالتسليم او الانسحاب فلما أعيته الحيل اقترح الرغد على " كليبر " ولي
نعمته
! الجديد +. اضرام النار في القاهرة لإخماد الثورة
ويقول " رييو " (نه أرسل فعلأ الى " كليبر " عدة مراكب محملة مواد
ملهبة
. لاحراق العاصمة "4
وكل الرواياتت الفرنسية التي جمعها " الرافعي " تؤكد أن " مراد بيك "
قدم
الحطب اللازم للسلطات الفرنسيه لحرق القاهرة لإحماد الثورة : "
ولكننا أبقينا عليها
. كأى تحصل منها على الغرامة الحربية التى كنا في حاجة اليهاه
أكط افتراء وتزوير معيبين إذن ، أن يقور البعض إن ثورة القاهرة الثانية
كانت:
لحساب الاتراك والمماليك وبقصد اعادة مصر الى حظيرة الامبراطورية"
! . ! العمانية
وأى عذر بارد أن تبرر خيانة " يعقوتب " وتكوينه الفيلق القبطي تحت
(شراف
وقيادة جيش الاحتلال بأنه كونه لمقاتلة المماليكا
اين هم المماليك ؟ .. لقد عمل " مراد " و" يعقوب " معا تحت إمّرة
القرنسيين . . " يعقوتب " يطلق النار من داخل قلعته ضد مؤخرة الثوار ،
ومراد يجمع
! الحطب ليحرق المدينة الثائرة
المفاوضات مع أ مراد " وانحيازه للفرنسيين بدا فبل وصول الجي!ث!
العثمافي بموجب
اتفاقية العري!، وكان معروفأ موقفه من الفاهرة وسجله الجرقي بعبارته
الدفيقة:
ولط شهر ربيع ثان 4 21 1 هـ (سبتمبر 1799 م) ثامعه ارسلوا جملة "

من الفرنسثوهه الى مراد بيك لناحية الفيوم وعل!م كبو فوقع بينهم وبينه امور لم
أتحقق تفصيلها . وترددت بينه ولين ساري عسكر الرسل والمراسلات ووقع لينه
وبينهم الهدنة والمهاداة واصطلح معهم على ضروط مها تقليده امارة الصصد تحت
. " ! حكمهم
وسلوك الجيش العثماق المنحط كان معروفث ومنتقدا بقلم مؤرح عصره : " وفيه
هرت الاقوال وتواترت الأخبار- (أول رجب 1214 هـ- نوفمبر 1799 م)
بوصول الوزير الاعظم !وسف باثث الى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا و عمان
أغا كنخدا الدولة و حسين أغا .. وباقي رجال الدولة .عسفوا في البلاد الشامية
وضربوا عليها الضرائب العظمه وجبوا الأموال ، وفعلوا ممباالاخير فيه من الظلم وخل
. " الأنفس بسبب استخلاص الأموال 7
بل إن فلول الممالمك والعمانيبن الذك فروا من " كليبر " الى داخل الماهره . .
تحولوا الى عبء عل الثورة وعنصر تخاذل يسعى طيلة الوقت للتسليم والمفاوضة أ و
يقوم بأعمال التخريب (وبالذات من العمانيين) ولكن مسا 3 فشلت تحت ضغط
الشعب المسلح الثائر ، أو " حفنة من المهيجين الشعبيين انذين طلعرا من حيث لا
. " يدري أحد يهددون بقتل كل من يتحدث عن التسليم 8
ولكن كانت هناك عناصر مملوكية ، ؟ كانت هناك عناصر عر مصرية ، كان
لها من دينها وضرفها وانتماثها ، ما جعلها تقاتل ببسالة وتقف الى جانب الجماهكل
وعل رأسها في مواقع خالدة ضد طغيان المحتل ويذالة العملاء من أمثال
يعقوب ".. "وبرطلمين " و"شكر الله ".. والمتخاذلين كالشيخ"
. . " البكري "
ثورة القاهرة إذن كانت وطنية مائة في المائة ، قثمت عل ممنثف المصرتن
وساهمت فها العناصر العرلية والإسلامية الموجردة بالقاهرة ، قبل ظهور التقسيمات
السياسية الحالية . وكانت أول ثورة في الشرق تواجه الاستعمار الغرد بهذا الشمول
والصمرد الذي دام اممر من شهر كامل ا .+ بينما لم تستطع باري! بعد سبعين عاما

يها ه . " والقتال من ليت لبيت وقذف بالمدافع لا يني ليل نهار . وأصبح حي
الأربكية بقصوره وحدائقه اطلالا .. واشتعلت النكلان في المدكة كلها . يقول
نقولا اترك " : " وكانت النساء والأولاد يتخبون ويجتمعون تحت " العقود الحجر
. " خوفا من القنابر .. وكنت تسمع في الليل صريخ النساء والأولاد
وفي 4 1 ابرلى أمر " كليبر " بيجوم كبر .عل المدكة . وفي رواية " "" الجبرقي
ان الفونسيين استعملوا نوعا بدائيا من قاذفات اللهب "9 (أو النالالم) : " وعملوا
فتائل سسة بالزيت والقطران ، وكعكات غليظة ملوية عل أعناقهم سولة لالنفط
والمياه المصنوعة المقطرة التي تشتعل وكوي لهها بالماء " . وهذا ولا ريب اختراع
من بنات افكار عضو في اللجنة العلمية ".ا . بقول الجبرقي : ان الفرنسيين " كانوا
يلهبرن السقائف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور ، و-نرحفون عل هذه الصورة
شيئا فمشيئا . والمسلمون أيضا لذلوا جهدهم وقاتلوا لشدة همتهم وعزمهم .. وزلزلوا
في ذلك الوم والليلة زلزالا شديدا وهاجت العامة وصرخت النساء والصبيان ونطوا
من الحيطان ، والنيران تأخذ المتوسطو بين الفثتين من كل جهة . هذا والأمطار
تسح حصة من النهار وكذللث بالليل من ليلّه الجمعة . كذللث الرعد والبرق " وفي
وسط هذا الجحيم مضت المفاوضات لين " ناصف " باشا و " كليبر " لواسطة
مراد "11 . هاهو الباشا ال!ركي مثوض ، والمملوك الذى كان تحكم مصر قبل
الاحتلال ، !وسط .. ولكق : " مازال اممر القاهرة في ا!دى الثوار .. ومركز

هذا الثعار الذي طللا رددته أ!ال لم تف به .. سجله كغاح أجدادنا ابواسل في ثورة (*)

المتصدين لقاذفات اللهب ؟ ! أم " تحت قيادة المعلم يعقوب الباسلة " ؟
! الذى قاوم
!الثورة وطعنها من ظهرها
اذا كان مفهوما من مؤرخ غرلى أن يقول : 9 و لم يقاوم (الثورة) سوى
درب
النصارى - القبط - تحت قيادة المعلم يعقوب الباسلة ، . ولو انه حتى "
"هيرولد
اضطر الى الاعتذار عن موقف يعقوب بمقدمة عن السلب والنهب الذي
شن على
الأحياء " المسيحية " . وهو اعتذار مفتعل شديد التلفيق ، فالقاهرة لم
يكن فيها ما
يمكن وصفه " بالأحياء المسيحية ! بمعنى " الجيتو " الذي توحيه هذه
الكلمة ، ومن
الجبرقي تعرف أن بيوت المشايخ كانت تجاور بيوت النصارى . وأن
أعمال الانتقام
قد تناولت المتعاونين مع الفرنسيين سواء من النصارى أو شيوخ الأزهر ..
ومن ثم
فالزعم بأن " يعقوب " : خان الثورة وضرب الث!وار " لأنه كان بدافع
عن ابناء
طائفته " .. هو زعم واه ، لأن رأس يعقوب كان مطلبأ جاهيريا عامأ من "
قبل
الأقباط والمسلمين ، منذ ان اختار " يعقوب " معسكره في خدمة جيش
الاحتلال
منذ لحظة وصول هذا الجيش .. وقام بكل العمليات القذرة التي يتورع
المحتل !سه
عن القيام بها ؟ شهد " هيرولد " . ولأن تربص " يعقوب " سابق على
وقوع الثور؟
بزمن .. فقد حول بيته الى قلعة ووضع فيه أسلحة ، وأقام فيه عدد من
الجنود
الفرنسيين .. مما مكنه من القتال ضد المصرين شهرا كاملا .. فلمن كان
يستعد
! قبل وقوع الثورة ، وقبل وقوع حوادث النب والاعتداء ؟
اذا كان هذا الموفف مفهوماً من مؤرخ غرلمط لا يفوته أن يضرب على
وتر
مقطوع .. هو الطائفية . فأي عذر لمؤرخين ينتسبون لمصر عندما
يجعلون من
يعقوب " هذا .. رأتد القومية المصرية ؟ . يعقوب الذي " كرنك " في "
بيته
بالرويعى " وطعن مواطنيه فى ظهورهم وهم يقاتلون جى!ق احتلال "

يعقوب " لا بد لهم ان يدينوا ثورة القاهرة الثانية لكى تغ تبرية يعقوب ، " وذلك
ما يحاوله " لويس! عوض " : فثورة القاهرة الأولى " كانت فيما ت!دو ثورة وصنية
. خا!صة " (فيما يبدو .. والله أعلم !)
ويرجح هذا الظن اننا لا نسمع فيها ؟ " عن أي أذي نزل بالأفبثط ، شانما اقتصر
اعت!اء الغوغاء على " نصاري الشوام والأروام أ الذين تحزبوا للفرنسيين ولا سيما
. نج!د ما نزلا بهم من تنكيل "13
و الب هـ! ؟ يري ؤئبمية ؟ فهل اعتدي الغوغاء على دا نصاري الشوام " والأروام
لأنهم محز بوا للفر نسي!! . !! أدت " نصثرى الأروام والشوام " تحزبوا للفرنسيين بعدما
! تزل بهم من تن!جل ؟
ولكن هذا الاعتذار كن نصاري الأروام يقصد به في الحقيقة تبرير موقف
يعقوب " واقهيد للطعن في ثورة القاهرة الثانية . ولو انه بهذا الثناء " " (الحذر
على ثورة القاهرة الأولى ، يدفى يعقوب ، فما دامت " عل (فيما يبدو) ما سدو لا
وطنية ، وما دمنا لم نسمع بوقوع أذي ... اغ .. فلماذا لم يشترك فيها .يعقوب "؟ "
و!ن لأن خيانة " يعقوب " واضحة في ثورة التاهرة الثانية ، فالحل هو ادانة
ثورة ا اعاهرة الثانية وتوجيه التهم لها فتوصف بأنهث : " حرب دينية صريحة جعلت
ممت الأقباط هدفا لها " .. كذب وافتراء رخيص .. وينشر قبيل وبعد نكسة
يونيو 1967 م .. (إ!)
وكانت من الأسباب المباشرة لتكتل الأقباط وإنشثء الفيلق القبطى " بقيادة المعلم
. ! الجنرال يعقوب
والذي يقرأ هذه العبارة يظن ان " يعقوب " لم يكن له نشثط سابق على الثورة ،
ولا كان له عسكر .. بل ويظن انه أنشأ هذا الفيلق لحسابه وللدفاع كن الأقبثط ،
وهى صورة مضوهة مزورة تماما لحقيقة دور " يعقوب " ولحقيقة تكوين ودور هذا
الفيلق.

ورغم احتجاجات أهلهم ، وسبقه انشاء فيلق اخر من أوبا!ق المغثربة والشوام
والانكصشارية ، المسلمين بالبم.
"ولكن " يعقوب " بشهادة " الجبرقي " ، التي " لا يملك أحد أن يدن فها
كان في خدمة الفرنسيين منذ اليوم الأول للاحتلال ، وفي ثورة القاهرة الثانية:
كرنك في داره بالدرب الواسع جهه الرويعى . واستعد استعدادأ كبيرا " بالسا؟ح
والعسكر المحارتعن وتحصن بقلعته التي كان سيدها بعد الواق!4 الأولى 14" . والجبرقي
لا يلقي الكلام على عواهنه - بشهادة ذات لويع! عوض - " يعقوب " بنى قلعة
وزودها بالسلاح والمحاربين ، في قلب القاهرة ، بعد الثورة الأولى ، التي كانت " فيما
يبدو " وطنية ! ولبهها - فيما لمدو واضحأ - لم تنجح في اثارة وطنية " يعقوب "
وحميته .. " مما ليدو " معه ان يعقوب لم يكن وطنيا .. ! ! ثورة القاهرة الأولى
دفعت " يعقوب " الى بناء " قلعة " استعدادا للوفيعة الثانية .. قد أجاد استخدامها
الى حد أنها استطاعت الصمود طيلة الثورة .. أو شهرأ كاملأ .. وطبعاً لم يكن
يعقوب " يبنى قلعته هذه لمواجهة المحتلين لبلاده فهو كان يعمل في " خدمتهم 4 2
ساعة في اليوم .. ولا ح!تى لمواجهة الأتراك إذا عادوا ، فهو أول فأر حمل متاعه وهرب
فور غرق السفينة وعودة الاتراك . بل ويشهد محاميه " لويع! عوض " أ ن
يعقوب " لم يكن يخشى الاتراك عند عودتهم ، لأنه يعرف حاجتهم ! . . لخدماته
وانه كان بوسعه العيش بأمان ، بل ومواصلة اعماله لو عاد الجيش التركي الى
مصر .. إذن ضد من كان يتحصن ؟ ! " فيما ييدو " لا بد انه كان يتحصن ضد
ابناء وطنه من المصرتن ؟ ! فمن كان يتنبا تبل الوا!ة الثانية باحتمال اشتراك عثمانيين
في الثورة المقبلة ؟ ! من كان يتخيل وقوع الظرف النادر الذي أقى ببعض العسكر
العثمانية والمماليك الى القاهرة ؟ ! بسبب حادث تاريخي عجيب ، هو اجراء

المعمرفى .. كان من الطبيعي أن يستعد كل اعوان الاحتلال ، عملاء الحكم الأجنبى
لمواجهه ظروف صعبة ، ادا ما قام الشعب بثورة أخرى ، وكان " يعقوب "
الأريب ، أول من أدرك ذلك ، فبنى قلعة وجمع فها السلاح والمقاتلين .. وصب
ناره قي ظهر بنى وطنه 5 وتألط اليوم من يصب نار حقده عل ثورة القاهرة الثانية،
فيصفها بأنهث " حرب دينية " . و " س مرح للمذابح الدينية ومرجل للضغائن

وإدا كان الحديث عق الذهب الانجليزي خسة ، فان الحديث عن الذهب التركي
امم!ر.فضيحة ولقد كان شر ما عاتاه الثوار المصريون هر نهب وسلب وابتزاز العمانيين
لعواطفهم الوطنية والشيخ السادات يكتب لقائدهم : " والزامكم الكيير والصغير
والغني والفقير اطعام عسكرآ**" .. أليمى غريعا أن ينقل مؤرح تحلل هذه
الفقرة ، وقبلها بصفحة واحدة تتحدث عن الذهب التركي الذي دفع رشوة للثوار !
نعم لا بد من تشويه صفحة الثورة المصرية لكى تنجو صفحة " يعقوب " الذي
كرنك!
والجبرتي كممثل للنخبة ، لا يتقبل الثورات بنفع! راضية ، ولكنه مع

وثورة القاهرة أحاطتط بها ظروف يجب وضعها في الاعتبار عند الحديث عن

مدينة شرقية في نهاية القرن الثامن عشر تحاصرة جائعه يهاجمها - 1 أقوى جيش
في العث لم ، وقتها ، وبأحدث أسلحة الحصرء ، وتدك ييتأ بيتا ، وتحيط بها 7 النيران ومناخ

هكدا يصف لوير عوس : اثررة ،
والنائر فى!

وجود عناصر عديدة غريبة من العثماذش والعرب ، نقلت هذه 2 - العناصر
أسلوبها في القتال ، سواء انحلال وتعفن الجند العثمافي (قل أن وجد بينهم أتراك خلص
فهؤلاء كانوا معكرغين لجهاد بطولمط با! ضد الزحف الروصي) أو تأثيرات الصدام
.الصليبي والتعصب المتبادل ينن المغاربة واوروبا
انفعال الجماهر بالأحقاد التي نجح الاستعمار في تأجيجها خلال فترة 3 - حكمه
ومن خلال الأسلوب الذي اعتمد عليه في تخر الأعران ومحاولة تمزيق وحدة الأمة
وقد رأتنا ان الثورة . (سنتعرض لذلك في ضل تمز!ق الوحدة الوطنية) الأولى لم
توجه ضرباتها الا للعملاء الشوام والأروام .. لأن الاستعمار عند بداية عهده لم يجد
إلا هذا الصنف عل استعداد للتعاون . ولذلك كانوا تشكلون معظم جهازه ، ليما
كان " يعقوب " في ركاب درزيه بالصعيد ، لم يمدا جولاته لعد في القاهرة (و!قوب
رافق درزيه في حملته التي انطقت يوم 25 / 26 أغسص 1798 م .. أي بعدّ
وصول نابليون الى القاهرة بشهر (24 يوليو 1798 م) مما تؤكد ان الأمر لم يكن
فيه أي اختيار عقائدي ا فلم تكن قد أتيحت الفرصة للمعلم " يعقوب " جاف
محمد لك الالفي " ليتعرف عل مبادىء الثورة الفرنسية) . لنلك لم " تمثد يد
الجماهص بسوء الى مواطن غ! مسلم .. ذلك لأن الوحدة المصرية العاريخية والأصيلة
كانت سليمه لم تنجح مؤامرات الاستعمار في خدشها ، وقد ادرك الاستعمار ذلك،

أنه في المرحلة الأخصة من الثورة اصبحت الأمور تحت 4 - السيطرة الكاملة
لجماهو العثارع .. بل حتى التنظيم الذي قاد الثورة واعد لها خرة طوكلة ، ،الذ؟،
كان بقيادة عناصر شعبية مرتبطة وموجهة من القيادات التقليدية وبالذات السيد

ومرارة القتال الذي دار في الأيام الأخيرة . وهو أمر معروف في
سائر الثورات من
. هذا النوع
على ضوء هذه العوامل يمكن أن نفهم " التصرفات العنيفة ! التي
ووكز خصوم
الثراسة الاضواء عليها . فجماهير ثورة القاهرة لم ترتكب من أعمال
العنف
والعوغائية ، ما ارتكبته حماهير باريس ومع ذللث فما من مؤرخ أدان
الـورة الفرنسية،
بسبب هذه الغوغائية ، والذين أدانوهأ ، لم يدينوها لهذا السبب .. بل
لأسباب في
ج!هر الثورة ذاتها.
والمدرسة الاستعمارية تعرف ان التشبث بهذه الحوادث التي
ايستنكرها حتى
الجبرقي والرافعي ، لا يفيد دنى تبرئة ساحة الذين تاتلوا مع
الفرنسيين .. بل !ه بد
من نسف القاعدة الوطنية التى تقوم عليها الثورة ، القاعدة التي
تبرر الثورة وتبرر
كل قصور فيها .. فابا ما نسفت هذه القاعدة وقلب العا لم رأسأ
على عقب .. أصبح
. الثوار خونة .. والخونة ثوارا
و " لويس عوض " لم يبخل بجهد لتشريه ثورة القاهرة ، وتطاول
على كفاح
شعب، وتاريخ أمتنا ، وحاول عبثا إراقة بعض قطرات من سخام
الحقد والعار على
أشوف صفحات التارتم المصرى .. وهو يطلق ا!ذوبة ابر من التاريخ
ذاته ! بامل
اف ! دخان هذه اكذوبة ، يمكن إخفاء عار ! يعقوب " الذى " كرنك
. "
بل حتى " برطلمين حب الرمان " .. بل ويمكن أن يصبحا بطلينا
وهذه اكذوبة هى نفى صفة الاحتلال عن الجيش المقتحم للقاهرة ،
الضارب
للثورة ، بل هو جيش تحرير جاء !كررنا مبن الترك ، ومن المفاهيم
، " " القروسطة
ومن الانتماء الديني ، ويعلمنا ان الدين لئه والوطن للجميع (الأروام
والفرنسين

وفي ظل هذه اكذوبة ، اذا ما صدقت ، يمكن أن يصبح يعقوب بطلا وفائدا
تحرريا .. بل وتصبح أبطال " بولاق ! ، إما " رجعيين " يقاتلون ضد مصلحة
أمتهم ، وضد إرادة التاريخ .. بهدف البقاء في ظل الاستعمار التركي .. أو مأجورين
صرحاء فتحوا صدورهم للرصاص ومنازلهم للحرق والتدمر ، وعرضوا أولادهم
ونساءهم لقاذفات اللهب (نابا لم العصر) وقنابر المدافع من أجل : " الذهب التركي
والمملوكي والانجليزي الذي جرى أنهارا "* في مدينة لم تكن تجد في الأيام الأضرة
لقمة خبز ولو بملء الدنيا ذهبا ا واستمرت رغم ذلك ترفض التسليم .. فاذا لم يكن
حب الذهب " فهو التعصب الد!ني .. وجحسر- لويع! - عل تطرف 9 الثوار
الذي ما كان لحساب مصرا
ولو ان كل هذا التطرف والغلو كان لحساب مصر ومن أجل استقلالها " لاختلف
الأمر ولبدا الروساء المصريون في مرقف الاننراميين المهادنين حقا للاستعمار
الفرنسي ، ولكنه كان لحساب الأتراك والمماليك ولقصد إعادة مصر الى حظكلة
. الامبراطورية العثمانية "16
هذا الافتراء ، اعتقد اننا فهمنا دوفعه . ولكن لنستمع للجبرقي الذي وضحنث
موقفه من " الثورات " عموما ، ومن سيطرة الغوغاء لصفة خاصة ، ولكنه كمصرى
وطنى .. ومؤرخ أمين صادق يمكن الاعتماد عليه ، وهو اذا كان تفتقر للمعلرمات
السرية التي أحاط بها الفرنسيون ، إلا انه كان واعيا بمواقف كل القوى . وسجل
للثوره ما لها وما عليها بروح الوطنى المتعاطف المنتقد .. ولنر هل يمكن وصفه بأنه
كان في الجانب المضاد ؟ ا
قال الجبرتى.
واىما " مراد " تسك فات !جرد ما عا!ن هجرم الفرنسيس عل الباسا " والأمراء
بالمطرية وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من

ظفروا بالعثمانية لا تقتلونهم ولا يضرلونهم وأنم كذلك معهم .
فاقبلوا نصحي واطلبوا
الصلح معهم واخرجوا سالمين . فلما بلغهم تلك الرساله حنق
حسن لك الجداو!
وعثمان ليك الأشقر وكرهم وسفهوا رأيه " . ونجح " مراد " ؟
يسجل الجبرقي في
اف!،د الوفد الذي ذهب اليه . " فلما اجتمع به ورجع لم ررجع على
ما كان عليه
. " حال ذهابه وخعرت همته وجنح لرأي مراد بيك
ورعم مو! " مراد " والمماليك هذا استمر المصريون في القتال
لاعادة البلد الى
(- مراد " بيك - رغم أنفه "

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدة البلاء "
والكرب
ووقوع البنبات عل الدور والمسعاكن من القلاع والهدم والحرق وصراخ
النساء من
البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع مع القحط وفقد الماكل
والمشارب وغلق
الحوانيت والطوالين والخالز ووقف حال الناس من البيع والشراء
وتفليس النام! وعدم
وجدان ما ينفقونه ان وجدوا شيئا . (رغم الذهب الانجليزي والتركي ا)
واستمر
ضرب المدافع والقناير والبنادق والنيران ليلا ونهارا حتى كان الناس لا
يهنأ لهم نوم
ولا راحة ولا جلوس لحظة لطفه من الزمن . ومقامهم دائما أبدأ بالأزقة
والأسواق
وكأنما عل رعوس الجميع الطكل . وأما النساء والصبيان فمقامهم
بأسفل الحواصل
والعقودات تحت طباق الأينية الى كر ذلك . (وفي أثناء ذلك) فرضوا عل
الناس
من أهل الأسواق وغكلهم مائة كيس نردوفا على بعض الناس كالسادات
. والصاوي
وهمار مؤنة غالب الناس الأرز وعلخونه لالعسل واللبن ودميعون ذلك في
طشوت
وأوان لالأسواق . وفي كل ساعة !هجم العساكر الفرنساو!ة عل جهة من
الجهات
ومحارلون الذك بها ويملكون منهم بعض المتاريس فيصيحرن عل بعضهم
بالمناداة
ويتسامع الناس ويصرنجون على بعضهم البعض ويقولون عليكم بالجهة ا

كل سيئات المماليك بمث بذله في هذه الثورة من جهد .. فكان : " عندما يبلغه زحف
الفرنساوية على جهة من الجهات لمادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة،
وراى الناس هن إقدامه وثجامحه ، وصبره على مجالدة العدو ليلا ونهارا ما ينبىء عن
ف!لة نفس وتوة قلب وممو مة . وتل ان وقع حرب لي جهة من الجهات الا
. " وهو هدير رحاها ورئيى ؟كا 18
هل يمكن الشك بعد هذه العبارات في موقف الجبرقي .. والى أى صانب ينحاز
بعقله وعواطفه ووطنيته؟
وكذلك المشثيخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقي والسيد عمر النقيب ، " يمرون
كل وفت ويأمرون الناس! بالقتال * ويحرضونهم على الجهاد وكذلك بعض العثمانية
. " يطوفون مع اتباع الشرطة وينادون باللغة التركية مثل ذلك
والجبرلط لا يفوته آن يستنكر سيطرة الدهماء - وهذه الظاهرة ؟ اشرنا - كانت
النتيجة المحتو! ، فكلما طال القتالط الشعبي ، ضعفت قبضة القيادات التقليدية،
وزادت سيطرة الجماهر وقطاعاتها الأشد تطرفاً بالذات - خاصة إذا كانت فطاعات
.واسعة في ا اغياده ترغب في النجاة بنفسها والتسليم
حرى ع! ا اسنا" ما لا يسطر في كتاب و ل يبر لأحد في حساب ه لا 5 " يمبر
اءقوهـص كنياف محسلا ء جزتياته منها عدم النوم ليلأ ونهارأ وعدم الطمأنينة
وغلو الأقوات وفقد الكثير منها خصوصأ الادهان وتوقع الهلاث في كل لحظة
والتكليف بما لا يطاق ومغثلبة الجهلاء عل العقلاء . وتطاول السفهاء على الروصاء
. " وتهور العامه ولغط الحرافيثر . وغير ذلك مما لا يمكن حصره
وبعد المساعى ال!ى قام بها رسل " مراد) بيك وافق المشايخ الكبار على مثروع
صلح ولكن العامة رفضته " فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه

* لر - ا الا ! الحرق أد المحر، قى . عر مكر. كالا يلحار دورأ فادياً حا-مأ و هده ا

والغركاء من أمثال هذا الفضول وتشدد في ذلك الرجل المغرثط الملتف عليه اخلاط
العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب

ثم يحمل الجبرقي حملة سعواء على هذا " المغرلى " الذي فرض ارهابه ، ويبدو
انه لم ي!ت يفكر كثيرا في مقاتلة الفرنسيس قدر اهتمامه بالظهور والحصول على أعايب
الطعام وإرهاق القاهرينن والبولاقيين المتحمسين لكل من يقاتل المحتل أو حتى يصرخ
*بقتال المحتل
بل ان نقد " الجبرقي لم لهذا المغرر الدجال ، هو أقوى حجة ضد الذين يحثولون
تثو، موقف الجبرلط من الثورة ، فالجبرقي في نقده للمغرثط يرتفع اك الذروة من
الموضوعية ، فهو ضده ، لا لأنه في الثورة ، بل لأنه ليس في الثورة ولا ، مع الثائربت
:بل مضلل يتجر بالثورة ، جبان يتهرب من القتال .. احمع كلمات الجبرقي
فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته في هذه الشدة " بطب
أفحش المأكولات وما هو مفقود . ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئا إذا دهبم العدش
تلك الجهة التي هو فيها فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان ؟يدنه وسبحه .. وهكذا
الضن تكثر فيها ا اسدجابرلمة زلو ان نيته ممحضة لخصوصر الجهاد ل! طنت شواهد علانف
أظهر من نار محلى علم أو اقتحم كغيره ممن حمعنا من الخلصين لب الجهاد وفي بيع
أنفسهم في مرضاة رب العباد لظا ا!جاء . ولم يتعنت محلى الفقراء ولم يجعل همته
في السلب مصروفة محال سلوكه عند الناس ليست معروفة أ

ويده!ق الجبرقي ويأ لم في نفس الوقت من تصدي هذا الرجل لتقر 2 رفض الصلح
أو قبوله " فما فدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه . وأي ضىء يكون
هو حتى ينادي او ينصب نفسه بدون أن تنصبه أحد لذلك . لكنها "

ونلاحظ ان الجبرقي لا تعترض على رفض الصلح ولكن يعترض على " انقلاب
المطوع " بمعنى تصدي هنا المغرثط الذي فرضته الأحداث ، لتقرير مثل هذه
. . الأمور ، متخطا القيادات الشرعيه التقليديه
وتبلغ دقة الجبرقي الذروة عندما يفسر احتجاجه:
على ان المشايخ لم يأمروا بشيء ولم يذكروا صلحا ولا غيره وجما " بلنوا صورة
المجلس الذي طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا
المقام . وسبوهم وشتموهم بل وضربوهم وبعضهم رموا بعمامته الى الأرض .
واعغوهم قبيح الكلام . وفعلوا معهم ما فعلوا وصاروا يقرلون لولا أن الكفرة
الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ما طلبوا المصالحة والموادعة . وان

وما كان الجبرقي بثلذي يقبل انهيار قيادة الشيوخ ، ورغم ظروف الموقف ، ورغم
ميولنا اليوم مع العامه ، فقد كان " الجبرقي " على حق ، ففي هذه المرحله بالذات
كان الخطر ا!بر على مستقبل الأمة هر انهيار قيادة المثايخ ، سواء تم ذلك بضربثت
نابلهون من اعل بث عدلم الشهوخ وضم عنا!ر غريية مرل!ة الى التشكيلات التي تضم
الشهوخ .. أو جاء هذا الا!ار من أصفل بفقدان العامة ثقتهم لالشيوخ .. كان
م!ستقبل مصر -ستبط الى حد كبر بتدعيم وتطور ارتباط العامة بالشيوخ . لكن المهم
في عرض " الجبرقي " ، انه ينفي كل ادعاء يحاول أن يصف ثورة القاهرة بأنها فتنة
طايفية أو حرب دينية ضد الأقليات غير الاصلاميه .. بل توضح عبارات ،الجبرقط
انها حركة رفض جارفة كانت تحرق كل من يقف قريبا من معسكر الأعداء ، أ و
حتى يشتبه في وفوفه أو رغبته في الوقوف الى جانب هذا المعسكر ، أو يعترض
! مسيرة الثوره ، أو حتى تحاول أن ينجو بجلده
وعلى أية حال فالأ شهادة الجبرقي التي التزم الجميع بقبولها تنسب الى " نصوح
باشا " انه مو الذي قال . " للعامه اقتلوا النصارى وجاهدوا صهم . فعندما

الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأصون حتى
اتصل ذلك بالمسلمين المجاورفى لهم " . وهو أيضا يشهد بأن النصارى . " كانوا
قبل دلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر " .
فهذا الاعتداء عكمه هذه العوامل:
1 - انه لم يكن هدفا للثورة ، فكما لا يجوز القول إن معارك القناة سنة

2 - ان الاعتداءات كانت منطلقة من دافع قومي ، هو اتهام - مهما تكن
صحته - هذه العناصر بموالاة المستعمر والعمل لحسابه ، فليس للعدوان في هذه
الحالة صبغة طالفية أو دينية ، تماما ؟ حدث في معظم البلاد العربية خلال العدوان
الاسوائملى المتكرر حدث أن انعكصى العدوان الاسرتيلي في انفعالات ، ضد اليهود
المحليين ، تختلف درجات التعبير عنها من بلد لبلد ، باعتبار ظروف اليهود في هذا
البلد . ولكق هذه الامحداءات لا تنطلق من نزعة عداء السامية ، بل من نزعة عداء
المعتد!ط ا!صهيودط ، فهى حتى لو ادينت في حد ذاتها ، إلا أن هذه الادانة لا يجوز
ان تمتد لإدانة الموقف العام من أساسه .. وإن كانت نفس المحاولة 9 الارهابية " ما
زالت تستخدم ضدنا ، فاشرائيل أو الصهيونية ، تحثول شل يد المقاومين للعدوان
الصهيوفي بالتخويف بتهمة التعصب ضد اليهود ، أو عداء السامية ! .. كذللث كان
الاستعممار الغرلط ، يلعب دائماً على تهمة " التعصب الاسلامي " لتخويف كل
معارضة وطنية لوجوده .
ويؤكد تفسيرنا ان الاعتداءات سملت المسلمين ، وحتى المشايخ ، والأضراف. . .

المسلم له مكانة خاصة عند المستعمر ، وأن غير المسلمين ، لا يعادو-
هذا المستعمر،
وهو ما سنشرحه.
المهم أن سلوك المصريين في مجموعه كان سلوك مقاومين شرفاء ،
وكانت
مواقف المماليك الذن انضموا للثوار ، تتسم أيضآ بالانضباط وسلوك
المقاتلين.
بيما اندفعت عناصر غير مصرية ترتكب الجراكم تحت حماية الثورة ،
تمامث ؟ كانت
عناصر غير مصرية ترتكب الجراكم تحت حماية الاحتلال . فكان ذلك
المص ر الذى
إ التفت عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان
قدم صحبة الجيلافي
الدكط تقدم ذكره وفعل ذلك الرجل المغرر أمورا تنكر عليه لأن غالب
مث وقع من
النهب وقتل من لايجوز قتله يكون صدوره عنه فكان يتجسس! على
البيوت التي بهث
الفرنسيس والنصارى فيكبم! عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر
فيقتلرن من يجدونه
م وينهبون الدار ويسحبون النساء ويسلبون مث عل!ن من الحلى!
والثياب .. وتتبع
الناس عورات بعضهم البعض ومث دعم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم
وضغاتهم " .
ومهما تكن شخصية هذا المغرر ، ومهما تكن ضيقة جنسيته ، فهذه فترة
عجيبة
حافلة بالعناصر المندسة . ومعظم جواسيس! فرنسا في هذه الفترة
كانت العامه تسميهم
مغاربة " .. على أية حال ، الثابت انه لم يكن مصريا . والثابت أيضا انه "
قد
استحال فرض الطابع الطائفي تمامث عل حركة الجماهر ، حتى عندما
وصل الانفعال
ذروته فالجبرقي يتابع : " واتهم الشيخ خليل البكرى بأنه يوالمط
الفرنسيمر وروسل
اليهم الأطعمة . فهجم عليه طثئفة من العسكر مع بعض أوباش العامة .
وضهبوا داره
وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو مثسي على
أقدامه وراسه
مكشوفة وحصلت له اهانة بالفة وحمع من العامة كلامث مؤلما وشتما "

والكفاح بأجر ! مؤرخنا يفند تهمة الذهب الانجليزي ، الذي لم يخطر ببال معاصر
ا للجبرقي أ أن يدعيها .. فيقول الجبرقي دون قصد إلا إئبات حقائق التاريخ:
وباشر السيد أحمد المحروقي وباقي التجثر ومساتير الناس الكلف " والنفقات والماكل
والمشارب وكذلك جميع أهل مصر كل انسان حمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان
بعضهم بعضاً . وفعلوا ما في وسعهم وطافاتهم من المعونة " ة
وهي صورة مناقضة تماماً لصورة الآخرفى المندفعين لأعمال النهب والسلب.
ولكنها هي الجوهر الحقيقي للثورة . أما الذين ريدون ثورة نقية تماما " فلن يعيشوا
حتى هـوخيا " . وفي كل الحركات التي تعتمد على غضبة العامة ، لا بد أن تشوبها
محمديات من هذا النوع ، ولبهها لا تفسد جرهر الحركة . ولا يجوز أن ندين الجوهر
. بالعرص
ولا شك انه في ظروف عاصمة شرقية في مطلع القرن التاسع عشر . وبعد سنتين
من احتلال أجنبى مزق قيما كثيرة ، وخلق إحنا لم تكن موجودة ، وأثار أحقاداً وثارات ..
وصع الباب أمام عناصر غرت!ة عديدة ، وعناصر مشبوهه الرلاء ، مري!ة التحركات .
ومع وجود قوال! غير مصرية ، اشهرت بانحطاطها ، يصعب تصور ثورة نطفة مائة
بالمائة ه . سديد! الخطوات حكيمة الانفعالات .. فلنعد إذن لثورتنا دون أن ترهبنث
محاولات التشويش عليهث : " أما الفرنساوية فابهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وببيت
الألمحي وما والاه من البيوت الخاصة بهم ودموت القبطة المجاورين لهم ." 2.
أما اقوات الوئيسية للمماليك والعمانيين فهذه هي الصورة التي يقدمهث المؤرخ
الذي " يجب ان تقبل شهادته .بدود تحفظ " فبعد هزيمة الوزير العمالط أمام
أ كليبر ! ، وفراره بمن بقي! من جيشه . تحلف عنه ببلبيس جملة من العسكر . وأما

ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية تكلموا مع " الوهـير
وأوجعوه بالكلام . فاعتذر اليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب . وتركه معظم
الجبخانة والمدافع الكبثر بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع يين الفريقين وظنه
غفلة الفرنساوية عما دبره عليهم مع الانكليز فقال له عثمات بيك : أرسل معنا العسكر
وانتطرنا هنا فخاطب العسكر وبدل لهم الرغائب فامتنعوا و لم يمتثل منهم إلا المطيع
والمتطوع وهم نحو الألف وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كأن مشتتا ومنتشرا
في إلبلاد ورجعوا يريدون تحاربة الفرنسثوية فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم
شظروه في فلة ممت عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم فضاربرهه ببشبابيت والحجارة
وأصيب سرج سارى عسبهر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه الى الارض وتسامع
المسلمون فركبوا منجدتهم واستصرخ الفرنساوية عسثرهم فلحقر ا بهم ووتعت الحرب
بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحاهـكل فريق ناحية فلما
دخل النيل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوي بعساكر المسلمين فأصبح
المسلمون وفد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب فركبت الخيا ا!ة ، وتبعتهم ا،ضاه
واخترفوا تلك الدائرة !سلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على أثرهم
الى الصالحية ضند ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشاء . أما مراد بيك فاله بمجرد
ما عاي! هجوء الفرنسيين على الباشا والأمراء بالمطرية . وكان هو بناحية الجبل ركب

"وأما بولاق فابها قامت على ساق واحدة وتحزم الحاج " مصطفى البشتيلي "
وأمثاله وهيجوا العث مة وهئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصقحوا وأول ما بدعوا به
.!انهم ذهبوا ألى وطاق الفرنسيمى الذى تركوه بسثحل البحر وعنده حرسية منهع
فقتلوا من أدركوه منهم . ونهبوا جميع ما فيه من ضياع ومتاع وغره ورجعوا الى

البلد وفمحوا نحازن الغلال والودائع التي للفرنساوية . وأخذوا ما احبوا فها وعملوا
كرانك حوالي البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد وقوي في رأسهم العناد .
وإصتطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام

البشتيلى) بالذات كان يعد للثورة منذ زمن بعيد ، فقد قبض عليه " على أثر
معلومات .. ووجدوا عنده بارود كان يختزنه : " الحاج مصطفى البشتيلي " الزيات
من أعيان أهالى بولاق ! قبضوا عليه في 2 ربيع أول 1214 هـ(أغسطس
م) " والسبب في ذلك ان جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن 1799 بداخل بعض
حواصله التى في وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا
. بها ذلك ؟ أخبر الواشى "22
وبعكس ما يفتري كاتب المدرسة الاستعمارية فابئ المصريين هم الذين انفقوا على
الع!مكر : " وتكفل التجار ومساتر الناس والأعيان بكلف العصعاكر المقيمين
بالمتاريس المجاورة لهم فالزموا الشيخ السادات بكلفة الذي عند قناطر السباع وهم
مصطفى بيك ومن معه من العساكر وأما اكابر القبط مثل جرجس الجوهري وفلتيوس
وملطي فابهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم
وهم في وسطهم وخافرا على نهب دورهم اذا خرجوا فارفى فأرسلوا الهم الأمان
" فحضروا وفاللوا الباشا والكتخدا والامراء وأعانوهم بالمال واللوازم .
هذا عن اص!بر القبط .. " وأما.يضوب فانه كرنك في داره بالدرب الواسع جهة
الرويعى واستعد استعدادا كبيرأ بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان
. شيدها بعد ا!واقعة الأولى "23

إ بعد ثمانية --أيام من ابتداء الحركة أتم الفرنسيون حصار القاهرة وبولاق
. "
. " إ وفطعوا الجالب عن البلدين وأحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم
فكانت حماعة من المفوضين لهم المحصورفى داخل المدينة كبعض "
القبطة ونصارى
الشوام وغيرهم يهربون اليهم ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم
. وأ ولاد هم " 4 2
واعتقل الثوار مصطفى اغا مستحفظان (المحافظ) وأجريت له تحا كمة
ثورية
وأعدم وهو الذي أثار حتى اًعضاء الديوان بسبب سلوكه وتفانيه في تنفيذ
تعاليم
.الفرنسيين فرق المطلوب أحياناً
واتهم مصطفى اغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية وانه عنده في بيته "
حماعة
من الفرنسيس . فهجمت العساكر عل داره بدرب الحجر فوجدوا انفاراً
قليلة من
الفرنسي! فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض
عل حمية
حتى خلصوا الى الناصرية !أما الاغا فإنهم قبضوا عليه " . " وأقاموا عليه
البينة بما
ارتكبه من الايذاء وقتلوه " 2 . وفي الجرقي " خنقوه ليلا بالوكالة التى غند
باب
. " النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد
وهو المصير الذي كان ينتظر " يعقوب " لو نالته عدالة الجماهير .. دوصا
أن يحمل
ذلك أي تفرقه طائفية فعلى المزبلة خار! البلد يتساوى الآغا " مصطفى
" !المعى
يعقوب " .. كلاهما عميل للاستعمار نكل بالشعب .. أي طائفية مقيتة أن "
نأقي
نحن اليوم فنوافق عل فتل الاغا 9 مصطفى " ، ونستنكر الاعتداء على "
" يعقوب
أو العكس .. لمجرد أن ! مصطفى " أو " يعقوب " من هذا الدك أو ذاك ؟
!
صار ينادي عل الحمار والبغل المعدد الذى قيمته ثلانون ريالا وأكثر بمائة "
نصف
فضة أو ريال واحد وأقل ولا يوجد من يشتريه وفي كل يوم يتضاعف الحال
وتعظم
الأهوال وزحف المسلمون عل جهة رصيف الخشاب وترامي الفريقان
بالمدافع
والنيران حتى احترق ما بينهم من الدور " . ! وقاتل أهل بولاق جهدهم
'

وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات "
والصبيان
والبنات . ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز
والأدهان
والأصناف العطرية وما لا تسعه العمطور ولا يحيط به كتاب ولا
منشور والذى
وجدوه منعكفا في داره أو طبقته و لم يقاتل و لم يجدوا عنده سلاحا
ضهبوا متاعه وعروه
من ثيابه ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق
وأهلها ؟ أعيانها
الله ين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عورتهم وذللث يوم
الجمعة ثالث عشرينه
وكان تحمد الطويل كاتب (دىضعان 1214 هـ- أبريل 0 180 م)
الفرنساوية
أخذ أمانا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم . وفي وقت هجوم
العساكر انفصل
اليهم واختفى البشتيلي فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى
الروساء فحبسوا البشتيلي
بالقلعة والباقي ببيت سارى عسكر وضيقوا عنيهم حتى منعوهم
البول "26 .
فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاته أيام الهدنة سبعة "
وثلاتين يوما " .
وضرب في هذه الوافعة عدة جهات من اخطاط مصر الجليلة "
مشل جهه الأزلكية
الشرقية من حد جامع عثان والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الخشاب
وخطة
ا!ساكت الى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة وكذللث
جهة الهواء الى
حثرة النصثرى من الجهة القبلية . وأما بركة الرطلي وما حولها من
الدور والمتنزهات
والبساتين فابها صارت كلها تلالا وخرائب وكيمان أتربة . ومما تخرب
أيضا حارة
المقس من قبل سوق الخشب الى باب الحديد . وجميع ما في

الععلاء كانرا من كل لرن ود! *

`

أسفه على وقوع حرادث " اعتداءات يؤسف لها على المسيحيين
في المدينة لا يسع
. " الكاتب المنصف إلا أَن يشعر بأسف عميق لوقوع هذه الحوادث
ويقفز عبر الزمن ليتولى الأسف باعتباره الكاتب المنصف فيعظنث
وكأنه يخطب
في جاهير ثورة 1919 م : " لأن الاعتداءات المذهبية تشوه الثورات
وتلقى عليها
تبعات جساماً .. ولا يخفف من هذه التبعة كون الاعتداء لم يقتصر
على المسيحيين
بل تناول فريقا من المسلمين ممن اتهمهم الثوار بموالاة الفرنسيين
فقد قتلوا تحافظ
المدينة (مصطفى اغا) بهذه الحجة ؟ قدمنا ، واعتدوا كذلك على
السيد خليل
البكري ، ولم يراعر ا منزلته ولا مقام بيته ، وشهر به العامة .
فيسافهم في الشوارع

ومهما بذلنا من جهد لا نستطيع أن نفهم اصرار " الرا!ى " - رغم تقديرنا
لمشاعره النبيلة وإنصافه - على أن الاعتداء على المسلمين الموالين
للفرنسيين لا يخفف
! من تبعة الاعتداء على المسيحيين المتهم!ت بنف!ع! التهمة ؟
كيف يكون " اعتداء مذهبيا " ذلك الذي يستهدف مسيحيا متعاونا مع
الفرنسيس جنبا الى جنب مع ضيخ يحمل لقب نقيب الأشراف أي نقيب
كل من
يحمل لقب " السيد " وينتسب الى نسل رسول الله اكل! ! واخر دوحة
أثط بكر
الصديق رضي الله عنه - كا يعرف نفسه ويصدقه الناس - كأن على
الجماهير
أن تشل يدها وتوقف عدلها الثوري ، وتكبح غضبتها ، فلا تمتد الى
المسيحى المتعاون
مع الفرنسيين حتى لا تتهم أمام التاريخ بالاعتداءات المذهبية والنزعة
الطايفية!
إن هذه الحساسية المفرطة من جانب بعض الكتاب ، تكشف في الحقيقة
عن
طائفية غير معلنة ، طائفية غير موجوده عند الجماهير .. هذه هى "
اللاطائفية
. . السوفية " التي يتحدث عنها ثائر جزألرى
فالطا!لفية ليمست فقط في التنكيل بثنحالفين في الدين " بسبب دينهم "
.. بل ا ن
الوجه الآخر للطائفية هو اعتبارهم فوق القانون وفوق المؤاخذه ، لمجرد
. . أنهم أقليات

أو خيرا .. ومن ثم فالجماهير لم تكن طائفية لأنها أنزلت ضاصها بلا تمييز .. بينما
لعض المؤرخين اليرم ينطلقون من مفهوم طائفى .. عندما يواجهون هذه القضية بمثل
هذه الحساسية.
أما أذا كان الرافعي يستنكر الاعتداء على الأفراد ، فهذه قضية محل نقاش أبدي . .
ولكق من الذي يستطع أن يضبط حركة الجماهير وهي تخوض حربا دامية ضد
عدو شرس ؟ من الذي يستطيع أن يضبط أعصابها وسط مدينة محاصرة مشتعلة
بالنيران ، من الذى يستطيع أن يمنع هذه الجماهير التى تواجه الموت محترقه ، من
انزال القصاص بيدها من المتهمين بالتعاون مع العدو المحتل الأجنبي ؟ من الذين
يطلقون النار على ظهرها أثناء القتال .. بل ومن تعرف أنهم سينكلون بها فور انتصار
الفوفسيين؟
والرافعي " غاضب - ا كالجبرقي " - من " غلبة الجهلاء على العقلاء " وتطثول
السفهاء على الروساء " فهذه الظاهوة عند " الرافعي " - الذى يحتفظ هو وحزبه
بذكريات هريرة ، بسبب التفاف الغوغاء حول حزب الوفد .. ((ا للغوغاء) لذلك
يفلسف الظاهرة في شكل نظرية فيقول : إن تطاول السفهـاء على الرؤساء : " داء
وبمل تظهر أعراضه في أوقات الفتن واشتداد الكروب والمحن " . " وإذا أرفنت أ ن
تعرهـالى أي حد جر " تغلب الجهلاء على العقلاء وتطاول السفهاء على اش ساء"
أثناء ثورة القاهرة ، فانظر الى ما كان من أمر مساعى الصلح الحى قام بها ا اسقلاء
في ذللث الحين لوضع حد للمأساة المروعة والمجزرة البشرية التى صبغت القاهوة دماء
وحرائق وكيف اخفقت تلك المساعى أمام غلبة الجهلاء وتطاول السفهاء . فقد كان
العلماء يسعون في حقن الدماء "29 .
فالمؤرخ البورجوازممط ينتشى ببطولة اسلافه ، ولكق يفزعه منظر الدماء
والتضحيات والحرالى .. م كان يبدو له جميلا ، أن يقاتل القاهريون

لم

شعار " تحنيب نجلادنا ويلات الحرب " انتقلت من التفريط الى الاستسلام ، ومن
المساومة الى الخيانة . ولكن تجربة التاريخ أنبتت أن الدماء الوحيدة التى تحقنها
المساومة .. هي دماء الغزاة والمحتلين والأعداء . لأن دماء الشعب المقهور تهدر بمعدل
أكبر تحت وطأة الاستسلام ، منها في ساحة القتال من أجل التحرر . وان مصرنا
الجميلة تذوي وتدمر إذا ما ا!ستسلمت للغزاة ، وتنمو وتزدهر خلال حربها التحررية.
فالمجاهدون في ثورة القاهرة ما كان بوسعهم أن يوقفوا الثورة في منتصف الطريق،
والرافعي نفسه وهذه هي مأساته - إذ انه لا ينتمى الى مرقف مضاد ، يبيح له
تزوير التاريخ - بل يلتزم بالصدق والأمانة في إثبات وفائع التابيخ ، لذا يعترف بعد
سطور ليس إلا من لعنه الذين ضيعوا فرصة الصلح ، يعترف بان كليبر : " لم يكن
صادفا في عهده " للعلماء بابهاء القتال " دون تنكيل ولا عقوبات " فماذا كانت
الجماهير ستكسب إذا ما خانت ثورتها واستسلمت لرحمة الغازى المتوحعق ربما
كسب الرأي العام العالمي .. لحسن حطا لم تكن هذه اكذوبة قد عرفت بعد . .
وبذلك اخفقت المساعي وتجددت المذبحة . وتجددت معها فجاتع القتل " وسفك
الدماء والاحراق والتدمر . ثم انتهت المأساة بالتسليم بعد أن نزل بالناس من الخطوب
والأهوال ما لم يشهدوا مثله من قبل " هكذا يتأسف " الرافعي " .. وليكن .. فهل
من سبيل اخر امام الأمم للتحرر إلا طريق الدم والخطوب والأهوال وخوض ما لم
يخوضوا مثله من قبل .. لكى يحققوا عزة ونصرا وتقدما لم يحققوا مثله من قبله ؟ !
ولكن ليس دقيقاً أن نقول ان " بولاق " استسلمت . فالحق أن بولاق اخذت
عنوة بحد السيف ، بالحديد والنار .. سفطت شبرا شبرا وبيتا بيتا ، ورصيفا رصيفا . .
ولا عار على بولاق أن تؤخذ عنوة وأن يقهرها أقوى جي!ق ، وقتها ، فالعار لمن
يستسلمون بلا قتال . .

بها ، فاشتعلت فيها واتسعمداها ، وامتدت الى مبافي الحي من مخازن ووكائل ومحال
تجارة فالتهمتها وما كان فيها من المتاجر العظيمه ، ودمرت هذا الحي الكبير الذي
يعد ميناء القاهرة ، ومستودعا لمتاجرها ، وهدمت الدور طا سكانها ، فباد كثير
. ن العائلات تحت الانقاض أو في طب النار . وكانت مأساة مروعة ".3!
وهجموا على بولاق من ناحيه البحر ومن ناحية بوابة ألط العلاء ، وقاتل " أهل
بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم في افران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم
من "كل جهة ، وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بال!هب والسلب ، وملكوا . بولاق
وفعلوا باهلها ما تشيب من هوله النواصى ، وصارت القتلى مطروحة في الطرقثت
. . والأزقة ، واضرقت الابنية والدور والقصور ! اغ
: " وينقل 9 الرافعي " عن المسيو " جالان
في !!يوم الحادي والعشرين من شهر جرمينال (يوافق 14 ابريل 0 " 180 م)
انذرت بولاق بالتسليم ، فرفض أهلها كل انذار وأجابوا بإباء وكبرياء أنهم يتبعون
مصير القاهرة ، وأنهم إذا هوجموا فهم هدا!ون عن أنفسهم حتى الموت . فأخذ
الجنرال فريان يحاصر المدينة وبدأ يصب عليها من المدافع ضربأ شديدا أملا منه في
إجبار الأهالى على التسليم ، ولكنهم أجابوا بضرب النار ، فأطلقت المدافع قنابلها
عل المتاريس ، وهجم الجنود على الاستحكامات فاقتحموا اكثرها وظل بعضها
يقاوم ، واستبسل الأهلون في الدفثع ولجأوا الى البيوت فاتخذوها حصونا يمتنعون
ج! ، فاضطرت الجنود الى الاستيلاء على كل سا منهث ، والتغلب عليها بقوة الحديد
والنار ، وبلغ القوم في شدة الدفاع حداً لا مزيد بعده ، وفي هذا البلاء عرض العفو

من أحل الذهب الانجليزكط ولاعاثه حكي المالك ! ؟ يدعى 9 لرير
! " عرض

قنابلها على المدينة الثائرة ، ودوى صوت الضرب في كل مكان . وظل اطلاق أقنابل
والرصاص متواصلاً طول الليل وشبت الحرائق في جهات متعددة وأخذت النيران
في كل لحظة تلتهم المنازل بعضها إثر بعض ، وأحدثت النار من الخبرائب والحرائق
في القاهرة ، مالم يحدث مثله منذ بدأ الحصار . وقد قتلنا عددا كبيرا من الناس في
تلك الموقعة المروعة ، ولكننا فقدنا كثيرا من الشجعان قبل ان تصبح المدينة في قبضة
. " يدنا
وبعد اسبوعين من " وفوع المدينة فى قبضتهم " يصف " جالان " حالة القاهرة
عئم الخراب أحياء بأكملها وتمثل لنا شبحه " : (مايو . .18 م 5) الخيف في
الأزبكية ، وأثرت في نفسي صورته المفزعة ، فليسى في الامكان أن تخطو خطوة إلا
على كثبان من الخرائب والأتربة ، وكانت رائحة العفونة تنبعث من الرهم المدفونة
تحت الردم ، وزاد هذا المنظر فظاعة أن الجنود مدفوعين بفكرة النهب كانوا
ينبشون الجثث من تحت الانقاض والخرائب فكلما أظهروا جثة زاد المنظر هولا
. وفظاعة "32



* أى صررة حضثرية تدت لآبناء القاهرة ، وجند الررة الفرنية يئرن خث الموقى لثفتيثى في جيربها وقطع

الثورة

إن الصراع الفكري الذى يدور في الشرق وفي عثلمنا العرلمط
بالذات منذ الحملة
الفرنسية الى اليوم يدور بين مدرستين أساسيتين:
المدرسة الوطنية وهي تلك التى تقول با! الشعوب المتخلفة لا *
يمكنها أ ن
تحفق تقدمها التكنولوجى إلا من خلال رفض قيم الحضارات
المتفوقة ، رفض
الاندماج فيهث ، رفض التبعية طا ، واته بقدر ما تتشبث الأمه
بوجودها وذاتيتها وتراثها
وحضارتها بقدر ما يزداد قدزتها على اكنساب عوامل التفوق الالي
عند خصمها.
فقضية التقدم والتخلف بالمقاييس المثدية ، هي قضية التفؤق الالي
بين الأم . وهي
الظاهرة الأساسية الواضحة في صراع الحضارات ، وتحديد علاقة
الأم فيما بينها.
وكل أمة يمسها هذا الصراع ، أو تصبح طرفا فيه تدرك ان التفوق
الالي هو
الذى يمكن خصمها منها ، أو يمكنها من خصمها ، فما من خلاف على
أهميه الآلات
التى تصنع الأسلحة ، وتمحول إلى أسلحة .. وليس كشفا أن ينتبه
البعض لأهمية
التقدم التكنولوجي .. ولكن المشكلة هي في اكتشاف السبيل الذي
يمكن أن تسلكه
الأمة المتخلفة " اليا " لكى تحقق تقدمها الآلي.
وكما قلنا ، ففي رأي المدرسة الوطنية ، والذي تشهد بصحته تجارب

لكن المدرسة التغريبية ، المدرسه الاستعمارية ، تقول بالعكس ، *
إذ تعتبر ا ن
الحضارة كمجرى خهر ، يكفي أن تشق ترعة لمياهه حتى تجرى في
ارضك ، وترتوى
وترتبط بالهر في ذات الوقت . وان كل تحاولة للانفصال عن مجرى
التقدم هو زيادة
في الظمأ الحضاري . وأن الحضارة أو التقلم كل لا يتجزأ ، فلا
يسحنا اًن ننقل
صناعة أوروبا ، دون الفلسفة الأوروبية والسلوك الأورولى ،
والأخلافيثت
الأوروبية .. والقيم والعقائديات الأوروبية .. وهذا يعنى بالطبع
الا،سلاخ عن
جأ،ورنا وخصائص حضارتنا.
اذا أردنا حضارة الغرب - في هذا الرأ! - فلا بد صت أن نصبح !
غربيين . .
ولأن نقل المصانع ، ودراسة الكيمياء والطبيعة اكثر صعوبة . فان
هذا الرأى تجحول
في التطبيق الى القول بأن نقطة البدء هي نقل " اًسلوب الحياة
الغرتية " فهذا يجعلنا
متقدمين ، وبعضهم يقول ان نقل اًسلوب الحياة الغربية ، والفكر
الغرلمط ، وحتى
طريقة الكتابة على الطراز الغرلط من الشمال الى المحين ،
سيقيم في بلادنا ألمصانع.
والبعض ا!ثر صراحة يقول اننا لا نحتاج لنقل الصناعة ما دمنا
سنصبح جزءا من
هذه الحضاره نساهم فيها بما أتاحته لنا ظروتا ، ونستمتع بنقل اخر
كلمة فيها دون
حاجة بنا الى تكرار نفس الخطرات التي سلكتها هذه الدول .
وبصرف النظر عن الحقيقة البديهيه التى تقول إن ! اًسلوب الحياه
الغربية " ليس
إلا انعكاسا لطريقة انتاح وسائل الحياة الغربية . أى أن هذا الأسلوب
هو نتاج
الصنثعة الغربية . . فلو أردنا - جدلا - أن نقيم في بلادنا ذات
المؤسسات الثقافية،
والسياسية والاجتماعية ، واعتناق ذات القيم ، وممارسة ذات
العلاقات الغربية ، فلا
بد أن نبدأ باقامة القاعدة المادية التي أفرزت ذلك كله اًلا وهى :

والشرق . لقد كان الاحتلال الغرر للشرق هو العقبة الوحيدة التي حالت دون
تحقيق التحديث في الشرق . وبقوة الاحتلال المسلح كان الفرب يمنع اقامة الصناعة
لط الشرق . ولكق لأن استخدام السلاح باهظ التكاليف وليس ميسرا في كل وقت،
أنه يستنفر عناصر المقاومة لط الأهم المضطهدة ، الأمر الذي ! محمل خطر وضعها
في طريق الإجابه الصحيحة على التحدي . لذلك فان الدول الاستعمارية (رأعالية
كانت أو شيوعية) تفضل أن تعزز قهرها العسكري ، بعملية غزو

التحديث من خلال التعاون مع الحضارة الممفوقة والانتساب الها . وذلك فضلا
عن انه تضع الشعب بعيدا عن الطريق الصحيح لتحقيق التحديث الجدي ، فهو
. . يسهل مهمة غزوه حضاريا
وقد رأينا كيف قاومت القاهرة " المتخلفة " " المغلقة " غر

كيف قاومت ببطولة نادرة جيش الاحتلال الفرنسي خمسه أسابيع ، وكيف
قاتالت من بيت الى بيت بالمعنى الحرلط للكلفة . بينما لما تولى عملاء الغرب ، تغريب
بلادنا كانت مدننا تسقط بسهولة وتستسلم لسهولة أشد كلما زاد حظ!ا

ولكن ثورة القاهرة الثانية لا تثبت صحة نظرية المدرسة الوطنية ، من زاوية
مقاومتهث الفريدة في تاريخنا ، للاحتلال الفرنسي فحسب ، بل أخطر من ذلث اخما
تؤكد صحة الفرضية التى تقول ان الطريق الى التحديث ، أي الطريق

ففى ثورة القاهرة الثانيه ، أوشك المصريون أن يضعوا أقدامهم على بداية الطريق

وتفصيل هذا الحادث العجيب .. والظاهرة التي يغض جميع مؤرخى المدرسة
الاستعمارية الطرف عخها ، لاهميتها البالغة ، ولأنها تنسف نظريتهم تماماً .. التفاصيل
المتاحة لنا - تقول : " وبذل الأهالى ما في طوقهم لتأليد الثورة ، - واتوا في هذا
السبيل من الأعمال ما أدهش الفرنسيين ، فقد انشأوا لي أربع وعشرين ساعة سملا
للبارود في بيت قائد اغا بالخرنفش وانشأوا سلا لأصلاح الأسلحه والمدافع،
ومعملأ اخر لصع القنابل وعب المدافع جمعوا له الحد!د والالات والموازين
وأخذوا يجمعون القابل التي تتساقط من المدافع الفرنسة في الشوارع ،
ويسعحملونها تذائف جديدة لفعرب ، قال الجبرقي : " وأحضروا ما يحتاجون اليه
من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد وجمعرا الى ذلك الحدادين والنجارين
والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى
والخان الذى بجانبه والرحبه التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني " .
وقال مسيو مارتان * أحد مهندسى الحملة وكان شاهد عيان لتلك الثورة : " لقد
فام سكان القاهرة بما لم يستطع احد ان يقوم به من تبل ، صد ، صنعوا البارود ،
وصنعوا القنابل هن حديد المساجد وادوات الفناع ، وهلوا ها يصعب تصديقه
وها راء كمن ممع - ذلك اكم صنعوا المدافع "** . وتال الجنرال -

! " ني محابه : " تاريخ لحملة الفرنية في مصر *
لأحظ ج ، ه!وتز في محابه : " الأبحثد لص!كرية في الثرق الأوسط " أنه إلى حرب لقرم * * كانت التكنولوجيا
غكل مستخد!ة تماماً في الصاعات الحرية مما كان نميح للدرل الئرفه فرسة اليهافز في اللاح مع الدول الأوروية إذا

وثوار القاهرة هم الذين وضعوا أقدامهم على درب التكنولوجيا ، لأنهم قرروا
القتال ضد الحضارة الغربية ، فمن يعادي الحضارة الغربية ، ويكون جادا في قهرها،
لا بد أن يكتشف وان يمتلك وسائل تفوقها .. ومائة الف متعاون مثل " تعقوب " ،
ومائة اف! شردد على بيت " حسن كاشف " حيث كانت المكتبة والالات العلمية
للحملة ، لم يكن ليفيدهم تغاونهم ولا انبهارهم ، في كسب التكنولوجيا الغربية.
ولكن من يقرر الوفض . ومن يختار الانفصال بذاته والدفاع عن هذه الذات
سيجد نفسه أمام حتمية اكعساب كل الوسائل المادية لحماية هذه الذات والانتصار
لها . ومن ثم لغدو قضية التكنولوجيا قضية جزئية إوحيوية في نقس الوقت .. هي
جزئية في موقف عام هو الايمان لالذات ، وضمن إطار عام لفهم صحيح لأبعاد
هذه الذات واحتياجاضها للتعبير عن نفسها ، وتحررر ارادتها . . وحيوية طبعأ لأنه بدونها
لا يمكن تحقيق هذه الذات ولا تحرو إرادتها.
وتجربة التاريخ كله لا تثبت حالة واحدة استحال فيها على شعب متخلف،
اكعساب التكنولوجيا والتفوق ف!ا .. سرط أن يختار القتال .
ومن هنا كانت أهمية الئورة الثانية للقاهرة . فالثورة الأولى إن كانت قد أكدت
رفض أمتنا للوجود الغرلى على أرضنا ، فان التورة الثانية قد حملت الاجابة على هذا
التحدي . . الاجابة على السؤال الذي ما زال بلا جواب منذ الغزو الفرنسي إلى الغزو
الاسرائيلي : كيف نكنسب تكنولوجيا العدو المتفوق علينا ؟ ا ثورة القاهرة أجابت:
بالثورة ضده ، برفض وجوده ، برضى التعاي!ق معه ، بالاصرار على قهره .. الذين
رفضوا .. اخترعوا البارود والمدافع والقنابل .. والذين واللاقي قبلن الاندماج
الحضاري مع الفرنسيين المتقدمين لم يحملن إلا مرض الافرنجيأ
ولعل هذا هو السبب الوئيسي لحرص المدرسه الاستعمارية ، مدرسة التغريب،
على تشويه ئورة القاهرة الثانية وإثارة الغبار حولها لكي تطمس هذه الحقائق.
هذه الجوانب البالغة الأهمية ، التي أثارت انتباه واهتمام رجال ومؤرخي

حقيقية . ينسون البطولة والتضحيات ، والانجازات ويركزون تأريخهم على حوادث
فردية ، استهدفت بعض الخونة الذين باعوا بلادمم للمستعمر .. وحتى اذا امتدت
النار لبعض الأبرياء ، فلماذا ينسون ما فعله الفرنسيون في الاطفال والنساء وكبار
السن الذين لم يقاتلوا .. لماذا لم يهموا الجي!ق الفرنسي بالحرب الصليبيه ؟)
تعمى عيونهم عن تلصر تاريخ تطورنا القومي ، حيث يجب أن يكرن ، خلف
المتاريس وفي الوريق التي نبتت ، تصنع لأول مرة الأسلحة " العقيلة " وتتسلح مستعينة
حتى بالقنابل التي يقذفها بها عدوها .. بدلا من ذلك رويدوننا أق نفتش عن قومية
مزعومه بين مزابل سفينة بريطانية تحمل برميل خمر يضم جيفة ، عميل هارب
وترجمانه المالطي المجنون ا ومشروع كنب بالفرنسية وترجم

ولأن التاريخ لا يرحم فابى تجربة الحملة القرنسية لا تقدم لنا هذه الحادثة وحدها
بل تدعمها بموقف اخر يجعل القضية أوضح من أن تحتمل النقاش .. لقد بذل رجال
الحملة الفرنسية - على ما يدعي مؤرخو المدرسة الاستعمارية - بل وكل الحملات
الاستعمارية التى حملت عبء رسالة الرجل الأبيض ، لذلت جهوداً مضنية في حثنا
على الأخذ بالحضارة الحديئة ، واقناعنا بمسارة الزمن في كافة الميادين إلا الميدان
الوحيد الذي يمكننا فعلاً من مساروة الزمن ، والقاعدة الوحيدة لقيام الحضارة
الحديثة .. ألا وهي تعلمنا الصناعة ا السماح لنا بابشاء مصنع . وعندما توضع
الأمور بهذا الوضرح ، ينعدم الجدل ، ولا تصدر عن السلطة النربية إلا كلمة واحدة
هي : " ممنوع " أ
والقصة هي اقتراح تقدم به الجنرال " مينو " وكان " مينو " يمئل مدرسه

على أعمال الحكومة الادارية ويدخل في خصائصها الشئون الماليه والزراعية
والاقتصادية - عارضوا ي قبول العمال المصريين في هذا المصنع بحجة الضرر الذي
يلحق الصناعة الفرنسية اذا عرف المصريون اصرارها ، وكمبت اللجنة رسالة في هذا
الصدد قالت فيها : " ان مقدرة المصريين في تقليد المبتكرات الصناعية من شأنها أ ن
تضر لالمصانع الفرنسية " وصرح المسيو كونتي مدير المصنع الميكانيكي الذي أنشأه
الفرلسيون انه لا يقبل البتة تعليم أحد من الأهالمط أساليب الصناعة . وأخيرا تم الاتفاق
بين " مبنو دا واللجنة الادارية على انشاء مصنع للأجواخ بادارة المسيو كونتي على
. اد لا يقبل فيه عامل مصوي "35
هكذا بوضوح ، ولغير حاجة الى التلفيق والادعاء ، فبعد ثمانن عاما كان
كرومر " مضطرا الى ادعاء تخلف المصرتن العقلي ، وتنافي دينهم مع " الصناعة . .
لكي يبرر تحريمها علينا بقوة جيش الاحتلال .. وما زالت المكتبة الغربية حافلة
بالمؤلفات التي تثبت عجز الشرقي وبالذات المسلم عن التحول الى عامل صناعي فضلا
عن عا لم يفقه في التكنولوجيا . والمكتبه الشيوعية تساهم الآن في اثراء المكتبة الغربية
في اثبات خطأ تحاولات الأم المتخلفه ، لإنشاء صناعاتها المستقلة ! وكلها طبعا،
تناقش من زاوية الحرص على مصالحنث نحن ، ومن زاوية الحرص على عدم تبديد طاقاتنا
فيما لا أمل فيه ا ولكن ميزة الحملة الفرنسية انها كانت مبكرة . وأن كثرا من
ا!قائق كانت تسمى باحمها . أو قل انهم لم يكونوا يأبيون بمعرفة العرب لتقار-رهم
وكتاباتهم في بلادهم فوقتها كان العرب لا يقرأون وخاصة بالفرنسية *ا .. كان
الاستعمار الغرلى لم -نرل في مرحلة الاعتماد أ! على القهر العسكري ،

لم كلل لنا الجرال عوض إذا كان مذا القرار قد عرض على مجلى !
! الرزراء ، ومِجل! ابراب

فرنسيين ، هل كانت سلطة الاحتلال ستقف مكتوفة الايدي أمام تهديد المصالح
الفرنسية ؟ ا أليس هذا هو جومر الصراع لين الغرب والشرق ؟ ! ومع ذلك لا
يستحى مؤرخ عا لم مثل " كرستوفر هصولد " من اتهام المصريين لأنهم كانوا العقبة
في طريق نوايا نابليون الطبه نحر تطو-!هم ، وأن حرصهم على تقاليدهم هو الذي
منع مسايرتهم الزمن ، ولا يخجل أمثال " لويس عوض " صت تصديع رعوسنا بالحدتث
عن " أول برلمان " وأول " مجلس وزراء " ا وينسى أن يحدثنا عن قصة " أول مصنع
. " !للجو
لسنا ندري كيف يمكن أت يطلب منا الهبوط الى مستوى الثرثرة عن امكانية قيام
الديموقراطية والبرلمانية والقومعة ، أو حتى تعلمها دون ان تقام صناعة في بلادنا . .
وكيف يمكن أن تمكنا من " مساررة الزمن " فوةتحرم علينا تعلم الصناعة ولو عمالا
!في مصنع يكسو جنود احتلالهث
أى " مسايرة للزمن " تلك التي يقرعنا " هيرولد " وصبيته على ان " نابليون
حاول تحقيقها لنا وفشل بسبب من تعصبنا وجمودنا .. هل " نساير الزمن " بدون

10-ء!دم،
ر/!اكم ثحما،ح!)ص!

الشر بتلى

بعد هزيمة الثورة ، أجرى " كليبر " استعراضا عسكريا ظهر خلفه كبار أعوان
هراد " : " البرديسي ، والأثعقر " " وبعد أيام الزينة الثلاثة ، أقام لهم " هراد مأدبة
فاخرة ، فذهب الى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء ، فمد لهم أحمطة عطمة،
وأنبسط معهم وافتخر افتخارا زائدا وأهدى الى بعضهم هدايا جليلة وتقادم عظجمة
وأعطاه ما كان أرسله درويش باسا معونة للباشا والأمراء من الأغنثم وغيرها وكانت
نحو الأربعة الاف رأس " (وهي الأغنام التي صادرها أثناء حصار القاهرة وكانت
اهم عامل في تجويع المدينة) . " وولوه امارة الصعيد من جرجا الى إسنا ورجع
. عاتدا الم! داره بالأزبكية "36
ثم تقرر عقد الديوان .. في جلسة موسعة على " ما يبدو " " لمجلسى الوزراء
والبرلمان " !! و-وسم ابن القاهرة ، الذي تجري النكتة في دمه ، الشيخ " عبد الرحمن
الجبرقي " صورة كاريكاتورية للديوان في اجتماعه الدرامي مع ساري عسكر كليبر
أو كلهبر ؟ يكتبها الجبرقي ، بعد هزيمة الثورة ، وشروع المنتصرفى في . . التنكيل
بالمغلوبين .. ودقة " الجبرقي " وموضوعيته ومرارته لا تترك تفصيلة صغيرة دون أ ن
يقف عليها ومن ثم فالصورة كاملة بكل ابعادها .. وهو كفنان ساخر ، وهي الحقيقة

أي *

ورغم كل ما تظاهر به كليبر من عفو وحماحة ، فلا نظن أن أعضاء الديوان
قد بلغت بهم السذاجة حد تصور ان المناسبة ، مناسبة يكريم ومكافأة ! ونكنها صورة
فنية ضرورية لتجسيد النقيض التص! الخالف تماما لهذه التوقعات الحقيقية أو
المفترضة .. وعلى أية حال فان سخرية الجبرقي من اطماع المصرينن ، لا تزيد في
تناقضها عن مهزلة مؤرخ يسمى بيانات ساري عسكر امام الديوان على أخبا اعتراف
بمسئولية الحكومة أمام ممثلي الشعب إ! ولا شك ان صورة ما سيعقب هذا اللقاء
تبدو ام! تناقضا وسخرية اذا ما تماشينا مع الفرض الهزلي الذي يعتبر أعضاء الديوان
مجلسا نيابيا ، وسارى عسكر وعصابته حكومة مسئولة أمام البرلمان ، لذلك نحن
نفضل السير مع هذا الوصف المضحك .. وبذلك تصبح الصورة كالاقي:
اجتمع أ ممثلو الامة " في بيت رئيس الحكومة

تم فتح باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه فدخلوا " وجلسوا حصة مثل
الأولى ثم خرح اليهم ساري عسكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيثنهم فوضع
له كرسى في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان وأصحابه حواليه واصطف
الوجاقلية والحكام من ناحية وأعيان النصارى وا(خجار من ناحية وعمان بيك الا! شقر
والبرديسي أيضا حاضران . وكلم سارى عسكر الترجان كلاما طويلا بلغتهم حتى
فرع فالتفت الترجمان إلى الجماعة وشرع يفسر لهم مقالة سارى عسكر ويترجم عنها
. " بالعرلى والجماعة يسمعون
والوضع هنا ينقلب فسنرى ان الشعب هو المسئول امام الحكومة ، وان الحكومة
هي التى تحاسب ممثليه:
فكان ملخص ذلك القول ان سارى عسكر يقول لكم يطلب منكم " عشرة

ولأمرهم يمسلون ثم انكم اظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيظم
وميزنا آ على غيرآ واخترنا آ لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان
وغمرنا آ بالإحسان وخفضنث لكم جناح الطاعة وجعلنا آ مسموعين القول مقبولين
الشفاعة وأوهمتمونا ان الرعية لكم ينقادون ولأمرآ وخهيكم يرجعون فلما حضر

فقالوا له : نحن ما قمنا مع العثملي إلا عن أمرآ (!) لأنكم عرفتمونا " اننث
صرنا في حكم العثملي من ثافي شهر رمضان وان البلاد والأموال صثرت له
وخصوصأ وهو سلطاننث القديم وسلطان المسلمين . وما شعرنا إلا بحدوث هذا
الحادث بينكم ولينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا وس!هم فلم يمكنث التخلف
عنى . فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ثم أجابهم بقوله : ولأي ثيء لم تمنعوا الرعية
عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنث فقالوا ة لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا
بغيرنا وعغ ما فعلوه بنث من ضربنث وبهدلتنا عندما أثرنا عليهم بالصلح وترك القتال
فقال لهم : واذا كان الأمر ؟ ذكرتم ولا يخرح من يدآ تسكين الفئتة ولا غير ذللث
فما فائدة رياستك! وإيش يكون نفعكم وحينئذ لا ياتينا منكم الا الضرر لأنكم
اذا حضر أخصامنا قمغ معهم وكنغ وإياهم علينث واذا ذهبوا رجعغ الينا معتذرين " .
ومث فهمه سارى عسكر متأخرا هو بالضبط عين مث فهمه المشايخ منذ اللحظة
الأولى ، عن مهمتهم التي ابتلوا بها ، وفرضت عليهم بحكم وجودهم عند سطح
المجتمع . هذه المهمة هي التربص بالمحتل ، وخداعه لتخفيف الضرر بالرعيه ، وانتظثر
أي فرصة للانقضاض عليه .. ولما أصبح الفهم متبادلا .. اتخذت لهجة الحكومة فى

ولكن " سارى عسكر " كان أشفق بالمشايخ من مؤرخي مدرسة
9 يعقوب ابن
مارية غزال " لذلك لم يتقدم بطلب ثقة بل قال ؟
ولكن حيث إننا اعطينا 2 الأمان فلا ننقض اماننا ولا نقتلكم بل "
نأخذ منكم
الأموال (وهذا أفضل بالبم للمحئلين ، ولكن بثعهادة " هيرولد "
نفسه فان
الشعوب تفضل المغامرة بقطع الاعنثق عن النهب المحتوم)
فالمطلوب منكم عشرة
الاف الف فرنلغ عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها

بل ويسجل هذا الاجتماع " أول " اخرى من سلسلة الأوليات التي تحصيها
المدرسة الاستعمارية ، " فلأول " هرة واخر هرة في التاريخ تفرض السلطة التنفيذية
. . غرامات على ذات أعضاء السلطة التشريعية مما يؤكد عدم وجود حصانة ا
على الشمخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلانون الفاً . والشيخ "
مصطفى الصاوى خمسرن- الفاً والشيخ العنافي ماع!دعان وخمسون الفا نقتطعها من
ذلك
نظير نهب دور الفارين مع العثملي مثل المحروقي والسيد عمر مكرم وحسين اغا شنن
وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على اهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة
عشر شخصاً انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تفلقرا ذللث المبلغ وقام من
فوره ودخل مع اصحابه الى داخل . واغلق بينه وبينهم الباب ووقفت الحرسية على
. " !الباب الآخر يمنعون من يخر
وهكذا أصبح " النواب " يتمنون الخروج ولو على اسنة الحراب . وهذه أول
!هرة أيضا
: وينتهى الجانب الهزلي ليبدأ الجانب المأساوى
لا فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم
. " ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكرى والمهدي
أما البكرى فصلته المشبوهة بل المفضوحة بالسلطة اشهر من ان تحتتج الى يثرح
. او تساول وقد وصل الأمر الى حد قيام علاقة " ما " بين ابنته ورجال الاحتلال
بصرف النظر عن مدى هذه الصلة ، وعن شخصية " الرجل " الفرنسي الذى مثل

طوفها المذكر .. أهو لابليون ذاته أم غيره .. ولكن المتفق عليه لين معاصريه انه كان
على علاقة غير مشرفة بالمحتلين ، وحيثما طالته يد مواطنيه ، عبروا عن رأيهم فيه
.بعنف ، وبعد ماتم الجلاء أنزلوا عقابا صارما بابنته
أما المهدي ف " حوق بيته بمرأى منهم (على يد الثوار) وكان قبل ذلك نقك
جميع ما فيه بداره بالخرنفش ولم يترك به إلا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض
الخدم وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته " 37 .
ولا شك ان كفاءات المهدي كانت فظ ذروة تألقها في هذه الفترة . فهذا الغلام
المسيحى - وفي رواية يهودى - الذي اعتش الإسلام واستطاع ان يشق طريقه الى
قلوب الحكام ببراعة نادرة ، ليصبع شيخا للجامع الأزهر - على عهد محمد على-
كان المهدى هو افوذج الأزهري الذي سنجده بعد ذلخط في عصور الانحطاط كلها،
سنجده ا! جانب السلطة ، يفتى لها ويبرر أفعالها ويعينها على الفتك يحيل المشايخ
. المقاوم ، بل وحتى المسالمين ولكن دون نفاق

ثم يقدم لنا الجبرقي ، بدون تعليق ، لمحة من اممزق الخطر الذي أحدثته الحملة
المرنسية في علاقات المجتمع المصري ، عندما نرى كبار المشايخ يترامون عند اقدام
النصارى الذين تفوقوا عليهم في المكانة بسبب تعاونهم مع المحتل " النصرافي " ا
وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون في عرضهم فالذي " انحشر فيهم
ء ء

ء يطع لوير عوضر ان يصبص الى تائمة الأوليات الي حفضها الحسلة في مصر : وهذه ا أول " مرة يهرل مجها

وتوزيعه وتدبيره وترتيبه في قوائم أ . حتى الشيخ السادات توسل بالطائفية لكي ينجو
من العذاب المهين:
اصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وكان أرسل إلى كبار القبط بأن " يسعوا في قضيته
ورهن حصصه ويغلق الذمما عليه . فردوا عليه بأنه لا بد من تشهيل قدر نصف
الباقي أولا . ولا يمكن يخر ذلك . وأ! الحصص فليست في تصرفه ولما ت! ر ارساله
للنصارى وغيرهم نقلوه الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهي افى ة الثالثة " . وفي
نفس اليوم (5 المحرم 1215 هـ) (ممايو 0 180 م) يسجل الجرقي : " طلبوا
عسكراً من القبط فجمعوا مهم طائفه وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية
حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين
واحضروهم الى العسكر "38 ولا أظن اننا بحاجة الى التعليق على الخطط الخبيث
الذمما كان يحاول أن نررع الطاتفية في أرض لم تعرفها أبدا عبر تاريخها ، ولكن المحتل
الفرنسى حاول إثارتها باجبار كبار علماء الأزهر على التشفع " بالمسيدش " عند
" الحا آ " المسيحي .
ونتساءل : هل يمكن ان يتعلم المصريون " القومية " ويتخلوا عن ا!يز بالاديان
على يد حكم يجعل الشفاعة اليه ، بعد المنتسبين الى دينه ؟ أم أن ذلك اللون من
الحكم يمثل نكسة في جميع المفاهيم والعلافات التى أرستها وحدة المصرتنن
التاريخية .. ؟ !
ويفهم من رواية الجرقي ان عدل " المساواة في النى " كان متوافرأ ، فلم يتركوا
ك!ة من الأمه المصرية الا وفرضوا علها جانباً من الفردة : " حتى وزعوها على
الملتزمين واصحاب الحرف حتى على الحواة والقرداتية والمحبظين والتجار وأهل الغورية
وخان الخليلى والصثغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحا آ

السثدات كصلت بها مائة وخمسين الف فرانسه وانفض المجلس " على ذلك وركب
ساري عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ووكل !وب القبطي يفعل في
ا!سمين ما يشاء* . وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وفبض ما يتحصل وتدبير
. " الامور والرهونات
أما الشيخ السثدات ، أبرز المشايخ ، والرجل الثافي بعد الشرقاوي ، و ! رئيمر
بنة المصادرات " !! .. فقد لقي معاملة تزيل كل الأوهام عن الديوان وطبيعته:
ونزل الشيخ السثدات وركب الى داره فدهب معه عشرة من " العسكر وجلسوا
على باب داره فلما مضت حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من العسكر أيضا
فأوكبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه في مكان فأرسل الى عثمان !ك البرديسي
وتداخل عليه فشفع* فيه فقالوا له اما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلا
بد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه . وقبضوا على فراشه ومقدمه . وحبسوهما ثم
انزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ثم اصعدوه الى القلعة تانيا وحبسوه في
حاصل ينام على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة فأقام كذلك يومين ثم
طلب زين الفقار كتخدا فطلع اليه هو وبرطلمان فقال لهما أنزلولط الى داري حتى

! ! لم فيص مؤرح ! اول لرلند أ إذا كان قد ئل مرسرم فض الدو 1 ة ا ألاسسائيه (-)
هذه العارة من الجرقي ، فرها " لرير صض ، با! ! كير " عهد 9 ليعقر! " " (* *)
بتطم ماله الإد ! و إ ا أله
! ! " كاد تدخل قحمص أعاء أ ا--ساث عل مرافي
المماللك يننمحرد في اثمايخ ويقل المرلسيود ضفاعم . ولك! الحمر يصر على (* * *)
أن الفرنير حاعه ا أسقل

خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيهث
فلم يجدوا شيئا ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماسيا وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا
في الصباح ومثيلها في الليل . وطلبوا زوجته وابنه فلم (كذا) يجدوهما فأحضروا
تحمد السندو! تابعه وفرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما . فأحضروهما
وأودعوا ابنه عند اغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فحانوا يضربونه بحضرتها
. " وهي تبكي وتصيح وذلك زيادة في الانكاء

ثم ان المشايخ وهم الشرقاوي والقيومي والمهدي والشيخ محمد " الأمرو وزين
الفقار كتخدا تشفعوا في نقلها من عنده فنقلوها الى بيت الفيومي ولقي الشيخ على
حثله . وأخذوا مقدمه وفراضه وحبسوهما وتغيب ا!ر اتباعه واختفوا ثم وقعت
المراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح الجوهري والصاوي فأضعفوهث وجعلوها
على كل واحد منهما خمسة عشر الف فرانسة ورد الباقي على الفرثة العامة . وأما
الشيخ تحمد بن الجوهري فابه اختفى فلم يجدوه . ف!وا داره ودار نسيبه المعروف
بالشويخ ثم انه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك فأرسلت الى مراد بيك وهو
بالقرب من الفشن فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه . فقبلوا شفثعته ورفعوهث
. " عنه وردوها أيضا على القردة العامة
وهكذا وجد المشايخ أنفسهم بعد عامين من الذبح والنهب والتدمر والتخريب
والبيانات التي تتحدث عن تحرروهم من المماليك ، وجدوا أنفسهم يحتمون بزوجة
مراد " بيك ، ويتشفع فيهم الوغد " مراد " ، بل وروسل كاشفا " بفرج عنهم
!ويسقط غرامات الفرنسيس

وأمروه بتحصيلها من أربابها وكذلك على اغث الوالمط الشعراوي
وحسن اغا المحتسب
وعلى كتخدا سليمان بيك . فنبهوا على الناس بذلك وبثوا الأعوان بطلب
الناس
وحبسهم وضربهم فد!ي الناس بهذه النازلة التي لم يصابوا بمثلها ولا ما
يقاربها ومض!
عيد النحر ولم يلتفت اليه أحد بل ولم يشعروا به ونز! بهم من البلاء
والذل ما
لا يوصف . فابى أحد الناس غنيا كان أو فقيرا لا بد وأن يكون من ذوى
الصنائع
أو الحرف فليزمه دفع ما وزع عليه من حرفته أو في حرفتيه واجرة داره
أيضا سنة
كاملة فكان يألط على الشخص غرامتان أو ثلانة ونحو ذلك وفرغت
الدراهم من
عند الناس واحتاح كل الى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشفل كل
فرد بشأنه
ومصيبته فلزمهم بيع المتاع فلم روجد من يشترى واذا أعطوهم ذلك لا
يقبلونه فضاق
خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه ثم وقع ا اترجي في قبول

ان زرع المرارة والأحقاد على هذا النحو لا يفيد الا المحتل الأجنبي .
كذلك لا
يمكن أن نجد مصلحة قومية في (قدام مؤرخ على اعتبار الفترة التى
شهدت تحريم
ركوب البغال على المسلمين ، يعتبم ها بداية التحرر ، وفجر
الديموقراطية ، وبداية
القومية المصرية ! وما دمنا نقبل شهادة الجبرقي بدون تحفظ فلا بد من
التسليم بأن
تحاولة خبيثه كانت تجرى لاثارة الغوائز الخاطئة عند الأقليات ، وتدمير
الصلات المتينة
التي جمعت عناصر الأمة المصرية طوال القرون التي سبقت إلعزو
الصليبي الجديد:
وتطاولت النصمثرى من القبط . والنصاري الشوام على المسلمين "
بالسب
والضرب . ونالوا منهم اغراضهم واظهروا حقدهم . ولم تيقوا للصلح
مكانا
. " وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وايام الموحدين
وامام هذا الهول النازل بالقاهرة ، هاجر اهلها هربا الى الريف " وكان
ممن خرج

. " بالمكثتبة وتحالغ في ذلك لتشوقه الى مصر
وهكذا نرى من كنالاته مدى تأثر الجبرلط بالدور الحضاري للحملة
الفرنسية،
أما الشيخ " حسن العطار " ضد خالف بزانين الهجرة في مصر فهاجر
من القاهرة
الى الصعيد معاندأ المثل المصري " بحر سنة ولا تقبل يوم " فقد اتجه
"هر الى " القبلي
ثمانية عشر شهرأ هربا من الحضارة الفرنسية : " وما كنت أوثر أن يمتد
لى الزمان
حتى أرى الاسفار تتلاعب !ط كالكرة في ميدان البلدان . حصل لمط
القهر بخروجي
. " من القاهرة
ثم ان اهم! الفارين رجع الى مصر لضيق القرى وعدم ما كعيشرن به ! "
ا
وانزعثح الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل وبالنهار والقتل
فيما لينهم.
وتعدى القوي على الضعيف واستمرت الطرق مجفرة . والأسواق
مضره . والحوانيت
مقفولة . والعقول نحبولة . والحانات والوكائل مغلوقة . والنفوس
مطوقة والنرامات
نازله . والأرزاق عثطلة . والمطالب عطمة . والمصائب عميمة .
والعكوسثت
مقصودة . والشفاعثت مردودة . واذا أراد الانسان ان يفر الى ابعد مكان
وينجو
بنفسه . وررضى بغير ابنثء جنسه لا يجد طريقاً للذهاب وخصوصا من
الملاعن
الأعراب الذين هم أقبح الأجنثس وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة
فالأمر عكل
والخطب جسيم ولا حول ولا قرة إلا باللة العلى الطيم ، " وكذلك أخذ
رلك اذا
. " اخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد
وفي عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودي (أول وزارة "
للمالية !)
الى بيت القيسرلمط بالميدان ووقع التشديد في الطلب والانتقام بأل!
. سبب "39
ولنعرف أي هول نزل لالقاهرينن ، يجب ان تعرقت ان كليبر فرض على
القاهرة
غرامة 12 مليون فرنك بيما بلغت كل ميزانية الحملة الفرنسية التي
اعتمدتها الحكومة
. الفرنسية 9 ملاينن من الفرنكات .4

بحسعب اغراضهم ، وما ينهيه النصارى من الغاضهم فيحكم !م بمراثه . ويعمل برأول واقيده . ويأخذ فهم الكثر ، ويركب في موكبه و!سر ، وهم مرثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعوضهم السجونات ، ويطالبوضهم ، بالمنهوبات ، ويقرروخهم بالعقاب والضرب ، و!سألوضهم عن السلاح والات الحرب ويدل لعضهم على بعض ، فيصعون على المدلول علهم اتضا القبض . وكذلك فعل مفل ما فعله اللعين الآغا ، وتجبر في افعاله وطغى ، وكثير من النش! ذبحوهم ، وفي بر النيل فذفوهم . ومات في هذين اليومنن وما بعدهما أهم كثرة لا تحصي عددها . إلا الله "ا 4

والمدرسة الاستعمارية تحاول طبعا التركيز على " برطلمن " " والآغا " " وشكر الله " .. لكي تستر عار يعقوب . ولكن يعقوب ثريك كامل المسئولية في كل ما أرتكب ضد المصرتن بعد ثورة القاهرة المانية من أعمال الابتزاز الوحشي ، ا و امحتصار الليمونة ؟ كان كليبر يتباهى.

ا

ؤلى " كليبر " حكم ممعر وقيادة قوات لإحتلال بعد عودة " نابليون : إلى فرنا . وفي عهده وقمت نورة الفاهرة

محاولة تمؤيق ال!حد!

تنفرد حضثرتنا بتعالد وتنوع واستمرار الأقليات في اطارها* .. وحيثما تلفت فى
حريطة العا لم ، فستجد ان الأقليات التي عاشت عبر القاريم ، وازدهرت ، ونجت،
هي تلك التي أسعدها الحظ فكانت لط البلدان التي حكمها المسلمون . ففي الحضارة
الإسلامية عاشت كل الأقليات واؤدهرت وتخطمتا كل مخاطر الفناء التي تعرضت
لها الأقليات في الحضارات الأخرى . وقضية الأقليات ككل ظاهرة يمكن أن تكون
عنصر قوة أو عامل ضعف تبعا لمنحنى الحضارة العام " ففي فترات التألق يصبح
تعدد الأقليات عاملا من عوامل الازدهار بما يمنحه من تنوع وتناف! وتكامل فتعطي
الجماعة خير ما عندها ، وفي ضرات الاخهيار العام تصبح عبئا ثقيلا وثغرات خطيرة
يمكن أن ينفذ منها الخصم.
وبالنسبة للأقباط المصويين ، فان وضعهم يحتلف عن سائر الأقليات في العالم
كله ، وذلك يرجع بالدرجة الأولى الى تاريخ الكنيسة القبطية كأعرق وأقدم كنائس
العالم وككنيسة مستقلة ، لا تتبع أية كنيسه أوروبية ، بل إن تاريخها قبل ظهور

* قبل ظهور المجتمع الأمريكى الذى هو في الحقبقة تجمع أقيات هاجرت من

الصحراء عشر سنوات كاملة ، من تنكيل وبطشى كنيسة الدوله الرومانية ، لم تعد
الى كرسى البطرررركية ، ويأمن على نفسه ، ويستقر الا بعد الفتح العر! ، ولسيوف
المسلمين وفي حمايهم . بل لعد وضع هذا الفتح ، نهاية المذالح والاضطهادات التي
شنتها أوروبث على اقباط مصر طوال عصر الشهداء . فالدوله الرومايىنة الوثنية شنقت
وذبحت وأحرقت الأفباط المصرتنن طوال ثلاثه قرون . والدولة الرومانيه المسيحية
قامت بنفس الدور مع قسرة أشد وتنكيل أبشع ، ضد الأقباط المصرتنن نفس المدة

: يقول الدمحعور حسين فوزي
والذي لا يعرفه الا قلة من المصرتين - وما أقل المصرتنن معرفة " -بتاريخهم
هو أن أجدادهم القبط تعذبوا واضطهدوا على يد حكام بيزنطة المسيحيين ، اشد
بكثو ممث عرفوا من مهانة وتقتيل واستشهاد ايثم الامبراطرة الوثنيين ساديرس ودقيوس
. " ودقلديثنوس ، لا لسبب الا لأنهم حرصوا على ضيدتهم المسيحية 42
ويلاحظ - بذكاء - ان المصرتين المسلمين والإقباط يجمعون على طبيعة واحدة
. . للمسيح .. ويخالفون بذلك - معا - الكنيسة الفربية
ويقول الدمحعور " وليم سليمان " : " وعاشت كنيسة مصر وشعبها من جديد
وبعد حوالمما مائه عام فقط من سلام " قسططين " تحت وطأة - اضطهاد عنيف
متواصل تنظمه دولة تصف نفسهث بأنها مسيحية ، ويشترك فيه وينفذه الاسافقة
المعينون من قبل الامبراطور البيزنطي ، ويفوق ما كان يصنعه الامبراطرة الوثنيون
الذين جاعوا قبل قسطنطين واستمر الوضع على هذا النحو الى ان دخل الإسلام هصر
. (عام 0 64 ء 03 1
و لم تنس كنيسة مصر هذه الحقيقة من تثريخها قط . وهى تذكر ابناعا " اثناء
اجتماعات الصلاة الدورية بما لاقاه ابثوهم على يد الملكانيين الذين -

ولم ينع! أبناء مصر قط الدرس الذي تلقوه من الامبرطورية " الرومانية
المسيحية . وحين جاءت جحافل الغرب تحمل شعار الصليب رأى ! هم مسيحيو
مصر كتائب جديدة من الجند المسيحيين الذءفى عرفوهم جيداً من القرن الرالع والذين
. " خاض! خيولهم في دماء اجدادهم حتى الركب
والحق ان الحروب الصليبية - لعكس ما قد يدو - قد اكدت ارتباط " المسيحيين العرب ، والأقبثط بالذات ، باخواضهم المسلمين ، لأنها أعادت الى الذاكرة
القبطية الموقف الظالم للكنيسة الأورولية منهم ، فقد عامل الصليبيون المسيحيين
العرب كرعايا من اللرجة الثانية ، واعتدوا عل كنائسهم ورهبانهم بل " واصدروا
أموا بمنع الاقبثط من زيارة القبر المقدس "44 . وانتزصا درو السلطان منهم و لم تعده
ال!م الا صلاح الدين فسموه باحمه " درو السلطان " " يفول جاك تاجر انه " لما
احتل الصليبيون القدس منعوا النصارى الممرلنن من الحج الى هذه المدكة بدعوى
انهم ملحدون . ومحعب أحد المؤرخين الاقباط يشكو من هنه المعاملة قاتلا : لم يكن
. حرن الأقبثط بأقل من حزن المسلمين " 4
هذا بينما يقرر الرحالة " ناصر خسرو " في كتابه المشهور سفرنامة أنه عندما
زاو مصر 035 1 م تجل وصول الصنيبيين الى الشام بستين عاما تقرر أن أغنى رجل
قي مصر وقها كاد نصرانياأ
:ويخلف! وليم سليمان من تتبع تاريخ الكنيسة القبطة الى
لقد أدى حرص الأقباط عل عقيدضهم ويان كنيسهم ، الى رفض " كل دعوة

ويفسر " جاك تاجر " كراهية الأقبثط المصرتنن للافرنج الى " ربط الأقباط بين
الافرنج - الأوووبيين فيما بعد - والملكيين . . ومن الطبيعى ان يعتبرهم الأقباط خلفثء

ولعل هذه الطيعة الخاصة للكنيسة المصرية يضاف اليها العامل الجغوافي الذي قلنا
إنه فرض وحدة المصريين . وهو جغرافية مصر ، الأرض السهلة المنبسطة المرتبطة
بالنيل من اسوان الى البحر ، والتى تخلو من الجيوب الجغوافية ، التى تسمح بتقوقع
الاقليات في!! ، فشعزل بنفسها عن الاخرين . بالعكس عندنا كانت فرى المسلمين
والمسيحيين متجاورة ، وبيوخهم مختلطة داخل القرية الواحدة والمسجد بجرار

يقول وليم سليمات : " وثمة حقيقة مؤكدة في تاريخ مصر ، هي ان الدين لم يكمت
مؤهلا أو مانعا لتوفي وظيفة عامة الا بعد دخول الانجليز " ويقول : أ ويكاد الانسان
ييصر تحث ثياب شيوخ الازهر الذفى تصدوا للفرنسيين رغم ادعاء نابليون باعتناو
الاسلام آ شخص بنيامين .البطريرك القبطي ومعاونه ثم خليفته أغاث وهما يقفان في

لا شك ان فترات عصيبة قد مرت بالمصريين مسلمين ومسيحيين . ولا شك
ان اضطهادات قد أنزلت بالاقباط كاي طائفة اخرى بالمجتمع . ولكن ذلك كان
في عصور الانحطاط . وكانت اضطهادات ينزلها بالشعب كله أعوان الحام المستبد
من المسيحيين والمسلمين ، ولكن التاريخ المصرى نظيف تماماً من %ية مذابح على
مستوى الجماهير بسبب من الطائفية . وقبل اعملة الفرنسية كان الأقباط يشكلون
ابطاز المالي للدولة ، ويحتل اكابرهم في القاهرة وعواصم المديريات مكانة بارزة لا
ن!!ها علرثم مواطنوهم ** ، جقو! ا!رافعي " زشا!ك ا الأقباص أخو اض+ا المسلم!! فب!
الزهـاعة والصناعة والتجارة ، وتخصمى الأقباط في الاكمال الحسابية والماليه فعهد اليهم
البكوأت الم!اليك والكش!اف بتحايل الضرائب ونفديرها وتوزيعها عل الأطيان
ألحاصلات ، فكانت فم في هذه الناحية من 61 ارة الحكومه سلطة طلقة لا ينازعهم!
هاجمر أ! المرب وزوجه ابرأهيم وأم -إحميل ، ممرية ، 9 كدلك مارية ام سيدنا ابر اهم مر. ! "
. ! صرل فيدله
ول !وم ! لى سه اد"لب كأ ممفجله ر ارر:ب !ر الوربر ا! ، ل لي !صص مسبحياا . . وهر ما *
لم محفثنه ألإتلبات الآورو لية

فها مناؤع ، ذلك ان بأيدي الصياوفة سجلات الاطيان والضر!تب في الخرى ، وإليهم
تقدير ما محلى كل ذي مال من الضرلعة ومعرفه الأطيان المزروعة والبور
أي ، ما يؤخذ عها ا-لخراج وما لا يؤخذ ، وليان من دفع من ا!فلاحين ومن لم
يدفع ، وكانت سلطتهم في هذا المجال مطلقة لا رقابه عليها ، وما يثبتونه في دفاترهم
حجة لا جدال فيها ، وروساوهم يسمون " المباشرين " وهم أصحاب النفوذ والسلطة
عليهم . وكان هولاء المباشرون هم وكلاء الممالعك وكبار الملتزمين وقواماً علهم في
ادارة املاكهم وتحصيل الضرات! من الاطيان الداخلة د! التزامهم ، فكان لهم نفوذ
كبير في ادارة الحكومه وسلطة لا منازع فيها في القرى ، ورئيسهم يسمى " كبير
المباثرين " وله نفوذ عظيم لستمده من اتساع أعمال وظيفته وتفرعها في الأقاليم
وسلطته محلى من تحت يده من المباشرتن والصيارفة والكتبة والمسعاحين ، ووصل
بعضهم الى ارفع مراتب النفوذ والجاه ، كالمعلم رزق والمعلم ابراهيم ا! وهري وأخيه
سجس الجوهري . فالمعلم رزق كان كاتب سر علي بك الكبير ومدير- حسابات
في عهده وكان بمثابة مستشاره ومرجعه في شئون الدوله ، فكان له مق النفوذ
والسلطة مالى يتوافر لاحد من رجال الحكومة . وخلفه في نفوذه المعلم ابراهيم
ا!وهرى . دممره الجبرلط في وفيثت سنة 9 0 12 هجرية (1795 ميلادلة) فقال
محنه إنه " رثيس الكتبة الاقبثط بمصر . وافه ادرك في الدولة بمصر من العظمة ونفاذ
الكلمه وعظم الصيت والشهرة . فكان !و المشار اليه في الكايات وا- لجزئيات حتى

* لاحظ أن اضهر قبطي يثتوث في اللقب (اءوهرى " مع أكبر مايخ الممر واس!زهم لمحتراما .. وهى ملاحظة
[illegible]

يوسف باشا والعثماذش وقدموه وأجلسوه لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى
كانوا يسمونه جرجسى أفندي ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو (والي مصر
من قبل الدولة العثمانية بعد جلاء القرنسيين) بجانب ثريف أفندي الدفتردار ويشرب
بحضرتهم الدخان وغره . و-ساعون جانبه ويشاورونه ني الأمور . وكان عظيم النفس
ويعطي العطايا ويفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية
والسكر والأرز والكساوي والبن ويعطي ويهب ، وبنى عدة بهوت بحارة الونديك
والازبكية وأنشأ دارا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتر دار الان ويعمل فيها-،لياسا
وابنه الان الدواوين عند قنطرة الدكة . وكان يقف على (محمد على) أبوابه الحجاب
والخدم " .
وفي " ريعو " ان الأقباط كانوا بوفرة في جيش مراد الذي دافع عن " القاهرة "49 .
هذه هي مكانة الأقباط في المجتمع المصري ، ليعست هناك حدود طائفية بالمعنى
المفهوم في الحضارة الغربية . ومن ثم فباطل الزعم بأن الحملة الفرنسية ، أو ا ن
الاشمار الغربى قد غير من وضع طوائف مضطهدة ، أو أنه حقق مساواة ما لين
هذه الطرائف . بل بالعكس قد اخ!عل تناقضأ غير حقيقى ، وعرض هذه الطرائف

* هدا مو الرأى الدى رصل ايى " جاك تاجر ! في كتابه الصادر عام 1951 م " أتجاط وسلموذ " إذ يقرث : رلر
أن عداء بونابرت للأتجاط لم يذب به إلى حد الاضطهاد ، فابه على أى حال لم يكن رفيقأ بهم . كاذ يقول ص الأتجاط
" إنهم لصوص مكروهون في البلاد كير أنه مجب صاعاتهم لا!م يعرفرن الاصرل العامة لادارة البلاد ، " وفي 24 أغسطى
عام 1799 م كتص إلى كليبر " بهت مرمعأ بى سارت الأمرر صيرها الطيعى ، أن أضع نظدا للضرائب مجملفا نتعني
تقريا عن حدمات الأقاط . " بل ربلخص " حاك تاجر " تائح الحملة الفرلبة بقوله " وباخنصار فإلى الأقاط كالرا

مسيحية " وتقع جنوب مصر وتسيطر على النيل ويمكن ان توجه طعنة قاتلة اليها
ويكتشف الاستعمار الغرلى ان هذه الدولة تدين بالولاء لكنيسة " مصر " ويحاول
لويس الرابع عشر ان يجتذب عدداً من الأولاد الأقباط لتدريبهم في فرنسا ويفشل
؟ يؤكد " وليم سليمان " في افناع عائلة قبطة واحدة بارسال اولادها الى بارتس . .
وفي تقرير كعبه ليبنتز الى لوي!الرابع عشر يغريه بفتح مصر فهناك " تحسبون عطف
الممسيحية وتستحقون ثناءها وهنالك لا تخسرون عطف أوروبا بل تجدونها مجمعة عل
الاعجاب بكم " . ورغم كل ادعاءات نابليون (الطبعة الثورية من لويس الرابع
عشر ! وعمامته ومسبحته فقد كان في نحططه الاعتماد على عنصر الطثئفية ني ا!كين
لاحتلاله ، مستفيدا من أخطاء وفشل الحروب الصليبيه في هذه النقطة بالذات . .
فنابليون كان أذكى من ان ئخطىء فهم طبيعة جملته وامبراطوريته المنتظرة ني
الشرق .. فهنه الحملة ما كان لهث أن تأمل في كسب الأغلبية ، ولا أن تعمل على
دعم الوحدة الوطنية العربية ، بل إن استمرارها ونجاحها يعتمد بالدرجة الأولى على

وهذا ما فهمه أحد لمملاء ، ققدم به ، لركية طلب اللجر 6 الذي تقدم به رفاق يحقرب .. فقد محب نمر افندي
في 18 صشر 1216 هـ (1 180 م) الى تالكلان وز!ر خارجية فرنا لكي " يتففل ويضع هرلا6 المهاجرين ق بهت"
كتب يقول له مغرياً بذلد : " كان لوي! الرابع عثر !مل في الظدر لضم كية الحثة للبهسة الرومابة ، ولكنه
كان يمى في الواقع لمد لفوذه الاسي نحر أقلبم أفر!يا الو!ى الجنابة ، فبذل جهوداً كثكلة ككل مئرة لعلم لي فرنا

باستخدام أسافل غير المسلمين كأدرات للتنثيل !ساب السلصةأ الفرنسية . ثم
التدخل إذا ما اشتكى المسلمون لانصافهم رإنزال العقاب بالموظف المسيحى ! أ و
.وضع حد لتبج!ع المسيحيين أ ؟ كتب نابليون لكليبر "
بعكحع! ادعاءات المدرسة إلاستعمارية ، نجد ان صنوات الحملة، الفرقسية فد
شهدت من عواما! ئمزق الوحدة الوطنية ما 4 تعرفه مصر في تاريخها قط .. الا
بعد ماتة عام وعلى يد استعماري قارخ هو الانجليزي " غورست " .. اسلا ا ن
سحقت محاولاته الحركة الوضنية التى قادها مصطفى كاما! ضم محمد فريد وبلغت
. . ذروتها في ثورة 19 بصرف النظر عن قيادتها
وقد وصل الحال في مصر ايام الحملة الفرنسية الى ان احتاجت الدوله الى اطلاق
المنادي قي الشوارع : " كل من تشاجر مع نصرافي أو يهردكط ، يشهد أحد الخصوم

وقد استعان نابليون في البداية بالنصارى الأروام والنصارى الشوام .. لأن نصارى
الأروام الذين كان نائب وزير خارجية تركيا (الريس افندي) منهم بصفة دائمة،
لم يتخلصوا قط من عصبيتهم وعداوتهم . وكانوا على استعداد لخدمة المستعمر والقيام
له بدور السمسار ، وهم ذاتهم كانوا اداة المماليك ، ولكن ترحيبهم بالمستعمر
الأجنبى كان أشد .. أو قل إن مواهبهم في التنكيل والابتزاش كانت تتألق في ظل
.هذا المستعمر الأجنبى
وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقلونجية الذين كانوا مع مراد بيك "
وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم في عسكرهم وزيرهم بزيهم واعطوهم أسلحة
وانتظموا في سلكهم " . وفوات " برطلمين ينى الرومى رئيس عسكر الأروام "
كانت تتكون من : " اروام وقبط والمماليك المنضمة اليهم وبعض فرنساوية "1 .
اما النصارى الشوام فبعضهم كان على علاقة بفرنسا منذ لويس الرابع . عشر . .
وسرعان ما التقص هؤلاء بعض دا الأسافل " المصريين من الذين كانوا في خدمة

الرشو! والاختلاس . حتى أن ! يعقوب " لم يكن يتورع عن اقتحام الكنيسة محلى
!ظهر جوادهـشاهرأ سلاحه
ومن ا!طأ الفاح!ق ان نجعل موقف النصارى الشوام أو الأقحاط المتعثونين مع
الاحتلال صوقفا عاما ، إذ إن نصارى العثمام الذين كاخوا في مصو أو الذين جاءوا
محندما محعوا بأنباء ا!ملة أو الذل!ن أتتت -ثها جيوش نابليون ، والمه!م كليبر من
بثويسى ، هم من " كمة "سدود الدي يقحع ع! القرلق ! ، و!م كم! اجريون لا تربطهم
يا!طهير أية صلة ، يستمدون وجود!م وحمايتهم ومكاسبهم من خدمة السلطة . .
أى سلطة ، وهم بارعون في كسب ود هذه السملطة من خلا)لا أي منفذ يتاح لهم،
وهم مع الأقباط والأروام والمسطمين الذلين يعيعشون في العاصمة حول السلطة
ويقومون !ا بالأعمال القدرة ، ليسوا الأ الطبقة السمفلى من جىهاز الدولة أو الحذاء
الذي تخوض به السلطة في أوحالى القمع والجباية . و!ؤلاء الذين يلتفون حول السلطة
لا يمثلون بائة حال مشاعر أو اتحا!ات أو مصاع الشعب القبطي .. لا يمثلون
الفلاحين الأقياط في إلريف الذين كانوا ئعتصرون الى جايب اخوانهم المسلمين بلا
تمييز . بل والذتق يستحيل تمييزهم !ت الفلاحين المسلمين .. ونفس الشيء بالنسبة
لابن المدينة القبطي . و! الأحماء القبطة التي لمعت في خدمة الفرنمممي! ، وحاولت
هي وحاول الفرنسيون ، ؟ يحاول المؤرخولأ المعرضون اليوم ، ان يفسروا هذا
التعاون بالتقارب الديني . كل هذه الأسمماء كانت تقو! بنفس العمل لحساب المماليك
المسلمين ، ولو بفجور أقل ، وهو طبيعي في مجتمع مسققل مستقر . فالعامل الديني
. لم يك! الا وسيلة لتحقيق مكاسب مادية ، ووسيلة ارتزاق
وتاويخ الحملة الفرنسية يؤكد ان الأقباط قاتلوا في الصعيد ، معقلهم وقتها ، ضد
الغزو الفرنسى الى جانب اخوانهم المسلمين ، ولي!ر في تاريخ الحملة الفرنسية

محلية ، ولكن فرقه الجنرال د-فيه هي التي اضطرت أن تواجه
حركات حربية
حقيقية "2 . " ويقول الجنرال بليار في يومياته " ان كل القرى
التي نجتازها نجدما
خالية من السكان لأنهم يخلرن قراهم قبل أن نصل اليها " . وفي
رسالة الى الجنرال
ديزيه عن معركة أبنود : ان جمهع القرى تقفر من السكان كلما
اقتربنا منها . ولا

فاذا عرفنا أن اكبر نسبه من الأقباط كانت في الصعيد ، استحال علينا ان
نتصور
وقوع هذه المقاومة العنيفة ونجامحها واستمرارما اذا ما افترضنا ان مذه
النسبة الهائلة
من السكان قد وففت ولر عل الحياد .. بالعكس وقائع التاريخ تؤكد أنهم
قاتلوا
جنبا الى جنب مع مواطنحم المسلمين ، ضد جيو!ق الروم الجدد ،
وتعرضوا معهم
. لكل صنوف التنكيل والابادة
وما من منصف يستطيع اتهام الجبرقي بالتعصب ، ولكنه كمؤرخ أمين
يتميز
بتعبيره الصادق عن احاسي! عصره ، دون أن يفسدها او يشوهها بموقف
فكري
سابق أو لمواجهة موقف فكري لاحق .. لذلك يسجل " الجبرقي "
الظواهر الطائفية
المؤسفة التي نجح الفرنسيون في خلقها . والغريب ان الجزء الثالث من
تاريخ
الجرقي " - الذي يفترض فيه وفقاً لنظريات المدرسة الاستعماركة أن "
يكون متأثرا
" بالليبرالية وروح الثورة الفرنسية - هو كثر الأجزاء حدتثاً عن " النصارى
وافعالهم " . . وذلك بتأثير المناخ الفاسد الذي خلقه الاحتلال الفرنسى ، "
في محاولته
شق وحدة الأمة ، وخلق طابور خامس تعتمد عليه أداة الحكم الاستعماري
.. لذلك
يخد " الجزء الثالث " حافلأ بحدلث النصارى والاستفزازا! ، سواء ما كان
منهث
مفصودا ، أو ما ظنه المسلمون استفزإزا بفعل الحسثسية المتفاقمة
عندهم .. أو حتى
بفعل عناصر مندسة .. فنلاحظ مثلا في الحادثة التالية ان الذي تثرما هو
ترجان

اليهم السيد عبد الله المذكور فأحضروه وحبسوه " و لم يطلق صاحه إلا بعد ان دفع
ممتة الاف درهم زعم النصرافي الشثمى انها كانت بجيبه وفقدت وقت الحادث ! .
ورغم ان الحادثة بين نصرالط شامي وتربهان ضابط فرنسى . فلسنا بحاجة إلى الحديث
عن تأثيرها المحتوم على العامة ، ولا عن التفاصيل التي يمكن آن تضاف اليها في تناقلها
ورواياتها.

ان رجلأ صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقدع من لفظه انه قال السيد " أحمد البدوي
بالشرق والسيد ايراهيم الدسوقى بالغرب تقتلان كل من يمر عليهما من النصارى .
وكان هدا الكلام بمحضر من النصارى الشوام . فجاوبه لعضهم وأحمعه قبيح القول .
ووقع يينهما التشاجر ضام النصرافي وذهب الى دبوي وأخبره لالقصة فأرسل وقبض
على ذطث الصرفي وحبسه وعر حانوته وخغ على داره " ... واضح تحيز السلطة
الفرنسية ، وتعمدها اظهار هنث التحيز ، جاعة من الحمقى تبادلوا الشتاآ .. فلماذا
يقبض على المسلم وحده ؟ !
واتفق ان بعض النصارى الشوام نقل عن رجل ثريف يسمى السيد أحمد " الزرو
من أعيان التجار بوكالة الصابون أنه تحدث بذطث فاضروا باحضاره وذصوا له ذلك
ورد السيد أحمد الزرو الضربة بأن قال : " أنا حكيت ما ععته من فلان " النصرافي
فاحضروه أيضا " .
ان الحملة الفرنسية لم تكن فقط تشكل خطرا على الوحدة المصرية ، بل على
الوحدة العربية ككل ، وهو الهدف الذي تابعه الانجليز بعد ذلك . ولا شك ا ن
عاملا من عوامل ما يسمى " بنفور المصرتنن من الدعوة العربية " يعود الى خبرتهم
المريرة مع هؤلاء " الشوام " الذين كانوا اداة المستعمر الأجنعى والمستبد المصري من
نابليون ا! كرومر . .
ولط جملته على الشثم حرص " نابليون " على الضرب على الوتر

إ القومية العربية ! أو الدولة العلمانيه لالمعنى الليبرالمط .. بل على العكس! كان جيشه
. ، يهيج العامل الديني حيثما تحرك
و " هبرولد " شديد الاهتمام بابراز تعاون المسيحيين في الشام مع نابليرن : " وفي أوائل ابريل أنى افيون المسيحيون الى بونابرت ،.أن !ص 0 . .7 مقاتل من- اقليم
. " نابلس قد تجمعوا في الجليل 4
وفي الرملة (وصل اليها الفرنسيون في أول مارس) تبين ان الأهالى المسلمين " هربوا في اليوم السابق ، وان المسهحين بها ليرحبوا بالفرنسيين
وقوبل الفرنسيون بفرح عيم - من الأهالمط المسعحيئ . وأنفق الجنرال "
. " بونابرت وضباط أركانه الليل في دير الناصرة 6
وآلاف المسعحض والدروز في ارجاء فلسطبن كلها أمسمرا على الانضراء تحت "
. لوائه ا) 7 د (نابليون)
ان عدداً من ات الفلسطينيين شاركوهم (أى الفرنسيين) تقهقرهم هرباً "
. من انتقام الجزار "8
. . وهكذا كان جيش باعث القومبه العلمانيه .. يتقدم يصمبقه جراسيس من دينه ويتراجع يتبعه طابور منهماً
ويقول نابليون (نفسه .) ان فرح المسيحيين لا يمكن وصفه . فقد رأوا قوماً !
مق دينهم بعد فرون طريدة من الظلم .. وقد ظل هؤلاء ا!لسيحيود ثابتين على ولائهـم
. !حين تنكر له الحظ ، وقد أفاد منهم خلال حصار عكا كله "9
:وبعد ثورة القاهرة الأولى نلاحظ ان تشكيل الديوان أصبح من خمسة مشايخ
.ا لشر قا وى ، ا لمهد ي ، ا لصث وى ، ا لبكر ي ، الفيو مى
. ومن التجار : المحروقي وأحمد محرم
. ومن القبطة : لطف الله المصرى
. ومن الشوام : يوسف فرحات ومخاييل كحيل ورواحة الانكليزى

. ومعهم وكلاء وهباشرون من الفونسيس وموجمون
وثلاحظ ان الأفباط قد مثلوا بشخص واحد . ولكن هذا ا!ثيل المبالغ فيه
للنصارى الشوام ، ينفي حكثية بعث القومية المصرية . ففد كان الاتجاه عند
المستعمر ،1 الما اقامة شىء شبيه بالمجالمالبلدية الختلطة التي . سثدت المستعمرات
هذه المجالس التي كانت تتكون من ثلاث كاقا : الساد! البيض ، المواطنون من
الدرجة الثانية ، وهم طبقه مهاجرة تتعاون مع المستعمر وتعيش في حمايته ، ورغم
انها ليسـت من الجنس الأبيض ، ولا تتمتع باحترام المستعمويق البيض ، إلا أنها تتمتع
بقدر من الصفاقه يجعلها تحتقر السكان الأصليين ، وتتصور نفسها أرقى فهم مع
قدو مق الذلة يجعلها تقبل العمل عند المستعمر كأداة . أما الففة الثالثة في قاع السلم
فهم - بالطبع - أهل البلد.
و لم يكن للنصارى الشوام في مصر ، لا العدد ولا المصالح التي تسمح أو توجب
تمثيلهم بهذه النسبة في الديوان الداممم ، الذى بهذا الق!ثمكيل لم يكن يعبر لا عن
الضعب ، ولا عق تحاولة تدريب الشعصه على حكم نفسه ، بل كان تحاولة لتحويل
مصر الى مستعمر! أفويقية نموذجية وتحريل شعبها الى مواطنين من الدرجة الثالثة.
وقي احتفثل أول وفاء للنيل بعد الاحتلال ، الموافق 5 ربعالأول 1213 هـ
قاطع المصريون الاحتفال - وفاء النيل - (أعسطس 1798 م) وكانت حالهم
لا تسمع بالتنزه ؟ جرت العادة . ولكن الديدان التي تحيط بجيعث! الاحتلال تحدت
: الحزن العام
أما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه لط المراك! " ع! العادة سوى
النصارى الشوام والقبط والاروام والافونج البلديين ونسا!م وفليل من الناس البطالين

وجلسوا حصة من النهار ولبسوا في ذلك اليوم ملاس الافتخار ولبمى المعلم جرجس
الجوهرى كركة لطرز قصب عل كتافها الى أ؟مها وعل صدرها ئهسات قصب
بأزرار . وكذلك فلتيوس وتسوا بالعماكم الكشميرى وركبوا البغثل الفارهة
. " وأظهروا البشر والسرور في ذلك اليوم الى الغاية
وسكن بوسليك مدبر الحدود ببيت الثيخ البكرى القديم ويجتمع عنده "
. النصارى القبط كل ووم "61
النصثرى الشرام والافرنج البلدّتين وغ!هم ضاروا يعملون عليهن " ارماصات
وتحويفات "62 (على نساء الغائبين لعدما فرض نابليون علهن
. النرامات)
وفيه وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المنرثط التاجر الطرابلسي ومر " انه كان
بينه ولين بعض نصارى الشرام المترجمين منافسة فأخهى الى عظماء الفرنسيس انه ذ و
. مال وانه شريك عبد اللة المنرثط تابع مراد بيك فأرسلوا بطلبه "63
لذلك نجد ان ثورة القاهرة الأولى لم تنهب الا " دور النصارى الشوآم والأروام
. " وما جاورهم من بيوت المسلمين عل ا!ام 64
والجبرقي حريص - رحمه اللة - عل نفى الدافع الطائفي بل وتأكيد العامل
الوطني لسلوك العامة ، فهم لم يهاجوا الأروام ونصارى الثعرام الا بسبب انتسابهم
للفرنسيين ، بل ويشير الى ان بيوت المسلمين نهبت أيضا مما ينفى شبهة الطائفية.
تأمل عبارة الجبرقي التى كتبت قبل اكثر من ماتة وستين عاما:
وتحزبت نصارى الشوام وجماعة أيضأ من الأروام الذين انتهبت دورهم " بالحاره
الجوانية ليشكوا لكبر الفرنسيس ما لحقهم من الرزية واغتنموا الفرصة في المسلمين
وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب وكأنهم شاركوا الافرنج في
النوائب . وما قصدهم المسلمون وبهوا ما لديهم الا لكونهم منسوبين الهم . مع
ان المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الزعر أيضا وسلبرهم . وكذلك -ان الملاتات
المعلوم الذي عند باب حارة الروم وفيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين فسكن

البلدفى " لكي تحدث الانشعقاق المطوب . بعد أن جربت الاستعانة بكافة الاقليات
سواء النصارى العثولم والأروام .. او بعض الجاليات الإسلامية التي جرى تجميدها
والحافها بجيعثى الاحتلال . وكان ان طفح عند السطح أمثال " !قوب " و " شكر
.الله واضرابهما " وبدأت الاصطدامات مع مذه العناصر
وانضم الههم الاسافل من القبط والارذال من المضافقين وتقربوا " اليهم بما يستميلون
قلوبيم به وما يستجلبونه لهم ان المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم في التشفي من
لعضهم وما يوجب الحقد والتحاسد الكامن في قلوبيم الى غر ذلك مما تتعذر ضبطه.
. وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون " 6 "
و لم يقتصر الأمر عل استغلال الدفى من جانب الاقليات غر المسلمه ، للتقرب
الى المستعمر والحصول عل مغانم العمالة . بل ان بعض المسلمين اقتنع - بواقع
الحال - أن السبيل الوحيد لنيل ثقة السيد الجديد ، والحصول عل خعات السلطة،
(هو الخروج من الإسلام واعتناق دتن النزاة
ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام والهود " وركوبهم الخيل
وتقلدهم بالسيوف . بسبب خدهتهم لفرنسيعى . ومش!هم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش
القول . واستذلالهم المسلمين . كل ذلك بمث كسبت أيديهم . وما ربك بظلام
للعبيد . والحال الحال والمركوز في الطاع ما زال . والبعض استهوته الثياطين ومرق
. والعيثذ بالثه من الدين . ولا حول ولا قوة إلا بالله "66
وأصبح سكان مصر حسب المنشورات التى تصدر عن الديوان بدون مشورة
منه أو علم مسبق في كثير من الأحيان هم : " فرنساويا أو مسلما أو روميا أ و
تصرانيا أو جهوديا "67
ان اخر ما يمكن نسبته للحمله الفرنسية ، هو الزعم بأنها هزت التصور الدتني
للوجود ، بالعكس تماما لقد نشطت هذا التصور الى اقصى حد . لقد كان الجبرقي

فل! تحققت هذه الأخبار كثر النغط في الناس واظهروا البشر وتجاهروا " بلعن
النص رف واتفق ان تشاجر بعض ألمسلمين بحارة " البرابر! " بالقوب من " كوم الشيخ
سلامة " مع بعض نصارى الشوام . فقا!! المسلم للنصرافى إن ضاء الله تعالى بعد
هـبعة أيام نشتافى منكم وكلام من !ذا المعنى . فذهب ذلك ا انصراف!" الى الفرنسيس
صع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة وزادوا وحردوا زعرفوهم أن قصد المسلمين
. اثارة فتنة "68
وبعد وصول الأنباء بسقوط " العريحم! لم في يد نابليون : ! أظهر ا اشصاري الفرح
زألسروأ. با ا 1 سواق والدور و؟ولموا قي بيوتهم الولائم وغير:! الملابم! والعماممم وتجمعوا
. ظهو وألخلاعة وزأدوا في القبح والشناعة 69،1
خرج النصاوى البلدية من القبطة والضوام والأروام وتا*هبوأ للخلاعة "
القصف . وخرجوا في تلك ا أطيله كن طورهم . ورفضوا الحشمة ، زسلكوا مسلك
الأمراء سابقا من النزول في المركب الكثيرة المقاذيف . وصحبتهم نساؤهم
وقحابهم . وشرابهم .وتجاهروا بكل تبيح من الضحك والسخرية
. والكفريات
ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تزيا بزي أًمراء مصر ولبن! سلاحاً وشبه

وانتشر ألشك ، وتبادا! المسلمون والنصاهـى

ولم لعلم من فعا! هذه الفعلة واختلق هذهـالنكتة . ولعلها من فعل " بعض
ألنصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم . وسبحان

أما بعد ثورة ا اقاهرة الثانية فقد تفاقم الأمر وأصبح الوضع

* تحا! جمع فحة وهى المومى.

ر ومدا 10 اضار اليه " حاك تاجر ا عدما قال : " ولما آل الحكم الى الحنرال كليبر لم يتردد!"
هدا ألقئئد في محالاه

إذ ركز الفرنسيون على اخضيار عناصو مخير مسلمة ، ووكلوا اليهم مهمة التنكيل
بالناس ، وتألق نجم " يعقوب " في هذا المجال حتى أصبح احمه يمثل كل الفحش
الاستعمارى ، والاستبداد الفرنسى والتنكيل الوحمثى بالجماه!هـ. ولا نظن أ ن
شمخصية أخرى قد تمتعت طوال القرن التاسع عشر بكراهية القاهويين ، مثل
يعقو!ب " الذى كان قد غرق له وفاز بتارص! دام في الصعيد ، "

وفي عمثـوينه (المحرم 1216 هـ! يونيه 1 ،18 م) توكل رجل " قبطي! يقال
له عبد الله هن !ف يعقوب بجمع طائفة مق الناس لعم!! المتاهـيس . فتعدى على
بعض الأعيان وانزلهم صت على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى
أس!ال دمه فتشكى الخا!! مق ذلك ا اعبطى وأنهوا قعكواهم الى بليار قاتمقام فأمر
. بالقبف! على !دك ا أقبطي وحبسه بالقلعة "72
وفي يوم الثلاياء سابعه نتدب للنميمة ثلاته مز، الئصارى ال!ثوام " وعرفو!م ا ن
المسلميز قاصدون الوثوب ع!! الفرنسي! النى يوم ا-ف!يس تاسعه فارسل فائمقام
خلف المهدي والاغا فأحضرهمأ ودكر فما ذلك فقالا له هذا كذب لا أص! ل له
أثإنما هذه نميمة من لنصار! كراهة منهم في المسملمين ففحص عمن اختلق !لك فوحدهم

النصارى ! وبقرر " جاك تاجر ، . " النصارى اعمدوا بعد أنتصلر حطيبر أن أركالى حكم الفرنيز= تد وصد ألى الأبدّ
. ! وأ+ سطلود اياده -ود مارع وتد اصتغلرا حظوة المجلى تغطرسوا ولمحرفرأ
وصة أحرى لا" ررهـمأ-ب " جال شاحر ، دط ألتعميم ، بل لعتقد أد هدا اللرك اتتصر على الديدان الانازية
ايى نعينر حوق الحلطة لى انقاهرة أما بين المر اطين العادلن وكرام الأقاط والمملعبن فإت المودة أ تقطع والمواصاة
تم" لأ جاء لى إحدى الغيمات الادارية المرلشة " أن الانجاط مما هم دط مصر إلا أنلية مكروهة م! المسلمبن لأكم يعملرد
عا! إثارة مدأ الحاتد عليهم .. ولبر من الحكمة بل من الخطر أن تحالص معهم ونمنحهـم الافيازا 9ت . دلث صحصر
هـ؟صاؤهم و!ؤصاء الأتين الرولالة والركأية حلسلت الديواد على أن يكون رايهم اسناريا ففط (

بل استطاعت السلطة ان تنقل الحقد على جرائمها في فهب وهدم بيوت المواطنين،
الى الحقد على النهازين للفرص الذين يستفيدون س هذه النكبات ، وان تعطى هؤلاء
النهازين صفة طائفية ، لكى تزيد اشتعالى، الفتنة وتعمق الانشقاق في الوحدة الوطنية:
فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهاممم وغررها والذي عصث عليهم " ضربوه ونهبوه
أيضا ونهبوا جالا :بهائم ممن لم تعص أيضا ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبعون البقرة
. " بريالين وثلاثة والنعجة وابنها بريال . فاشتري غالب ذلك نصارى القبط
فكانوا إذا دهموا دارأ وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم " ولا أخذ ضىء
من أنقاض دارهم فينهونها ويهدمونها وينقلرن الانقاض النافعه .ن الاخشاب والبلاط
الى حيث عمارتهم وأبنيتهم ومث بقي تسيعون منه مث احبوا بأبخس الأممان لوقود النيران
وما بقي من كسارات الخشب يحزمه الفعلة حزمأ ويبعونه على الناس بأغلى الأممان
. لعدم حطب الوفود ويماشر غالب هذه الافاعيل النصارى البلدية " 7
وبعد مقتل كليبر " انفلت عيار " التنكيل واستوحش الفرنسيون من المصريين
وأطلقوا حشراتهم وأذنابهم يفتكون بالمصرتن ويعمقون الجرح الوطنى . .
ونزل بالرعية الذل والهوان . وتطاولت عليهم الفرنسثوية وأعوانهم " . وأنصارهم
من نصارى البلد والاقباط والشوام والأروام بالاهانة حتى صاروا يأمرونهم بالقيام
. " اليهم عند مرورهم
شهر ربيع الثافي 1215 هـ- أغسطس 1800 م بعد مقتل " كليبر دا " فيه
اشتد أمر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصرافي قبطي يسمى شكر الله . فنزل
بالناس منه ما لا يوصف . فكان يدخل الى دار أى شخص كان لطلب المال وصحبته

* كانت بولاق تحتبر خارج القاهرة الى يذكرها

فدهى الناتر وتحيرت افكارهم . واختلطت اذهانهم وزادت وساوسهم وأشيع "
أن يعقوب القبطي تكفل بقبض ذلك من المسلمين و!قلد في ذلك شكر الله واضرابه
من شياطين اقباط النصثرى . واختلفت الروايات فقيل ان قصله ان يجعلها على العقار
والدور . وقيل بل فصده توزيعها بحسب الفردة وذطث عشرها لأن الفردة كانت
. عشرة ملالين فالذي دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار "77
هذه هي الشهور التي سبقت جلاء الفرنسيين وفي ركابهم " يعقوب " . وواضح
ان اخر ما كان يفكر فيه يعقوب في هذه الأيام هو استقلال مصر ، بل كان منثعغلا
في توزيع الفردة . ،ان اخر ما كان يخطر ببال مواطنيه هو الظن بأنه منشغل ببحث
استقلال مصر ! .. بل كانوا يخمنون ما الذي ينوي أن يفعله بهم لاعتصار اخر
قرش بجيوبهم ا .. لم يكن " يعقوب " يمثل لمعاصريه الا رمز الخراب والدمار والنهب
. . الوحشى لحساب المستعمر

وفي أول شعبان 1215 هـ- ديسمبر . .18 م حضر التجار الى الديوان 9

.وذكروا أمر المليون وان قصدهم ان يجعلوه موزعأ على الرعوس ولا يمكن غير ذلك
وطال الكلام والبحث في شأن ذلك . ثم انحط الأمر على تفويض ذطث لرأي عقلاء
المسلمين وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم في ذلك بشرط ان لاشداخل ! م
. في هذا الأهر نصرافي او قبطي "78
وأسكر الفرنسيون ما ظنوه النجاح الكاهل في ممزيق وحدة الأمة ، وما اعتقدوا
انهم غوسوه من الاحقاد التي لا شفاء منها ! فمضوا خطوة أبعد في تكريس انقسثم
مصر الى مسلمين وأقباط . " طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم
بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا الى الصعيد
. " فجمعوا من شبانهم نحو الالفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر 79
، والحقاتق المتاحة لنا تعزز افتراض جع هؤلاء الشبان - ؟ اسرنا - قسرا

.وتؤكد ان عقلاء وأكابر القبط ما كانوا راضين لا عن زيهم ولا عن سلوكهم

وهذا ما يقرره " جاك تاجر " لقرله : " الأتجاط لم يظهروا حماسأ زألداً في طلب تجنيدهم ، (*)
ملم تؤلف الفرفة القطية

. إلأ في عهد الجرال كليبر ولط ظروف حارجة شامأ عن ارادة الأ!اط ، 80
ويقرر - ؟ هو المفروض في أي مررخ يحترم نضه - " أن الجزال يمفرب أنكر وطه إن لم يكن
قالبا فقبا سذ
اللحظة التى كور الفرفة القطية . . وصرى من جهة أخرى أن الامة القبطة استقبت عمل الجرال
. يحقرب بفتور ، 81

ويجب ان نر!ى ادانتهم بجرائم العسكر الذ!ق " اضافوهم الهم " لأنهم لم يكونوا
ا!ز من اداة مغلوبة على أمرها . بل الجرم يقع على يعقوب وأمثاله الذين ساعدوا
عك تنفيذ هذه العملية " . ولكن لا جدال في خطررة الأثر الذي كان سيتركه هذا

كان " كليبر " يمضى في سياسه مرسومة واضحة هي تفتيت المقاومة المصرية التي
بلغ! ذروتها في ثورة القاهرة الثانية ، كان يعتصر الشعب بالغرامات المرعبة ، التي
لا تزالا تبعث القشعر!ة حتى اليوم عندما تذكر أرفامها ، وتذكر معها حثلة المصرتنن
المالية وقتها .. وفي نف! الوقت كان يتابع تمزيق وحدة الشعب .. وبذلل! لم تكن
مصر مهددة صط بالافلاس! والخراب المادي بل كانت مهلدة اذا ما استمر حكم
كليبر " ، بفتنة طائفية . مهددة بالتحول الى " هند " أخرى ... 9



صكل مع " ج! تاجر " في احتجاجه ، لان بحض الكتاب لم مرقرا ين موتف المحلم يعقرب وبير مرفف صالر 9 *

!!!آ إجمتا
إ---عبصئ!؟ص
ا،اا!أ 1 4 1
!آل
ك! ء)1 لم يم
أ ! !يئجم
ا !12/ لأ ا،ا! !
!ث!أ! !نبى

الفصوا لمجأج
!أ لال!ل
!حمدم!!لويع



نادرة ولكنها غر

وفي يوم السبت حادي عشرين المحرم 1215 هـ (يونيه . ،18 "
م) وفعت
. " نادرة عجيبة
وكان من المحتوم ان تقع ، لل إن تاويخنا كله كان سيبقى عقيما
. . ان لم تقع
فبعدما لطعق كليير بالمصريين " قتلا وحرفا وسبيا للنساء والبنات
، والغلمان
وبعدما اعتصر البلاد " كا يعصر الشرلتلي الليمونة " - على حد
قوله - بأن أفلسها
بالغرامة الوحشية ، وبعدما زرع الأحقاد التي تهدد وجودنا كأمة
موحدة .. ظن
ان ا!ليموتة المعصورة قد فقدت قدرتها على الحيثة .. وتحولت
الى نفاية .. فإذا
. . بالليمونة تعتصره هو ، وتقذفه الى الفناء
كان لا بد أن ترد أمتي الضربة

. . وقد كان
"قتله فتى من حلب في عمر انورود .. عمره 24 عاما .. نموذج " المجاهد
الإسلامى .. أو الثوري الشرقي ، الذي وهب نفسه للقتال ضد الاستعمارية
الغربية .. مؤيهدأ الوحدة العربية 1 قبل طهور " المتهومين " بيا وفها ، بمرن
ونصف قرن .. ولم تكن حادثة فردية بأية حال من الأحوال . بل هي من اعداد
وتنظيم ذلك التشكيل العجيب الذي ترد أخباره في شكل همسات متنشرة لط كتابات
المؤرخين . ذلك التن! الذى دبر ثورة القاهرة الأولى وأعدم منه نابليون ثمانين من

الطدة ! ! وكان من بينهم عدد من الشاء . ثم استطاع أن يجدد! نفسه ، ويعد
ألسلاح ، ويدبر إتصالات سرية ويقود " الثورة ألثانية " المجيدة . ويشوف عل قيادتها
. . خمسه أسابيع ، بنجؤ خلالها ما أدهق العدو .. وأذهل المؤرخين
هذا التنظيم استطاع أن يوجه ضربة رائعة و هدفها وإحكأمها . وذلك بتنفيد
اغتيالى 9 سارى عسكر " ، القائد العام لقوات الاحتلال في عملية هي الأولى في
ألشرق ، والفريدة في نوعها لقرن وربع قرن .. والتي تتميز حتى اليوم بضخامة
الهدف ، وبنجاح انعملية مع ضالة خسائرها بالنسبة للتنظيم الثور . مهما الذ! نفذهـا
فلم يمسقط إلا الخلية انتى باشرت تنفيد العملية ولم يصل التحقيق الوحشي لأكط
طرف خارج هذه الخنية،
هذه العملية أعدضيا احدى خلايا التنظيم في الأزهر .. وهى التي تعرضت للتحقيق
الفاسد ، الذممما أجرته قوات الاحئلاط وانتزعت به اضرافات . . باطلة فانونا
وسثمكوكا في صحتها لأنها انتزعت بالضرب والتعذيب الذى يفسد شرعيه أ ى
. قيق (حتى ولو كان ا اضرب وفقا نعواتد البلاد !)!
في هذه التحقيقات ان الشاب " الحلبى " ذهب الى ضابط تركى ! يشكو من
! " * الضرائب المفروضة على أبيه فطلب منه هذا خدمة صغيرة
اما ما هى هذه " الخدمه الصغيرة " ؟ ! فهى ان يقتل ! عـليمان الحلبى " الموجود
فى غؤة ، القائد الأعلى للجيش الفرنسى الموجود في القاهرة في

يحب الرجرع إلى الخليل الرطى الصادق عطبيعة هدا الخعين ثلا سرحيه : ا *
سليعان !بي " للكاتب ا ا!بطى
. " ا لمدع 0 9 ألض يد فر ج

ان هذا التطرف وهذه الحماسة مستغربان من اغاوا! العثملي .. ولكن هذه
لأسطورة تقليدية قي جميع التحقيقات الاستعمارية مع ا اسوطنيين ..(فلا بد من مؤامرة
جنبية ، ويد محركة ، وتحريض من الخارج ، ومبلغ من المالط يدفع!
أو يحسم ! الوطنى لايمكن أن يكون إلا قاتلامأجورا .. تحركه دولة أجنبية لقاء
مغنم شخصى .. ان هذه المقدمة ا اشقليدية لا تستحق أن نتوقف عندها كثيرا . بل
ان كبيرهم " كرمستوفرهيرولد " نفسه ، رغم موافقت! على حكاية الاغوين ، نر 51
مضطرا الى الاعتراف بالتلفيق : " والاعترافات التى تنتزع بالتعذيب ،تحتمل الشك
وأسكها أجست بالضرورة كاذبة . وسجل محاكمة سليمان لا يترك مجالا للشن! في
ذنبه واعراقه - بما فيه الجؤء الخاص بالضابطين التركيين اللذين كلفاه بهأه .
المهمة - وهو في أغلب الظن صحيح . أما المنطق الذي الصقت به المحكمة
الخاصة - المفحكلة كلها من الفرنسيين - السبعة النهائية في مفتل كليبر بالصدر
. الأعظم فمنطق زائف لا أسا! له في اعتراف سليمان " 5
وما !منا سلمنا بتحريض الاغوت فلماذا نفترض انهما يريدان قتل " كليبر لم
لحسابهما الخاص ، وما المانع مق قبول الرواية الفرنسيه كاملة ، التي تزعم اخهما حوضث
سليمان الحليي بتكليف من الصدر الأعظم "؟ ! ولكن الرواية كلها متهانتة
وفاسدة ، بإجاع المعلقين على ضرب المتهمين ، باستثمثء لويس عوض المعج!
بالمحاكمة كاملة والمعتذر عن ضرب المتهمين والمتطوع لاتهام سليمان بأنه قتل كليبر
باغواء وتمويل الدهب التركي!
وسليمان الحلبى كان 9 مراده يغازى في سبيل الله لم .. وهو فد اتجه الى مركز
ا إشورة . جث كان كل متعطش ا للمغازاة ! يعرف ان قيادة " المغازين . . أ هناك
أتجه إلى الأ*ز -ر ... حيث تلقته خلية من الشوام ، لازمته ، ملازمة تامة

* وما دأم " هيرولد " !رف! بالتزو! س جاب المحقمين فى بحض أجراء المحضر فكبف نميز

كان " سليمان الحلبي " خير من ينجح - بصرف النظر عن انه نجح فعلا-
في تنفيذ ذلك القرار المصري باغتيال كليبر ، انتقاما من أسلوبه الخسيس في اخماد
ثورة القاهرة الثانية ، والتنكيل والابادة اللذين مارسهما جيشه في

لم يكن ثمة رد من قبل التنكل الذي قاد الثورة الا الحكم باعدام " كليبر " (وهذا
التطور من المقاومة الشعبية المفتوحة الى العمل الارهاثط الفردي معروف وطبيعي لط
. (سلوك التنظمات السرية
ولا يمكن وصف علاقه " سليمان الحلبى " بالخلية الأزهرية بأنها كانت مصادفة
أو مجرد دردشة أخبرهم فيها بنيته في قتل " كليبر " . فليعى هكذا يغ اغتيال قادة
جيوصق الاحتلال . وكل الدلاثل تدل على أن الفرنسيين كانوا قد أتاموا جهاز مخابرات
. على درجة عالية من الكفاءة
بل لقد تعرض " سليمان " لامتحان طويل دام شهرا كاملا لم يقتصر بطبيعة
الحال على امتحان جديته وتقوية عزيمته بل تخللته بدون شك مراقبة دقيقه لتصرفات
وعادات المحكوم باعدامه ، واعداد لخطة التنفيذ وإجراء عدة تجارب تفسر هذا
النجاح .. إذ يستحيل على شاب قادم من " حلب " أن يعرف طرقات القاهرة ،
حتى لو كان قد قضى بها فترة من الوقت ق!بل هذه المرة ، خاصة أن خارطة القاهرة
تغيرت كثيرأ خلال سنوات الاحتلال وهو يأقي في اعقاب الدصر الشامل الذي
أحدثته ثورة القاهرة الثانية .. كذلك التسلل الى قصر القائد العام لقوات الاحتلال
والاختباء هناك وعدم الخطأ في الشخص المفروض انه لم رره من قبل والمطلوب
. . اغتياله .. ثم تنفيذ مهمته بنجاح
اهغ التنظيم بكل التفاصيل حتى الفتوى بشرعية الاعدام لم ينسها .. و 4 ستبقى
خالدة في التاريخ تلك الخلية الفدائية الأولى المكؤنة من ثلاتة من طلبة الأزهر .. الذين
نفذوا بنجاح نادر عملية ممتازة ثم احتفظوا بسر التنظيم رغم التعذيب

عمشر) .. فصلابة خلية الأزهر تؤكد التربية التنطمية .. ففى البداية كان الانكار
التام ثم الاعتراف على النف! ، وعندما ترتفع درجة التعذيب ، وتبلغ قسوته حدا
لا يستطع الجسد أن يتحمله مهما أرادت النفس .. يكون الاعتراف في حدود ما
يعلمه المحققون فعلا .. مع الحرص في نفع! الوقت ، رغم بشاعة التعذيب ، على
سلامة التنكل ، وسلامة القيادة ، سواء السياسية أو التنظيمية ، وسلامة الشرف من
أن تشينه اعترافات غير محدودة لا تهدف الا الى إطالة التحقيق وحفض الحياة . .
والعادة في مثل هذه التشكيلات الارهابية أن تعتبر الخلية المعينة ، مهمتها منتهية بمجرد
تنفيذ العملية ، فتعترف على نفسها كلون من البطولة وضرب المثل للاخرين،
واعتزاز بما حققته من ناحية ومن ياحية أخري !صر خسائر التشكيل الذي تتبعه،
فهى وقد سقطت فعلا في يد السعلطة قد انتهى دورها .. وباعترافها تهدى ء المحقق
وتصرفه - الى حد ما - عن التنقيب.
إننا نجد هذا الفهم خلف سلوك خلية " الشوام " التي نفذت العملية بنجاح .
فهم قد بادروا بالإنكار التام ، حتى " سليمان " نفسه ، الذي قبض عليه مجروحا
ملطخا بدم " كليبر " ، ثيابه ممزقة ، مختبئأ في الحديقة .. حتى " سليمان " ان!ر
تماما في البداية فلما " ضرب على حسب عادات البلاد " " لحد انه طلب العفو ووعد
أنه يقر بالصحيح " .. كانت اعترافاته في أضيق نطاق .. ورفاقه عندما قبض عليهم
كانت اعترافاتهم بالتقسيط .. وبالضرب طبعا . وامحعرفوا على سليمان " المضبوط "
والذممط اعترف عليهم ، ولكن عندما أراد المحققون أن يوسعوا دائرة

* وز يدان التحععات الجائية ، لا نجد ألا قد حققنا تقدمأ بهيرأ . فعا زال الصرب هر الأصلرب الجبع لاتزاع
الاءترافثت . فقط أصبحت محاضر الخقيق !ر تزوهـا فهى لا ثت الفرب . بل تقول إن المخم ووجه بثلحقايق

ما قال له على أحد . سئل سليمان المذكور انه يشهر رفقاعه فجاوب أنه لم يعرف
أحداً في مصر وأن تخمينه ما فيه غيره الذي قاصد قتل

زالسيد " أحمد الوالي " انكر في البداية طبعا أن " سليمان " أًخبره بنيته في قتل
سارى عسكو . فلما ووجه باعتراف سليمان وتيل له : " انه أ يصدق في قو)سه الأنه
ينكر
أن سليمان ما أًخبره بأنه كان ناوكما بقتل سارى عسكر فجاوب الان لما فكرء معليمان
!افتكر انه اخبره لم
سئل هل سليمان ما عرفه برفقائه وهل هو ما تحدث مع أحد بذلك وخصوصا "
مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل ما يجركط فجاوب أن معليمان ما قال
يه -حكللى رفقائه وهو ما أخبر بذلّث أحدا ولا أيضأ شيخ الجامع أ . ! سئا! هل سكن
سليمان بالجامع لسبب أنه قال له على مراده في قتل صارى عسكر فجا ب لا لأن
. " كل أهل ا الإسلام تقدر تس!ت في الجامع
وكان ! عبد الفه الغزكما " وفورأ للغاية وهو يعد المحققين ؟ن يخبرهم في المرات
! القاثمة عن !لى الذمحن " يحضرون بهذه النية " أي نية فتل فائد عام قوات الاحتلال
! معتذراً عن غلطه بعدم إخباهـهم هذه المرة
إ سئل هل يعرف ان سليمات أخبر أحداً خلافه قي مصر . فجاوب أق صا عنده
صعلم بذلك سئل هل يعرف أن موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين لب فتل
. " أ اغونساوية فجاوب أن ما عنده خبر وان تخمينه لم يوجد أحد
أما مصطفى افندمما فقيه الكتاب الذى بلغ من العمر 81 عاما ، وألذي واجه
،موقفأ حرجأ بين أيا-! المحققين الذين حاولوا اتهامه بالفتوى بقتل صارى سكر
وعلى ا،!اس ديني . وحاولوا احراجه بالسؤال التقليدى عن الجهاد في الإسلام . فقد
حا ا الفقى " مصطفى ! افندكط ان يبرىء ساحته دون ان يلتهزم بانكار مبدأ أ!هاد
فا4 جابهم : " انه يعرف ان القران ينبى عن المغازاة وان كل من قتل كافرا يكسب
أبمهـا ! ! ورففر! " معليمان " رمخم ا الضرب أتلام 9 !صطفى ! افندكما (وبما أنه رجل
، " اختيا أ عجوز) وضعمؤ+/ قه قي 4 ما ر"ى منا!سب ممبره عن ضميره
كذالم! (ففم ، % سلبمار ، محاولات توسيم القضمية ومحاولة التركيهز ء!! اتهام

المشايخ الكبار ، بل اخترع حجة !جيبة لنفى صلته با!شيخ الشرقاوي الذي ركز
المحققون جهودهم على اتهامه : " سئل !ل هو من ملة المغازين وهل ان المشايخ
حمحوا له في قتل الكفار في مصر ليكتب له أجر ويقبل عند النبي محمد . فجاوبط
انه ما فتع سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين حماهم . سثل هل إنه ما
كدث مع الشيخ الشرقاوي . فجاوب أنه ما ساف هذا الشيغ لأنه ما هو من ملته
! " بسعبضا أن الشيخ الشوقاوى شافعي وهو حنفي
ورفض " المتهمون " جميعا الدفاع عن أففسهم أمام المحكمة ، ولعله أول قراو
. مقاطعة عرفته المحا!ت السياسيه في المضرق
وفي مرافعة الاتهام حاول 9 سارتلون " أق لشهر بالجهاد : " ان العته النسكي
هو منصوب في أعلى رأسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكمالة إسلامه وباضماده
أن المسمى منه جهاد وتهليلص الغو المؤمنمير " " وسكن بموجب تربياته بالجامع الكبير
ويتحضر فيه للسيئة التي هو مبعوث لها ويستدعي الربط تعالى بالمناداة . وكتب
المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور أعلاه . وتأنس مع الأربعة مشايخ
. " ا!ذين قروا القران مثله و!م مثله مولودين ببر الشام
نعم ! كلهم مولودون ببر الشام +. وهكذا محت ضربئ سليمان ورفاقه كل العاو
.ال!ي سجله " المثموام أ المتعاوتون مع المحتل
واقترح ممثل العدالة ا اغرنسية ، وهو يستقبل قرن التحرر ، ويودع قرن الثورات
من أجل حقوق الانسان ، اقترح ان " عظمة الاثم تسمتدعي أن يصير عذاب مييب.
فان ساء!وني . أجبت أفه ايستحق الخوزتة وانه قبل كل شىء تحترق يد ذا الرجل
الاثيم . وانه هو يموت بعذابه ويبقى جسده مأكول الطيور "6 .. عبارة تذكرنا
بنصوص ! " جهوه " أو الالهة الشريره في اساطير اليونان والفركا .. أو محلفات التتار !
ءقا- استحابت اعكمة ، المشعك!4 مت ؤهر دـأبناء فر نسا . احوية

دفن سارى عسكر العام كلهبر وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين في
المشهد " . " وأيضا أفتا ا على تحمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالمط " أن تقطع
رعوسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار ومذا يصير في المحل المعين أعلاه .
ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجري فيه شىء . هذه الشريعة والفتوى
. " لازم ينطجعوا بثللغة التركية والعربية والفرنساوية
ولعل هذه انعبارة الأخرة هي التغيير الوحيد الذي يميز القرن التاسع عشر عن
القرن الرابع عشر .. فخان السار لم يكن بوسعه أن يصدر حكماً أبشع ، ولا اكر
بربرية من هذا الحكم . ولكنه لم يكن بوسعه ان يبم نصه بثلاث لغات . وهذا
الفارق التكنولوجي ، لم يكن يهم كثرأ " سليمان الحلبي " الذي سيشاهد ثلانة من
رفاقه تقطع رقابهم ، ثم صيهرفون أمام عينيه ... أما هو فتحرق يده اينى وهو حي!
وتحرق وهي متصلة بجسمه ، يقيد ويوضع فوق الخازوق ، ثم توضع يده اينى فوق
فحم ملتهب لتشوى وهو ينظر .. ثم يطلب منه أن يهتف ثلاثاً بالثورة القانونية التى
أدخلها جلادوه في الشرق الإصلامي المتخلف أ يهتف بحياة " أول محضر تحقيق " . .
أول تحكمه تشكل على الأس! القانونية الحديثة في مصر " المحروسة ... " أول مطعة
تطبع قرار التنكيل به .. أول خازوق ترفرف عليه راية الثورة الفرنسية أ

*،.حص!!
/ر/ث!/زتم*
،،!هـ حجماإك

المحاك

المدرسة الاستعمارية ، تهغ اهتماماً كبيراً بمحاكمة " سليمان الحلبى 9 .. ولها
العذر . لأن هذه المحاكمة والإجراءات التي سبقتها والأحكام التي صدرت ،
والطريقة التي انتقم بها من الشاب البطل ، تغطى بالخزى والعث ر تاريخ الحضارة الغربية
كله . وتفضح كل !ذييها عن وحشية الشرو وثمويته .. ففي عصور تألقنا لم
نرتكب قط مثل هذا التنكيل الوحشى .. وعندما طعن " علي بن ا!ط طالب " كانت
اخر وصاياه " ايا آ والمثّلة .. " " رجل يرجل " ولم تطلب اص من تنفيذ حكم
اعدام شوعي وقانوفي بل اشترط ان يمقى القاتل مسجوناً الى أن يتوفى هو رضي
الله عنه . ولو كان تعلم أنهم !بلون شفاعته ، لنهاهم عن اعدامه ، والدليل على ذلك
. " قود " فان عشت راتت فيه رأى
وعندما اجتاح الغضب ابن عمر بن الخطاب ، لما حمع بمؤامرة فارسية - يهودية،
هي التي أدت الى مفرع والده .. فاندفع فور وقوع الحادث فقتل ثلاثة من الذين
اتهمتهم المصادر التي يثق بها .. ثارت ثائرة المجتمع الإسلامي ، وسجل " " الطبرى
هده الغضبه الإسلامية ، لخرق العداله ، وحرمان المهمين من المحاكمة في كلمة خالدة
وهي قوله : " واظلمت الدنيا باننش ثلاثة أيام " (. أظلعت الدنيث بالمسلمين في

،ومن ثم فهو غير مسئول عنها .. رلذلك لجأرا الى عفو أصحاب الحق المدفي
فسلموهم ا!ت أمير المؤمنين وسيفا .. وسألهم رلي القصاص : !ل لمط الحق ص الحق
في أن أقتله ؟ قاا!ا : نعم ! .. قال : هل !يعنى مكروه إن قتلته ؟ (وهو فارصي
. . ء سحتوعص بعد ا أ!دالة الإسلامية ! قا أ!ا : أ، .. هذا حقك .. عندئذ عفا الرجلى
مع دسث يت! ! المؤرح الإسلامي .. !! هذد !سانت أ:! ثغرذ في ا الإلحملاء .. وبداية 5
..! أ أضثبات التي وقعت
!ك

الى هذا الحد كان ضميرنا القانولمط حساسا وعادلا ومتميزأ نب
. . عصور تألقنا
بينما رجال الثورة الفرنسية ، خرجوا غاضبين - كا سنرى - يقتلون النساء
رالأطفال ، ثم نكلوا بوحشية لا مثيل لها في التاريخ بالقاتل .. و لم تظلم عليهم الدليا،
. . ولا اهتز ضمير فرنسي واحد
ولحن المدرسة الاستعمارية ، تريدنا أن نغفل عن هذه ا!يقة ،

والجبرقي المنصف الدقيق لم يفته أن يسجل المحاكمة ويبدي دهشته من اجراءاتها،
ولعلها أول دهشة يسجلها قلم ثرقي لطقوس العدالة الغربية المتوارثة عن القهم
الرومالمط الذى يهخ بالشكل والاجراعات اكو من الاهتمام بالموضوع ،

والحق انه أمر يثير الدهشة وتعجز عقليتنا عن فهمه ، أن ينطلق الجنود الفرنسيون
فور حماعهم بنبأ قتل كليبر : " قتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفنا من الرجا ا!

لا شك أن الجبرقي له عنره إذ يده!ش من أولئك الجنود يقتلون بلا مناقشة ولا
محاكمة ، أطفالأ لا شبهة في براءخهم من مسئولية مصرع الجنرال قائد الحملة . ولكنهم
يهتمون ، بإ جراء محاكمة وتسجيل تحضر تحقيق لمتهم أمسك وهو

لقلها " هيرولد ! عن يومات الحاول! فرأصوا وعلق صا"ر الحاويق بدكرط " د! عير حباء كا

الجبرقي راها ظاهرة تستحق التسجيل ولكن تلاميذ المدرسة الاستعمارية يحاولرن
الاستدلال من ذلك عل عو العدالة الفرنسية ! ويؤرخون " بمحكمة التفتيش لم
هذه .. دخول " أول تجربة للقانون الحديث والعدالة ! في ال!ثرق المتوحش!
وهيرولد " عميد المدرسة ، لم يستطع أن يذهب هذا المذهب ، " يل تعلق عل دهشة
الجبرقى : " والذى أدهعثى ا!برقي هو أن تتاح لرجل دنبه واضح ، محاكمة قانونية
بدا؟ من أن يعدم فووا * ولكن الواقع أن الاجراء الذي اتحد في هذه الحالة كان
تحتلف اختلافا كبيرا عن صالاجراءات الفرنسية العادتة - لسبب واحد هو أن المتهمين
لم يمثبهم محام - ولم تكن الفرض من المحثكمه انصاف المتهمين ، بل الكشف عن
. " يثركائهم في الجريمة أ 8 .. هذا هو رأي " كوستوفر هيرولد
فإذا لركنا جانبا هذه الإجراعات ومحاضر التحقيق فإن اسلوب

وبالنسبه للحكم عل "سليمان ، بالدا! يصعب جدا أن نطابقه عل تقاليد
البلاد .. ففد جمع كل الابتكارات الرحشية التي تفتق عنها العقل . . الشرير للاثسان
ولم تقرأ في تاريخ " الجبرقي " كله ، عقوله نفذت بمثل هده

أما اجراءات التحفيق قفد سارت كلها على النحو التالمط ومع جميع المتهمين:
فلما ان كان المحهوم لم تصدلى في جواباله أمر ساري عسكر أخهم " بضربونه حكم
عوائد البلاد . فحالأ انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أته يقر بالصحيح فارتفع
. ، عنه الضوب
ولا شلث أنها كانت فرصة تادره " للمتهومين " وهم تضربون حسب " عوائد
البلد " ولسليمان الحل!ي وهو تحرق يده حيأ .. و!فذ الخاؤوق في احشائه عل دقات
مرسهقى الجيمق الفرنسرط .. وراية الحرية والمساواة والاخاء ترفرف فوق 3 رأسه . .

مع الاحتفاظ بعوائد! البلاد لا تممى " ! بل وتشهد هذه العوائد بعثآ وتطو-سا نادرين!
وبعد ضرب " المتهرمين " لافرارهم " فدت رعوس! المشايخ الثلاته " . ثم بدات
عملية التنكيل الهمجي بالفتى الحلبي الذي عرف نفسه بأنه " ابن عرب " .. والذي
كان يتمتع بحالة نثدرة - اسطورية لم تيرفها العاريخ قط - من الشجاعة والسيطرة
على النفس ه ، لاخضاع الجسد لإرادة الرو 5 .. والذي غسل عار كل ما ارتكبه
العملاء " الشوام " .. وكان ردا بليغاً مفحما على كل من تسول له نفسه استغلال
موقفهم للطعن بالوحدة العربية ، بل وهادياً مبكرأ للطريق القويم الذي يجب أن تمر
عبره القومية العرلية .. فالذفى عبروا من الأزهر ، كانوا رمزأ لوحدة هذه الأمه
وصلابها في مواجهة الغزو الاستعماري .. والذين عملوا في خدمة المحتل ، وعادوا
الأزهر ، وتنكروا لتراث هذه الأمة وتاريخها ، لم يكونوا الا اداة تفكيك الوحدة
العربية ، وعنصرأ من عناصر ا!كين للسيطرة الأجنبية.
ولنسمع وصف محرقه جنكيز خان الفرنسي .. ؟ يصفها " هيروند " نفسه:
ولا بد أن هذا اليوم كان أروع يوم في حياة الرومي برطلمين . " فقد بدأ بقطع
رعوس! الشيوخ الثلاته ، وكان الفحم أثناء ذلك تحمى في مجمرة . ولم يشك
سليمان " و!ده تشوى على الجمر ، ولكن حين انزلقت جرة الى "

هل نرك 6لرأ منملأ خى في ننوس الفرنن ال حد ان الجرال " هيو : ص اكنه ش "
! ، زوج! المصر* " لجمان
أما ا* المة كانت محاولة ش " صيو ، ليقرب ال المصر! الذ! قوصا " طيعان ، طلأ قوما
. . .. ومجاهمأ خالدأ

الى هذا الاجراء الوحشي على أنه إجراء عادي لا غبار عليه " . ولما أتم
برطلمين " القسم اقهيدي من العمليه ، رفع الخازوق قائما وعليه "
سليمان ثم كرس!
في الأرض . ورجا سليمان جنديث فرنسيا واقفا بقربه أن يعل! شربة ماء
. وكان
على وسك أن ينثوله زمزميته لولا أن منعه " برطلمين " فان أقل شربة
من الماء كفيلة
بقتله فورأ ، فيتعطل بذلك مجري العدالة .. واستأنف المشهد سيره تثركا
سليمان
. على خازوقه يصلى ".1
هذه هي المحثكمة التي تجعلها المدرسة الاستعمارية نموذجا للعدالة التي
بيرت
المصرتنن ، وتستدل بها على الانقلاب القانوفي الذي تثم في عقول
النخبة من مقارنة
الجبرلط لين محاكمة الفرنسيين الذفى لا يتبعون دينا ، ولين أفعا ا! الهمج
المنتسبين
. للإسلام
لويس عوض " ينبهنا الى هذه المحثكمة : " وأهم من ذلك كله الوقفة "
الطويلة
التي وقفها الجبرقي أمام محاكمه سليمان الحلبي قاتل كليبر وأظتر فيها
دهشته وإعجثبه
. من الطريقة التي يجرى بها الفرنسيون محاكمتهم "11
ومما أبرزه الجبرلط ان استجواب سليمان الحلي ظل يأخذ الطريق "
القانولمي
رغم إصراره على الانكار فلما لم تخد معه الوسائل القانونيه جري (! !)
ضربه
على عادة أهل البلاد " ليعترف فاعترف .. وواضح من السياق ان "
العرف في مصر
ايام الترك المماليك كان يقوم على تعذيب المتهمين لاستخلاص
الاعترافات
. مثهم "12
العبارة مصاكة بطريقة توحي كان الجبرقي هو الذى يبرر ضرب المتهم
بأنه " على
عادة أهل البلاد " فوضع العبث رة تنن قوسين وبعد القول بأن الجبرلط
أبرز ا ت

"(1

'

منقوله من محضر التحقيق بكووفها وجاءت على لسان المقرر الفرنسي . وما كان
الجبرقي " ممن يغصر الكلام " ومن حقه إذن ألا يغير أحد كلامه وينسب اليه ما لم
يقله . فلا الجبرقي قال إنه استجوب بالطرق القانونية ولا قال انه " ضرب على عادة
أهل البلاد " اما اعتذار " لويمى عرض " بأنه يفهم من السياق ان العرف في مصر
أيام الترك المماليك كان يقوم على تعذتب المتهمين لاستخلاص (انتزاع أفضل يا
دكتور لويس ا) الاعتراف فهم . فهو تبرو قالته قبله بمائة وسبعين عاما المحكمة
الفرنسية ، و لم يفدها في التنصل من لطخة العار التي أدانت ،يشرف الثورة الفرنسية
وما من قانوفي شريف في العالم كله يقبل هذا الدفع : " عل عادة أهل البلاد " !
إذن انتهت التجربة ، وسقط افوذح ، وقفل باب النقانق .. إذا كانت العدالة
الفرنسيه لن تتحقق إلا باتباع " عادة أهل البلاد " .. فما الجديد ؟ التحقيق تم على
عادة " الأ:شاك المماليك " في انتزاع (أو استخلاص للتلطيف) الاعترافات ،
والعقوبة تمت على عادة خان السار ! .. فما الجديد ؟ اهملى الثورة القانونية هي فى
فتح ملف للقضية وطبعه من عدة نسخ ؟ لو كان للخان التتري مطبعة لفع!! . .
. . أو ربما لاستحى أن يبم وينشر مثل هذا الحكم الوحشى
ويجب أن نلاحظ ان الجبرقي قد بدا كتابة أحداث الحملة الفرنسية (بمعن!! تنسيق
ومراجعه مذكراته أليرمية) بعد خمس سنوات من جلاء الفرنسيين -(0 122 هـ
م) وكانت مصر تعيعق في ذلك الحين - وقت كتابة الجزء 18 . 5 الثالث - أحلك
سنوات مرت في تاريخها كله ... فالانهيار التركي والمملوكي كان قد

هل من شعب عرلط .. أو حتى شرقي ، استقل حديثاً ، لم

أو حتى قطاع ضخم من مثقفيه على أيام سيادة القانون في عهد الاستعمار .. وكتب
عن الضمانثت التي كانت للفرد في ظل الاسمعمار ؟ هل يجوز اذن أن يستننج مستنتج
من ذلك ، وجود تيار بين المثقفين يفضل الحكم الأجنبى ؟ أ . . المدرسة الاستعمارية
تريد أن تقول ذدلث ، وهي تقوله طساب اليوم والغد ، وليس طساب الأس! . .
ولذلك نحن نختلف معها ، وبهذه الحدة ، فلّو كان الأهر مجرد

الرافعي " ولو ان أخلاقياته لم تسمح له بالهجوم على " سليمان، " الحلبي أ إلا
أن المناخ الذي ترلى فيه وكتب فيه كتابه هذا بالذات (أواخر العشرينات) حيث
كانت القيادة اكعقفة للحركة الا طنية تعافي ضربات قاصمة بتأثير الاغتيالات السياسية
التى سادت هذه الفتوة . هذا المناخ جعل عبارات " الرافعي " تنم عن سخطه على
الجريمة " فهو لا يتحدث عن " سليمان الحلنى ! إلا بألفاظ : " القاتل " "" " الجافي
فدنه القاتل " " وعاد الجافي مرة ثانية " " ولاذ الجافي ! " مكان " الجريمة " " مما
يدل على القاتل " " القبض على القاتل أ ! دلائل الجريمة " " بدم الجريمة " " فلما
سيق القاتل " " وفي صباح الجريمة اندس! القاتل " " وأخذ في ضرب القاتل أ .
كأننا نقرأ محضر ضبط حرره شرطي فرنسي وليس " الجزء الثافي من تثريخ الحركة
القوميه في مصر " ! !
وهو وإن لم .يسقط الى درك " لويس عوض " فيبرر ضبرب " سليمان الحلبي"
بحجة " انه مق عوائد البلاد " إلا أنه لم روتفع ألى مستوي " الفريد فرج "
و " هيرولد " في استنكار الفرب صواحة بل اختار عبارة تقطر نفاقا بورجوازيا:
ومع هذه البيانات القاطعة كان القاتل ينكر الجريمة ، فاتبع معه برتلمي " الرومي
طرتقة التعذيب !راهه على الاعتراف 13 " : " طريقة التعذيب " و " ! "راهه
عبارة ترضي جميع الأطراف ، وتبقي قائلها في إطار حزام العفة.

ولا عجب وهو من الجيل الذى سا زال ص!مد الله لأنه نجا الكنانة من أخطثر
التنكيل البريطافي ، بالقبض على قتلة اللورد موين ! ! والذى شاهد وزارة تسقط
وسوداناً يفصل وغرامة تفرض .. ودستورا يتحول الى قصاصة ورق وبرلماناً يحل
. لأن مصريا فتل سارى عسكر الانجليز بالسودان
ثم يصف لنا " الرافعى " جنازة كليبر في 23 سطرأ .. ويؤرخ " اعدام المحكوم
عليهم " في ثلاثة سطور ، ويحذف منها حرق يد سليمان حيا .. مع انه لا يفوته
ان يصحح للجبرقي موعد تنفيذ الحكم وانه كان بعد دفن " كليبر " وليس قبله،
؟ اخطث الجبرقي واستحق من الرافعى أن يوبنهه على خطئه هذا ، فيتهمه بأنه " لم
يحضر الجنازة ولا تنفيذ الحكم و لم تغادر بيته في ذلك اليوم الرهيب فلم تصله حوادثه
.كلهث على حقيقتها"ا
وبحرق الانسان الحي .. والقتل على الخازوق .. ختمت الحملة الفرنسية صفحتها
الحضارية في مصر منبهة كأعنف ما يكون التنبيه ، كل الذين خدعتهم الشكليات . .
نبههم اك ان الاستعمار هو الاستعمار .. وأن الحكم الوحشي هو وسيلته الوحيدة
. . في مواجهة تطلع الشعوب المشروع للتحرر
وصدقت على نحو مزعج نبوءة العامة المصرتنن عندما علقوا على النصب التذكارى
الذى أقامه الفرنسيون وغطوه بعلم ال!ورة الفرنسية ، ليكون رمزا لثورة العصر . .

وكانت وجهة دظر ألحصرير لها صا بررها ، فان " الجبرقي " ، ولر أنه لأ كت هذا "ضميق البث .
رع الذى أور؟ه : نقولا
الترك 5 ، الأ أن وصف لغاعدة لم الخاروق " يطر المصرين الحق ر تجاره رمزأ لأتماس
: افرنون ، فاب قي يقوق
إن قاعدة الضب " به تصاو 2 بثلاصد صرر في ئل حرب المالك المصرية معهم و! في ضه انهزمين بضهم واقع
. عل بمضر ، وبحضهم طخت الى خلف 17

ورغم الرمزية التى في تشبيه أولاد البلد . ضد أتيدف لهم الفرصة تيوه
. . مجسدا
وبرطلمين " رفع " سليمان الحلبى " بعد أن اجلسه على الخث ؤ!ق ، "
ويمنع عنه الماء
ليبقى ينزف وتتمزق احشاوه أطول مدة ممكنة تحت حماية جند الثورة
الفرنسية،
المشبعين بمبادئها .. والراية التى كان احرار أوروبا يتخاطفونها تظلل "
تل
. . " العقارب
ويسدل الستار على مسرحية الإخاء والعدالة والمسا،اة .. وتطيق
الليبرالية لأول
مرة في الشرق ! وتأكل الطيور جثة " سليمان الحلبكي " .. ومع كل
قطعة لحم مق
جسده الطاهر .. تتمزق كل الأساطير والأضاليل عن أي ثور تحررى أو
حضاركط
. . يمكن أن يقوم به الغرب الغازي في الشرق المغزو
رضوان الله عليك يا شهيد الإسلام .. يا شيهد العروبة .. يث سهيد
مصر .. يث
شهيد الشمرق .. ولتبق ذكراك خالدة رمز الوحدة العربية الوطنية ،
المعادية
. . للاستعمار
وانلععة على كل الطغاة الذين أنزلوا بك العقاب الوحشى .. والعار لكل
الذين
يتطاولون اليوم على سيرتك .. ويدامون عن جلاديك .. اللعنة والعار على
عملاء
الأم!ـ! الذين كانوا الى جانب وفى خدمة جلاديك يعدون الخازوق والجمر

زرج!!



وإذا كان يمحن لتلاميذ المدرسه الاستعمارية وحتى اساتذتها ان
: يشقشقوا حواط
القومية " و " الليبرالية " و (التجربة البرلمانية " .. فابى منطقهم "
يفقد كل جدية
بحكاية " تحرير المرأة " ا .. فلم يوجد قلم يحترم نفسه جرو على الزعم
بأن عام
ه 18 م هو عام تحرير المرأة المصرية ! عام 5 . 18 م عام هزيمة .
ثورة القاهرة الثانية،
عام سبى جنود الاحتلال لنساء مصر وبناتهث وغلصثضها .. هو عام تحرور
المرأة
. . ! " المصرية .. انفرد بهذا الكشف " لويس عوض
: يقول
أما عام 0 180 م فهو عام تحر-س المرأة ففى الجبرقي وصف "
لبداتات حركة
السفور ووصف لبدايات حركة تحرير المرأة ووصف لما أصاب بعض
نساء القاهرة
من انطلاق نتيجة لخالطة المصريين للفرنسيين ومحاكاتهم في الزي
. وفي السلوك "18
ويستشهد على حركة التحرير هذه بقول الجبرقي : " ومنها تبرح النساء
وخروج
غالبين عن الحشمة والحيا وهو انه لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع
البعض مخيا
نساوهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه
لابسات
الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلق على مناكبهن الطرح
الكشمير،

وقعت الفتنة الأخيرة بمصر . وحاربت الفرنسيس بولاق وخكوا لي اهلها . وغنموا
أموالها واخذوا ها استحسنوه من النساء والبنات . ومرن هأسورات عدهم
فزروهن بزي نسائهم وأجروهن عل طريقهن لي كاهل الأحوال . فخلع أكزهن
نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئلث المأسورات غيرهن من النساء الفواجر . ولما
حل بأهل البلد من الذل والهوان وسلب الأموال . واجماع الخيرات في حوز
الفرنسيس ومن والاهم . وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن
وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته او ضربته بتاسومتها فطرحن الحشمه والوقار
والمبالاة والاعتار واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس الى الشهوات
وخصوصا عقول القاصرات . وخطب الكثير منهم بنات الاعيان وتزوجوهن ركبة
في سلطانهم ونوالهم . فيظهر حالة العقد الاسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له
عقيدة يخشى فسادها " " ومنها أنه أوفى النيل اذهـعه ودخل الماء الى الخليج وجرت
فيه السفق . وقع عند ذلك من تبرح النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهن لهم
في المراكب . والرقص والنناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع
الموقدة . وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وبصحبهم الات الطرب
وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في

ويفهم " لويس عوض " من عبارات الجبرقي انه كانت هنال " ثورة نساء أ أ و

* حذاعما .. و لم تكن هذه مفاجاه تامة للحرقي ففى تأريحه لأحد ضيرخه الذى تحلم على أيدحمم ذكر الجبرفئ أ ر

ومع ان الجبرقي لم يترك فرصة لسوء الفهم هذا ، فان تلميذ المدرسة الاستعمارية
يصر على انها كانت ظاهرة عامة نابعة عن ثورة تحررية ، وليست حالة انهيار تحدث
فى جميع المجتيعات التى تتعرض للاحتلال والنهب والسلب والتجويع ، وأص بنات
. الأص ، كالجوارى ، ووضعهن قي معسكواقى الجند " مأسورات أ
مؤرخ المدرسة الاستعمارية يجعل من انحطاط المرأه الى حدّ التكسب بالجنس-
وهذا واضح من اسارة الجبرقي الى بذل الفرنسيين الأموال للنساء - ثورة نساء وبداية
تحرر المرأة ! وهو بذللص يعك!ر احتقارا عميقا للمرأة . . ؟ يعكس مفهوما بورجوازيا
وقحا لمعنى تحرر المرأة . ولكنه لا يكتفي بذطث بل يصر على أن يجعل هذا التحور
بعلم وجال مصر ورضاهم .. ورغم عبارة الجبرقي الواضحة التى تصف السلوك
الطبيعي للمتكسبارت بأجسادهن في المجتمع المصرى الذى ما زال يقتل الراقصة أ و
بنت الهوى ، رغم مائه وسبعو عاما من " مخرر المرأة ! ! .. ولكل !ط الحا-ء،
مع الانهيار الخلقي والشره الى المكاسب دفع بعض : 9 أهل الأهواء من النساء
الأسافل والؤاحش ، فتداخلق معهم لخضوكهم للنساء ، ويذل الأموال لهق " .
فالجبرقي دقيق واضع : الفويق الأول أو " الرائدات " هق من النساء الأسافل
والفواحعق .. وهق يذهبق الى هنثل بسبب خضوع الفونسيس للنساء وبذل الأموال
ق . وحت! الغوازكط والراقصات ، وكانت حارات القاهرة وموالدها بل! حتى في
اعماق الصعيد تعج بمثلهن قبل الحملة الفونسية .. ولكن حتى هؤلاء الفواحش
يحتجن في البداية الى التكخ في اتصالهق مع " كفار " .. جنود جيمق احتلال

هده القطة ورعها بوضوح جبرلط ممر الحدثمة " نجيب محفوظ "

بل حتى في فرنسا ذاتها ، لم تكزكل " موم! " تقبل ان تظهر علانية في شوارع

وهل تقبل - بسهولة - موس! عربية في العريمثر أو نابلس أن تسير علاتية الى
جانب جندي الاحتلال الاسرائيلى ؟ أبم ترانا مضطرين الى افتراض تحرر اكبر في
المومس المصرية منذ قرن وسبعين عاما ! .. واذا كان البعض لا يرى الاحتلال
الفرنسئ شبيها بالاحتلال النازي أو الاحتلال الاسرائيلى ، أو يعتبر الشعب المصري
أقل وطنية من الشعب الفرنسى والشعب العرلى اليوم . فان مومسات مصر في فجر
القرن التاسع عشر ، كان رأيهن غير ذلك.
ففي البداية كان لا بد حتى للمومسات ، أن يلتزمن بعض الحياء .. .. تحرجا
أو خوفا من انتقام المجتمع .. ولكن مع الايهار الشثمل وسقوط القاهرة تحت أقدام
الغزاة بعد الثورة الثانية أو " الفتنة الأخيرة " ، وأصر بنات الأسر وتحويلهن في عصر
تحرير المرأة الى جوارى وسبثيا ، واجبارهن على التحول الى غانيات . . وليس زوجات
بأي حال من الأحوال ، ؟ يزعم مؤرخ المدرسة الاستعمارية ، عندئذ سقط

وسثرت الصحص وألا أضرهـعلى طبع هده الطور نجا الحقد الذى الزله الوطيون والوطات ر أ ، 2 لندا بالعتات
: ا ألا! يمادتر الحود البريطايين قالت صحص يرم 1971111111 م
إ ا-لصص فاة مراهقة - لط الاصعة عرة ص- عرها - بحمرد إلارة الليلة الماضية في حي بوغايد ا -لندندروى
أيرلدا الشاية) وصى عبها الفار لانها أقات علافات مع بخدى بريطثك . ووقف جمهور طخر !فرج فما أخرج
نجا ا مطمة ألجق الجمهورى الأورلدى مرتادوهرقي ، اابالغة من الممر 19 ضة ، بالقرة ش منزلهث . وأخذوا تهفن
عاضفة الجود ، وتد أمك محو . 8 امرأة بلايب القاة وضد وثاق الفتاة وحلق شعر راسها ، ! وصب الاسفلت فوق
شأصها وكتعا . وقالت تلأ أحرى إكا نلقت إنذلبأ روم الاتين الماض بائها صتقل اذا .:صهلت مرة

وخمارات ومعسكرات جيش الاحتلال . ومع الضربات التي نزلت
بتنظيمات المقاومة
بعد سحق الثورة الثانية .. تقول الجبرقي:
وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبثلغة في "
اخفائه.
فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر . وحثربت الفرنسيس بولاق وذكوا
في أهلها وغنموا
أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النسثء والبنات صرن مأسوا ات
عندهم فزيوهن
بؤي نسائهم وأجروهن على طريقتهم في كامل الأحوال فخلع
اكثرهن نقاب الحياء
بالكلية . وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النسثء
الفواجر ، ولما حل بأهل
البلد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات في حوزة
الفرنسيس ومن
. " والاهم * اغ
فالجبرقي حريص على أن يفرلى ييهت نوعين : النساء والـنثت
الماسورات . وهو
يمرر لفظة " مأسورات " مرتين في فقرة واحدة . والنوع الاخر
هن الأسافل
. . والفواجر من النسثء ممن يتكسبن بالجسد عادة
ولكن مؤرخ المدرسة الاستعمارية يصر على ان هذه الظاهرة هي
من " مظاهر
التحرر في المظهر والسلوك بين نساء مصر ! و " ان هذه
"الظاهرة عمت نساء مصر
! و!الذات الحرائو وربات البيوت
فيقول : " فلو كان الجبرلط يتحدث عن مجممع الساقطثت
والفواحمى بالمعنى
الاتحاممط ، ل كان هناك مجال للكلام عن الاحتشام واتقاء العار

وهكذا نجد أن المجع المصرى في تحرره ، تحولت نساوه الى بغثيا
يتعلقن بسترات
جيش الاحتلال ، ورجاله الى ديوثين يرضون بذلك!
ولا شمك اف في مثل هذه الحالات ، حالة جيش احتلال يدمر
العاصمة ويسبي
بناتها ويجوع أهلها الى حد الموت ويمرض غرامة مالية مدمرة

ا كليبر " .. ويضرب الشيخ " السادات " في حضور زوجته ، ويفرض الغرامات
الفاحشة على نساء المماليك .. لا شك ان الانهيار يمتد الى كات وحالات فردية
في صائر الطبقاتت . وحتى يومنا هذا فان التعاون مع المحتل لا يختص به الجياع للخبز
وحدهم والتهتك في احضان جنود الاحتلا! يجتذتب الراغباتت في الأم! ا !ا، بص ءكهم
والراغباتت في الأموال لانهيارهن وجوعهن الطقى .. !إلرأعبأتت لى ألجنحم!
والراغباتت في التهتك ذاته.
ولكن أحدأ لا يسمى هؤلاء ثورسات ولا يجعل من افهيارهن بداية لتحرير ا الم أه

والجبرتي دقيق في عبارته فهو يفرق -؟ رأينا- يعن البناتت والسيدات
الماسوراتت ، وواضح انه يعتذر عنهن بالأص - والجارية غير مسئولة عما يجبرها
مالكها عليه من الفحش وان كان ديننا ينهى عن اجبارهن على الفاحشة - الجبرتي
يفرق بين هؤلاء وبين الأصافل والفه اجر الراغباتت في المال أو الجنس . . والمال معا
وبين كعة ثالشة ، هى التى أجبرتت على ان تستر علاقاتها مع جي!ثر الاحتلال تحت
! ستار الزواج ، واعتناق الجنود للاصلام
فليس من حق أحد أن يتقول في الجبرتي ، ويقول إنه منفعل بحكم موففه
الأخلاقي (متزمت يعنى ! باعتباره ففى !)وليس من حق أحد أن يلوى ،عنق النص
. . أو حتى يرفضه تماما لتستقيم النظرية التغريبية
ولكن ا لوي!ر عوض " يرى أن الفواجر هنا نعت أخلاي وتعليق شخصى من
عند الجبرقي .. وليس وصفا لطقة أو كة أو مهنة . وهكذا اتسعت طبقات النساء
اللواقي حاكين المتفرنساتت والعاداتت الفرنسية " فطرحن الحشمة والوقار والمبالاد
. والاعتبار " بتأثر سبايا الفرنسيين المتحرراتت من بناتت ب! الأث " 3
وعبارة ا سبايا الفرنسيين المتحررات " ليمست هزلية ، ولا وضعت للتفكه ، وان
كانت كذلك ، بل هى منطقية للغاية مع هذا التفسير الجنسى للتاريخ .. فكوفهن

ومن ثم يم!ش ان تكون المرأة جارية سبية " متحررة " بل وطليعة ثورة تحررية ، لأنها
تلبس الفستان وتخرج سافرة الوجه متأبطة ذراع تحريرها ومالكها في

!أليس هذا المحتل للوطن هو أيضا باعث قوميته ! .. اليست هذه جدلية
ويستمر الطعن في الجبرقي الذي فسر اندفاع الفواجر بلا حياء بعد سقوط ثورة
القاهرة الثانية ، بما جرى على بنثت أسر بولالى من أسر وسبي واجبار على العيش
كغانيات في ركاب الجيش المحمل . يرفض " لويس " هذا التفسير من الجبرقي ويصفه
بأنه اجتهاد غبر معقول في تفسير هذه الظاهرة لأن العقايل والحرائر وصاحبات
الحشمة والوقثر لا تحاكين السبايا إلا إذا كانت السبايا من العقائل والحرائر وصاحبات
الحشمة والوقثر ، إلا إذا كن زوجات لا سبثيا أ! كان لهن وضع أجتماعي شرعى
معترف بضرعيته . ويستشهد بما ذكره الجبرقي عن الزيجات الفرنسية - المصرية.
وهذه حجة للجبرقي ، فهو لم يغفل هذه الظاهرة بل عددها ضمن تصنيفه الدقيق
والتطوري لظاهرة النساء في معسكر المحتلين ، التي بدأت بالفواحش والفواجر ثم
بالجواري والسبايا من بنثت المدينة الثائرة المهزومة . ثم باندفاع الفواجر والأسافل
وخلع برقع الحياء من جانبهن . ثم يأولئك الذين أرادوا الجمع ينن الدين والدنيث
!فاشترطوا ان يغ ذلك على سنة الله ورسوله ا!ظ
وحتى النصوص التى يستشهد بها " لويس " من " نقولا الترك " تؤكد صحة
معلومات الجبرقي .. ف دا نقولا " محندما يتحدث عن النساء المصريات فى معسكرات
جيش! الاحملال يؤكد اضين ؟ " مملوكين من الافرنج جهارا ماسيين معهم في الطريق.
نابمين قايمين في بيوتهم " .. ولو كن زوجات لما كان في دا نومهن وقيامهن " في بيوت
أزواجهن ظاهرة تحتاج الى تاريخ . . حتى و!و معبب !ذا الزواج ألما لبعض المواطنين.
فإن ضر ما تفعله الزوجة هو أن تنام وتقوم فى بيت زوجها ، على الأقل

إن ظاهرة الانحلال ، ظاهرة عامه في في المستعمرات وهي لا علاقة لها بمركز
المرأة ، إذ إنهث ظثهرة تنشأ عند قشرة المجتمع ، عند نقطة احتكاكه بالمحتل الأجنبى . .
وهي " كالحب الافرنجى " سرعان ما تضرب بجذورها وتصل الى قلب المجتمع اذا
ما اتيحت لها الفرصة بالاستمرار والتحول من ظثهرة اجتماعية الى قانون اجتماعى . .
وهي اذا اتيحت لها هذه الفرصة فلن تتحول أبدا الى ثورة نسائية ولا الى حركة
تحرير المرأة . لأن المرأة لا تتحرر على يد جي! احتلال يهك الاعراض ويغتصب
الفتيات القاصرات بله الأطفال ! " وهن ما زلن في احضان امهاضين المقتولات " ! !
ويأسر النساء والبنات ويحتفظ جق كجوالي في وقت لا يفكر فيه في أن يضع امرأة
فرنسية في هذا الوضع .. " جارية " هي صفة مرفوضه بالنسبة للفرنسيه حتى لو
كانت واحدة من الثلاثمائة مومس اللاقى كعب نابليون يطلب من حكومة الإدارة
اسعافه جهن ! ولكن استرقاق المصريات مقبول .. فالمصرية أقل من أوضع امرأة

:وللتدليل على ان الخالطة كانت ثورة ، واتجاها تحريريا يضرب لنا مثلين
وليس هناك ما يدعو الى الظن بأن كل من خالط الفرنسيين أو حاكاهم أ و "
- قبل وجوهأ من حضارته!م فد فعل ذلك عن مجرد افتتثن بأسلوب الحكام في الحياة
. وهو ظثهرة اجتماعيه وانسانية - أو عن مصلحة ذاتية او رغبة في التزلف الى الحكام
"ولا سك أن تحرير المرأة على النحر العملي هذا الذى وصفه الجبرقي ، كان ا حركة
اجتماعية بالمعنى المألوف ، وتعبيرأ عن ر!ى عام بين المثقفين وفي شرائح معينة من
مختلف مستويات المجتمع المصرى بضرورة الانفتثح لهذه الحضارة الحديثة والقيم
الاجتماعية الحديثة التى جاء بهث الفرنسيون من أوروبا . وأدركت بعض كات المصرتن
أنها السبيل الى نهضتهم والى خروجهم من ظلام العصور الوسطى . انظر مثلا الى
.مأساة زينب البكرية بنت الشيخ خليل البكري نقيب الأشراف أيام الحملة الفونسية
والى ماساة سيده أخرى من سيدات ذلك العصر احمها هوى " " ماساة عصر كامل

سقط بين حضارتين فدفع ثمنا رهبا لاجترائه على تحدي القديم فبل أنتصار

ولنا ان نتوقع ، بالطبع ، تتوج " زينب البكرية " و ! هوى " كوائدتين في حركة
تحرير المراة ، ونموذجين لهذا الرأي العام بين المثقفين الذي أدرك " ضرو،ة " الانفتاح
لهذه الحضارة الحديثة واخها السبيل الى نهضتهم ، وخروجهم من ظلام العصور
. الوسطى . . . اغ
. . فلندرس - بكل اهتمام - المثلين اللذين يقدمهما
اما زينب البكرية فكثنت دون السادسة عشرة ! ! .. ومن ثم لأ يمكن ان تمثل
حركة ولا أن تقود ثورة .. لا شك إذن أته يعنى أباها الشيخ " خليل البكري !
بالحديث عن ظاع المثقفين الذي ادرك اهمية " الانفتاح " ... اغ (ذ لو كانت بنات
مشايخنا في سنة 0 .18 م يدركن قبل سن السادسة عشرة ، أهمية " الانفتاح "
الحضاري وظلام العصور الوسطى ، وينشغلن بنهضة مصر ، لكان كل حدّيث عن
. . دور الثورة الفرنسية في تحرير المرأة ، لغوا وعبثا
المقصود إذن هو والدها الشيخ البكري الذي يصر لويس على أن ابنته كانت
تخالط الرجثل الفرنسيين بعلمه.
والشيخ " البكري ! - لسوء حظ المدرسة الاستعمارية - أسوأ مثل يمكن ا ن
يضرب على " الانفتاح " على الحضارة الحديثة .. فهو الذكط سأل السؤال المضحك
في بيت " حسن كاشف " وافحم " برتوليه " بتحديه له ان يكون في مراكش
والقاهرة في نفس الوقت . واستدل به " لويس " نفسه على ان حضارتين كانتا
. يتواجهان لأول مرة
. . اما من هو ! البكري " فيكفي ما يثبته " لويس " المعجب به

وهده الرر"ية أثنها أيفا هيررلد لفلا عر مذكرات مملوك "

وهو حب للحياة غريب .. يفضى الى الغيبوبة عن الحياة كل الحياة ! ليس هذا
شأننا فلكل وجهه نظره في التعبير عن حبه للحياة .. ولكن هذا الذي يسكر
بأشربة فرنسية الى حد الغيبوبة ، وما يسبقها بالضرورة من (طينة) النشوة
والعربدة . والذي أثبتت له كتب التشريخ حبه للغلمان ، وإراقته ماء وجهه عند
سلطات الاحتلال في النزاع على غلام يهواه . هذه الواقعة التي يطويها مؤرخ المدرسه
الاستعمارية من تاريخ حياة رائده هذا ! .. الذي عبر عن ايمانه بالانفتثح على الحضارة
الحديثه بتقديم ابنته لجيش الاحتلال .. لكى تنهض مصر على كنفيها .. مع ا ن
المدرسة الاستعمارية كلها تردد في نغمة ببغائية ان حضارتنا كانت حضارة غلمان .
وان الفرنسيين علمونا الاهتمام بالمرأة ! ورغم ذلك نجد ان الرائد الوحيد الذي
انفتح " على حضارة الكونياك والنبيذ البورجوفي ، هو أحد مشاهير " عشاق
الغلمان . والذي اكمفى الحكم الجديد بعد الجلاء ، بمعاقبته على تعاونه مع
ا اغرنسيين ، بحرمانه من الغلام .. مملركه!
والبكركط منذ ان قبل نقابة الأشراف من السلطة الجديدة الفرنسية ، ليحل محل
عمر مكرم الذي قاد الجماهر يوم غزو القاهرة ، ثم رفعنى البقاء في ظل الاحتلال ،
وعاد ليقود ثورة القاهرة الثانية . وتوج زعيماً جاهيريا قاد زحف المصرتنن وتحاولتهم

وثير " هيروارر " الى قصة ت البكركي هلنه ، ويركلى اله لر لها سلى محافي شيفود " وليس يى إمكالا أ "
لعرا ، على وحه الخميئ ، 1 :إف اى مدلى أعصى أبرما افي عن هده الصلة ، واسله كاد ثعرلأ ص مرابة انته

"

التى تقطر نذالة .. وتركهم يكسرون رقبتها .. ناجيا برقبته التى طالما انهالت عليهث
.عهفعات مواطنيه كلما أتيحت لهم الفوصة
! أمم! راتد البكرمم! ؟ ! وأي دور تحريري يمكن ان تلعبه ابنته ؟
تبقى " الفتاه البائسة الأخرى " " هوى " ! .. ولا بد - إذن - مهما كانت
عواطفنا ان نعتبرها هي وحدها ، المقصودة بتللث المقدمة ذات الرنين العالي " كان
. " حركة اجتماعية بالمعنى المألوف وتعبيرأ عن رأى عام بين المثقفين .. اغ
" لا بد لنا ان نستسلم! للمقادير أو حكم الهوى .. ونعتبر ان السيدة " هوى
هي المقصودة شخصيزلانه فيما أتاحه لنا التارغ من مصادر ، لا نعرف أحدا من
ويها يصلح !ثيل هذه النخبة المصرية المنفتحة . ف "هوى " غير معروفة!
العاتلة .. واحمها وحده يوحي بخلفية خاصة .. ولا يعرف لها اكز من زوجين،
غير مصريين ! فزوجها الأول هو " اسماعيل كاشف " من امراء المماليك . فلما جاء
انفرنسيون خرجت عن طورها وتزوجت نقولا .. ونقولا هذا الذى تحدثنا عنه
كثراً ، هو " رومي " أي يونافي ، عمل في خدمة " مراد بيك " فلما جاء الفونسيون
نقل ولاءه لهم . وسارت ! هوى " على خطاه فانتقلت اليه وصعدت الى الفلعة
وعاشت معه . وبمجرد ان اخيزم الفرنسيون أمام الانجليز . خرجت بغير وفاء ولا
حياء ولا مروءة ، تحم! متاعها على حمارين متسللة من القلعة المط أحياء القاهرة حيث
اختفت " وجن جنون " نقولا! زوجها أو بالأحرى حليلها . واستنجد بالفونسيين
الذيق جردوا حملات تفتيش عق الهاربة من " التحرير " وانحيبئه بعيدا محن الحضارة
!!ديثة . والعائدة بهواها ومتاعها الى ظلام القوون الوسطى ، على ظهر حمارين
وباسم ا اضفتيش على " هوى " وجد " محبد العال " الاغا منثخأ رائعأ لنشاطه،
. . وم!اراته
فكثن يتنكر ويلبس زي النسثء ويدخل البيوت بحجة التفتي! عليها فيزعج أرباب "
البيوت والنساء ويأخد منهن مصالح ومصاغأ ويفعل ما لا خير فيه ولا يخشى خالقأ
ولا مخلوقا "26 .. وفشلض حيل الاغا عبد العال في العثور عليها .. ومن يغلب
! " لعلهامى الي خلت احمها عل جمع " نجات الهرى

هوى " ؟ ! وما إن عاد حكم المماليك حتى ظهرت " هوى " وعادت " لزوجها
القديم تائبة نادمة .. الذي أقامها معه مدة كافية لرد اعتباره ، ثم استأذن في خ!لها،
... فاذن له وقتلها
اهذه هي قيثدة حركة تحرير المرأة ! .. على ايه حال هذه هي الأمثلة التي اختارها
. . ! وما كان بوسعه ان يختار أفضل
واذا ما استثنينا الخلاعة والتبرج والسير مع " جوفيه " وفي حمايته ، فما هو
الجديد الذى قدمته الحملة ، فيما يتعلق بالنظرة الى المرأة ؟ ! ولن نقول ان أى دراصة
ولو خاطفة ، تثبت ان مكثنه المرأة في الحضارة الشرقية عموما ، وفي الحضارة
الإسلامية بالذات ، أعز واكرم واكز انسانية ، مما وصلت اليه الحضارة الغربية في
العا لم كله .. لن نقول ذلك .. بل سنسلم بأن التخلف العام الذى كان طابع حياينا،
قد اصاب مكثنة المرأة ، فهل عكست الحملة الفرنسية في سلركها أي مفهوم مثير
. . ! كفيل بتفجير حركة تحر-س ؟
سلوك الحمله لم يعبر عن نظرة للمرأة اكر من كونها وسيلة للتفريغ الجنسي . .
والضابط الفرنسى الوحيد الذى نظر الى " الأنثى " المصرية كامرأة .. "هو " مينو
الذي تزوجها وانجب منها واصطجها ، هي ومن أنجبت ، الى فرنسا ، ولو أن الزوجة
المصرية تعرضت هنثل لمحنة ضديدة ، عندما أصر قثئد الحملة الفرنسية وابن الثورة
العلمانية أ على تنصير ابنه . وعارضت هي ، واحتال علها " مينو " " بفتوى
مستشرق هه زعم لها أن الأديان كلها واحدة ، وقرأ لابنة الحمامي الرشيدى ، اتة
من القران تثبت ذلك ! .. والغريب انه لم يمتنع لا هو ولا مينو بالآية والا

+ الاصم الدى كار تطلقه المومات على لصكرى الانجليزى في صر أثاء الحر! العاية الاية.

ولا نظن ان استيلاء الجنرال " بيريه " على " بعض النسوة " و "
بعض الأثاث أ
و " بعض المجوهرات من منازل الأمراء المماليك " يمكن أن

وعندما قدمت لنثبليون نفسه " هدية من ست نساء ! لم يعترض الا
على رائحتهن
وزيادة وزفهن !127 .. وكان نابليون يعتبر ان ثياب النسا 6 هي
رش الجبن،
وارتداءها إهانة بالغة للرجل ، فقد اصدر امره بمعاقبة الجراح
الفرنسى الذي خاف
من عدوى الطثعون : " ان المواطق بوالعه جراح مستشفى
الاسكندرية بلغ به الجبن
أن يرفض علاج الجنود المجروحين الخالطين للمرضى الذين قيل
اضهم يشكون مرضاً
معديا . إنه غير جدر لان يكرن مواطنا فرنسا . ويصيلبى هلاب!
النساء ، ويوضع
على حمار ، ويسحب في شوارع الاسكندرية وعلى ظهره لافتة
كنب علها : " غير
. . جدير بان يكرن مواطنا فرنسيا ، لأنه يحشى الموت 281
لقد فاز بسخرية التشريخ ذلك الخليفة العاجز الذي أهان المرأة
عندما كتب
للمماليك دط القرن الثالث عشعر يقول لهم : اذا لم يكن لديكم
رجال فقولوا لنث
فرسل ى . وذلك يوم تولت السلطة شجرة الدر ، فقهرت لويس
التشسع دون
معونة ذلك الخليفة الذي يشك التشريخ لط زعمه توافر الرجال عنده
.. ولكن لم
يحدث في تاريخنا قط أن عوقب " جبان ! لالباسه ثياب النساء ، !
ذه مذلة للنساء
وليم! للرجل المعاقب .. وهو ما فهمته النساء الفرنسيات في
الحملة وكان مثار
. . احتجاجهن
ما الذي كان بوسع الحملة الفرنسية ان تعلمه لنساء مصر .. لنساء
المماليك مثلا
عن مكانة المرأة ، وتاريخ المماليك ت!دأ وينتهي لامرأة عظيمة ..

وتدرسهث ، فارتقت مداركها واكتسبت احترام العلماء والبكوات المماليك . وكذلك
اجتذبت قلوب الشعب بما اشتهرت به من البر والاحسان ورفع المظالم وحماية
الضعفاء ، فعظمت مكانتها لن طبقات الشعب . وسرت شهرتها الى الأوساط
الأوروبية إذ عرف! عنها الميل الى تنشيط التجارة والصناعة ومعارضة البكوات
المماليك
في سلب أموال التجار ، وقد أهدتها حكومة فرنسا قبل الحملة الفرنسية ساعة
مرصعة
بالماس قدمها لها القنصل " مجالون " اعترافا لها بمبراتها وخدماتها للتجارة . وكانت
تتبرع باعانات شهرية لكثير من العائلات التي أخنى عليها الدهر ، واستمرت تؤدي
هذه الإعانات حتى في أيام محنها ، ولما جاءت الحملة الفرنسية واضزم مراد بك فى
.واقعة الأهرام بقيت هي في القاهرة فاستهدفت للإتاوات والغرامات الحربية ، 29
وبالجملة فقد كانت من الخيرات ولها على الفقراء بر وإحسان ولها من الماثر الخان "
الجديد والصهريم داخل باب زويلة ا] 3
كل ما عرفته السيدة نفيسة من الفرنسيين هو الغرامات الفادحة .. التي اضطرتها
؟ يقول " رييو " الى " أن تنزل عن حليها وجواهرها ومنها ساعة مرصعة بالجواهر
كان أهداها لها القنصل "مجالون " باسم الجمهورية الفرنسية تقديرا لخدماتها
ورعايتها . فكان اضطرارها للنزول عن هذه الهدية للفرنسيين احتجاجاً شريفاً
مرثا " 1 3

لم يكن في الحملة الفرنسية كلهث امرأة احتفظ التاريخ
باحمها ، ؟ احتفظ باسم
السيدة نفيسة . ولا كان في فرنسا ذاتها امرأة تتمتع بنفوذ وتجري
مفاوضات وتدير
شئون السياسة ، ؟ كانت السيدة نفيسة التي لم تر من

وكانت لدى زوجة (عثمان بيك الطنبرجي " فرصة نادرة للتعرف على
رسالة
الفرنسيين في تحرير المرأة . فقد أرسل ديوي قائمقام الى الست
نفيسة وطلب منها
احضار زوجة عثمان بيك الطنبرجى فارسلت الى المشايخ تستغيث بهم
فحضر اليها
الشخ محمد المهدي والشيخ موصى السرصى وقصدوا منعهم فلم
يمكنهم فذهبوا

بعد الغروب " فطلب المشايخ الافراج عن السيدة : " دعوها تذهب الى بيها وفي
غد نأقي ونحقق !ذه القضية فقال دبوي نونو .. معناه للغتهم النفي . أي لا تذهب.
فقالوا له دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا محنها فلم يرض أيضا وعالجوا في ذلك
بقدر طثقتهم فلما أيسوا تركوهث ومضوا فباتت عندهم في تاحية من البيت وصحبتها
اعة من الن!حاء المسلمات والنساء الافرنجيات . فلما أصبح! النهار ركب المشثيخ الى
كق!فا الباشا والقاضي فركبا معه وذهبا الى بيت سارى عسكر الكبير فأحضرها
وسفمهـا الى القا! ه و! يثبعليها شىء من هذه الدعوى " 3 ورغم ذلك ينهي
! الجبرفي " الح!اية بقوله ء وقرروا عليها تلاية الاف ريال فوانسة " .
أما نظرة الفرذميع!ت ل!ن!صا/؟ ، فهذا هو " ديزيه " فاتح " الصعيد ، " الفنان الثوري
مت كان يلهب مشثمحر !وب " يكتب لصديقته في فرنسا يحدثها " عن حريمهة
أحببت استير الصغرة ، وهي فتاة جورجية لطيفة جميلة كفينوس ، " شقراء،
رقيقة . وكانت في الرابعه ععفمرة ، برعمتي وردة وقد الت الي بحق الميراث ، لأن
سيدها مات . ثم أهديت سارة ، وهي حبشية رعناء في الخامسة عشرة من عمرها،
وقد رافقتنى في رحلاقي . كنلك مالكصت " مارا " وهي طفلة ساذجة من دجلة.
وفاطمة وهي فارعة الطول ، حسناء جميلة التكوين ، ولكنها تعسة جدا .. اوفك
صي " وإلى هؤلاء يجب أن أضيف ثلاث زنجيات ، وكلاماً أسص! ! جمرا ايعى
باقل ، ومملوكاً صغيراً احمه اعاعيل ، حلو الصورة " كأنه ملاك " ت

لم نحبرنا " هرولد " المهغ يع! الرفين للنلمان عن جص احخاظ " دفيبه " *

بل ان هذا الاندفاع - الذى يحدثنا عنه " الدكتور لويس إ- من جانب
النساء الى " التحرير ! لم يلق ترحيبا من كبار المسئولين عن الحملة
الذين كانت
لديهم وسائلهم في الحصول عل " الانثى " .. وكانت لديهم ميزه الاختيار
من بين
مطلق الانثى " . ولذلك فزعوا لما أصاب الجيث! على يد المومسات "
المندفعات
اضحرير المرأة . فقد كتب الجنرال ديجا حا آ القاهرة الى بونابرت : "
ان البغايا وبا.
يمشى في مساكن الفرنسيين ولا بد لإبعادهن من إغراق من يقبض
عليين في
الثكن!ات . وكان تعقيب بونابرت في الهامش : كلف اغا- الانكشارية -

وعندما انتهت الحملة ، وتقرر جلاء الفرنسيين ، لم يسجل التاريخ
لملحملة
الثورية حتى " تحريرها " للمرأه بالمعنى اللغوي الذي تصر المدرسة
الاستعمارية على
أنه المعنى الوحيد الذي عرفناه ، في حضارتنا ، للحرية .. أكط تحرير
العبيد
والجوارى ! حتى هذا لم يتكرم به جنود الثررة الفرنسية ، بل أصر،1
على بيع
جواريهم وقبضوا الثمن نقدا .. ثمن بنات بولاق ، بعد أن عاشروهن سنة
كاملة
معاشرة الأزواج ! .. يقول هيرولد خجلا : " وفي أنناء ذلك (أثناء إتمام
الجلاۭ)

لم بكن نابيون ضد المرمات ، بل ضد المرمات " ابلديات ، وبمفر الأجاز) وي! طول الرقت ، *
نإز
ص سيد يقول إن " أول ،ئمة بالطلبات التي أرصلها بونالرت ال فرلا فرر احتلالى القاهرة ولحفط
مفويات الحد تفس
. طلب أ مائة ص م! فرنية 1 36

وكانت تجارة البيد صتهد ازدهاراً حقعيا ، لر نجحت ماريع نابيود أو لر طالت أيامه ر مصر ! * ،
مقد فكر
ت - اء اءس ء ، . صسى (ورص له ت - له 6 دلم 11 ء . ل ا. : ،-9 ات اكأ- اطرا ا .. أسر ف 0 ،
0 2 ج. 0 0 0 3 ، حى
تزيد اعمارهم على الكت كرة 5 39 ثم محب بعد أيام قيلة ال صلطان دارفرر يقرل : " ارجرك أر
ترسل لي

على أيه حال ، لي! ثمة دليل ولا في عصرنا الحاضو على أن وضع المرأة المسلمة
في داخل الحريم ، لي! اكر ارضاء للمرأة من وضعها في كباريهلت النرب . ولا
نشلث في أن نسبة كببرة من ال 0 . 3 إمرأة اللاقي جعن مع الحملة الفرنسية للتيرفيه،
كن شفضلن ! الحريم " على العودة الى مواخر لاريس . ولدينا حالة واحدة على
الأفل تنفى هذا الزعم الذي طال ترديده عن افضلية حياة الحانات في النرب على
حياة الحريم في الشرق . فقد تيح لامرأة غربيه أق تختار ..
واختارت : " أصر ديزيه
على أن يرد والِمط القدس عاملة فرنسية في أحد مطاعم

ن

هطلق الأنثى .. ومطلق

ثم ينهار منطق المدرسة الاستعمارية تماما ، بهذه السقطة أو التزييف النثدر
للنصوص والألفاظ .. هذه الفقرة التي تعفي كل قلم من عبء المناقشة .. يقول
لويس عوض : " وربما كان أهم مث ورد في الجبرتي عن موضوع تحرصر المرأة * هو
ظك الففرة التي تصور هروب " اجواري السود " من بيوت أسيادهن والتجاءهن
الى الفرنسيين طليا للحرية " لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى " أي تحرير المرأة
؟ نقول اليوم أو " اطلافها " من عقالها . ويحدو ان هذه الانطلاقة المفاجئة كانت
مقترنة بألوان من المغامرة العنيفة ، لأن الجوارى كن يلجان الى نط الحيطان والخروج
والدخول من النوافذ شأن السجناء لكي يصلن الى منازل الفرنسيين . بل للغ من
بغضهن لسادضهن انين كن -رشدلى الفرنسيين الى الخث لىء التي يكن فيها أولئك السادة

. %الجبرفي لم يبهب ضا عن هرضوع تحرور المر *
تم كاب ذلك بثلزت لأنه لما لره أرل مرة في الصحغة نجه بهر من كاتب لثعة 55 الحطث في فهمه " لمطلق
الاتى " ولو كانت جمرد كلطة لصط عنسا جمع المقالات في كاب ولبهه لم كحل .

ان البكري ذاته ، وحتى لو وصل الى الغيبوبة عبر بحر من الكونياك ، لا يم!ت
أن يفسر عبارة " مطلق الأنثى " هذا التفسير : " اطلاق المرأة من عقالها " أو " تحرير
المرأة ؟ نقول اليوم " ا . وعباره الجبرقي:
واما الجواري السود فانهن لما علمن رغبة القوم لى +ث!ى " أ.!"ضى ذهبن اليهم
أفواجا فرادى وأزواجا فنططن الحيطان وتسلقن الهم من الطيقان ودلوهم على مخبات
أسيثدهن وخبث يا أموالهم ومتاعهم وغر ذاصك " ث ث .
وأظن أنه من المهانة للغة العربية ان نناف! معنى " مطلق الأنثى " .. التى فهمها
الخواجة " هيرولد بمجرد قراءة الجبرقي وهو متيقظ ، فيقول في " معرض شرحه
للوساتل التى حل بها الجيش المشكلة الجنسية لجنوده :
أما الفرنسيون الزاهدون في الزواج ، الذين لا يصبرون على " العزوبة ، فكانت
أمامهم وساتل أخرى اممرما غير واف بالغرض . فقد رافق الجيش الى مصر خو
امرأة ثصهن تسلل عل السفن ، ولكن الحسان القليلاتت منهن 3. 5 كن اما
مرهقاتت ، واما حكرأ للبعض . وكانت البغايا من السكان كثيراتت ، و لكنهن-
فيما خلا قلة من صغيرات السن - كن غير مغرياتت ، قبيحات ، مصابات
بالأمراض . وقد حل كبار الضحباط مشكلتهم دون ان يبذلوا جهدا يذكر ومنهم
الجنرال بيريه الذى كان في وسعه ان يكعب لصديقه الكبتن لوجواي

* لر عاكأ هذا الجرال الاحر لمرأ " اءير عرضر 5 لأعرف أن نكه " لصاء تحرو المرأة أ
بهز خرية!
* * الزا ا! طرحه هرولدّ .. والجواب (بمطق لريق عرض!) هبر ؤ مدام بيربه ب أد تا

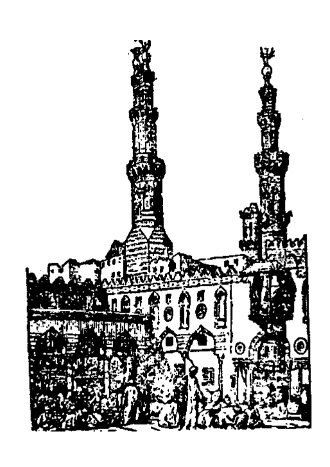
الفرنسيين نجثلنساء، ولعلهم مث كانوا يلحظونه لو كان

هذا مث فهمه الخواجة .. وهو رغم الوخزاتت والسموم التى يوجههث لحضارتنا
ومجتمعنا في ذات العبارة .. مثل حديثه عن الغلمان .. ام، انه ت يسس! لنفسه بأن
يسعقط في التفسير المضحك عن تحرير المرأة ، أو ان يترجم " مطلق الأنثي أ بأخها
اطلاق المرأة من عقالها ا .. لا شك ان " لويس عوض " بتفسيره



عل اله حال لم تكن " الجراري السود 5 هن وحدهن اللا! ثطلعن ال ال!حرير بالهروب لى " جنرد فرنا 6 الذين
كبون في مطلق الاثى ، با كانت هنثك صكة " نحر ، في الافي ه المصاد نمثما : " وفيه أحاط! الفرنير بخزل حن





افصيلا فا
من
الجز1ل ال!
يل
حم ألبي

.
.
لأ

و؟ كانت (ا هوى " و " زينب البكرية)! ومن خلفهما قطيع النسوة في معسكرات
جيش الاحتلال هن رائدات حركة تحرير المرأة ، كذللث تقدم لنا المدرسة الاستعمارية
من داخل هنه الثكنات رائدا للقومية المصرية ، في شخص أحد المتعاونين مع
الفرنسيين.
ولأن المدرسة لا تستطيع ، لأسباب "!نوفيه " إ ، أن تنصب الرومى
برطلمين " رائدا للقومية المصرية التى زرعها الاحتلال الفرنسى ، لذا " فقد وقع
اختيارها على المعلم يعقوب ، فنسبت اليه التفكير قي استقلال مصو ، ونسجت عنه
الاساطير والعجائب . وهو لم يكن اكثر من محميل وضيع أو من " أسافل القبط"
إذا ما استعرنا لغة عصره عمل في خدمة في سيد ، ؟ عمل أساف! أ اروم
. . وأسافل إلمسلممين مصرينن أو مغاربة
عميد المدرسه الاستعمارية " كرستوفر هيرولد " يندفع في مدح يعقوب الى حد
اهانة مواطنيه : " فالمعلم يعقوب بن حنا ومارية غزال كان يتسم بصفه نادرة بين
. قومه هى الشجاعة والكفثية الحربيتان "1
اشتغل !ن قبل ناظرا !دائرة زميل لمراد يدعى سليمان بك .. كان " نجيرأ بطبيعة
. البلاد وبأهلها ، وله قي كل مكان صلات "2
هذا الجاثط عند المملوك " سليمان بك " اغا الانكشارية ، ثمأنه ثمأن كل العملاء

خضمع لهم بعد ، ولكى تغ الجباية والتحصيل ، الحقوه مرشدا وجاسوسا وجابيا بجيش
ديزيه " الذى تولى مهمة اخضاع الصعيد المصرى .. وهكذا في العقد " الخامس
من عمره وبعدمث أفنى الأربعين عامث الأولى من حياته في خدمة الاستبداد المملوكي،
تولى خدمة المحتل الأجنبي.
عميد المدرسة الاستعمارية ، يؤكد أن هذا " المرشد " كان شريكأ لديزيه في حملته (!)
" ويؤكد ان أهل الصعيد كان يسمون فرقة ديزيه "جيثٍ! المعلم يعقوب
وهكذا حمى نابليون الحملة السورية " جيئ! مصر " .. أمث الحملة على الصعيد فها
هي تسمى " جيث! المعلم يعقوب " ! .. وحتى لو أخذنا هذه التسمية على محمل
الجد ، فسنجد انها غرر مستغربة إذ إن " يعقوب ، هو الذى كان يتولى عمليات
القمع والتحصيل المتصلة " بالأهالي " . ! " ديزيه " الفرنسي ؟ كد " هيرولد"
نفسه كان " يأنف من هذه المهام القذرة " .. والضرورية في نفعى الوقت لجيش
احتلال . وفي مثل هذه الحالات فان الناس يهتمون بالعميل اكر من اهتمامهم بالعدو
الأجنبي الذي مهما تكن كراهيتهم له ، فانها لا تخلو من الاحترام . ومث دام الجميع
قد ارتضوا كارهين أو راغبن " بالجبرتي " كمرجع وحيد وصادق ودقيق

مرشد .. يصاحب حملة تأديبية ، -هلعهم على انحبات ويعرفهم الأمور ، هل
يمكن أن تمهن اللغة على نحو يجعل هدا إ اضعريف ينطبق عك ضىء
امحر من جاسوس . .

"و " يعقوب " هذا يحمل الجرم الأكبر في كل الجر! التى ارتكبها جيث! " ديزيه
في الصعيد .. ولكنهم -سيدون افتعال قضية له واختاروا هذا المسخ بالت ات ليجعلودـ
رائد القومية المصرية بل هو أبو استقلال مصر!
ولقد قدمنا لمحة من تاريخ المهمة القذرة التى قام بها يعقوب في صعيد مصر (فصل
المقاومه الشعبية) ورأينا كيف كان " !برى ايقاظ وبعث القومية المصرية " ولا شك
و 3!6

أن عمده لحساب الاستبداد المملوكي - ولا يمكن تبرير ماضي يضوب هذا حتى
عند المدرسة الاستعمارية - قد قتل كل احسانى فيه ان وجد أصلا .. فجرائمه
وقعت في انصعيد حيث كانت تعيش أعلى نسبة من الاقباط . وهذا يعني أنه لم
يفرق في تنكيله بين مسلم وقبطي ، ولا يجوز نسبة مواقفه للأقباط ، فقد كان محتقرا
من اص!بر القبط المحترمين ، مطرودا ومعتديا بوقاحة على الكنيسة ، ؟ سنرى ،
يدخلها مقتحماً على صهوة صانه ، وكان البابا المصري ضده ، وحتى أصته تبرأت
منه .. كان سبة للأقباط وللمصرتنن وللشرقيين عموما .. نموذجا للعمالة للمستعمر
افرثط ، والذفى يصنعون منه بطلا اليوم ، هم في الحقيقه يدافعون ويروجون لفكرة
الانفتاح على الغرب ، ويخطئون الدعوة الى مواجهة ومقاومة سيطرة العالم المتفوق
. . تكنولوجياً
كان ! برطلمين " الرومي في القاهرة يتولى ايقاظ وتحضير القومية المصرية تعاونه
مكر الله " وهو الاخر أحد رواد القومية المصرية ! .. بينما كان "! " يعقوب " في
ركاب " دنريه ، يتولى تفس المهمه في صعيد مصر ، مهمة إدخال الحضارة الغربية
في ظلام العصور الوسطى . ولنقرأ شيئث من تفاصيل يوميات هذه الرسالة
:التحضيرية
ا لقد كان " درزيه " مضطرا لفرض ضرائب والاستيلاء على الماشية والجماق
والخعل ، وكانت توسلات القروتنن أن يعفوا من الضرائب لأنهم ثفعوها فعلا لمراد
تلقى في مقر القيادة بالقاهرة الرففء! بلا استثناء . !مع ان كثيرا

* لاحظ ان الفرنس!نن كانرا يجمعرن الضرأث باصم ال!لطان

البؤساء بالحودة والا عوملوا معاملة العصاة أو حلفاء الاعداء ،
وكرهوا على دفع
الضريبة مضاعفة . فابرا اذعنوا للتهديد وجاعوا ليدفعوا الموى ،
كان رجات يخطونهم
أحيثنا بسبب كزة عددهم ، وما يحملون من عصى ، فيحسبونهم
جاعة من الرعاع
المسلحين ، وفي هذه الحالة تطلق دورياتنا النار دون تردد ، قبل
أن يتسع لهم الوقت
لبيان غرضهم . ثم يدفن موتاهم ونظل أصدقاء حتى يجدوا الفرصة
للثأر دون أ ن
يتعرضوا للخطر . صحيح أنهم لو ظلوا في قريتهم ودفعوا الميري ..
لوفروا على
أنفسهم مشقة الرحلة الى الصحراء ، وتمتعوا بمشاهدة طعامهم
،يؤكل بطريقة منظمة

وما حظ المواطنين بليار ودينون من التحضر ، اذا كان فيهما هذه "
الحساسية
الشديدة لروعة أطلال مضى عليها خمسة وثلاثون قرنا ، وهذا الاغضاء
عن اغتصاب
. " الجسد الحى
يشير الى اهمامهم بكشف الآثار الفرعونية ، حتى لو أدى ذللث الى فتا!
اطفال
. . المصرينن الأحياء واغتصاب نساتهم
وبينما كان الجنرال بليار يسمح لجنوده باغتصاب النساء ليرفع "
معنويت!ثم ، ويأمر
. باتلاف المحاصيل ليهبط بمعنوية المماليىنث "6
وأي أمة حية لا بد أن تهب لمقاتلة هؤلاء البرإبرة المتوحشين الذين
يقتلون الرجال
ويغتصبون النساء ويحتطبون بأدوات الحضرة والانتاج . ويسرقون
. الماشية والطعام
لذلك لم يخطىء " ديزيه ! وهو يكتب لبونابرت " لبر أنك تركت هذا
الأقليم دون
. جنود ولو لحظة واحدة ، لارتد فورا الى سادته الاولين لم 7
ولا شك ان الجدية تفرض علينا أن نت!صور اهتمام " ديزيه " بالأعمال
العسكرية
وتفرغ " يعقوب " لأعمال النهب والتفتيش على الخبات أموالا كانت ، أو

الفرنسيين .. هكذا كانت مهمته ، وبعكس كل ما تروجه المدرسة الاستعمارية فإن
دعاية القبطي البارعة " -؟ يصفها " هيرولد " - أ تجد أي صدى فى " نفوس
الفلاحين المسلمين والأفباط ، بل لاقت نجاحا تنن صفوف المماليك (رحال " مراد إ :
الذين كانوا يهجرون جيشه زرافات وينضمون الى جيش ديزيه بعد أن " فتنتهم ولا
! ريب دعاية القبطى البارعة .. ودب الشقاق تنن انبكوات "8
هل كان المعلم " يعقوب " يروج دعاية بين صفوف المماليك عن بعث القومية

ان هذا الانضمام المملوكى الى جيش الفرنسيين في الصعيد سراء اكان بسبب
نشاط " يعقوب دا ، وهو غير مستبعد لصلاته القديمه باشياده المماليات ، أو كاق
بسبب انهيار المماليك أمام التفوق الفرنسى ، وكنتيجة لانتهاء دورهم التاريخي قبل
الحملة بسنوات عديدة ، فهم كطبقة خارج التاريخ ، لا يستغرب تحولها الى مرتزقه
. . وتخليها حتئ عن الدفاع عن مصالحها والوطن الذي تحكمه
ومهما يكن السبب ، فان الواقع يخالف تماما الصور 3 التى شحمها المدرسة
الاستعمارية أو إلتغرييه ، !وت الحرب التي دارت في الصعيد .. هذه الح! مورة التى
تتحدث عن حرب يين الفرنسيين والمماليك . الفلاحون فيها خارج أرض المعركة،
ينتظرون من يفوز ليتقدموا له بالطاعة ! وصت ثبم فالذين تعاونوا يع الفرنسيين ، شانوا
يحاربون المماليك لا الفلاح!ت ! هذه الصورة مخالفة للحقيقة ة فالحرب كانت تدور
إساسا بين الفرنسيين الغزاة والفلاحين انمهوبة أرزاقهم والمغزوة أرضهم .. والى
جانب الفرنسيين كان قطيع العملاء من أمثال يعقوب والمماليك اط! اربين الى صفوف
الجيش الغازي ، والى جانب الفلاحين كان المتطوعون صت الاشقاء العرب .. ا.، عن
المماليك فكان موقفهم ما بين هارب ناهب للقرى التى أ لصل اليها النيران

الفلاحين ، مهمة تحضيرية وبعث للقومية المصرية ، ولكن يبدو انه لا حيلة له في
هذا التفسير فلكى يبرىء العميل ا يعقوب " من دم مواطنيه الفلاحين ، كان عليه
ان يبرىء ساحة الحملة الفرنسية كلها ، ويدين الفلاح المقتول ، ويتقدم بالشكر
للغاز! الفرنسي الذ!ط كان يحضر الهندى الأحر ا اما البدو : " فيطاردون في
الصحراء أينما كانوا ، وفي كل يوم يستولى رجالنا ع! غنيمة منهم . فتاره يأخذون
نساءهم عل غرة ويحملوضهن رهائن ، وتارة يستولون عا! ماضيتهم وخيولهم وإنجدهم.
أما الابل فقيمتها لا تقدر .. كان منقر هذه الفرق المغيرة وهى عائدة من غاراتها
عجيبا .. فكل فارس يحمل تحت معطفه شاة أو جدياً يمأمىء ، ويأخذه خفيهة الى

واذا كان دور ا يعقوب " في الحرب هو التجسس فان مواهبه الحقيقية التى
صقلت نط ظل المماليك ، هى اعتصار اخر نصف ضمة مع الأهالي .. وفي معرضر
الدفاع المتهافت عن جرائم " يعقرب " يستعير " لويس عوض " التعبر الساخر الذي
استخدمه " هيرولد ا) عن عمليات نهب المصريين ، يستعيره كحقيقة ! .. فيطلق عاى
الدور الذ! قام به يعقرب فى نهب المصريين صفة " تنظيم مالية البلاد " فيقرل لويس
عوض : " وعهد كليبر الى " يعقرب " بتنكل مالية البلاد) وقد سخرنا من هذا
التعبير بقدر ما وسعنا في كتاب " الغزو الفكري ا) لنجد بعد صدوره ان " هيرولد إ)
فد سخر بدوره من هذا التعبير ، وفسر هذا " التنظيم " بأنه ال!ثب والسطو .. تنظيم
. . مارسه الفرنسيون والمماليك عل السواء
ووافق الجنرال بونابرت هذه المرة عل أن الجنود في حاجة الى الراحة " فأجاب ديزيه
بأن يدخ مراد وشأنه فترة وان ! ينظم " الفيوم - والتنظيم معناه جمع! الضرائب
ومصادرة الأغذية والخيل - (الشرح لكرستوفر هيرولد) وفي أواخر ا - بر عاد

بالرمد- الى الدفاع عن العاصمه ضد الاف من الفلاحين المسلحين . وفقد
الفرنسيون أربعة رجال ، وقتلوا نحو . .2 . ولم يحل 20 نوفمبر حتى أخلى
ديزيه " الفيوم بعد أن نظمها تنطما شاملا ، ولم يترك بها حامية " ولا ديوانا
اقليميا ، ثم استقرت فرقته في بنى سويف على النيل انتظارا للامداد ، أما هو فذهب
الى القاهرة ليستوثق من الحصول على مطالبه . وكان مراد في هذه الاثناء يكتب
لشتى زعماء القبائل في ثبه جزيرة العرب عبر البحر الأحمر ويشرع في " تنظيم"
الصعيد "12 .
ها هو كبيرهم يعترف انه لا فرق لين " تنظيم " الحملة الفرنسية ، و " تنظيم"
المماليك .. نهب البلاد وسرقة الماشية والخيول ، فهل يستغرب ان يى الشعب
لمقاومة هولاء " المنظمين " وهل يستغرب ان ينظر الى الذين 9 اوكل اليهم الفرنسيون
م!مة تنظيم البلاد " نظرته الى العملاء المنحطين الذين يقومون ، بأك!ر الأعمال دناءة
التي يأنف المستعمر نفسه من ارتكتبها بيديه ، وهل يمكن تسمية هؤلاء النهابين
وادواتهم روادا للقومية أو باكثين لها ؟ !
كان " يعقوب " في خدمة جيش " د-نريه " وفي مقدمة الذفى تولوا " تنظيم " ماليه
البلاد ا
وكان هذا راي المصربن فيه .. فهو الذي سافر مع الفرنسببن " لبعرفهم الأمور
ويطلعهم على الخبات "13 . وعندما قام حكم " كليبر " الذي يصفه " هيرولد"

وخرجت الناس من المدينة ، وجلوا عنها ، وهربرا إلى القرى والأرياف " وفي " " .
كل وقت وحين ، يشتد الطلب ، وتنبث العيون والعسكر فى طلب النثس وهجم
الدور وجرجرة النثس حتى النساء مق اعير وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم"

ا فدهى اداس ، وتحيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت)
وساوسهم،
وأشيع أن لعقوب تكفل بقبض ذاسك مق المسلمين ، يقلد في ذلك
شكر الله

وفد رأينا الدور الذي لعبه " يعقوب " خلال ثورة القاهرة الشانية ، وكيف
كان
التلابور الخاممم! المسلح الذي قاتل ضد مواطنيه الثائربت ، تم تولى
، بعد فهر الثوره
عملية التنكيل والاعتصار المالي . وفور توفيع وثيقة استسلام :جلاء
جيش الاحتلاق
الفرنسى .. بادر " يعقوب " فخرخ بمتاعه وعازقه وعدى الى الروضة .
وكذلك
جكل اليه عسكر القبط وهرب الكثر منهم واختفى . واجتصت نساوهم
شأهلهم
وذهبوا الى قائمقام أ بكوا وواس لوا وترجوه فى ابقاته!ا عند عيالهم

وهذا النص يكشف بوضوح طبيعة " الوفد " الذي سافر به يعقونب . فهم
خليط
من الذين أرتكبوا شخصيا ، جرائم وعرفوا أنهم يستحي!! علإ 3 نتيجة
ذلك العيش
بين مواطنهم بعد جلاء الفرنسيين . وعلى رأس هؤأيلاء " يعقوب "
طبعا ، الذي كان
فضلا عن جرائمه ، له علاقة خاصة بامرأة ، رفضت استه والكنيسة
الاعتراف
بشرعيتها .. واخروت أجبرهم ! يعقوب " بطريقة أو بأخرى على الذهاب
معه رغم
بكاء الأهالي ، ورغم محاولات الهرب والاختفاء . وحتى !! كان القاتمام
قد ارسل
بتنبيه الى " يعقر ب " داخ!! 5 عسكرات الفرنسيين . . فما كان "
يعقوب " بالذي
يهتى بتنفيذ وصايا القايمقام واجراء استفتاء بين (ا ا اصناايعية ا-خا،بة "
. . الذين جمعهم
وما كان " القاتمقام " بالذي يتابع تنفيذ نصاتحه وهو منحثعغل باجلاء
جيش احتلاأ!
واستقبال جيش اخر.
وسافر معه أيضا بعض المغامرين الذين استطابوا الخدمة في .سخرة
جي!ق فرنسا،

هذا الخليط هو الذي خرج الى الروضة ؟ يسج!!

وفي يوم الأربعاء تاسع عضر صفر الخير 1216 هـخرج المسافرون مع "
الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم وهم جماعة كثيرة من
القبط وتجار
إلافرنج والمترجمين وبعفر ألمسلمين ممن تداخل هعهم وخاف على
نفسه بالتخلف
وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل ينى شبرطلميز ، يوسف الحموي
وعبد العالى
الاكأا أيضا طلى زوجته وبا لح متاعه وفراشه وما ثقل عليه من أطقم
وسلاح وغيره .
"ولم يحمل معه إلا ط !ف ح!له وغلا !4
إن اخر ما يكن أن يوصف به هذا الخليط هو وصفه " بالوفد المصري " .
واخر
مهمة يف!! فيها هي " البحث في استقلال مصر " .. فإن أسوأ ما ينزل
بمثل هذا
الخليط هو استقلال مصر .. وآخر جهة تصلح للمفاوضة في الأستقلال ،
هي
الوجهة المتجهه اليها هذه القوة المهزومة الراحلة.
هذه هى مخلفات الجيوش رأوساخ الاستعمار التي تعلز! بحذائه وترحل
معه .. يوجد
منها العديد في عواصم و الدول الاستعمارية مع زوال عصر الاستعمار
ورحيل
فواته .. هي العع!ى التي يطالب الوطنيون الاستعمار با! يحملها على
كاهله
لإيرحل .. فيفعل!
يعقوب كان منشغلا بجيم متاعه وأمواله ، وتجميع عدد من المرتزقة ..
شلكن
المدرسة الاستعمارية منشغلة بتنصيبه بطلا وطنيأ ، وباعثأ للقومية
المصرية ، ورائدا
لاستفلال مصر ! وكل إلنظرلات اشتى تدافع عن " يعقوب " هي في
الحقيقة تبرر

يعقوب " الذي عرفناه في " الجبرقي "- المصدر الوحيد المعتمد لهذه "
القترة
من جميع الاطراف - كان - ؟ رأينا - أفاقا من اسافل القبط - ؟ كالت
الاغا
عبد ا ا!ال من أسافل المسلمين - .. عمل في خدمه المماليك ثم رشحه

الجنرال " ديزيه " ليطلعه على الخبآت " وكان اداته وعميله في التنكيل
الذ!ط نزاً!
بالصعايدة أقباطا ومسلمين .. ثم عاد الى القاهرة حيث حؤل بيته الى
قلعة حربيظ
ضمن الخطة الفرنسية التى اعقبت الثورة الأولى وهى تطويق القاهرة
بالقلاع المحصنة
تحسبا للتحرك المقبل . وعندما وقعت الثورة الثانية أصلى مواطنيه نارا
حامية من قدعته
هذه وبواسطة جنود فرنسيين كانوا بها بصفة دائمة . فلما انتهت الثررة !
"ظهر
وأشصهـف على سلخ المصريين في العملية المعروفه باسم جع الفردة (
12 مليون
فرنك) . واستعان به الفرنسيون في تجنيد عدد من شباب الفبط ، أرادوا
بيذا الفيلق
. . فصم الوحدة الأبدية بين عنصرى الشعب المصرى
وكانت علافته سيئة بالكنيسة المصرية يتطاول على كبارها ولا -يتردد في
أفتحامها

.هذا هو يضوب " الجبرقي " وكافة المصثتر التاريخية المتاحة
ورغم ان " لويس عوض ! يتوعد بأن " شهادة الجبرقي في عجائب الاثار
ينبغى
أن تؤخذ بلا تحفظ على أنها تمثل وجهة نظر الطليعة المثقفة في البلاد "
. 18
إلا أنه يعفى نفسه من هنا الالتزام فيما يتعلق " بيعقرب لم ، بل يجري
تزويق
العبارات وحذف الفقرات ، واغفال الشهادة كليا في كثير من الأحيان
ليقدم لنا
: هذه الصوره عن يعقوب
ولد المعلم " يعقوب " في ! ملوى " حول عام 1745 م من حنا "
شمارية
غزال . والتحق في عهد " علي بك الكبير " خدمة ا سليمان " اغا
الانكشارية أ و
رئيسها ، واشطاع من خلال اشرافه على ادارة املاك رئيس الانكشارية
أن ينمى
ثروته (ثروة من ؟ !) فلما نشب القتال بين مراد بك وجيش فبطان باشا
اشترك
المعلم يعقوب مع مخدومه سليمان بك في هذه الحرب ، وظهرت مواهبه
قي القتال
؟ ظهرت فى الادارة . وعندما دخل بونابرت مصر التحق المعلم يعقوب

الفرنسى بالأغذية وبمختلف الاحتياجات وكان يشترك في قنالط المماليك بشجاعة
! . وضراوة جعلتا الفرنسمنن يقدمون له سيفا تذكارتا تكريما له
و؟ تفعل طالبة المدرسة في اخفاء عار مهنة أمها فتختار الفاظا رقيقه لوصف
هذه المهنة ، نجد ألدك!وش يصف عمليات النهب الوحضي بأنها تنيم ا! وين وامداد
الجيث! بالأغذية ، كأى متعهد في اجيش البريطاني أو 9 الاورنص " ؟ !يختار اللفظ
وقد رأينا في الفصود الماضية واستنادا الى المصادر الفرنسية ذاتها كيف كان يجرممط
لمحوين) المجحث! بنهب وحرق القري المصرية . أما الزعم بانه كان " يقاتل المماليك
ببسالة .. فالمصادر الجاده كلها ا، تتحدث عن قتال ! يعقوب " بل عن تجسسه،
كرستوفر هيرولد " وهو معجب " بيعقوب " لأسباب مفهومة طبعا ولكنه " يحترم
قلمه وينزهه عن التزتيف الرخيص لذلك فكل ما يشير به عن يعقوب هو : " فيما
غكط الى المعلم يعقوب " أ(وصلت الانباء للمعلم يعؤب " التقارير التي وصلت الى
. ((االعلم يعقوب
ورأى الطليعة المثقفة فى مهمة يعقوب أجمله الجبرقي في العبارة الموجزة : " ليعرفهم
. " الأمور ويطلعهم على انحبات
هذه واحدة .. والأخطر منها هى صباغة " لويس " لعبارته بما يوحى وكأن
يعقوب ومعلمه كانا في الصعيد يقاتلان المماليك . وقد رأينا من وقائع التا! يخ ا ن
المماليك لى يكونوا أبدا هم العدو الذي يقاتله " ديزيه " في الصعيد ، با! الشعب
المصري : الصعايدة ومن انضم اليهم من الأشقاء المجاهدين العرب . بيما لم تقع إلا
اشتباكات محدودة جدا مع المماليك ووسط حماية الأهالي . و " الرافعى " يحمل حملة
شعواء على المماليك الذين تركوا الصعايدة يفاتلون وحدهم وهربوا داتما .. والجبرلط
يشهد ا) : " وفر الغز كعادتهم " " وهيرولد"يهم المماليك با"نهم كانوا " يغررون
بالصعايدة أو الفلاحين - ؟ يقول - فيقاتل الفلاحون ويهرب المماليك ، أو

الأعراض لم تكن تتعرض له نساء المماليك ، فهؤلاء كن في تصورهن بالقاهرة ، بعد أ ن
صالحن على أنفسهن " .. بل كانت تتعرض له بنات الصعيد قبطيات " ، ومسلمات
في ملوى وأسيوط و " الفقاعى " وجرجا وقنا وأسوان . أم يا ترى كان " يعقوب "
رائد القومية المصرية يتدخل لمنع الاغتصاب عن القبطيات وقصره ع!! المسلمات ؟
بل ان ألدور الوحيد الذى يثبته " هيرولد ، ليعقوب في س يتعلق بالمماليك ، هو

نعود لسيرة المعلم " يعقوب ، بقلم المعلم عوض : " فلما غادر بو. برت مصر
عاد المعلم " يعقوب " الى القاهرة وكلفه كليبر بتني مالية البلاد وعينه قائدا للفيلق
القبطى الذي شكل فى مصر ليعاون الفرنسيين في حربهم فعد المماليك .. ثم عين
المعلم يعقوب مستشارا لمسيو استين مدير الادارات العامة ورقاه القائد العاء
عبد الله جاك مينو " الى رتبه جنرال وجعله مساعدا للجنرال بليار في " مارس
م للدفاع عن القاهرة ضد هجوم الجيش التركى الانجليزي .. ومنذ 1801 ذلك
التاريخ ارتبط مصيره ومصير الفيلق القبطي بمصير الجيش الفرنسى

ما من فقره حفلت بكل هذا القدر من التزييف .. ولا حتى منثحورات نابليون
بعد هزيمته أمام أسوار عكا .. " تنظيم مالية البلاد " .. التعبير الذي بينا أ ن
هيرولد " وضعه للسخرية من عمليات النهب الوحثمى للمصرين ، " يستخدمه
لويس عوض " جادا !! " كليبر كلف يعقوب بتنظيم مالية البلاد ! " .. " نسمع
شهادة الجبرقي : دا فلما وقعت الفتنة السابة" وظهر يضوب القبطى وتولى أمر الفردة
وجمع المال تقيد (مصطفى الطاراقط) بخدمته وتولى أمر اعتقال

بحد ان يأمر أعوانه ان يذهب الى داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس
. " ويهجمون على حريمه وأمثال ذلك
ولقد بقى " مصطفى الطاراقي " معاون " يعقوب " ، حتى تجرع من نفس
الكأص! على يد العثمانية واستخرج منه صناديق لا حصر لها من المال (فقد استطاع هو
أيضاً أن ينمى ثروته) ثم داروا به يتسول ، وهرب منهم ليتعرف عليه أحد ضحاياه
فيقبض عليه ويسلمه : " فقبضوا عليه وقتلوه وتركوه مرمياً تحت الارجل وسط
. الطريق وكزة الازدحام ثلاث ليال "21
ولا شك ان معلمه " يعقوب أ كان سيلقى ما هو أنكى لولا انه كان أحرص
من " مصطفى الطاراقي ! فحمل صناديقه وهرع الى المركبة الانجليزية مع فلول
. الجيش الفرنسي المنهزم
تنيم مالية البلاد ؟ ! فلتسمع رأي " الجبرقي " الذي اعتبرته ممثلا لرأي الطليعة
المثقفة . لنعرف رأى هذه الطليعة في " تنظيم مالية البلاد " التي اضطلع بمسئولياتهث
يعقول! هذا 0. (الذى لم يكن الجبرتي يذكره في مظهر التقديس الا : " يعقوب
. (! اللعين
فوزعوها (اى الغرامة) على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على " الحواة
والقرداتية والمحبظين والتجار ..،.... وكل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين الف
فرانسة وأربعين الف وكذلك بياعو الئتباك والدخان والخردجية والطارون والزياتون
والشواون .. .. وجميع الصنئتع والحرف وعملوا على أجرة الاملاك والعقار والدور
أجرة سنة كاملة .. ثم انهم استأذنوا للمشايخ الخث لص يتوجه حيث أرادوا والمشبوك
يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه أما الصاوي وفتوح بن الجوهر!ط

أى كبو .. أو كا لقرل " بلغ ،

هذه هى العبارة التي استند اليها " لويس عوض " ، ليقول ان كليبر عهد الى
! ! يعقوب " بتنظيم مالية البلاد "
تم اضهم وكلوا بالفردة ا!ات وجمع الل يعقوب القبطى وتكفل بذلك " وعمل
له الديوان ببيت البارودي " " فدهى الناس بهذه النازلة ا!عي لم يصابوا بمثلها ولا
ما يقاربها ومضى عيد النحر ولم يلتفت اليه احد بل ولم يشعروا به ونزل بهم من
.البلاء والذل ما لا يوصف
والحرانيت مقفولة والعقول مخبولة والخثنات والوكائل مغلوقة " والنفوس مطوقة
والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة والمطالب عظيمه والمصث تب عميمة . " " تولى رجل
قبطي مال 4 جمد افه هن طرف مقوب بجمع طثتفة من الناسى لعمل المتثريس
. " .. فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف
فدهى الناسى ويحرت آفكارهم . واختلطت أفمانهم رزادت وساوسهم " وأ!ى
ان يصوب القبطي تكفل بقبض ذلك من المسلمين ويقلد لي ذلك " ثكر اطة"
واضرابه من شياطين أقباط النصارى . واختلفت الروايات فقيل ان قصده أن يجعلها
. " على العقار والدور وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة
اما " شكر الله " الذي يقلده " يعقوب " فهذا هو رأي الطليعة المثقفة فيه:
اشتد أمر المطالبه بالمال وعين لذلك رجل نصرافي قبطي يسمى " شكر الله . فنزل
بالناس منه ما لا يوصف . فكثن يدخل الى دار أي شخص كان لطلب المال وصحبته
العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له
المقرر وقت تاريخه . وخصوصا ما فعله ببولاق فابه كان تحبس الرجال مع النساء
... " ويدخن عليهم بالقطن والمشاو وينوع عليهم العذاب

نسمع أولا شهادة الجبرقي:
ومنها (أي من حوادث عام 1215 هـ (1800 - 1801 م) ... ا ن "

يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساويه وجعلوه سارى عسكر القبطة جمع شبان
القبط وحلق لحاهم وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه
على روسهم مشاله لشكل البرنيطة ولجما قطعة فروة سوداء من جلد الغنم في غاية
. البشاعة مع ما تضاف اليها من قبح صورهم وسود أجسامهم وزفارة ابدا:3
وصيرهم عسكره وعزوته . وجمعهم من أتصى الصعيد . وهدم الأماكن المجاورة
لحارة النصارى التى هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر . وبنى له قلعة وسورها بسور
عظيم وايراح وباب كبير تحيط به بدنات عظثم . وكذلك بنى ابراجاً في ظاهر الحارة
جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراح طيقاناً للمدافع وبنادق الرصاص
على هيئة سور مصر الذي رمه الفرنسثوية ورتب على لاب القلعة الخارج والدأخل
عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلأ ونهارا وبأيديهم البنثدق على طريقة
. ا لفر نسثو ية " 2 2
ويقول " شفيق غربال " : " كنب الجنرال مينو الى بونثبرت كتاباً في برومبير
لاسنة التاسعه للجمهورية ما يأقي : افي وجدت رجلا ذا دراية ومعرفة واسعة اعه
المعلم يعقوب . وهو الذي يؤدي لنا خدمات باهرة ومنها تعزيزة قوة الجي!ق بجنود
. " اضافية من القبط لمساعدتنا
ويعلق " شفيق غربال " بعد هذا النض الذي يورده : " ونحن نسلم بأن هذه
القوة كانت من أدوات تثبيت الأحتلال وبأنه لولا هذا لما عحت السلطات الفرنسية
. با نشث ئها " 3 2
هل كان يعقوب يهدف الى لتال المماليك ؟ 1 000 الفيلق القبطي ضم تشكيله بعد
ثورة القاهرة الثانية .. فهل كان القتثل ضد المماليك هو المهمة المطروحة ؟ ا أ ى
مماليك ؟ .. " مراد " الذي " خامر " واتفق " ودعا الفرنساوية في وطاقه " واكرمهم
اكراما زائدا ؟ ! وقبض منحة منهم ، وأهداهم الغنم ، وتولى حكم الصعيد بأمرهم
! وتحت حمايتهم .. وبمرتب شهري له ولزوجته تقبضه في القاهرة ؟
أم المماليك الذتن أصبحوا ي!هرون في الاستعراضات خلف " كليبر " ، ؟ رأينا
في اجتماعاته واستعراضاته ، بل ويتشفع بهم المشايخ عند الفرنسيين ؟ ! ليخففوا عنهم
. الجولى ت !بر محن احتقار الاصل ، للمخ المميل ، الذى قلد صيده ،

اضطهادات يعقوب ومطالبه المالية ؟ ! .. ويسيرون في جنازة " سارى "عسكر
كليبر ! .. ويأسف عثمان بيك البرديسي ، لأن " مينو " لا يأخذ بنصائحه ويستعد
لمواجهة الزحف التركي - الانجليزى ويقول : " ان قائدا مشل الجنرال مينو سيكون
سببا في ضياع الجيش الفرنسى ! " ... الرديسى بك آسف على ضياع الجيش
الفرنسى ! اما مراد فهو يبلغ رسائل ابراهيم بك الى الجنرال مينو!
من حق الكاتب ان يتخذ مرقفا خثصأ من التاريخ ، ولكن ليس صت حقه ا ن
يزور هذا التاريخ . فعندما تكون " الفيلق القبطي " لم يكن ثمة قتال مع المماليك.
بل كان في الجيش الفرنسي فيلق اخر من المماليك . وكانت قوات المماليك الرئيسية
. . ! بقيادة " مراد بك " تطارد فلول العثمانيين بأمر من القيادة الفرنسية
-فلم يكن " يعقوب " وحده الذي اكتشف وحدة المحا ، بدافع من عقيدته
كأ يقول لويع!-مع الفرنسيين ، ولا كانت الجواري السود وحدهن اللاقي اكتشفن
ان الفرنسيين يحملون لقاح الثورة الفرنسية ويتفجرون بالشهوة " لاطلاق الانثى من
عقالها " . بل المماليك أيضأ كتشفوا وحدة عقايدية مع الفرنسيين . ! "فالرافعى
يقول ان عددا منهم عرض نفسه على الفرنسيين ليضموهم اليهم فقد ذكر ريبو !!
حوادث معينة لهذا التحول ، منها أن اًحد مماليك " عثمان بك حسن " طلب من
ضباط الجيش الفرنسي ان يأخذوه اليهم ، وحجته أًنه قبل أن يكون مملوكا كان
مجريا (من سكان المجر) ومن فرسان الجيش افساوى فأسره الاترال في بعض
حروبهم مع افسا وصار بعد ذلك مملوكأ . فقبل الفرنسيون خدمته ، وانضم الى
ص!فوفهم ، ودخل اخرون في الجيش الفرنسي زاعمين انهم كانوا جنودا في الجيش
افسوي وأسرهم الاتراك وارسلوا الى الاستانة . ثم نفلوا الى مصر وصاروا في عداد
المماليك . ويقول ! ريبو " : ان الفرنسيين فد قبلوهم في صفوفهم وصاروا من

يفول الرافعي:
ونظم الفرنسيون هذه الكتيبة في عهد نابليون ، وجعلوا القبطان "
الرومي
نيقولا بابا زوغلو " فومندانا لها ورقره الى رتبة جنرال بعد اخماد ثوره "
القاهرة
ا!ثانية (واضح انه قد جرت حركة ترقيات بين العملاء) وكان فى عهد
المماليك
خادما عند مراد بك ورئيسا للترسانة التى انشأها بالجيزة . ويقول
المسيو مارتان
فب كنابه (تاريخ الحملة الفرنسية في مصر) انه خدم المماليك الى ان
حلت بهم
الهزيمة في معركة الأهرام فعرض خدماته على الفرنسيين ومن ذلك
الحين وضع نفسه
تحت تصرفهم ، ويقول الجنرال رينيه في كنابه (مصر بعد واقعة عين
ثهمى) إ ن
عدد جنود هذه الكتيبة بلغ في عهد كليبر 0 ، 15 مقاتل " 2 والجبرقي
يعرفنا بتاريخه
مع المماليك قبل ان ينقل البارودة الى الكتف الاخر : كذلك اتخذ مراد
بيك اتباعا
له من النصارى الأروام " وجعل عليهم رئيسا كبيرا رجلأ نصرانيا وهو
الذى يقال

ما الفرق تنن يعقوب ونقولا ؟ .. كلاهما خدم المماليك ، وكلاهما
انتقل لخدمة
الفرنسيس فور هزيمة المماليك ، وكلاهما استعان به الفرنسيون
في تكوين تشكيل
عسكوي على اساس طائفى .. وكلاهما رفاه الفرنسيون بعد ثورة
القاهرة الثانية،
بمي بعد جهوده الى جانبهم ضد الثوار المصرتنن ، الى رتبة جنرال
.
ما الفرق ؟ ! .. لماذا ندين 9 نقولا " .. ويفلت ! يعقوب " من
! العقاب ؟
. . مادام الصوت صوت يعقوب والفعل فعل يعقوب
! لماذا ليس هي المعركة التي خاضها فيلق يعقوب ضد المماليك ؟

ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصيره ومصير الفيلق القبطى بمصير ا! "
. " يش الفرنسى
ما ا!صود بحبارة (! منذ ذلك التاريخ " يريد أن يقول! منذ عهد اليه
الفرنسيوز
01 4

بالدفاع عن القاهرة ! والحقيقة ان مصيره ارتبط بالفرنسيين قبل ذتك ب!ير ، منذ
ان عمل في خدمتهم وفاتل ضد مواطنيه ، ونكل بيؤلاء المواطنين.
ومرة أخرى نجد جمارة منمقة : " دخل الجنرال يعقوب قي اتفاقيه التسليم " كأنه
وقعها .. أو كأنه أحد الاطراف أو كأن له بندا خاصا .. والواقع أنه اندرح هو
وأمثاله تحت البند الذي يتحدث عن : " المتداخلين مع الفرنساوية "* هو البند
العاسر من 6تفاقية العريش قبل ثورة القاهرة وقبل انعثاء الفيلق.
ويحذف من التاريخ ان سليمان بك اغا الانكشارية هو الذي قدمه الى " نابليون

نتايع سيرة

ان المعلم يعقوب تشرب أفكار الفورة الفرنسية في هذه " الاجتماعات الكثرة التى
اختلط فها الضابط بالدبلوماسى بالفنثن (يقصد ديزيه) فالتهبت

ولقد رأينا كيف عبر " يضوب " عن التهابه هذا ، بالتنكيل بمراطنيه ، واشعال
النار في القرى والمنازل .. وتكوتن جند مأجورين لم يسمهم حتى " " بالفيلق المصري
بل 0 اختار لهم تك التسمية الطالفية ، التى نحمد الله على لطفه بمصر ، اذ عجل بنهاية
الاحتلال الفرنسي قبل أن تخدش الوحدة المصرية.
أما " ديزيه " الفنثن الدبلوماصى الضابط " فيعرفنا به 9 هيرولد " بأنه " ليس لدينا
دليل على انه كانت له أي ميول علمية متأصلة دأ " وكان مصابا بالسيلان "**
ومحعب وهو بمصر الى حبيبته بمرنسا - كا رأينا - يقول انه " محاط " بحريم كامل .

فلا يحصل الر!ق لاحد من سكان الإتليم المصرى من أي ملة كانت وذلك لا ني " * أضخاصهم ولا لي أموافم
نظرأ الى ما يكون أن يكون قد حصل من الاتحد صا ليهم وبين الفرناوية سدة أتامم

لجمع الأخبار عن المقاومة الوطنية ، وتسهيل النهب :مساعدة الجنود الفرنسيين في
هتك اعراض الصعيديات .. وتزلفه للانجليز وسبه للفرنسبين فور هزيمة الفرنسيين
ينفيان عنه اى ايمان بالثورة الفرنسية .. فالجبرقي عدو الؤ نسيين لا نعدم له كلمة
انصثف هنا أ هناك في حق الفرنسيين .. بيما طنب الاستخداء الذي فدمه يعقوب
. . ! للانجليؤ حافل بالسب لسادته الاقدمين
: يه اصل " لويس عوض " تجميل تاريخ يعقوب
والمعروف انه عندما تحالف الانجليز مع العمانيين لاستخلاص مصر من " الفرنسيين
وردها للباب العالي ازدادت ضرائب الاحتلال الفرنسي الى درجة بشعة فأثقلت
كاهل المصريين لمواجهة نفقات الحرب ، فكان المعل!ا يعقوب يتدخل لدى السلطثت
. الفرنسيه انا لتخفيف عبء الضرائب ، وانا لتقسيطها ""3
م ! اذا كانت تبرئة ابليس تتطلب ادانة الكون كله ، فان هذه التبرئة! أيضا
يتطلب تبرير كل الجراثم .. لذلك فالعباره مصاغة على نحو مذل حقا لكاتبها!

وهكذا نرى انه ليس لمصر ولا للمصريين دخل في الأمر .. الانجليز تحاربون
الفرنسيين " لأخذ مصر " منهم :اعطائها للباب العالي .. وبسبب هذا " العدوان "
الانجليزي - التركى . كان الفرنسيون بحاجة الى المال " لمواجهة نفقات الحرب " !
فزادت " الضرائب " وهو اسم مهذب للفردة والغرامة والإتاوة .. نعم زادت
الضرائب والى درجة بشعة .. ولكن لمواجهة نفقات الحرب ! وهنا يأقي دور
يعقوب " للتدخل لتخفيف الأعباء وتقسيطها ، فهو هنا لا يمثل السلطة " في مواجهه
الأهالي يجمع لها المال من الشعب .. أبدا .. هو يمثل الشعب في مراجهة السلطةا
وطبعا ؟ رأينا فابى رأى الجبرقي ووقائع التاريخ ضد ذل! تماما " ووكل يعقوب

واملاكه لحاجة الترك الى خدماته .. ولكن الجنرال يعقرب كان يحما! في جعبته
مشووعا خطيرأ ؟ن في نيته عرضه على الانجليز والفرنسيين . وهذا هو مشروع
. اس!قلال مصر "31 "
الامر تحتاج لهدوء اعصاب .. فلنبدأ بتتبع التاريخ:
م جلاء الجيش الفرنسى عن القاهرة 1801 - 7 - 14 "
م وصل رشيد 1801 - 7 - 28.
م ركب يعقوب " الفرفاطة " الانجليزية " بالاس " التي كان 18 0 1 - 8 - 1
- قومنداض الكابتن " جوزيف أدموندز " وأبحرت البالاس " في 10 - 8
. م متجهة أولا الى " قبرص " وساحل اسيا الصغرى 1801
إ وبعد ان أبحرت بيومين 12 - 8 - 1801 م اصابت " يعقرب " الحمى
واشتد عليه المرض فمات بعد أربعة ايام في 16 - 8 - 1801 م .. ومن هذا
" نعرق! ان " الجنرال يعقرب " أفضى بمشروعه الخاص باستغلال مصر " لأدموندز
قبطان الفرفاطة " بالاسى " في أول رومين من الرحلة أي قبل ان تخرج البالامى من
. ميناء أبو قير "32
وقد كنب أدموندز 11 اللورد " سانت فنسانت " وزير البحرية الانجليزية "
برسالة ينبئه فيها بما كان من حديث بينه وبين الجنرال " يعقرب " وكان يقوم بدور
المترجم بينهما رجل يدعى " لاسكاريس " وكان موضوع الحديث هو مستقبل
+.. " مصر
ولنا أن نفترض من واقع سلوك يعقوب ومهاراته وتقلبه من خدمة المماليك والقتال
معهم بضراوة ، الى خدمه الفرنسيين والقتال معهم بنفمر الضراوة .. لنا ان نفترض
انه قد عرض خدماته على الانجليز للقتال معهم بضراوة ضد اى عدو و!يكق
،الفرنسيون بالذات ! خاصة بعد ان ابدى الكابتن له " بعفى مظاهر الرعاية الخفيفة
! " فدفعه ذلك الى محادثتى عن وطنه
أدرك يعقرب بحثسة العمالة ، وهى أنشط حواسه ، ان الانجليز هم سادة
هدد الصبعة الجهيية مقصردة لاحماء دوره *

المستقبل ، وبواسطة ! لاسكاريس " الآفاق شبه المجنرن بدأت عملية البيع للكابتن
الانجليزى . و " لاسكاريس " كأي حمسار ممتاز لا بد أن يقدم الصفقة للخواجة
الانجليزممي على أساس انها تحفه نادرة . وأن يعقرب هو ! زعيم من زعماء طائفة
الاقباط يدعى يعقوب وانه بحكم هذه الصفة يتمتع بمكانة عالية ونفوذ كبير في
مصر " . وقد رأًينا أممي مكانة كان يتممع بها هذا الذممط يندرج تحت تحريف الجبرقي
لامثاله " اسافل القبطة " وكان يعقوب يعرف جيداً مكانته بين مواطنيه

وتقدم ! يعقوب " يعرض خدمانه فأعلن : " ان أي حكبم في مصر في نظره
خير من الحكم التركي " والمعنى أوضح من ان يكون في بطن الشاعر .. انه يفضل
الحكم الانجليزممي .. " اما التعاون مع فرنسث ثلاث سنوات " فلا تقدق بالك - يا
خواجة - فلّم يكن عن ايمان بفرنسث ولا عن تشرب لروح الثورة الفرنسية ، ان هذا

* بل إن موفع! يعقوب لا يغضل بكثر ولا قيل موقف المماليين . فان " عثمان " بك كتب الى السر 9 صدني
ث " ضخصيا " نحن عل !بن من أر مراد بك كان ضديد الخوهـمن لاب المثلمط ، وأنه وضع نفه" نحت حمايتكم.
لنا اقل منه حوفاً ، وأنت تعلم أنه ما من فوة في الارض نضع فيها ثفة أتم مما نضعه في بلاط، ريطايا المظمى . وكنا
إخواد ، نثق أولاً في ال!ه العل القد 2 ، ثم فيهم ، ونضع أنفت تحت حماييهم ، ونريدآ أن تمبهوا مع أنجائا وأصلا
ؤ، القثهره باثر الباب المثلى وبضمان الانجيز " 33 فيى يعقوب وحده هو الذى كان 2 ى أن أى حكومة افضل
من حكم الاتراد ولى " يحقوب " وحده لذبمط طلب الحمالهة البريطاية.
وان كان هيرولد 2 ى " أن المصادر الفرنسية تجمع عل أن مراداً ظل وفيا للفرنسين حتى انهاية . ! 34
وهده المدرصة - مدرصة الاضقلال بالاعيز - وجدت في وفت بكر لل وان صحت اتهامات " ربيو " فان هذه
المدرصة قد لحبت دورا في تقر 2 مصر الحملة الفرنسية ، بل وفي مصير الصراع البريطافي - الفرنس ، أخطر مما لعبه
يعقوب وأمثاله . (ذ إن أصطول ا نلن " كان ثقدم بفيادة سبة مصرية وبارضادها الى خيج " أبر فر " حيت وجه
. الفربة المعروفة جيداً للاصطول الفرني فاك " 35

ان فرنسا ليست الدولة العدى الوحيدة في أوروبا " . ورجا يعقوب
(بواسطة
لاسكار-!) أدموندز ان يحمل اراءه هذه الى القائد العام الاميرال اللورد
كيث
. " ليحملها بدوره الى مجلس الوزراء البريطافي
ويأسف ! لويس عوض " لان " المنية العاجلة حالت دون ان يضع
الجنرال
يعقوب مشروعه في صيغة مكتوبة لا.
وهو أصف في غير محله ، لأننا لا نعتقد أن مثل مشاريع يعقوب عن
عرض
الخدمات ، تكتب أو تقدم في صيغة مكتوبة .. انها اتفاق " جنتلمان " - أو
نقول
ا اجضت مان لم ! . اتفاق يقوم على استمرار حاجة الطرفين كل منهما
للآخر ونشك
ان 9 يعقوب " كان باستطاعته ان يكتب مشروعأ سياسيأ على الاطلاق
فلو كان
ا يخرج من يده ، لكنبه خلال ثلاث منوات طوال قضاها في التعاون
المستقر الآمن
على شخصه وا!تع بالنفوذ المطلق داخل قلعته الحصينة التى طالما
ممرنك فيها في درب
. الواسع ، كلما حاول مواطنوه ان يستقلوا
أما التقرير الذي كبه " لاسكاريس " عارضا خدماته هو بدو 5 على من
يشاء
من الأور:بيين بعدما خدم مع جش الاحتلال الفرنسى ، الذى امتولى عليه
في مالطة
ضمبن ما امتولى عليه من ممتلكات فرسان القديس يوحنا!
ا ولاسكاري! هذا كلفه الجنرال مينو تنظيم شبكه تجمس! بالتعاون مع
يعقوب
تمتد الى صوريا " 3 .. وكان من الطيعي ان يتصل بيعقوب فهذه مهنته
. . ولعبته
ولانه لا ير ".أ أي دليل لا في تاريخ يعقوب في خدمة المماليك أو
الفرنسيس
ولا في جهوده في " تنظيم مالية البلاد " ولا في سلوكه وتاريخه على
ظهر القرقاطة
الانجليزية ما يثبت صلته بمشروع " لاسكاريس " لذلك لا يجد ورثة "
" يعقوب
من حيلة في نسبة مشروع "لاسكاريس! الى يعقوب إلا "هذا التلازم

الى مارس 1 180 م (تاريخ رحيله للاسكندرية) فاذا كان قد كلف (قتل كليبر)
لاسكار يبهذه المهمة الصعبة وهو غريب عن البلاد ، فلا شك ان اقصى ما كان
يستطع مناقشته مع يعقوب ، العديد المشاغل ، هو تنظيم الشبكة ونشر فروعها من
. الاسكندرية الى أسوان .. بل والى الشام في بعض الروايات
وهذه الشبكة ؟ هو ثابت من رسالة " مينو " الى " يعقوب " كانت تتولى
التجسس على الأقباط ؟ تتجسس على المسلمين .. ويفهم من هذه الرسالة ا ن
يعقوب " اعتبر في نظر الفرنسيين مجرد عميل لا يدين بالولاء إلا لهم ، ولا يتردد "
في التجسس والوشاية بالأقباط ، " فمينو " لا يتحفظ ولا يختار عباراته وهو يكلف
يعقوب بالتجسس على الأقباط ومراقبهم بل يأمره على هذا النحو : (مع انهما برتبة
: (! واحده .. جنرال
أنت تعلم اننى قليل الثقة في عدد كبير من مواطنيك الاقباط ، فراقبهم بعناية "
فائقه إذ إخم غر مرتاحين الى الاجراءات الادارية التى اتخذتها والتى ترمي الى اعادة
. " النظام الذي لا يحبونه
،فيعقوب لم يكن مصويا ولا قبطا .. لا في نظر المصريين والاقباط فحسب
بل ولا حتى عند الفرنسيين .. الذك عرفوا مكانته الحقيقية وبمنرا سيعاملونه على
اساسها في فرنسا ، مما جعله يبحث عن سيد جديد يتقدم بخدماته اليه ، سيد لا
. . يعرف عنه كل ما يعرفه الفرنسيون .. فلّجأ براسطة لاسكاريس الى البريطانيين
.ولا شك ان المقابلة بين " يعقوب " " وادموندز " " ولاسكار ي " قد تمت
وفيها عرض " لاسكار ي " على الخواجة .. الانتيكه التي يرغب في بيعها : " يعقوب
. . !القبطي ذو النفوذ الواسع في مصر " .. اما المشروع فهو من تأليف لاسكاسي
،أ بعض اللمحات من أدمرندز .. اذ لا يمكن ان يكون من يعقوب الراحل الى فرنسا
مهما قلنا في تقلبه وسوء خلقه وفلة وفائه ، لا ممكن ان يكون مشروعه ذلك الذي
صفه " لويس عوض ! بأن محور نظرية الجنرال (المعلم بقت له نظرية أ) بعقوب!
التى يبسطها امام الانجليز هو ان اسمكلال مصو في مصلحة انجلترا اكل من أي للد
. آخر "38
. صاك تاجر ص رسالة يو تجثريخ 12 !ارس 1801

فالمشروع المحفوظ في سجلات وزارة الخارجية البريطانية والذي كشفت عنه
في 1924 بم ... ألفه لاسكاريس وتقم به الى الحكومة البريطانية زلفى .. فهو
يعللب:
. . حماية بريطانية تحقق فصل مصر عن تركيا *
تشكيل " الفرقة الأجنبية " من قوات مرتزفة فوامها بين 12 أنف و 5 * 1
الف جندي " تولى اخضاع مصر وحماية الحكم المنشود . ولا تهدف للدفاع ضد
الأوروبيين " ان هذا لا يمكن ان يحدث إلا بعد وقت طويل . " بل تكفى لوفف
. " الاتراك عند الصحراء وقي المماليك في داخل مصر
يسجل المشروع - ولو مبكرا - الأسلوب الاستعمارى الخسيم! في *
لعبة : " فرق تسد ! ، واثارة ا اطوائف بعضها ضد بعض والحكم والاستقرار هـكأ
خلال ضرب فئات الشعب الواحد بعضها ببعض . إرغم احتقارنا للمعلم
يعقوب " نرفض ان نن!سب اليه ثمصرى مثل هذا ا)شخطيط البحثع " ممزيق وطنه:
ويجب الا يفوتنا ان نذكر في هذا المقام ان مصر المقسمة الى طوا! " ، متعددة
تتوفر بها الوسائل اليسره لاقامة التعارض فيما بين هنه الطوا! بقصد حفظ التوازن
بينها " . هذا انحطط نبرىء منه لا يعقوب " .. وهو لا يصدر عن فكر مصرك! بأي
حالى من الأحوال ، بل هو !ط استعماري أجنبى .. وباصرار أشد نرفض محاولة
ا اسدكتور " لويس عوص! " اتهاء !ابر القبط بالمساهمة في مثل هذا المشروع
عندسا يلمح : "كذلك نعرف ار الجنرا ا يعقوب فبل سفره
الى أوروبا اجتمع بزعماء الأقباط من زملائه القدامى مثل المعلم جرجس الجوهري
والمعلم انطوان أبو طاقية والمعلم فلتاووس والمعلم ملطى . ولا نعلم على وجه التحقيق
ماذا دار في هذا الاجماع وهل كانت له صبغة سياسية أم انه كان قاصرا

ض لأر! ص - - ،ا، س ىء ظرج صه س ألاعيص ابصة البريطاب - +الاه! 5 ح

و!ن يعقوب كان متسامحا سخياً فقد " تصور نفسه ممثلا لكل طوائف الشعب
! " المصرممط
والتقوير المرفوع صت الكابتن جوز! أدموندز الى حكو! جلالة الملك لا يترك
مجالا لاجتهثدات ولا تخمينات حول طبيعه الصفقة التي أراد " يعقوب " ان يعقدها،
أو أراد " لاسكاريس " أن يضدها لحسابه مع حكومة جلاله الملك الا نجليزية ، قبل
ان تعالجه الحمى فتمنعه من نقل البندقية للمرة الثالثة من خدمة المماليك الى العماله
للفرنسيس الى العمالة للانجليز .. والتقرير مكعوب جدقة الانجليز ويثبت براعة وذكاء
الكابتن " أدموندز " . فرغم تهويلات السمسار " لاسكارس " وادعاءات
يعقوب " واكاذيبه ، نجد الثابتن الانجليزي دقيق الى ابعد حد في اختيار " العباراتت،
و!و قي مجموعه لا نريد عن تقرير يرفعه موظف مخلص الى حكومته بعد مقابلة مع
جاسوس دولة معادية يعرض خدماته واستعداده لنقل الولاء الى السيد الجديد معتذرا
عن اخلاصه وولائه للسيد القديم ، بجهله بامكانيات السيد الجديد ! وشب - لا
يسرف " يعقوب أ أبدا - في اسياده القدامى الذين حملوه معهم ، وبمجرد ما ركب
الفرقاطة " الانجليزية نهش عرض الذين لحم اكتافه من خيرهم : " " الفرنسيون
خدعوهم ولهذا فالمصريون الان يحتقرونهم احتقارهم للترك فيما مضى " .
يا لضياع مبادىء الثورة الفرنسية التى " أشربت بها روحه " ! .. ضاعت هكذا
بمجود ان ظهر الكابتن الانجليزممط : " بعض مظاهر الرعاية الحفيفة نحو هذا المنفي
. " العاثر الحظ فدفعه ذللث الى محادثتى عن وطنه
ويفهم من تقرير الكابتن " أدموندز " ؟
انه كتبه للفت انتباه السلطثت البريطانية لاعتقاده " أنه قد يكون - 1 من النافع
لبلادي أن بعفر الاشخاص الذين يسمون انفسهم " الوفد المصري " موجودون
. " حاليا في باريس

ولا شك ان ! أدموندز " قد خفف شيئث من العبارات التى أضفاها 9 " يعقوب
على نفسه وخلعها حمساره عليه ، والتى يرددها حماصرته اليوم ، ولكنه كان مضطرا
لذكرها ، بحكم الدقة التى تتسم بها مثل هذه التقارير عادة ، وتقارير الموظفين الانجليز
بصفة خاصة - في القرن التشسع عشر على الأقل - وأيضا لتبرير ازعاجه لروسائه
والكتابه اليهھ.
وبعد ان يشر الى ما قدمه الى هذا " المنفي أ العاثر الحظ ى دفع - 3 الأخير
الى الحديث . (ولفظة منفي التى تكرر في التقرير تشير الى طبيعة خروج يعفوب
؟ كان هو ومعاصروه يفهمون هذا الخروج . وبالطبع هو منفى من فب!! مواطنيه
والسلطة الجديدة ، وليس خارجا بهواه لأداء مهمة سياصية كا يدعى الدكتور لويس
. (عوض
" ا وصرح لي بأن من رأته أن اية حكومه تحكم بلاده تفضل حكومة الترك
. . ! البعص يسمون ذلك دعوة للاستقلال
ودفعا لمظنة ولائه للفرنسييؤكد : " انه انضم الى الفرنسيين بدافع من رغبته
. " الوطنية في تخفيف الام مواطنيه
والمدهش اته ما عدا حالات ناثرة كان الجواسيس فيها يتمتعرن بروح مرحة
وعملية ، نجد ان الخونة بدأوا بنفع! المقدمه .. وهى ادعاء الرغبة في تخفيف الام
المواطنين والعمل لمصلحة البلاد العلياه .. على اية حال شكرا لتواضحع يعقوب فهو
. . ! لم يبرر خدماته للفرنسيين ، بادعاء جمانه بمبادىء االورة
وان الفرنسيين خدعوهم ، ولهذا فالمصريون الان يحتقرونهم احتقارهم " للترك
فيما مضى . وانه لا نرال يأمل في خدمة بلاده بواسطة الحكومات
. " الأوروبية

حتى " مير اى:فث أ الد! صرؤ طانرة م! شلجا إلى إسرائل فال ،ب ياله إله فمل دللث
اشصبف الأم ا!راد الذبر

:واعتذار مرة أخري عن ارتباطه بالفرنسيين ، مصحوبا بمد اليد لبريطانيا
وفد جعله الفرنسيون يعتقد ان بلادهم هي اقوي للاد أوروبا ، و لم يكن "
يعرف
ثسيئا عما لانجلترا من قوة بحرية عطمة " * " ومع ذلك فقد كان يعلم
انه بغير
تأييد بريطانيا العظمى فان رنجته في أن يرى وطنه يتمتع بالاستقلال
مقضى عليها
بالفثل " . وهو يرجو رفع ذلك الى حكومه بريطانيا .. " اذ ان الجنرال
كان فد
اعرب لي عن رغبته في ابلاغ هذا الموضوع الى القائد العثم (البريطافي
طبعا فقد
انتقل الولاء الى القائد العثم المنتصر ! ثم ابلاغه عن طريقه الى
. " الحكومة البريطانية
ثم التعهد التقليدي الذى تقدمه الخابرات لكل جاسوس أو عميل في
: اللقاء الأول
دوقد تعهدت للمعلم يعقوب ا لاحظ انه هنا يصفه (بالمعلم " وليس "
الجنرال)
بألا أستخدم أو تصتخدم الحكومة البريطانية في أي وقت من الأوقات
ابلاغاتهم
. " ا/ستخداما يمكن ان يعود عليهم بالضرر
واعتذار من الكابتن البريطافي لتخطيه البيروقراطية البريطانية ورفعه
هذه
المعلومات بالطريق المباثر أ الى وزير البحرية متخطيا رئيسه القائد "
العثم " اللورد
كيث " املا ان يقرلط سيدي اللورد على مسلكى هذا .. لأن الجماعة
ذاهبون
للاقامة دط باريس " العدو القومي لبريطانيا مما يحغ المبادرة "
بالاستفادة من خدمات
.هدا الوفد
وهكذا تكتمل صورة تقرير معلومات وعرض خدمات . فلا اظن ان
المباحثة
في مشروع اسعكلال مصو بضمانة " الدهـل " الأوروبية تستدعي تحوف
يعقوب
. وتوسله ألا تستخدم " ابلاغاته ! هذه صده
أما حكاية " الوفد المصري " الذي حدث " لاسكاريس!" ويعفوب ،

* والا! ما يرفك بحمللث

وقد أبلغنى صديقه لاسكاريس ، فهكذا يسمي نفسه (!!) وقد قام له " بدور
المترجم فيما جرى من محادثات بيننا ، ان ا!نرال يضوب رئيس وفد يحمل تفويضا
" أو عين بمعرفة أعيان مصر لمفاوضة دول أوروبا في استقلال هذا البلد * .
وقد عرفنى السيد ا لاسكاريس ! ان الوفد قائم وأنه مكون من " المندوبين
المسافرين عل ظهر السفينة " بالاس " . ،لم أستطع أن أًفهم إن كان السيد
لاسكاريس " نفسه عضوا في هذا الوفد* أم انه كان يتصرف بوصفه " سكرتيرا
مترجما فحسب . وبما ان هذا الوفد - الذ! ليس في استطاعتى تحديد صلاحياته
. " قد ذهب في الغالب للاقامة في باريس
واضح ان الرواية كلها عن الوفد ومهماته وصلاحياته موضع شك عند الكابتن.
فالمسافرون كانوا عل ظهر سفينته وكان بوسع 9 يعقوب " ان يقدم له ولو ممثلين
عن الوفد يعززون ادعاء وجود مشل هذا التشكيل ، ولكنه لم يفعل ، وامحمفى بادعاء
السيد ! لاسكارٍيس أ بأن الوفد قائم .. بل لعلها قصة اخترعها " لاسكاريس " أًيناء
الترجة ولم يفهمها " يعقوب " ولا أشار اليها .. أما المسافرون فهم من عرفنا
نوعيتهم ، وما كانوا يفكرون أبعد هن 9 الاقامة في باريس " ، كا قال الكابتن في
. تقريره
وهذا " الوفد المصرى " يعرفنا به " كرستوفر هيرولد " بعد ان استقصى

هؤلاء هم طليعة القومية اليعقوببة ولحسن الحظ لا يقتصرون عل طائفة واحدة ،
. بل هم من أصافل المماليك والأروام ... اع
وبعد وفاة يعقوب بالحمى ووضع جثته في برميل خر .. كان على "

* هده الصبة خى " لري! عرص " لفسه !حطر الى لفيها دهي ادا كانت عل ضك عد لكابق الانجيزى ، دهي
!ضوحة إلى حد أثاعة عد ا اغارىء العرلى!

ان يمضي في اللعبة وحده .. وباسم الوفد الوهمي .. فكتب تقارير سلمها للكابتن
الانجليزي وهى التي وصفها مؤرخ بريطافي بعد ذلك بقرن وربع قرن .. بآنها أول
مشروع لاستقلال مصر ! .. فتلقفت عبارته الببغاوات ! ولا جدال في صحة ما
ذهب اليه المؤرخ " شفيق غربال " - وهو يعطف على يعقوب - عندما قرر أ ن
مشروع استقلال مصر لا ينتسب الى الجنرال يعقوب بقدر ما هو 9 من نسج خيال
الفارس لاسكاريس سكرتيره (!) ومترجمه الغريب الاطوار الخصب الخيال الذي
صور تاريخ هذه الفترة تصويره لشخصية دون كيشوتية " .. ورغم كل احتجاجات
المدرسة اليعقوبية فالرأي الذي وصل اليه " شفيق غربال " هو الرأي الوحيد الممكن،
والذي يصل اليه كل مؤرخ جاد . فلا صيغة المذكرة ولا أفكارها

لي! هناك ما هو أمجد لها واكرم من القيام باجراء سياصى بسيط " لتبديد ظلمات
الجهل والهمجية التى تغشى هذه البلاد الذائعة الصيت ، التى كانت فيما مضى مهدا
لنور عقولنا ولعلومنا ولفنونا . وكانت باختصار مركز الحضارة الأول الذ! ط انتشرت
مشه الحضارة عن طريق الاغرئ حتى بلئتا . واذا كانت مصر ذات الماضي .المزدهر
العظيم لا تستطيع ان تحرك في دول أوروبا شعور العرفان بجميلها ، فهى تستيم
. " ان تثير الشفقة فيها
واضع ان " لاسكاريس لا هو المتكلم وهو المفكر ، فبصرف الظر عن الضمير
فى هذه الفقرة .. فالمعلم " يعقوب ، لم يكن يعرف شيئث عن عظمه مصر ، بل
كان هو ومواطنوه ، المسلمون والأقباط ، يسمون اثار هذه المدنية العظيمه
لا المساخيط " ويستخدمون مومياء مشيدي هذه المدنية كسماد قاخر لمحاصيلهم
الزراعية يسمونه " الكفرية " نسبة الى الكفرة الذين حرقهم الله

لاسكاريس " . وكل معلومات المعلم يعقوب عن " الاغريق "- ال! " كانت
لديه - هى ان بلادهم هى مسقط رأس زميله ومنافسه " برطلمين حب الرمان " !
وسنجد في مذكرات " لاسكاريس أ هذه ، عرضا من الفارس لأن يكون حلقة
الوصل بين الانجليز ، وهؤلاء المصريين (القادمين من مصر : الأروام والمماليك
والمصريين) الذين توجهوا الى باريس ، لمراقبة نشثطهم واستغلالهم لمصلحة السياسة
البريطانية لى الشرق .
والمذكرات تكشف صوء خلق " لاسكاريس " وعدم وفائه وسرعته في نقل
ولائه ، مما يجعله خير رفيق وخير ترجمان عن " يعقوب " .. فيعقوب الذي بكى
على " ديسيه " رعرض ان يتبرع بثلث ففقات اقامة نصب تذكاري له ، وترجى
ان يدفنوه معه .. ذلك يوم كانت الراية الفرنسية ترفرف على القاهرة ، والأموال
تجمع باصم الجمهورية الفرنسية ! " يعقوب " هذا سرعان ما انهال طعنا وسبا في
الفرنسيين مؤكداً احتقار المصرت!ت لهم ! كن!لك " لاسكاريس " الذي انطلق مع
قوات نابليون معلنا ايمانه بالثورة الفرنسية رافضأ القتال ضد جيشها

فهو يبدأ باعلان : " ان مصلحة فرنسا في نجاح المشروع أفل من مصلحة
انجلترا .. ولا سيما اذا تجددت رغبة الجمهورية الفرنسية في امتلاك مصر مرة اخرى
وهو ما ينبغى إلارتياب فيه إ " !
اما من جهة عواطف المصريين نحو الفرنسيين فهى مباسرة " وليدة الطريقة التى
حكمهم بها الفرنسيون أثنثء قامتهم في مصر . ولن أ! عند هذا الموضوع لأفي

تاح لهم فهم الانجليز ، كل شىء يثبت ان " مصر المستقلة " لا يمكن!
الا ان تكون
. " قوية الميل لانجلترا
أعتقد ان المهم اخفاء المفاتحات الأولى معكم أو التي يمكن ان "
. " يفسدوها
ويقدم شفرة خاصة ليراسله بها الانجليز ، ويقترح ان ترسل المكاتبات له
على
عنوان : " السنيور الكونت انطوان كاسيس " فى " تريستا " .. " وتحت
هذا العنوان
يكتب عنوان اخر هو عنوافي " ثم يقوم هو بتوصيل هذه الرسائل الى
المصرينن:
وبهذه الطريقة يمكن لرسائل الحكومة (البريطانية) أن تصل الى يدي "
بسهولة،
و!كق فيما يتصل بهذه النقطة الأخرة ، ينبغي ان يحاط الأمر بأكبر درجة
من الكتمان
. " والحيطة الممكنة حتى لا تتسرب اى شكوك للحكومة الفرنسية
ورغم أن مدرسة " يعقوب " تعتمد في موقفها كله على مشروع "
"!لاسكاريع
هذا لط نظريتها الوهمية عن تأثير الثورة الفرنسية في نشوء "فكرة
"القومية
و " الحركة القومية " و " الحكومة المصرية " فان فارسهم " لاسكاريع!
" يورد
ملاحظة تنسف كل ادعاءات هذه المدرسة ، ببساطة وبوضوح ، وبفهم
رجل معاصر
لتلك الفترة . !ذه الحكومة العي يريدها لمصر . " لن يكون انشاوها قط
نتيجة لثورة
استحدثها نور العقل او اختمار المبادىء الفلسفية المتصارعة . ولكن
تغييرا تجريه قوة
قاهرة على حياة قوم وادعين وجهلاء يكادون الا يعرفوا لط الوقت
الحاضر الا عاطفتين
تحركان الاخلاق : المصلحة والخوف * . فقليل من مال يزاد أو شمسء
من رخاء
يضاف الى حياة هؤلاء السكان نتيجة لقيام هذه الحكومة الجديدة ، وهو
!امر ليى
يصعب التحقيق ، يجعلهم بغير شك المدافعين الغيورين عن هذه

* وما الذي كان مجرك لاصكارص ، بل صا الذى يكرك الإنسان الض! لل ايوآ الا !!

فلا ثورة ولا مبادىء ولا مفاهيم جديدة .. بل تغيير يفرض بقوة الأجنبى
. . ولمصلحة هذا الأجنبى
واذا كان قد كتب علينا ان يكون " لاسكاريس " هو رائد قوميتنا ..
فلنلتزء
!بأفكاره على أفل تقدير
بقى أن نقول ان تاريخ رسالة ا لاسكاريس " التى تضمنت هذا المشروع
!يقه
. . ! بعد وفاة يعقوب بشهر
ونختتر حديث " تعقوب " برأي كل من " جاك تاجر " والدكور وليم
، سليمان
في هذه الفرية التى اخترعها بريطافط ، وروجها " سلامه موسى " في
صحيفة
مصر " الطائفية ؟ وصفها أخلص تلاميذ سلامة موسى .. يقول جاك "
:تاجر
في نظر بعض الكتاب الوطنيين لا تحتمل مسألة المعلم يعقوب اية "
. . مناقة
انه خاثن تعاون مع الفرنسيين وساهم في إذلال الشعب المصري ، و لم
يحاول الكتاب
الأقباط أنفسهم أن يفرقوا بين موقف المعلم يعقوب وبين موقف سائر
. الاقباط
وذهب أحدهم الى حد كتمان هذه المسألة مما فماعف كبر ذنب الأفباط
في عيون
: الوطنيين " ثم يتقدم " جاك تاجر " بتفسيره لحادثة يعقوب فقول
اعتمد المؤرخ "جورح داون " على حديث جرئ بين القبطان " جوزيف
أدموتدس " وبين الجنرال يعقوب وصديقه " لاسكاريس ! على ظهر
السفينة
بلاس " وهما قي طريقهما الى فرنسا . فأكد ان يعقوب كان يهدف "
الى تحقيق

واعتمد صلامة موصى على هذه المذكرات ليكتب قي جريدة " مصر دأ
القبطية
عدة مقالات يمجد فيها أعمال الجنرال يحقوب الذى اعتبره أول من
ريخه صوته في
. " مصر في أوروبا مطالبا بحرية البلاد واستقلالها
على اننا نرى شخصيا (يقول جاك تاجر) ان مختلف النظريات التي 9

* يقصد تاريم مصر الفديم والحدبث ايحائا! شاروررم القاهرة
. 1898 5
أ اممدا! حر 5

حتى الآن نظريات خاطئة ونقول ان الجنرال يعقوب انكر وطنه ان لم يكن فالبا
فقلبا منذ اللحظة التى كون الفرقة القبطية . وسنرى من وجهة أخرى ان الأمة
ا اعبطية استقبلت عمل الجنرال يعقوب بفتور .. ولكن هذا لا يعنى ان يعقوب كان
. " خاتنا إذ لم يكن وقتئذ جنسية مصرية تحدودة
الدفع مرفوض طمعا .. إذ إن الوطنية لا تبدأ بمرسوم الجنسية .. وإذا لم ت!ت
هناك مصر ولا جنسية مصرية ، فعن أي استقلال كان يبحث يعقوب ، ولو أ ن
جاك تاجر " يرفض هذه ا!ذوبة وواضح من كلماته انه يرفض مزاعم ")! جورج
داون " الذكط اعتمد على " حديث " ؟ يرفض مقالات سلامة مومى الذي اعتمد
ع!، ما كعبه " جورج داون " لكي ينسب ليعقوب تفكيرأ في الاسمقلال 1 00 حاك

على أية حال موقف جاك تاجر أصرف بكثير من مدرسة شتلاميذ سلامه موسى . .
: ويفسو لنا " جاك تاجر ! أسباب انحراف يعقوب فيقول
فاذا أردنا أن نفهم نفسية هذا الرجل ، جب أن نلقى نظرة عن أعماله " قبل
الاحتلال الفرنسى . كان يعقوب ذكيأ وصحيح البدن (! !) وقد اشهر بمهارته
في ركوب الخيل . كان يشغل ، كسائر ابناء طائفته ، وظيفة المباشر ، ولكنه لم يكن
مسالما مثليم إذ انه انضم ، قبل وصوق الفرنسيين بزمن طويل ، الى صفوف ابراهيم
بك ومراد بك في المعركة الكبرى انتي دارت بين جيوسق المماليك وجيوسق انقبطان
باشا . وفد شكره البكوان لشجاعته ،اغدقا عليه النعم . وفي سنة 1798 م ، أصبح
.يعقوب وجيهأ وثريأ يحترمه ويعتبره الجميع
ولما قدمه جرجس الجوهري الى الجنرال " بوسلبج " كتب هذا الأخير إ ا
بونابرت قائلا : " يقول الجوهري انك لن تجد انسانا اكثر غيرة منه على

وتشعر هنا ان يعقوب المقاتل اعجب بقوة هؤلاء الجند الشبان الذين " هزموا
مماليك مراد بك وابراهيم بك الذين عرف عنهم أنهم لا يكسرون . ثم ان يعقوب
عرف عنه ان اخلاصه لروسائه يذهب به حما- اقكار الذات وكات المماليك هى ر:حاءه
بالأم! ، أما اليوم فكان الفرقسميون روساءه . " كان يعتبر نفسه جنديا ص جنود
"بونابرت وأخذ ينسى شيئأ فشيئآ أصله المصري القبطي
ولما سافر " ديزيه " الى فرنسا مع بونابرت ، استقر يعقوب بالقاهرة "

عل ان الأقباط لم يكونوا أول من زود الجي!ق الفرنسى باوهـجال " فقد سبقهم
إلى ذلك عمر القلقجي الذي توسط لمغاربة الفحثمين وجع نهم ومن كيرهم عده
وافرة وعرضهم عل ساري عسكر 1 000 " ثم انضم المماليك إلى الفرنسيين بعد
المغاربة ، أما الاقباط فكانوا اخر من التحق بالجيوش الفرنسية . وعل ، أيً حال
كان مجهودهم محدودأ جدا ، عل خلاف المغاربة . فلم يشتركوا حتى في المعارك
التي شقت تسليم الجيو!ق الفرنسية ولكن فرقتهم بقيت معسكرة لط القاهرة . وأخذ
يفكر افرادها في حلها . والواقع انه بينما كان يعقوب يستعد للابحار الى فرفط ، ركن
جنده الى الفرار والاختباء منه عل الرغم من ضغطه عليهم . لا يترك الانسان بلاده
باحثا عن المغامرة الا بدوافع قوية . وكان الأتجاط لم يدركوا السبب الذي جندوا
من أجله . أما يعقوب ، فكان عالماً بما فعل . انه نسى وطنه ووهب نفسه ظدمه
رؤسائه الجدد منذ الأيام السعيدة التى تعاون خلالها مع ! دنريه " . ولكن كيف
يكسب تقد-وهم وهو مباضر (صراف) ؟ لذلك انتسب الى الجيش وساعدته أعمال
.البطولة التي قام بها عل اكتساب عط!ط الفرنسيين
ولكن شاء القدر ان يصاب عل ا"سفينة التي كانت . تقله الى فرنسا " بمرض مجهول
قضي نحبه عل أثره . ولم تكن اخر كلماثه عن مصر ولا عن اسر، ولا عن أفراد

مصر . ؟ يكشف عن جانب من وضاعة شخصيه يعقرب وانحطاطه الخلقى فمنذ
اعات ليس إلأ ، كا- في غرفة الكاقي! الإتجليزي يبتف سه الفرنسيون! ،ويعرص- حدماته
فاذا جل!ر الجنرال الفرنسي الى جانب فراشه بكى من شدة حب "

اما ا اسدكتور إا ولير سليمان " فهو يدين يعقوب وبتبرأ منه با! ويعلن ان ادانته هذه هى ذات الموقف ألذي اتخذته الكنيسة من يعقرب وا)سذي اثبته تاريخ الامة القبطية
يقول : " وتسجل كتب التاريم ا القبطى تبرو الكنيسة المصرية من الشخص الذي ينحرف عن هذا التقليد العرت . فمئلا بالنسبة للجنرال يعقرب الذممط عاصث أيام الحملة ألفرنسية . نقرأ في " كتاب تاريخ الأمّة القبطية أ الذى طبعه عام 1898 م .نخلة روفيلة " ان يعقوب هذا سار " في خطة تخالف ما كان عليه ابناء جنسه "
فانه فض!ة * عن مخالفتهم فى الزممط والحركات اتخد له امرأة من غير جنسه بطريقة غير
شرعيه . ؟ ان رجال الدين لاسيما البطريرك لم يكرنوا راضين عن تصرفاته وأحواله . وحمعت من بعض شيوخ الأقياط المسنين ان البطريرك نصحه المرات ، العديدة بالعد:ل عن هذه الخطة .. فلم يقبل .. وعاوده النصيحة مرة أخرى فجاوبه جوابا عنيفا فسخط عليه . وحمعت من اخر ان ما كان بينه وبين البطريرك من المنازعة والمشاحنة دفعه الى التجرؤ ع! الدخول في الكنيسة مرة راكبأ جواده رافعأ سلاحه ا] (ص 279 - 0 29) ... " يقف البطريرك والكنيسة هذا إلموقف من يعقرب في وقت لم تكن ا اقومية بالمعنى الحديث ظهرت في ،!ر وفي ظلى حكه المماليك ومؤامراتهم المتواحهـلة للتقرقة بين جماهير الشعب ، تمكينا لسلطثنهم ومع وجود الحملة الفرنسية في البلاد التي استمالت الكئيرين ومن بينهم بعض رجال الأزهر . وواضح ان هذا كله لا يمس القيمة التى اثبتها الدارسون لمشروع الادتقلال . الذي تبناه يعقوب وصحبه "43
والدكتور " وليم سليمان ! ، من أفضل كنثبنا الأقباط وا!زهم دقة وموضوعية وتعبيرا عن البيار الوطنى الحقيفي الذي جسده تاريخ الأقباط المصرلنن . وموقفه عن ،يعقرب " هذا (؟ عبر ببراعة عن احتقاره بلفظة هذا) هو رأممط الجماهير القبطية " وا!كنيسة الفبطة والشرفاء الأقباط . لا في عهد الحملة الفرنسية فحسب بل على يفصد ولاء الافم! لرطبم صل *

امتداد سنرات الوعى الر طنى فمهزلة " يقوب هدا " ا أتي ابتدعها الانجيز
- لأباب
مفهومة - بعد سنة 1924 لم تكن لتجد كالبا مصريا يقبل بعثها أو الاشاده
بيعقرب
هدا .. اما حكاية " ان هذا كله لا س! ... اء ا ا فأعتقد أت د . وليم سليمان
ثد
احنمطر اليها تحت ضغط اعتباى أت ، منها ظروف الصراع ا اتي داهـحو!
" يعقوب
هذا " .. بير الدكتور " لويس عوض " مكتشفه الجديد ، وي!! مؤلف هدا
ال!ستاب . ذلك الصراع المعاصر لتاريخ نشر مقال الدكتور " وليم صليمان
" ا ارزي
ورد به تعليقه عل يضوب في أحد هوامشه . وكان من انستحيل أن تقف
-المجنة
التى نشر بها " د . وديم سليمان ! مقاله - اق جانب الذد! فضحوا دور
يعقوب
انحزكط ، ولو أن مجرد نشر مثل هذا الهامش ، في تلك المجلة ، صو د
نشره يعد نموذجا
للشجاعة الأدبية والأمانة العلمية التي يتحلى با " د . وليم سليمان اا . ولا
شك
انه اذا ما اتيحت له الفرصة لإعادة نشر مقاله في مجلة أخرى ة ار
،كدراسة مستقله
لاشك انه سيحذف هذا السطر الذب ينقض كل ما سبقه من تعليق . اذ
كيص
لا تمس قيمة مروع ، اذا ما ثبت ان صاحبه عميل خارج عن ارادة ؟مه
،وطاتفته
سلوكه مستنكر من الجميع .. بل إن اندكتور " وليم صحليماد أ م يخد مثالا
على
. الشذوذ والانحراف عن " ا اشقليد الوطنى العريق للأقبا! " إلأ يعؤب هذا
واذا كات الدمحنور " وليم سليمان " يعف من مفاخر " أمتنا المصرية أ
وشواهد
وطنية الأقبا! " انه في شهر سبتمبر 1699 م تلقى القنصا الفرنسى " دي
"مايه
أمرأ من ملث فرنسا باختيار ثلاثة من أوا،د الأقبا! لإرسالهم الى فرنسا
!تربيته
هناك على النحو الذي كان يرلى عليه أولاد بعض الاع الشرفية . ولكن ى
للة واحدة
لم توافق على ذلك "مهما كان عدد أولادها " . إذا كان ذلك ممت
مفاضوهـامتنا فلا
شك انه يعلم ان التاريخ لا يتكون من الاشادات وحدها بل والادانات أيضا

الجبرق ونخبة

الجبرقي هو شيخنا العبقري ابن عصره .. هو ثمرة الفكر الإسلامي ، والحضارة
، الإسلامية ، ل! أحلك عصور تخلفهما .. ولكن مع ميزة يتفوق بها على مثقفينث اليوم
هي انه كان ابن هذه الحضارة وثمرة هذا الفكر ، قبل ان يتسلل الغزو الفكري الى
العقل العرثط .. قبل ان تغ ظواتت التغريب التي تمت .. فهو يحتفظ بنقاء الجوهر
وان كان الشكل قد اصابه ما يصيب كل الظواهر في مرحلة الانحطاط وابخمود
،والتخلف .. بل وما أصاب - بالضرورة - صفاء الجوهر ووضوحه ، وقدراته
لكنه لم يكن قد تم تشويهه أو تزت!فه بفعل التغريب الذي تم خلال المائة وسبعين
.عث مأ الماضية
هو الجبرقي .. الأزهري .. اسلامي ، ينتعسب لحضارته الإسلامية ، ويعتز
ويفخر بها ، مؤمن بتفوقها في الجوهر والقيم وبجدارتها وبقدرتها على التفوق د! الشكل
.والتطيق لو وجدت العث ملين لها
عرر يصف نفسه بأنه بن ابناء العرتب ، وعندما يثنى على مملوك يصفه بأن من
.يراه يظن انه من أولاد العرتب
مصري تحب لمصر .. موله في حها ككل المصرتنن رغم انه حبشي الجد ، يعتبرها
عن قعاعة وحب " الأقليم الحسن الأحسن " الذي تفاخر " بملكها الملوك " . " ولما
؟ عره سلامة مرصى .. وعبر بذلك عن الحقد الاذج الذي تبهه له مدرصة التغريب .. *
" رلكى " لويى عوض
!اذكى فهر !الغ ني الثناء على الجبرقي ، يويه ععته

صرت في سن ثييز*. كانت مصر اذ ذاك تحاشها باهرة وفضائلها ظاهرة ولأعدائها
قاهرة . يعيش رغدا بها الفقير وتتع للجليل والحقير . هـكان لأهل مصر سنن
وطرائف في مكارم الأخلاق لا توجد في غيرها "43
عدو للاستعمار الغر! ، واع بالمواجهة الحضارية ، رافض للاحلال الفرنسي،
مؤمن بامكانية البعث الاسلامي .. بكل قلبه مع المجاهدين المقاتلين ضد الغزاة
الغربيين.
على وعي تام بنفائص وخطايا بل وجرائم الحكم المملوكى والسلطة في الدولة العمانية ..
لم يعجبه في بيان نابليون الا عبارة واحدة هي وصفه للدولة العثمانية بأنها " المفعمة
جهالة " ! .. وما من وثيقة معاصرة " للجبرقي " حافلة بنقد الدوله العثمانب مثل كتابه
الذي يعد المرجع العر!ط الأساسى لهذه الفترة . ولكنه لم يضع نفسه أبدأ فى مرضع

أبدأ .. لم يكن هذا هو قدر أمتنا ، ولا الاختيار الوحيد المتاح لها .. بل كانت
لدى النخبة داتماً ، الامال وكان لأمتنا الفرصة ، لتحقيق احتمال ثالث .. هو بناء
تقدمنث الوطنى.
كان " الجبرقي " ،اعيا بأن الطرقى الثالث يقضى على التخلف ويحمى من الغزو
الغر! .. ولكنه يتطلب كنقطة بدء .. صد الغزو الغر! ، منع الاستعمار الغر!ط
من الاستقرار فرق أرضنا .. وان حريتنا نرق أرضننث هي السبيل الوحيد لعلاج
مفكل تخلفنا .. واننا اذا فقدنا هذه الحرية .. اذا سقطنا في قبضة المحتل ، فسنفقد
حرية الاختيار .. ونفقد بالتالمط فرصة بناء يفدمنث الوطنى.
والمدرسة الاستعمارية عندما تشوه موقف " الجبرقي " ، بل

* ولد أطرقي وسه 1167 هـ 1753-

فعندما تقول هذه المدرسة .. ان المثقفين العرب يمثلهم " ألو العلاء المعري " قد
اختاروا العيش تحت جماية ا!م البيزنطي الذي كان يهر استقلالهم القوص!ا
والديني ، ولكنه يمنحهم حرية الفكر ! .. بيما رفضت هذه النخبة الاستبداد المصري
الفاطمى .. الذممط كان تحمي دينها وترميتها ولكنه يضيق على حريتها الفكرية + ! . .
وعندما تلح مرة أخري على هذه الفكرة خعزعم ان النخبة المصرية في عصر الحملة
الفرنسية ، وعلى رأسها " الجبرقي " ، انتابتهم الح!ة ، أو حتى رجحوا الحكم
الفرنسي في كثر من الأحيان . فان هذه المدرسة في الحقيقة تريد بتدريسنا عبرة
التاريخ ، أن تلقئا كيف يجب أن يكون سلوك النخبة المعاصرة .. لزعم !أن نفس
لعنة الاختيار التعس ما زالت تواجهنا .! فلقهم جيدا ان ما سيقال عن موقف
جبرقي " القرن التاسع عشر ، انما هو موجه " للجبرتيين " في النصف الثافي من
القرن العشردن أ . .
والصورة التى يرحمها لويس عوض للجبرقي هى:
أما تنديده بعصر اقرك والمماليك خعفيض له كل صفحة من " صفحات تاريخه
عجائب الالار " . وأما رأيه في الحكم الفرنسى وفي الحضارة " الفرنسية ، فقد
اختلط فيه السلب والايجاب بسبب موضوعيته واستقلاله في الراي عن عواطف
الغوغاء وعن ترهيب الحكام وتركيهم .. حتى وصفه الفرنسيون بأنه شيخ متعصسب
ووصفه أبنثء جنسه بأنه نصبر الفرنسيبن . وأما موففه من محمد علي باشا فقد كان
واضحا وقاطعا . كان تعتقد ويجاهر بالقول والقلم منذ ولاية محمد على 18.5 م

راجع " على مامق رصالة النفران " للّوي! عوض . الذي ن!

الأول التنديد به تفيض به كل صفحة من صفحات تاريخه ، والثافط كان رفضه
. . له واضحأ وقاطعا
يبقى الثالث .. وهو مربط الفرت! ، وهو موقف الجبرقط ، أو النخبه المثقفة التي
يمثلها ، من الاحتلال الفرنسي . . هنا لانجد الوضوح ولا الرفض القاطع ، بل سرعان
ما نكتشف أن الاصرار على وضوح موقف الجبرقط من عصري المماليك ومحمد علي،
انما قصد به تشويه موسه من الاحتلال الفرنسي ! .. فهو موقف غير واضح ، موقف
يختلط فيه السلب والايجاب .. وذلك لأنه مسمقل في رأيه عن "
! " عواطف الغوغاء
ومعروف ان " الغوغاء " كانوا ضد الحكم الفرنسي .. بل في رأي المدرسه
الاستعمارية ، ان كل معارضة لحكم الاستعمار هي غوغاثيةأ
من كل هذا يجب أن يكون موقف الجبرلط ، غير واضح ، وغير قاطع ، بل متارجح بين السلب والايجاباً
فهل حقاً كان ذلك هو موقف الجرقط ؟ أ .. هل كان حقا متحرراً من مشاعر
! الغوغاء ، المقصود بها هنا ، رفض الحكم الفرنسي ، والثوره عليه ؟
ماهو موم! الجبرلط من الغزو الفرنسي ، ومن الوجود الفرنسي على أرضنا.
لعل خير ما يدلنا على هذا الموقف هو المقدمه التي كتبها للجزء الثالث ولاحظ
انه كتبها سنة 1220 هـ(18.5 م) أي بعد أربع سنوات من زوال الاحتلال
الفرنسي ، وبعد أن خمدت تماما " مشاعر الغوغاء " وبردت العواطف - ان كانت
الوطنية انفعالا - .. وبعد أن جاء العمانيون ، وأنسى سلوكهم كل ما سبقه من
جراكم .. الا انه في ضايا الوجود لا يتأثر موقف الثرفاء بالجزئيات ، وابشع حكم
محلي أسرف وأحسن من أفضل حكم أجنبي استعماري . وهذه قاعدة عامة صالحة
. . لكل زمان ومكث ن
لذلك يؤرخ الجبرلط سنة (1213 هـ- 1798 م) قائلا : " هى أولىص
الملاحم العطمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور
وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكتس المطبوع وانقلاب

. " وتواتر الاسباب وما كان ربك لهلك القري بظلم وأهلها مصلحون 44
ولا شك ان تتبع تاريخ الحملة الفرنسية في مصر وما انزلته من تنكيل وإلادة وحرق
واعتصار حتى المرت لمرارد البلاد ، ئركد ان " الجبرقي " لم تجرفه البلاغة حين لخص
. " هذا التاريخ في " الشوور والمحن والأهوال والتدمير والخراب
اما عن " اختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع " .. فهذه هي
الحقيقة التى أفثق علها الشرق الإسلامي بعد غيبوبة طالت اكز من ستة قرون منذ
أن طرد آخر الفرنجة من ساحل الشام ، ومنذ أن اص ملك الفرنجة في احدى القرئ المصرية.
ثم جاء الاعصار التركي يجتاح أورولا ، وتحرر الق!سطنطينية ، ويدق أصوار فيئا . .
ونام الشرق على ان " المطبوع والموضوع " هو تفوق الشرق الإسلامي على الغرب
المسيحي ، ورغم كل النذر التى كانت تشر الى ان " الموضوع ! يتعرض لتغيير
عنيف ، وان " المطبوع ! فد انقلبت طبيعته ، وان الغرب " المهزوم " تطور الى خطر
جارف على الشرق المنتشى بسلافة أجداده ، النامهم على هذه الأمجاد .. رغم كل النذر
التى حملتها سفن الفرنجة ، فقد كان عطر الماضي نفاذأ قوياً أدار الرعوس الى الحد
الذي استحال عليها أن تبصر ما يطرق حواسها الخص! . بل وأن تفهم أو تفسر
هذا الذممط تلمسه ، تراه يخترق الجسد ويقتطع منه وكأن الجسد قد فقد ا اغدرة على الحس
.؟ فقد القدرة على المقاومه
فلما جاءت الحملة الفرنسية تضرب العالم الاسلامى في قلبه إلعرر ، وتختار من
القلب العرثط .. كنانة الله ومّركز الثقل فيه . كان الانتباه المفاجىء العنيف الى ا ن
. . ا المطبوع " قد انعكس و " الموضوع " قد انقلب
اختلت قوانين الكون .. وانهارت صورة العا لم المفترض .. ولكن الجبرقي لا يفسر
ذلك الانقلاب - ؟ تزعم المدرسة الاستعمارية - بالكفر بالقيم الاسلامية أو التنكر
لحضارتنا . . بل يفسره التفسير الحضاري السليم : " وما كان ربك ل! لث القرى بظلم
" وأهلها مصلحون

صورة الأبله الفاغر فاه امام الأحداث ؟ تصوره المدرصمة الاستعمارية ، أو بالأحرى
. . ؟ تصور الشيغ الأزهري في مواجهه الحملّة الفونسية
: أبدا ، الشيخ يعرف
فلولا كان من القوون من قبلكم أولو بقية يهون عن الفساد في الأرض " إلا
قليلأ ممن أنجينا منهم ولبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك
. " ليهلك القوى بق وأهلها مصلحون
وما كان الجبرقي بالذي تنطلى عليه خرافه وحدة الحضارة فدينه يعلمه " ولو شاء
. " ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا -فبالون مختلفين
بل ها هو الجرقي يحلل في مظهر التقديس - الذي كتبه اثناء الاحتلال - أسباب
: الهزيمة فيقول
وان من اعظم !دلائل على ما رميت به مصر ، وحل به لأهلها تنوع " البؤس
والاصر بحلول كفرة الفرنسيس .. ووقوع هذا العذاب البئيس . صول الكسوف
الكفي في شهر ذي الحجة بطالع مشرق الجوزاء المنسوب اليه اقليم مصر . وقد
كان هؤلاء الاقوام وامثالهم ممن لهم في الخروح مشارك ولروم الافساد متربص
متدارك ، كل ويد الحلول بأرضها . والتفيؤ بظلال خصبهها وروضها . فيرجع بخفى
حنين . وتنقلب أمنيته منية وحين . ولم تزل منذ وضع أساسهث وأضاء في ديجور
الاقطثر نبراسها . محمية عن تطرق أيدى المفسدين . مصانة عن أن يطرق حماها
عصابة المعتدين . لا يطمع خارجى في الحلول بساحتها . ولا تحدثه نفسه بالتغلب
على رياستها . رهبة من سطوة حماتها . وأسود غيضانها . الذين كانوا من قديم الزمان
كالشجا في حلق العدو . والحسام المجرد في وجوهم بحيث سلبهم الراحة والهدوء
لا يتوجهون لجيش الا هزموه . ولا يحاربهم متغ!ب الا غلبوه . هؤلاء النحار قد
ايتولوا على كل أرض . وانزلوا دولة كل ملك من شاخ الى خفض . كثيرأ ما قهرتهم
جند القاهرة . وباعوا عند توجههم اليها بصفة خاسرة . بحيث لم تقم لهم بعد تلك

والعؤ عمادها . كانت وسدت أمور مصر لمن بها من الحكام . اعتمادا على شهرة
شجاعتهم وحماستهم السائرة بين الخاص والعام . وتلك الحكام أيضاً اعتمدوا على
سابق الشهرة . وركنوا الى الدهر و لم يأمنوا غدره . فخربوا الثغور وأشادوا القصبرر
. " .. واستبدلوا بأبطال الرجال ربات الخدور
ولما لم يقعفوا اثار من مضى من الدول . واضاعوا ما تعب في " تأسيس قواعده
الأول . تطردتى الخلل لهذا القطر العظيم من كل جهة وأضحت وجوه محاسنه بما
. " ابتدعوه مشوهة
فلما دهمت الفرنسيس ثغرها الخالمط ووضت منه على طلل لال " . سهل عليهم
الحال فاقتحموه ودخلوا من باب الأقليم بدون أن يفتحوه وتقاعدت العساكر المصرية
عن التسارع لاستنقاذ الثغر فعظم البلا . وأخذ العدو يطوي بساط

ولقد كادت تعم الرزية ، وتصر القضية أندلسية ، لولا عناية " من ايده الله
بالنصر واقكين .. وهو الملك الأعظم والسلطان الأفخم غياث

ولقد عكس الجبرقي الاحسام! العثم الذي ساد الأمة مع النبأ الأول الذي أعلن
وصول الأساطيل .. الا وهو بعث ذكريات المواجهة التارتحية بين الشرق والصليبيين
لذلك نراه في الصفحات الأولى يتحدث عن " الفرنج " وستتطور ملاحظاته بعد

ومصر طوال سنوات الحملة الفرنسية ، كانت في نظر الجبرلمط . . " في الأسر
فذلك هو اللفظ الذي عبر به عن وضع مصر وشعبها .. ولم يتغير هذا الموقف

حكم الفرنسيس ولكن 9 لويس عوض " يزعم أن الرأى الذى يستخلص من تاريخ
الجبرقي هو:
ان الحكم الفرنسي رغم شروره الكثيرة وضرورة رفضه كان - 1) في كثير
من وجوهه أفضل للمصريين من الحكم المملوكى ومن الارهاب التركى " .
انه بوجه عام كان يبغض الثورات التي تحكمها الغوغاء - 2 " المهيجون المحترفون
ويشيع فيها أعمال العنف وسفك الدمث ء والسلب والنهب حتى ولو كانت باسم
الوطنية أو الجهاد الدينى.
انه كا كان يقظاً الى أعمال الارهاب والاستغلال التي فام بها - 3 " الفرنسيرن
كان أيضا يقظأ الى اجتهادهم في افامة العدالة تشريعاً وتنفيذأ بطريقة لم يألفها المجتمع
المصري في عهد المماليك . ولعل هذا الجانب في الجبرقي من أوضح جوانبه.
من صفحات الجبرقي نستطيع ان نستخلص موقف الرأي العام - 4 أو شرائح
كبيرة منه في نظام الحكم الذى اقامه الفرنسيون ، لا سيما التنظمات السياسية
والإدارية والقضائية.
من صفحات الجبرقي نستطع ان نستخلص ما استحدثه - 5 الفرنسيرن في نظام
الحكم بمصر ، مدى السلطة التي كان يتمتع بها الوزراء والحكام

ويى مقدمة محاله " مطهر التقدي! لروا !! دولة الفريخ! ، ال ى لفه بالاستراك مع البئ حر ،
. العطار يقوت
حمدأ لمر حمل كلمة الدي! كفروا الفلى وكلمة الله هي العبا .. وحمل !دولة العمالية ، والمملكة
-الحاقانية ، !حة الدير
والدلا ، وصلاة وسهص ما على من لصر لالرعص والصا ، وأضاد هدا اندلم! القويم لثا السمهرية
والطبا ، وعلى اله وأص! له
.الداحسير لوكة كل قامع شرد ، الفائرب! بذل نيم نمرصهم لكل لصر لديع متحدد
ر ايطبعة الايقة كان لص البارة " !من الأرهاب الر! ! 45 ولكى لى الطبة الصادرة عن دار * *
!الهلال جرك
تسفيحما على ما بدو تحول الاهماتص " العرف ، ات ارهاب ا نركى " 46 . والطعة الأوا هى

وبثلظلي " موقف الرأي العام أو سرائح كبيرة منه " .. وهو هرقف
. . الجبرقي
وبالتالي .. اغ .. من المفثضلة بين الطبقات الحاكمة .. وبثلطبع يفوز
الفرنسيون
. . بالافضلية عند " الجبرقي " والرأي العام .. اع
فهو يذكر (أي الجبرلمط) ان الكشاف أو السناجق أي حكام الأقاليم "
كانوا
. " أشد ظلما من سادتهم الجدد
ويقول ان الجبرلمط شاهد حضارة الغرب والفلسفات السياسية
والاجتماعية التي
كاشت تتصارع في عصره ، شاهدها : 9 معلنة في بيانات الحملة
الفرلسمية أو مطقة
. " فى التنطمات السياسية والاجماعية التى استحدثتها هذه الحملة
ويخسب اليه أنه وفف موقف " الوزير المسئول لأنه اشترك في عضوية
الديوان
. ، الذي انشاه عبد الله منو
ولا ثحك ان هذه 9 الوزارة " تهمة ينفيها الجبرقي ، ووزر لا يدعيه ،
فالمرء يكون
وزيرا اذا ما حموه كذلك ، أو اذا ما تصرف كوزير أو صمل كوزير .. وما
من
شيء من ذلك قد وقع " للجبرقي أ ، بل ان تاريخه الدي يعترف الجميع
بأنه المصدر
الوحيد لمعرفه تقدير النخبة المصرية للديوان ، قد عكس! - ؟ رأينا -
صورة أبعد
ماتكون صت الوزارة ، وتعفى أعضاءه من شبهة أية مسئولية . ولي!م!
في تاريخ الجبرقط
كله ملاحظة واحدة عن رأي قاله الجبرقي في اجتماع للديوان ، أو
موقف ، فضلا
عن قرار أصدره كوزير !! بل ان الطريقه انتى كتب بها عن الديوان ،
وأرخ فيها عضويته
لديوان تركت المؤرخين حاؤين فترة طويلة حول خلو تاريخ الجبرقي من!
أية اشارة
الى تعيينه في الديوان ، بينما المصادر الفزنسية تشير الى ذلك ! الم! ان
امحه!ثف
الأسلوب الغريب الذي سجل به الجرقي عضويته للديوان .. إذ انه عدد
احماء المشايخ
اعضاء ا!ديوان ووصل الى الشيخ مصطفى الصاوي فأضاف بعده "
. " وكاتبه
وفهمت طويلا على انه يقصد كاتب الشيخ مصطفى الصاوي الى ان

عودة السلطة العثمانية التى -؟ بينا - لم تكن موجودة بأممط حال قبل الحملة
الفرنسية ، و لم يكن هناك من يعتقد بامكانية عودتها لحكم مصر حكماً فعليا . بل
كان الاتهال الوارد هو عودة المماليك مع نمو الوجود المدفي المصرى الى جانبم.
الجبرتي لم يترك مجالأ للشك في طبيعة اختيار المصريين - لو فرض - بين استمرار
السلطة الفرنسية ، أو عودة السلطة الإسلامية دواء !نت ممثلة في المماليك أو ضى
. . في شكل فتح عماني جديد
موقف الجبرقي هو:
الاحتلال الفرنسي هو كسوف قومي وحضارممط لمصر " فمن - 1 اعظم ذلك
حصول الخسوف الكلى في منتصف شهر ذى الحجة ختام سنة اثنتي عشرة
بطالع الجوزاء المنسوب اليه أقليم مصر وحضر (هـ - 1798 م 1212)

فالاحتلال الفرنسي كان يمثل خسوفاً كليا لهذا لجانب من الكون المنسرب اليه
. . أقليم مصر
ومن الطيعى ان يكون المصريون وفي مقدمهم الجرقي ضد الاحلال الفرنسي،
يتعجلون زواله بين !ة وأخرى ، ولا يضنون بأممط تضحية في سبيل التعجيل بهذا
. . الزوال . لتعود كسهم الى الاشراق
وهم يعرفون سيئات الحكم العثمافي ولا يتوقعون منه إلا كل شر - 2 ومفاسد
ومظالم . الجبرتي يسجل في وفيات (1168 هـ- 1754 م) اى قبل الحملة
بنصف قرن قريبا . يسجل وفاة : " اخر سلاطين بني عمان في حسن السيرة
. والشهامة والحرمة واسعقامة الأحوال والماثر الحسنة "49
من نصف قرن مات اخر السلاطين ني حسن السرة والشهامه .. اغ .. هعندما

الفونسى . . " ائريق " (سخر) الجبرقي بأنهم يعثوه يألط بالترياق من العراق . . وعندما
أصدر نابليون بيانثته لم يعجب الجبرقي منها إلا قوله عن الدولة العليه " المفعمة

والمصريون هم الذين هتفوا 9 يا رب يا متجلي .. إهلك العثملى ، .. لكق هذا
الوعي .. لا يفسد عليهم الروية السليمة .. بل ان المصريين لا يترددون في قبول هذا
الثمق الفادح .. أعني دخول عسكر العثملى مصر ، اذا كان ذلك هو ثمن تحقيق
جلاء ا!فرنسيين .. لأنهم يدركون ان استمرار الاحتلال الفرنسي

هذه القضية ما زالت غير واضحة في حوار العرب المعاصرين .. أيهما أفضل ا نٍ
نبقى عرباً متخلفين .. أم نزول كعرب مقابل تحقيق بعض مظاهر التقدم والأمن
!تحت حكم عصري أجنبى ؟
لكن يجب ان نفهم معنى " العثماني أ .. انهث لم تكن كر من تطلع الى قوة
عسكرية تزيم الفونسيين ، ولكن ما من أحد في مصر ، كان على ، استعداد لقبول
فضلأ عن ان يتطلع الى " حكم محملى ! فهذه ضية كان المصريون قد حددوا
موففهم منها منذ زمن بعيد .. بل حسمها التاريخ ، منذ ان حالت حروب الدولة
ضد الروسيا ، وتخلفها الداخلي ، ثون نجاحها في فرض سلطتها على الأطراف
النائية .. خاصة مصر .. " فعردة العثملى " كانت ترمز الى جلاء الفرنسيس .. ومن
هنا كانت أمتي صادفة الحس واعية بالمغزى الاريخي لهذا الحدث ، عندما عبرت عن
:فرحتها
فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الاغا مصر في موكب فحصل للناس " ضجة
عطمه وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه . وارتفعت اًصواتهم وعلا

بالمشاعل والفوانيس . فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجع العلماء الوجافلية
واعيان النايى! وكبار النصارى من الأقباط والشوام فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا من
الوزير فقرىء عليهم بالمجلس فدل مضمونه على انه اغات الجمارك أي المكوس بمصر
وبولاق ومصر القديمة . وفيه التحكر على جميع الواردات من أصناف الاقوات
فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه في انحازن وأبرز فرمانا اخر
فقرىء بالمجلس مضمونه ان الوزير أقام مصطفى باشا الذي كان أسر بأر قير وكيلا
عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره . وان السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملزم
ومقيد بتحصيل الثلاتة الاف كي! المعينة لترحيل الفرنساوية وانفض المجلس على ذلك
وأخذ السيد أحمد المحروقي في !يل ذلك القدر من الناسى وفرضوه على التصار وأهل
الأسواق والحرف وضرعوا في تحكير الاقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن النثس
ودهى النثسى من أول احكامهم بهاتين الداهيتين . وكان أول قادم منهم أمير افييم!سات
وتحكر الأقوات وأول مطلوبهم مصاثرة الناسى وأخذ المال منهم وتغريمهم . واجتهد
السيد أحمد المحروقي في توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة فكان كل من توجه عليه
مقدار من ذلك اجتهد في تحصيله وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر وبادر
بالدفع من غير تأخير لعلمه ان ذلك [illegible]

الدولة العثمانية يستفتح وجودها بطلب المال .. وأول " قادم منهم - 2 أمير
المكوسات " هذه هي الدولة العثمانية ، ومع ذلك فالمصريون الذين اشتيروا بأنهم
لا يدفعون إلا بعد الضرب والتفتيش . سددوا هذا المطلوب خلال أيام .. بل كانوا
يدفعون - ربما لأول واخر مرة في تاريخ المصرتنن - ((بسرور وطيب نفس " ! . .

فرحي!! الفرنساوية هو المقصود .. وفي سبيله كل شىء يهون .
حنى مظاهرات
الأطفال التي يقودها فقهاء المككاتب كانت تحرص عندما تهتف : "
الله شصر
السلطان 1 00 ان تشفع ذلك بمصرع اخر : " وجميلك فرط
. الرمان " رمز الاحتلال
والجبرقي ينتقد هذه الانفعالية في سلوك المصريين باعتبار ما
أعقبته من نتائج إ ذ
لم يغ جلاء إلن!رنسيين - ؟ هو معروف بسبب نقض الانجليز
-لاتفاقية العريمق
فلم تثمر هذه الشماتة المعلنة ، الا " الحقد والعداوة التى
تأسمست في قلوب
الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس
" .. هـرأت4 " وقد
قيل قاتل بجد وإلا فدع .. وقال الشعبى من جملة كلامه .. وصادفنا

بل هو موقف كل المنتقدين لأسلوبنا في العمل .. فهم ياخذون علينا
عدم الجدية،
وأن صياحنا أعلى باستمرار من أفعالنا . وإن عداوتنا المعلنة ا!بر من
قدرتنا على تحويلها
. . الى رد فعل .. واننا أعجئى الأعم الى الفتنة وأعجزها عنها
ولناخذ مثالا نتفهم به وجهة نظر الجبرقي والمصريين في عودة
العثملى .. دنرى كذب
الادعاء بأن الرأي العام كان منقسما بين عملاء تركيا وعملاء فرنسا ! ..
فمهما
تكن الاخطاء الحقيقية أو المفترضة للحكم المصري والأردفي في غزة
والضفة الغربية،
فلا شك في الفرحة الحقيقية التي اجتاحت القطاع في عام 1957 م
عند عودة الراية
المصرية ، وظهور الموظفين المدنيين .. حتى ولو كان أول قادم منهم
هو أمير
المكوسات ، ولا شك في انها ستكون فرحة حقيقية وصادفه اذا ما عادت
الراية
المصرية الى غزة من جديد ، وظهر جنود البادي! في نابلس والقدس ..
فرغم كل
ما تعنيه كلمة " جنود البادية " للفلسطيني .. إلا انه يدرك تماما أن
عودتهم تعنى
استمراره عربيا ، بصرف النظر عن كل القضايا الأخرى ، بينما استمرار
الاحتلال

ليهل يحترع التاريخ مؤ رخا يأقي بعد مائة وسبعين عاما فيقتطير من تاريخنا المعاصر
خبرا من صحيفة عن فرار عدد من الفدائيين من الأردن ولجوئهم الى اسرائيل ليبنى
عك ذلك نظرية تزعم وجود تيار أو رأي عام بين المثقفين الفدائيين كان يفضل الحكم
! ! الاسرائيلي عل الحكم العرثط
أما رأى الجبرقي والمصرتنن في الطقات الحاكمه فإن أصل العبارة التى استنتج
منها " لويص! عوض " ، أو أرادنا ان نفهم منها ، ان الجبرقي والمصرتنن كانوا يفضلون
الفرنسيين هى:
ورجحوا اليهم بجمع من عسكرهبم (أي القرنسنن) ومعهم الالات من " المدافع
فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهبم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ودخلوا اليهم
وبأيديهم السيوف المسلولة يقدمهم طبلهم . وطلبوا خدمة الضرج الذين يضل لهم
أولاد الخادم وهم ملتزمو البلدة وأكابرها . . ومتهمون بكزة الاموال من قديم الزمان .
وكانوا فبل ذلك بنحو ثلاتة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط وأخذوا منهم خمسة
عشر الف ريال فرانسة . بحجة مسالمتهم للعرب فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم
فدم يمكنهم التغيب خوفا على نب الدور وغير ذلك فظهروا لهم فأخدوهم إلى خارخ
البلد وقيدوهم وأقاموا نحو خمسة أياء خارجها يأخذون في كل يوم ستمائة ريال سوى
الاغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف وحبسوهم أياما
ثم نقولهم الى الجيزة أًيام الحرابة في مصر . فلما انقضت تللى الأيام وسرحوا في البلاد
نزلت طائفة الى طنتداء وهم بصحبتهم وقرروا عليهم أحدا وخمسين الف ريال فرانسة
وعل أهل البلدة كذلك بل أزيد وأقاموا حول البلد تحاف! عليهم وأطلقوا

أكط تقد أر تطور او غديت راة *

فرانسة . وأخنوا في تحصيلها وتوزيعها وهجموا دورها وتتبع
.المياسير من أهلها
كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة في كل يوم منها ومن
طنتداء والتعنت
عليهم .. وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح في
الظلم من
الفرنسيس بل ومن العرب فانهم معظم البلاء فانهم هم الذين
يعرفون دسائس أهل
البلاد ويضعون أحوالهم ويتحسسون على عوراض ويغرون حم .

هذا النص ، الوثيقه ، التى تدين الحكم الفرنسى ، بم!ارسة أبشع أساليب
التنك!يل
والتعذيب البربرية ، هل يمكن أن يكون هو ذاته الوثيقة التى تثبت ان
المصري!ت
يفضلون حكم الفرنسيين ؟ ! أي مؤرخ يحترم نفسه ذلك الذي يجتزىء
من هذا
النص سطرين ابتداء من كلمة " وتسلط " .. الى " ويغرون بهم " ..
فيغفل كل
مث جاء بالنص .. ويستخلص من السطرين ان الجبرقي كان يفضل
الفرنسيين على
الكشاف .. مع ان الجبرلمط كان حريصا ، وكأنه كان يعلم بسوء فهم
البعض
لكلامه ، فأوضح سبب غضبه على الكشاف ؛ و!و ! علمهم بدسائس أهل
. " البلد
وأدبيات جميع الأمم ، حافلة بجمل مماثلة ، تلور كلها حول فكرة ان "
اعوان الظا لم
شر من الظا لم " . ومعروف ان الحام المستبد الظا لم والأجنبى بالذات
يفضل ان يقوم
له بالأعمال الشديدة القذارة والبشاعة ، عملاء من البلد ، بل وكثيرا مث
يقوم هو
بانصاف المظلومين اذا مث اشتكوا اليه .. وهذه اللعبة كان الانجليز
يمارسونها على نطاق
واسع في مستعمراتهم .. وفي مصر بالذات حيث كان وصول المفتث!
الانجليزي يعنى
تحقيق العدل ! ولكن حتى هذا الفهم لم يترك الجبرقى مكانا له .
قلفرنسيون لم ينصفوا
ولا تميزوا .. بل ان سب أعوانهم ومساعديهم مترتب عل معاونتهم
للفرنسيينٍ في

`

! " بأن " الوطنمن كانوا يفضلون الاستعمار ويتمنون عودته
نفس الشيء بالنسبة لعبارة الجبرقي : " واپناء عسكر العثملى للرعية وخ!هم
ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتها التى
. " كانوا عليها
وهل من شك حول موقف الشيخ السادات من الوجود الفرنسي ، فهو الذى
قاد المقاومة ، وتبادل والفرنسيون كراهة عميقة معلنة .. وناله من اضطهادمم ما
هو معروف . ولكن هل كان السادات يقاوم الفرنسمن من فرط امتنانه وتحمسه

من يستطيع أن يكعب عريضة اتهام ضد الدولة العثمانية وجيشها مئل التي كتبها
السادات ؟ ! ومتى ؟ في عنفوان ثورة القاهرة الثانية .. حيث كان للسادات فىور
في قيادتها عرفه الفرنسيون ، فأنزلوا به قصاصا وحشياً رهيبأ ، عبر عن الحقد الذى
أفقدهم حتى أبسط مظاهر !دين . اذ القوا القبض على زوجته وكانوا يضرلون
الشيخ " أبو الأنوار السادات " " أمامهث كل يوم .. وهي تبكى ! " .. هو السادات
:الذى يكتب الى عمان محعخدا الدولة
الزامكم الكبير والصغير والغنى والفقير اطعام عسكرآ الذي أوقع) بالمؤمنين الذل
والمضرات وبلغ في النهب والفساد غاية الغايات فكان جهادهم في أماكن الموبقات
والملاهي ،حتى نزل بالمسلمين أعظم المصات والدواهي ، فاستحكم الدمار
والخراب . . ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكرآ مخذولأ وبهم
عم الحريق كل تحت كان بثلخير مشمولأ . كيف لا واعبرآ اضمرت السوء للمرتزقة
في تفسق معاشهم وأخذ مرتباتهم واتلاف ما بأيديهم من ارزاقهم وتعلقاتهم وقد
اخفغ أهل البلد بعد أمنها 53 " . والجبرقي لا يكف عن انتقاد " سنن عساكرمم
وطرائقهم القبيحة " وينتقد جهلهم العسكري ، و(همالهم احتلال المواقع الاستر 6تيجية
:بعد اتفاقية العريش ، مما أوقع بهم الهزيمة عندما نقضت الاتفاقية

بيك ، هي من صنع الجبرلمط وحده .. وأي ملاع يمكن ان تبقى لمراد
بعد هذه
الأوصاف : 9 وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش
والتورط
في الاقدام مع عدم الشجاعة . ولم يعهد عليه انه انتصر دنى حرب
باسره ابدا على
ه، فيه من الادعاء والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور ؟
قال القائل:
" .. أسد على وفي الحروب نعثمة
وحتى عندما يعمر مراد بيك مسجد " عمرو لن العاص " يعلق الجبرقي
بقسوة
! " على مصدر هذا المال : " فيا ليتهث لم تزن ولم تتصدق
ولالجملة فمناقب المترجم لا !ى واوصافه لا تستقصى . وهو كان من "
أعظم
الأسياب في خراب الاقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه واتباعه
من الجور والتهور
. " ومستمحته لهم فلعل الهم يزول بزواله
والجوقي يؤرخ سنواته كالاقي : " و لم يقع بها شىء من الحوادث الخث
رجية سوى
. " جور الأمراء وشايع مظالمهم 56
ولكن إذا ما تقاتل الممالك مع الفرنسيين .. فلا جدال ة أين يقف
. الجبرقي ؟
بل ان نقمته على المماليك تتزايد بقدر عجزهم عن مقاومة

أما المماليك الذين يقاتلون ويستشهدون فأولظث لا يضن عليهم
الجبرقي ولا
معثصروه بالثناء . فالشيخ خليل المنير ينشىء قصيدة في مدح
أيوب بيك الدفتردار
. " .. يثبتها الجبرقي في تاريخه : " لم يبر منهم سوي أيوب من الم
ويؤرخ الجبرقي للمملوك الذي استشهد دفاعا عن مصر : " ولما
حصل ذلك
وحضروا الى برانبابه عدى قبل بيومين وصار يقول انا بعت نفسي
في سبيل الله.
فلما التقى الجمعثن لبمى سلاحه بعد ما توضأ وصلى ركعتين
وركب في مماليكه
وقثل اللهم المط نويت الجهاد في سبيلك . واقتحم مصاف
الفرنساوية والقى نفسه

والرافعي مثل الجبرلط : إذا ما ساءته هزيمة المماليك انهال عليهم سبا وتجريحا
وجردهم من كل صفة ايجابية ، فاذا ما أبدوا شجاعة أو صملوا في موقعه ، طرب
وأثنى عليهم:
ولا غرو كانوا احلاس الخيل وابناء الطعن والضرب . ولم ينقذ نابليون " إلا
وصول المدد من الجنرال لكلرك ، فاضطر المماليك الى الانسحثب 9 " . ولو ا ن
الجبرقي يفسر افلات نابليون بسبب اخر وهو " أضرف القرنسيون على الهزيمة لكونهم
على الخيل واذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون



ص لا لك صا يأ عليه ، محتى لو كان قد اطلع على لصى وعرهـأى دور سلعه ناتلون ي تاشج *
- . . - ولد لراهيم سرو ء
العا لم لما كار له أر يففل هزتمه وتتله على القاد الماع ، لاله لو فمل لما اهش الا!ج كثرأ

المشايخ

أمث عن ! التكنولوجيا " والزعم بأن " النخبة " عرفت " لأول مرة ! ،
من
الفرنسيين ، بثلعلوم الوضعية والتكنولوجيا وكيف استجابوا لها بعد أن
كانوا لا
. . يعرفون إلا الروحانيثت
فقد أضرنث في غير هذا الموضع الى سخافة القول بأن حضارتنث قد
مرت بمرحلة
لم تعرف فيها الا الروحثنيات ! ورأينا كيف ولد الجبرقي وعايق في بيت
يأقي إليه الطلبة
من أوروبث يتعلمون الكيمياء والميكانيكث أ بل وكيف كان الجبرلط
فخوراً بمعرفة أبيه
العلمية الى حد أنه ينسب تطور الصناعة في أوروبا الى معرفة أبيه التي
نقلهث تلاميذه
الأوروبيون ! وحولوا معرفة الشيخ الجبرتي من القوة الى الفعل ..
فكانت الثورة
الصنثعية في أوروبث!
كيف اذن ننمسب مثل هذا الفخور ، الى حضارة غريبة عن العلوم
الوضعية لا
! تعرف من العلم الا الروحانيثت
رجالات الاسلام ليسوا بحاجة الى من يعلمهم أن كون الدنيا معبرا للاخرة
. .
لا يعنى عدم الاهتمام بها -. فمنذ صدر الاصلام ، والمسلمون يدعون الى
العمل
لدنيثهم " كأنهم يعيشون أبدأ " .. ودينهم يأمرهم بأن لا ينسوا نصيبهم من
. . الدنيا
ويعرفون انها " خضراء حلوة " وان المال والبنين زينة الحياة الدنيا .. وان
" اقي
لم يذكر في القران الا وهو يعنى المال " ! ولكن عندمث يهوي ليل

في مجموعه لم يعكس ألا شدة التشبث بهذـ" الفانية " وعلى نحو يفوق حرص
اسلافهم الذين عمروا الدنيا ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن تعمير هذه الأرض هو تحقيق
. . لارادته سبحانه وتعالى لكي تأخذ الأرض زينتها
ومعجزة التراث العرر ، انه باتصاله واستمراره اتاح دائمأ ، حتى في أحلك
عصور التخلف ، الفرصة للذت يعودون اليه لكي يتعرفوا عك الموقف الأصي! من

وتفسير هذا ا اضناضى بسيط للغاية ، ذلك ان عقلية الشيرخ هي امتداد للفكر
الاسلامى ، الذي انفصل عن حركة التاريخ .. واحمفظ بكيانه المستقل . . بينما تخلف
الجماهير هو الواقع المادي وهو ثمرة عوامل ماديه اقتصادية اجتماعية ، وجغرافية .. اع
لا سبيل لتغييرها بمجرد توفر جانب من المعرفة الصحيحة عند نخبة .. بل صى هذه
النخبة نراها ترزح تحت تخلف الواقع في سلوكها الاجتماعع! ، ومواجهتها للكون ، رغم
علمية تفكيرها ، فالجبرقي مثلا يرفض الخرافات ، ويتفوق على الفرنسيين في فهم
مغزى الاهتمام بالبدع والموالد عندما يعلق على حرص الفرنسيين على احياء موالد
الأولياء فيقول : " ورخص الفرنساوية ذلث للنامى لما رأوا فيه من الخروج عن ا(ضائع
واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات " فهو يفرق بين التدين
الحقيقى الذي يحاربه الاستعمار ، وبين الافيون الذي يروجه المستعمر . بل يتفوق

فعندما اَصدر نابليون منشوره الذي يقول فيه : " الفه قدر في الأزل هلاك اعداء
الاسلام وتكسير الصلبان على يدي " مثيرا بذلك احقادا غير موجودة إلا في مخيلة
الصليبية الغربية ! ثم محاولا اثبات ان غزوه لمصر واستقراره بها هو " ضاء وقدر " . .
على أسايى الفهم الغرر " للقضاء والقدر " عند المسلمين . . ذللث

الجهل والتعصب اللذان يتميز بهما العقل الغرلط ، في كل ما يتعلق بفهم إلحضارات

أما كيف فهمت العقلية الشرفية المسلمة هنا المنشور الدعاد .. فهذه هي عبارات
الجبرقي : " وقد أوردت ذلل!" وإن كان فيه بعض طول للاطلاع عك ما فيه من
اقوجهثت على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى
. " تنادي على بطلاخهث بد!ة العقل فضلا عن النظر
أيهما اكثر علمية ، وأقدر على أن يفود مصر في طريق العق!نية .. الذكط استخدم
المطبعة في الزعم بأن الله " فدر في الأزل ان أجىء من المغرب الى أرض مصر .. ولا يضك
العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه .. واعلموا أيضأ أمتكم أن القران
العظيم صرح في ايات كثيرة بوقوع الذى حصل . وأشار في اتات أخرى الى أمور
تقع في المستقبل "" " ولكن يأقي وقت يرى فيه جميع الناي أننى أهتدى بأهـامر
. . "**من السما
ما من حثآ شرقي كان يستطيع ادعاء ذلك .. ولكن ايهما اكثر " علمايخة " ة
الدجثل (تابليون " .. أم الشيخ الأزهرى ، الذي يرفض هذا الزعم ، ويعتذر عن
نشره ، ويرر هذا النشر بأنه أراد إطلاع قرائه على ما فيه " من امموبهات على العقول
فاسد التخيلات التي تنشد! على بطلاخهث بديهية الضل فضلا عن النظر، ! " ؟
كان الجبرقي على صلة بالعلوم الوضعية والديئية في تراثنث ، و لم يكن يجهل ان العلم
لا يقوم على الروحثنيثت وحدها ، تاء وما كان بالدى يحس بعقدة النقص ،

. يقصد لص اثمور
.مور نابليود من الص العرلي
.مثور نابليون س الص الفرنى

عن وسائل المواصلات ، كانت الأفيال ! بالعكس فقبل الحملة بنصف قرن يسجل
الجبرقي وفاة أحد التجار فيصف مكنبته:
- ومات الخراجة الحاج أحمد بن محمد الشرايبى 1168 هـ (1754 "
ه 17 م) وكان من أعيان المشيرفى كأسلافه . وبيتهم المشهور 5 بالأزبكية بيت
المجد والفخر والعز ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر جربجية وامراء ومنهم
يوسف بك الشرايبي . وكانوا غاية في الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الاخلاق
والاحسان للخاص والعام ويتردد الى منزلهم العلماء والفضلاء ومجالسهم مشحونة
بكتب العلم النفيسة للاعارة والتغيير وانتفاع الطلبة ولا يكتبون علها وقفية ولا
يدخلونهث في مواريثهم و-سغبون فيها ويشترونهث بأكلى ثمن ويضعونهث على الرفوف
والخزائن والخورنقات وفي مجالسهم جميعا . فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم
الى أي مكان يقصد الاعارة أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه في أي علم كان من
العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا . ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه فابئ رده
قي مكانه رده وان لم يرده واختص به او باعه لا يسأل عنه . وربما بيع الكتاب
. " عليهم واشتروه مرارا ويعتذرون عن الجافي بضرورة الاحتيابم .6
ووالد الجبرلط نفسه ضاعت مكتبته من عرة المستعيرين . وتاريخه حافل بأعاء
الذين كانوا يعيرون كعبهم ويشترون الكتب أو ينسخونهث ويوقفونهث على الطلبة.
وقد انتقد " هيرولد " -بحق - غرور الغربيين الذين ظنوا شيوخ الازهر
كالسكان الأصليين في استراليا ستهرهم الاعيب الساحر الغرلى ، وكانوا بذلك
يعبرون عن جهلهم هم لا سذاجة الثعيوخ .. والمؤلم ان يأق مصريون اليوم ،
فيصوروا شيؤخنا هنودا حمرا يتأملون " الرجل الحصان " ا
يقول " كرستوفر هيرولد " : " لقد توقع الفرنسيون بالغرور المعهود في الغربيين
أن يستجيب الشيوخ لعجاتب الصناعة بدهشة صبيانية كدهشة الشرب المتوحشة

ويتساءل : " أى الرجلين كان اكثر سذاجة ! أهو الشرقي اممذي لم يسمع من
قبل بالكهرباء .. أم الاوروكط الذي ظن ان اكنشاف الكهرباء يعطه حقا أبديا في
السيادة على مخيره ؟ إ !
ولا شك ان " نابليون " كان ككر الجميع سذاجة ، أو دجالأ حقيقيا ، ؟
يعتقد ، عندما زعم ان " الوطنيين كانوا غاية في البطء في فهم كنه هذا المجمع الذممط
ضم رجالأ وقورين مجتهدين (العلماء) لا يحكمون ولا يديرون ، ولا يقومون بأي
وظيفة دينية . وقد حسبوهم يصنعون الذهب " ا 6 .. على أية حال لقد شهد
نابليون انه عندما اكعشف الوطنيون كنه هؤلاء الرجال " لم يحرقوهم أ ؟ كانت
العث مة تفعل في أوروبا بالعلماء . . بل أ تلقى العلماء الاجلال لا من الشيوخ والاعيثن
فحسنب ، بل مق أقل الطبقات وادناها "62 .
فأمتي لم تكق منقطعة الصلة الفكرية بالعلم .. بل كان العلم المادى في تراثها
وفي روحها ، ولط تارتحها ، وان لم يكن في واقعها بحكم دورة التخلف والتقدم
التى تتعرض لها كل ظواهر الكون .. لكنهث كانت مهيئة لتقبل العلم ، مفطورة على
حب واحترام العلماء .. متعطشة للتجدد .. لا بالفكر والمادة معا ؟ تدعو المدرسة
الاستعمارية .. و؟ تزعم ان الجبرقي " قبل تجدد الكيان الاجتماعي بالمادة والفكر
جميعا .. "63 .. هذا الزعم ضر صحيع لا على اطلاقه ، ولا بالنسبة للجبرقي .. بل
هو جوهر الخلاف تنن مدرستى التغريب والتحديث ، فالمدرسة الاستعمارية تدعى
ان " قبول التجدد بالمادة ورففى التجدد بالفكر هو من مظاهر ا!زق الحضارى الدممط
كثيرأ ما يودى بالمجتمعات والافراد في عصور الانتقال " .. وهو عرض مشوه
بالطبع للقضية ..
فكما أوضحنا ان الذين يصرون على وحدة الحضاره ، هم في الحقيقة لا يهدفون
الى ا!ر من !يق انماء النخبة الشرقية الى فكو وعقيدة وأسلوب معيشة الحضارة
الغوبية ، دون ان يمتد هذا التغيير الى الأعماق ، وثون أن يحقق هذا الانتماء لطوير
المجتمع بالطع . وقد رأينا كيف رفض الجبرقي الوجود الفرنسي ، اما الشيخ حسن
* وماذا كانوا حصمود ؟ با حلص مادا يلهت الحلم الغرد خى اليوه الا الدهب والارود الدى
عالاه توار عقاهرة
ص مكثفات الحلاء الوفررين.
، ه لوير عوض!*

العطار صديقه الذى يستشهد به ا لويم ! عوض " عادة على " المنبيرين
بالتكنولوجيا " والمتفتحين للتجدد ، فان انبهاره لم يرده الا

ان الفرنسيش قد ضاعت دراهمهم "
فى مصرنا بين حمار وخمار
وعن قريب لهم فى الشاء مهلكة
يضيع لهم فيها اجال أعمار ا]4 آ
ولم تكن المعرة4 التكنولوجية تقدم للمصريين في شكل علاقة علمية ، بتجرد
العلماء من الجانب المتقدم ، وثقة وتطع الجانب المتخلف ، حتى يمكن أن يغ التلقين
الحضاري .. بل كان العلماء الفرنسيون ، يتصرفون بعقلية الأفاق ا الأورور الذي
يحاول ان يخيف الزنوح في الادغال بألاعيب تجعله يبدو في صورة الساحر الذي
لا يقهر ! وكان المصريون ينظرون بحذر وقلق وتوجم! ، لأ+ يعرفون الهدف
الحقيقي من استعراض العضلات العلمية الذى يجريه المحتلون أ 15 ، مهم ، وبهذه الروح
. . رأى الجبرقي محاوله اطلاق منطاد
كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالاسواق مضمونها انه في يوم " الجمعة
حادى عشرينه قصدنا ان نطير مركباً ببركة الأزبكية في الهواء مجيلة فرنساوية . فكز
لغط الناس في هذا كعادتهم . فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير
من الافرنج ليروا تك العجيبة وكنت بجملتهم . فرأيت قماشا على هيئة الاوية على
عمود قائم وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال وفي وسطه مسرجة
بها فتلة مغموصة ببعض الادهان . وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد نها
الى الدائرة وهي مشدودة ببكر وأحبال واطراف الأحبال بأيدي اناس قائمين
بأسطحة البيوت القريب منها . فلما كان بعد العصر بنحو صاعة أو قدوا تلك الفتيلة
فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصثر مثل الكرة وطلب الدخان

لسقوطها . و لم يتبين صحة ما قالوه من انها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة
مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار
وارسال المراسلات بل ظهر انها مئل الطيارة التي يعملها الفراشون بالمواسم
والافراح 6 لا!
أيهما اكز علمية .. الفرنسيون الذين كانوا يأملون في طيران البالونة الى ان تختفى
عن الانظار فيزعمون انها طارت الى فرنسا أ .. والذين اشثعوا أنها يمكن ان تستخدم
في التجسس للارهاب وخلافه ؟ ! أم الجبرقي الذى يفهم سبب انتفاخها وهر
ا!لاؤها بالغاز .. ثم ارتفاعها بسبب طلب الدخان لصعود .. وهر صحيح تماما . .
ثم الذى يعلق في موضوعيه كاشفا الخدعة ، وأنها لا تزيد عن تطوير في الطيارة التئ
اعتاد الفراشون عملها في الافراح ؟
وفي نفس الصفحة التي يسجل فيها الجبرقي أول فشل لعملية

وبفدر ما كان الجبرلط متحفظا با! معاديا للتكنولوجيا الارهابية ، كان متفتحاً
للتكنولوجيا العمرانية التي يمكن أن يستفيد منها الناس وذلك واضح في إعجابه
ووصفه لعربة اليد تماما ؟ أعجب خلفه ! رفاعه الطهطاوى " بعربة الرش في باريس
. . بعد ثلث قرن
ومعلومات " الجبرق " عن العلماء ومواد ابحاثهم أفضل من معلومات " نابليون دا
عن معرفة الشيوخ فالجبرقي لا يحدينا عن سحرة ولا خضر الذهب بل يكاد يحدد
كافة فروع العلم الذي كان يدرس : " وافردوا للمدبرين والفلكم!ن وأهل المعرفة
والعلوم الوياضية كالهندسة والهيئة والنقوضات والوسومات والمصوربت والكتبة والحساب
والمنشئين حثرة الناصرية " . ! كذللص أفرثوا أماكن للمهندسين وصناع الدقائق
وسكن الحكيم رويا ببيت ذي ا!فقار كنخدا بجوار ذلك ووضع الاته ومساحقه
وأهراف في ناحيه . وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والادهان واستخراج

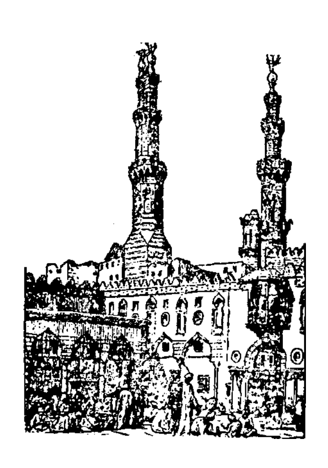
الكيماو! وبنوا فيه تنانير مهندمة والات تقاطير عجيبة الوضع والات تصاعيد
الأرواح وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأ!لإح الارمدة المستخرجة من الاعشاب
والنباتات واستخراج المياه الجلاءة وا!لالة وحول المكان الداخل قؤارير وأوان صت
الزجاج البلوري انحتلف الاشكال والهيئات عل الرفوف! والسدلات وبداخلها أنواع
. . " (المستخرجات 6
تأمل هذا الوصف العلمى الدقيق من متفرج " متخلف " ثم بعدها . . مباسرة

ومن اغرب ما رأيته فى ذلك المكان ان بعض المتقيدين لذلك اخذ " زجاجة من
الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة فصب منها شيئا في كأس صب عليها
شيئا من زجاجة اًخرى فعلا المان وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما
في الكأ س وصار حجرا أصفر فقلبه علي البرجات حجرا يابسأ أخذناه بأ يديتا ونظرناه
ثم فعل كذلك بمياه أخر! فجمد حجرا أزرق وبأخرى فجمد حجرأ ياقوتيا . وأخذ
مرة شيئا قلعلا من غبار أبيض ووضعه عوا إ ا!سندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج
له صوتت هائل كصوتت القرابانة انزعجنا منه فضحكوا منا واًخذ مرة زجاجة فارغة
مستطيلة في مقدار الشبر ضيقة الفم فغمسها في ماء قراح موضوع في صندوق من
الخشب مصفح الداخل بالرصاص وأدخل معها أخرى على غير هعتها وأنزلهما في
الماء وأصعدهما بكر!ت انحبس بها الهواء في أحدهما واًقى اخر بفتيلة . مشتعلة واًبرز ذلك
فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة اليها في الحال فخرج ما فيها من الهواء
المحبوس وفرقع بصوتت هايل أيضاً وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكمية تتولد من
. " اجقماع العناصر وملاقاة الطباتع 67

ولا يجوز ان شوفف طويلاً عند حديث التكنولوجيا ، بعد ما عرفناه عن موقف
رجال الاحتلال في ضة مصنع 9 الجوخ " حيث رفضوا السماح للعمال المصريين
بالعمل في المصنع خوفأ من تعلمهم امرار الصنثعة.
كان لابد أن تجلو قوات الاحتلال الأجنعى .. لكي يفتح الطريق امام المصريين
لدخول عصر العلم والصنثعة .. وكانت الحملة الفرنسية قد سجلت

ء+ز، تم حط

؟ ء



ا!صه!إقاسع
ووو
أط!ا!تروالمة

ؤوال

بمقتل كليبر بلغ التوتر أقصاه ، وتركزت عيون السلطة على الأزهر ، وبدأت تقوم
بحملات تفسيش ثورية ، بحثا عن خيوط التنظيم الذي اغتال قائد الجيش ، و لم يكشف
من اعضائه الا خلية واحدة . وأراد المشايخ الكبار أن يقطعوا الطريق على المشاكل
فتوجهوا : " في عصريتها عند كبير الفرنسيس " منو ، واستأذنوه فى ففل الجامع
وتسميره فقال بعض القبطة الحاضرين .. هذا لايصح ولا يتفق . فحنق عليه الشيخ
الشوقاوى وقال اكفونث شر دسائسكم ياقبطة ا " " واشتد الأمر بثلناس وضافت
منافسهم وتثيعوا نهب الدور بأدفى شهة ولا شفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع
كلمته " " جمعوا الوجاقلية وأمروهم باحضار ماعندهم من الأسلحة . فأحضروا ما
احضر!ه ، فشددوا عليهم في ذلك فقالوا لم يكن عندنث غير الذى احضرنثه ، فقالوا

وحاولت السلطة ان تتقرب للجماهير ، باسلوب طائفى : " فشرعوا في ترتيب
الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين * لاغير وليس فيهم قبطي ولا
وجاقلى ولا شامي ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومي على

سابخ

والمهدي كاتب السر والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبه (الجبرقي نفسه) وألشيخ
موسى السرسى والشيخ خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسيب ساري عسكر
والشيخ الفيومئ والقاضى الشيخ احماعيل الزرقافي وكاتب سلسلة التاريخ السيد
اسماعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عرلمط وقاسم افندي كاتب رومى وترجمان كبير
. " رفائيل وترجمان صغير الياس فخر الشامى 2
وبعد كليبر جاء هذا الجنرال الذي تكن له المصادر الغربية اح!قارا متجددا . .
ولاتكف عن الانتقاص من قدره .. ولاسك ان ذلك يرجع الى " اسلامه " وتزوجه
من " همجية " . ولو ان اسلامه لم يقنع المصرين بل اعتبره الجبرقي . . اسلامث سياسيا
ويصفه بأنه " اًظهر أنه أسلم " ويتهمه بأن " غرضه باطنا كان اغلاق . . الأزهر لما

و لم يىكن ! مينو " اكز من استعماري نموذجي من الرجال المترسطين الذين قامت
على اكتافهم امبراطوريات الغرب بلا عبقرية ولا نظريات ولا تعقيدات .. بل كلما
!كان أفقهم تحدودا كز ، كان نجاحهم أكبر
مينو " لم ير في مصر اكثر من امكانية هاتلة : " لزراعه القطن " وفصب السكر
والنيلة ومركزا لتجاره الرقيق مع أواسط افريقيا والعاج والتبر والتوابل ومزرعة
نموذجية للاخوة بين الفلاحين الكث دحين في سعادة والمستعمرين

وقد سبق احفاده اعضاء المنظمه السرية باعلان " مصر قطعة من - فرنعا " بل
ولعله إكز الثلاثة (نابليون - كلبير - مينو) تنفيذا ا!سياسة تغريب مصر .. يل
اسله تخطى في قراراته كل مث جرو عليه خلفاوه من الاستعمارينن . فقد استطاع
مينو. " في مطلع القرن التاسع عشر أن يحقق ما عجز عنه مثريشال " الظهير البريرى
! بعد مائة عام
ومن حق استعمارى القرت العشرين أن يأسفوا ع! ف!ممل "

المحمودة * التى هى " اضفع الأهالي " .. ولكن ليس من حقهم ان
يلوموا المصرل!ن
على عدم سرورهم لاقرارات " مينو]) بالغاء قوان!ن المواريث
الاسلامية ، والعا" القانون
الجنالط الاسلامى خاصة وأن هذه " الاصلاحات " الصادرة من حام شهر
اسلامه،
ص!احبها : " انحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أو! . واستوحشوا
منم . ونزل
بالرعية الذل والهوان . وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم
من نصارى
. " البلد الأقباط والشوام والأروام بالإهانة
المهم كانت الحملة الفرنسية قد انتهت تاريخيا بفضل الرففر الشامل
الذي واجهها
به المصريون .. وأًخيرا جاءت الحملة البريطانية - التركية .. وعندما
تواترت انباء
وصول الجيش!ت الانجليزي والتركى ، توتر الجو فى الديوان ووقعت يوم
0 2 شوال
هـ (1801 م) محاورة أًو مبارزة لفظية بين المشايخ والفر نس! 1215
ت حول مدى
مشولية القيادة المصرية عن التحركات المنتظرة من جانب الجماهر
عندما تشتبد
القوات الفرنسية مع " المحررين الجدد " ، هذه المحاورة يلخصها
الجبرقي:
قال بعض الحاضرين : العقلاء لا يسعون في الفساد . واذ! تحركت فتنة "
لزموا
بيوتهم " " فقال الوكيل (القرنسى) ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة
ألمفسد 7ت فان
. " ا(بلاء يع!ا المفسد وغره
ا فقال بعضهم هذا اجس بجيد بل العقاب لايكون ءلا عاى المذنب . قال)
تعالى:
كل نفس بما كسبت رهينة . وقال اخو من المجلس . ولا تزر وازرة وزر
. أخوى
فقال الوكيل : المفسدون فيما تقدم أهاجو ا ا اغتنة فعمت العقوبة . "
والمدافع
. -والينبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فإنها لا تقرأ القرا

لأن الص!إ فيت يقصدان غايتين مختلفين .. الشيوخ يشككون في مشروعية اجراءات
السلطة ، وهم لا يريدون أن يتدخلوا لشل يد الثورة ان وضت ، بل هم يحاولون
اساسا ضل يد السلطة عن البط! بهم بادعاء انهم غر مسئولين عن

والركيل كممثل للسلطه يبرر اجراءات القمع ، ويحاول أن يحمل القعادة أنو اصنية
مسئولية مايقع ، ولايقبل نها التظاهر بالسبية أو الحياد . ومن ثم فلا عجب أ ن
تبدو حجج الفريقين قكاكة ، بل وان تكون كلها ذات موقف اخلاقي إسلامى!
فالاسلام ؟ يحغ على القادة نصح الرعية وارشادهم .. فهو ايضأ لا يعافب إلا
المسىء .. والحوار ا.صتمر ، لأن القيادة عجزت عن التحدث بصراحة ، واعلان ا ن
حركة الجماهير المنتظرة لي!ست تنة بل جهاد ، وان مكانهم الطبيعي - لو لم يكونوا
في " القبضة مأسورين أ - هو على رأس هذه التى يسميها المحتل تنة . وان الخير
كل الخير والاصلاح المنشود ، في مقاتلة الوكيل وما يمثله الوكيل . . ومن ثم فالنصيحة

واذا كانت القاهره لم تز هذه المرة فلسرعة الزحف البريطافي من ناحية ولأن
التنكيل الفرنسى الذي اعقب الثورة الثانية ومقتل " كليبر " قد اصابها بضربة فاصية
يلخصها " الجبرقي " بقوله : " على انه لم يبق في الناس إلا رسوم هافتة .. " أضف
الى ذلك طبيعة المصريين التى ترفض خوض معركة لا مبرر لها .. فقد كان واضحاً
. هذه المره ان الجلاء محتوم
وكاجرإء وقاد ألقت السلطه القبض على السادات ولكن " من غير اهانة " فلما
سأل " عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه " أجيب بأن ذلك ا لم يكن إلا الحذر من

بين " مينو ورينيه أ ويثبت فساد رأي " مينو) الذي تباطأ في التوجه إلى الإسكندرية
حتى ضثعت فرصته في الدفاع عنها ويثبت لرينيه انه كان يلح على مينو في التوجه
للاسكندرية قبل هجوم الانجلز.
فعند ذلك جمع رينه سواري عسكره وعرض عليهم ذلك وسفه رأيه (رأي "
مينو) وان هذا الخبر لا أصل له . وأنا أعلم أننا لا نصل الى الصثلحيه حتى يأقى
الخبر بخلاف ذلك . ويأتينث الأمر بالرجوع والذهثب الى الاسكندرية فلا نستفيد
إلا التعب والمشقة . وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القريق في ثلاثة
ايام . واذا بمراسلة ساري عسكر منو الى رينه يخبره بأن الانجليز وصلوا الى " ا،ثط
قير " وطلعوا الى البر وتحث ربوا مع أصر الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية وظهروا
عليهم ويستعجله في الرجوع والن!اب الى الاسكندرية فقال رينه هذا ما كنت اخمنه
. و 1 ظنه وارتحل راجعا 6
فحالة الجيش الفرنسى لم تكن خثفية على المصرلنن ويمقى على المؤرخين ا ن "
. . يكتشفوا مصادر " الجرقي " في الجيعق الفرنسى
وعندما وصل الاتراك الى العريش بعد نزولى الانجليز بالقرب من الاسكندرية
اعتقل اربعة مشايخ وضموا الى السادات وهم الشرقاوي والمهدي والصاوي "
. " والفيومي
ومع وضو! هزيمة الفرنسم!ن اتخذت اجماعات الديوان طابعأ هزليأ فالمصريون
يرتدون بمهارتهم التاريخية تفويت الفرصة على المهزوم الحانق المتوتر ، المتعطعق
لإنزال
ضربة انتقام بالأمه الشامتة به . والفرنسيون يريدون هدوء الوضع ولو كان على اساس
التخادع المتبثدل . فالاتفاق عام من الطرفين ، على كمسب الوقت ، في انتظار ا ن
تحل الاخرون المشلكة " ثم قال الخازندار : إن الفرنساوية لاتحبون الكذب فلازم
. ان تصدقوا كل ما اخبروآ به . فقال بعض الحاضريق : انما يكذب الحشاشون
. . ! والفرنساوية لايأكلون الحشيش " . وبلعها الحشاشون والفرنسيون الكاذبون
وقال الخازندار : " ان الفرنساوية لا يتركرن الديار المصرية ولا يخرجون منها
ابدا لأنها صثرت بلادهم وداخلة في حكمهم . وعل الفرض والتقدير اذا غلبوا عل
مصر فانهم يخرجون منهث الى الصعيد . وطال الكلام في مثل هذه امموبهات
والخوافات

*-

ر أجوبة الحاضرين بحمسب المقتضيات " وحتى عندما صدرت الاوامر باعادة فرلزت
الديوان علق الجبرلمط ساخرا :
(خلدب ألحشاأمت! أ!؟+ أفي يب اممدحو !، آتخمعح! 1 1)

وعندما وصلت مدفعية الانجليز الى ضواحى ا اغاهره عقد الديوان وأعلن ممثل
السلطة الفرنسية " وأعلموا أن أرمحن! مصر استفر ملكها للفرنساوية فلازم من
اعتقادم ذلك واركزوه في اذهانكم ؟ تعتقدون وحدانية الله تعالى " . وتعليق الجبرقي
" حاد كالسيف : " وكلام كثير من هذا افط في معنى ذلك من بحر الغفلة !
واشترك البكري والسيد أحمد الزرو ، شاهد زور من الشرقية ، والجنرال بليار ،
في تمثيلية ساذجة أقسم فيها رجل شرقاوكط انه (ا حمع من رجل واصل من رضيد
الى منية كنانه ان اسطولا فرنسيا حضر الى الاسكنلرية وان الانكليز رجعت البهم
. " وان الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر 7
ونشطت الدعاية الفرنسية في يرويم " اقويهات " والاخبار التي " لا أصل لها"
. . ؟ يصفها الجبرقي
وعقد الديوان اخر جلساته .. أو ؟ يقول الجبرقي : " اخر الدواوين " ءتلبت

وللجبرقي الحق في تعليقه العنيف ، فالبيانات كانت تتحدث عن نية نابليون في
بناء جامع وعن " المحبة والأخوة التي كانت موجودة ماتنن اهل الديار المصرية.
قد كان الأهل والجيش المذكورون مثل الرعية الواحدة " .. اما الرد البليغ على ادعاء
انمهزمين ان الجي!ش الافرنسى : " ها! بت ان يصاثف يوم اننا نرجع

" ان الامر لله.
" والملك لله.
" وهو الذى يمكن منه

وانفض الديوان .. وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسؤح، " باشا
. " الذق بقال له الصدر الأعظم
وكان السادات قد عبر عن عواطفه بالتبكير في الحضور للوزير ولكن بقية المشايخ
منعوا في انتظار حضور هذا الديوان السخيف . ولم تكن المقابلة مشجعة فان
. " الصدر الاعظم " " لم يقم لقدومهم "
ومع غرق سفينة الفرنسيس اشتد هرب الجرذان ، ونزلت " هوى ! من ا اغلعة
بعد ان حملت متاعها على حمار وكانت " هذه المرأة زوجة لبعض الامراء الكشاف
ثم انها خرجت عن طورها (تمردت) وتزوجت نقولا واقامت معه مدة فلما حدثث
هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتال! حتى نزلت من القلعة !هي على حمار ومتاعها
ول على حمار اخر فنزلت عند بعض الع! واعطت المكارية الاجرة! وصرفتهم
. " من خار! واختفت
وسارع يعقوب بالفرار مع الجيق المحتل ، ولكن الذين كانوا معه اما بالاغراء
أو با!راه أو بالترهيب مما ينتظرهم من عقاب عما ارتكبوه .. ما إت اتيحت لهم
فرصة العودة الى مصر المحروسة حتى بادروا بالعودة ، تاركين يعقوب والاغا
. . عبدالعال " ينصوفان مع مخلفات الحملة
وفي يوم الخميس 3 ربيع الثاني 1216 هـ (أغسطس 1 180 م)

وطوي! صفحة طالت في حساب " الجبرقي " " ثلاث سنوات وواحدا وعشهـيرت
يوماً " وذطث !ن ابتداء معركة انبابه إلى نزولهم من القلعة .. ويضاف إ!! حساب
الجبرقي مدة احتلا!مم للاسكندرية قبل احتلال القاهرة ،

الاغا عدالعال هبر إلى فرن!ا هع جيق الحملة وكان بالطبع من أبرز وجره " الوفد للصرى " .. وني فرن!ا
تضر ! ! بتطع العي! فاك .. وعل فراش الموت عاد ل!صلام لينطع العيق لي الآخرة

. . وبدأت صفحة جديدة .. بدخول القوات العثمانيه .. وعردة المماليك
. ولم يكن في تجربة المصرتنن ولا في سلّوك الجند القادمين ما يبعث عل التفاؤل
ولكن غرائز الأم لا تخطى ء .. كانت أمتنا تدرك ان زوال الحكم الفرنسى هو في
.حد ذاته نعسر حاسم في معركة وجودها
كذلك كانت الفرحة التي سجلها الجبرفي ، فرحة طبيعية ومقبولة ، وكان اليوم
تاريخيأ حقا ، سواء بوعى المحتفين به ، أو بحكم ما ترتب عل! من نتائج وما يمكن
. . أن يترتب عل! حتى اليوم
فلما اصبح يوم الخميس خامسه اجتمع الناس من جميع الطوائف وساتر "
الأجناسى وهرع النامى للفرجة وخرجت البنت من خدرها واكتروا الدور المطلة على
الشارع بأغل الاثمان وجلس النامى عل السقائف والحوانيت صفوفا وانجر الموكب
. . من أول النهار الى قريب الظهر ودخل من بابٍ النصر وشق من وسط المدينه
فكان ذلك اليوم يوما مشهودا وموحما وبهجة عيداً . وعمت المسلمين فيه المسرات
ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات . ودقت البشاتر وفرت النواظر وأمروا بوقود
المنارات سبع ليال متواليات فلله الحمد والمنة عل هذه النعمة . ونرحو من فضله
. \ أن يصلح فساد القلرب ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب
وبعكس ما كان متوقعأ من أحداث فترة الاحتلال ، لم تقع أية معارك ولا مذابح
طائفية . فسرعان ما تغلبت روح الحضارة الإسلامية . وعاد الشعب المصري الى
اخوته ووحدته الطبيعه .. ورغم الاجراءات المحتومة التي تعقب زوال كل احتا،ل
من جلاء " مينو ! ةلى سقوط النازية .. فاننا لا نجد في " الجرقي " إلا قرارات اعدام
نفذت في مسلمين : بنت البكركط .. هوى .. و" قتلوا سخصا ي!بسمى مصطفى
الصيرفي من خط الصاغة قطعوا رأسه تحت داره عند حانوته . وسبب ذلك أنه كان
يتداخل في نصارى القبط الذين يتعاطون الفرد (الغرامات) ويوزعرنها ، وتولى فردة
أهل الصاغة وسوق السلاح وتجاهر بأمور نقمت عليه وأضر أشخاصا " . وعندما
أعدم الصيرفي هرب السيد 1 أحمد الزرو " ونجا بجلده .. كذلك عرقب الشيخ
. " البكرى فانتزع منه مملوكه : " وتجرع فراقه 11
لاضك أن ا!رق وهر !بد كنابة هذه اليومات عثم (1230 - ! . 9/ 1 م) كان يرف ان
.دعاعه لم ينحب

اما الا خرون فسرعان ما جرى نقل البارودة من كتف الى كتف وكان ندصثرى
الاروام أبرع المنتقلين:
ففى يوم الأحد نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرافي ولا يهودي سواء "
كا! قبطيا أو روميا أو شاميا فابهم من رعايا السلطات . والماضي لا يعاد . والعجب
ان بعض نصاري الاروام الذك كانوا بعسكر الافرنسيس تزتوا بزي العثمانية وتسلحوا
بالأسلحة وا اجقطانات ودخلوا في ضمنهم وكخوا بانافهم وتعرضوا بالأذية للمسلمين
في الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ويقولون في ضمن سبهم للمسلم:
. " فونسيس كافو ولا يميزهه الا الفطن الحاذق أو يكون لهم بم معرفة سابقة 12 "
وفي هذه المرة لا يجد نصارى ا الأروام مؤرخا خاول ان يخلع صفة مبدئية .أو
عقايدية علي سلوكهما وانضمامهم للجيش العثمافي!
وكان الله في عون المصرين!
ولم يكن نصارى الروم وحدهم بل أبدى الموكلون ! بتنظيم مالية البلاد " في
عهد الفرنسيس استعدادهم اصواصلة مهمتهم " التنطمية " لحساب العثملى والأمراء
. .
فلما طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة اكياس . فاجتمع المستعدون لجمع
الفردة في أيام الفرنساوية كالسيد أحمد الزرو (شاهد الزور) وكاتب البهار وارادوا
. " توزيعها على المحترفين كعادتهم 13
اما النساء المتحررات أو اللاقي ذفن طعم تحرير إلمرأة عك أوسع نطاق وبجهود
ثلاثيز ألف شاب فرنسى . فلم ي!ت أقل استعدادا من نصارى الأروام ومنظميء
الفرده في نقل ا اسلاء .. فقد اندفعن الى التزوج من عسكر الانكشارية بعد تقمص
الشكل المطلوب : " وفيه نودي على أن أهل البلدة لا يصاهرون العساكر العثمانية
لا يزوجونهم ا اضساء وكان هذا الأمر كر بينهم وبين اهل البلد واكثرهم النساء اللاقي:
در- مع الفرنساوية . ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن اشباههن من
الرجال وافاء وحسنوهن للطلاب ورغبوا فيين الخطاب فأمهروهن المهور الغالية
.وانزلو! اكاصب العالية 14
(وطويت صفحه تحرير المرأة بانتقال اللاقي " درن " ا لاحظ دقه تعبير الجبرقي
مع الفرنساوية ، من حانات الفرنسيس ومعسكرات الحملة الى حريم العسكر
العثمانية . .

وعانق الجيش

وا يفت الجند العثمافي ، استغلال الحزازات التى زرعها الحكم ا الاستعماري في
ابتزاز المسيحيين . وهنا نجد أمانة الجبرقي المؤرخ المصرقي ، وتجرده من "! شائبة
تعصب .. وهو يسجل هذا الموق! وبفضحه ويسمه بالخزى أمام التاريخ . .
واما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى فانهم كلفوهم " أحنحعاف
ما كلفوا به المسلمين ويطلبون منهم بعد كلف المآكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة
الحسمام وغير ذلك . وتسططت (..) عليم المسلمون بثلدعاوى شالشكاو 2 ح على
أيدي اولئك القلقات فيخلصون منهما مالزمهم بأدفى شبهة ولا يعطون المدعى إلا
القليل من ذلك والمدعى يكتفي بما حصا! له من التشفى والظفر بعدوه . " 1
ان العداوات التى زرعت على يد الحكم الفرنسى ، والسلوك المنحرف ليعفوب
وشكر الله وعبدالله ، وجدت من يستثمرص بعد ز:ات الحكم الفرنسى . ولكن
سرعان ما تغلبت الحكمه المصرية ، وانتصر التساع الذي تتميز به حضارتنا وعهد
إلى " صاحبنا العلامة السيد اسمعيل الوهبى المعروف بايخاب " بترصيف ا ضمانثت

وهكذا لم يبق امام الجند العيني إلا نهب المسلمين : " الأنهم اخوانكم المجاهدين
الذين حاهـبرا عنكم وانقذوآ من الكفار الذين كانرا يسومونكما سوء العذاب
وياخڊون أموالكم وينهجرون بنساتكم وينهبون بيوتكم . وهم ضيوفكم

وتعاون الجند العمافي مع المماليك على خراب مصر ، مستأنفين المهمة التى اعفوا
منها ثلاث سنوات . ويصور الجبرتي بشاعة الهول الذي نزل بالفلاحين عندما يقول :

ووصلت الدراما إلى ذروتها باستئناف القتال بين الدولة والمماليك فما كانت
الدولة العثمانية بالتي تفوت ألفرصة النادرة التى اتاحا لها الاحدات ، وهي دخول
قوخما !ر .. وما كانت بالتى تقبلى ات تتركها راضية للمماليك وتسحب جيشها
؟ سيفع!ء الانجليز اسيندمو! على قرارهم ويعودوا بعد سبع سنوات ايم! أكثر.
وبنفس الاسلوب الذي كرره الفريقان آلاف المرأت : " عملى ا اسزير ا اسديو ان
وحضر عن!ه الأفراد فقبض عك ابراهيم بث وباقي الأمراء الصتاجق وحبسهما .
وارسل طاهر باشا بماتفة صت العسكر الارنؤود إلى تحمد بيك ا!فى بالححعيد.
ووقفت حلاتفة العسكر والأرنؤود بالاخطاط والجهات وخارت البلد يقبضون على
صت يصادفونة من المماليك والاجناد . وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين :اختفى
باقص 3 ونودي عليهم وبالتوعد لمن اخفاهم أو ا اهما . وباتوا بلملة كانت أسوأ علي!ثم
من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس . وخاب أملهم وضاع تعبه!ا وطمعهم.
وكان في ظن!ثم ان العثملي يرجع الى بلاده ويترك لهم مصر ويعودون إلى حالته!ا الأولى
. " يتصوفون فى الاقليم كيف شاءوا
اما المماليك الذين كانوا في الاسكندرية فقد انقذهما ا،نجليز بعد ان فتلى وجرح
غنة من!+ . واستخدم انجليز " اجيز 3 " الحيلة لتحرير ابراهيم بك 00 3.! اص العش!انية
كان واضحا ان المماليك ل يركركوا مصر للاتراك .. واكثر وفحوحا انهما
يحشطيعوا بعد ا اجوم .حكم مصر لا لحسابهما ، !لا باسم ألسلصان !كا كان احا! ص
قبل .. فقد انتى دورهم في التاريخ في موقعة امبابة .. بل انتهى دورهه قبلى ذلك
بثلاثة قرون يوم دخل السلطان يليم القاهرة ، ولب بلادنا اشتهرت بتحنيط الجثث.
ولذا فهى لا تدفن الظاهرة التاريخية إلا بعدما تئعنىت - تماما ، وحتى -عندما تتعفن

وكانت قوى عديدة قد ظهرت في الساحة ، واصبحت هى ا الاصا!
والعمانيو!
المماليك بمثابة الظل .. كانت الاستعماريات الغربية قد ركزت انتباهها!
عاى مصر،
وعرفت انها المدخل الاساصي للعالم العرو والاسلامى .. !ص- ! تررت
اصتحالة
عوده الأوضثع الى ما كانت عليه ، لأن ذلد يعنى سد الطرت على مصالح
الغر! ،
وعلى محاولات تغلغله .. حتى لو كان هذا السد مجرد حجر متخلف.
والاستعمار الضسلمط لن يسمى أيضا بان يتغير الوضع فى مصر ، على
نحو يحم!ثا
من اططع الغرب ، :يمكنها من مواجهة عدهـانه .. :اث التغيير الذي كان
يتوثل

وكانت هناك قوة تحم!! امكانية هذا البعث .. هى ا اغيادة المحسرية
إلتى ك!حلب
عودحا خلال مقاومة إلفرنسيين . . وكانت تتفق ! جميع الأطراؤ، على
ايتحالة عودة
ا)غدم الى ماكان عليه ، بعد ماثبت عجزه ص حماية الوصا . واخ!ا كانت
تختلفى-
بالطبع - مع الاستعمار الغرد ، لأنها كانت تتطلع ا(! بناء صصشقبل جديد
يختلف
تماما عما كان يريديـا اخربيون .. كانت تتطلع الى خديث محر العربية
في اطار
الحضارة ا الإسلامية .. يما كان الغرب الاستعماري يريد اقتطاع مصر من
المحيط
العربي - ا إسلامى - وتغري!ثا .. وبذلك تنفتى للاستعمار .. وكشرط
لنجاح
محملية التغريب هذه ، كان لا بد ص تدمير القادة الوطنية.
وهكذا أصبحت ضرورة " عالمية " أن يظهر البط! ا الذي يدمر القيادة
اك سعبة

. . أصمح هناك دور يبحث عن بطل
. . !وضهر البطا
. رجل الغرب الذي سيحقق الخطط بنجاح
رجل تمثل بدقة نادرة ، اتجاه الغرب ، و" الضرورة العالمية " . وحدد
لنفسه مهمة

واحدة هى تلبية هذه الضرورة .. تنفيذ مطلب الغرب . وبعكس !!
الممكز، . .
.. كان يتقدم بنجاح راثع ، وكا! يدا ساحرة تدفعه وتسلد خطاه
فلما انجز ثوره المطلوب .. وحاول أن يتخطى حدوده ، كان
انهياره السريع اكثر
. . اثاره من نجاحه
لكنه كوفى ء بعرش مصر .. ولورثته من بعده .. بل ولكل من!
يحتذيه نموذجا
ومثالأ .. كل من يسير على درب التغريب .. لكى لايكون تحديث أبدأ

سروت

رهفعان 1391 - امح!وبر



يهه!!)
اةبئهث
اكإكاا
!آل
أ-6!يحجم
!سا -ء،

افقث!ا !

لولمجي!

هده سطرر كتتبها وثركا في عامي 1965 و 1966 م في مجلة " الرصالة " ثم في كتا! : " " الضو الفكري

ودراسة في فكر مخل ! وهى متصلة لالمرصرع ولحلها تلقى الضرء ايضا على موامنا في 9 ظل الطياد الفاصري

واكعراء على ...

غير أن الجنرال يعقوب ليس إلا " الخلفية التاريخية " لما لم يد الد!ضور لوي! عوض
أن يحفره في عقول طلابه بمعهد الدراسات العربية .. وخارجه .. تماما ؟ كانت
الحملة الفرنسية هى المقدمه للغزو الفكري الذي تتابع منذ !ع!حول نابليون الى
شواطئنا ، حتى انت!ث إلى الاحتلال العسكري للوطن العربى من المحيط إلى الخليج.
فبعد أن نسلم ، مع الدكتور ، با! الحملة الفرتسية هي بداية تاريخنا الحديث،
وأن كبر المتعاونين معها هو راتد القومية .. !! ينطلق الدكتور في دراسته لرفاعة
الطهطاوي ويقرر لنا:
" ان فكرة الحرية بمعنثها السياصى والمدفي فكرة لا تقاليد لها في المجتمعات العربية،
أو فيما نبع عنها من فلسفة ، أو فقه الفقهاء ، %و أدب الأ دباء ، بل ان مدلول !طمة
الحوية " في اللغة العربية ذاتها ، مدلول مختلف عن كلمة 3،45 ح!ا ا " اللاتينية التى
خرجت منها كلمة ا ليبرتيه) ومشتقاتها من اللغات الاوروبية الحديثة ، فهي لا
تستعمل في معناها الأصلي في العربية الا كمقابا للعبودية ا".
وقد اقترن بهذا الوضع اللغوي ، وضع حيوي وهو أبئ كلمة (الحرية) لم ترفع
أيدا كشعار أؤ مبدأ أو هدف سياصاخط أو اجتماعى في كل مانضب من ثورات أ و
حركات استقلالة في العالم العرلى قبل القرن التاسع عشر 00 2".

. . شكرا يادكنور
هذا هو مانعنيه (بالغزو الفكرى) .. أن نؤمن بأن عدوك اكد هو ولى
. . نعمتك
أن ينشأ جيل يؤمن بأنه يدت بتعلم الحرية لأوروبا .. لا أنه فقد الحرية
بسبب
. . أوروبا ، التى احتل! بلادهم وقضت على حريتهم
. . لا
الدكنور يعلم الطلبة العرب .. أن الجزائر عرفت الحرية يوم الاحتلال
الفرنسى
ها .. ومصر يوء احتلال فرنسا ثي فقدتها ا ا أن عادت !ما عاى بوارص! "
سيمور ويق
القملة "4 0 الدكنور يعلمنا أن أوروبا هي التى عملتنا الحرية .. الحرية
التى لم
نعرفها ، ولم نز من أجلها .. بل عجزت لغتنا عن أن تجد لفظا لها .. تماما
؟ تعجز
لغات الشعوب البدائية عن العد ، فتقرل على ماجاوز العشره .. كثير !
وهل بعد
ذلك من استسلام للغزو الأورولى .. ؟ ! أن يقوم فينا من يؤمن ويعلم بأن
أوروبا
! علمتنا الحرية .. وهل بعد ذلك من ظلم وافتراء على تاريخنا .. ؟
نحن العرب .. الأمة الوحيدة - وقانا الله شر العنصرية التى لا يعرفها ديننا
ولا
خلقنا العرر - التى مار!ست الحرية كحق طبيعى لايقبل المناقشة
ولايحتاج الى
اقرار أو استصدار قانون .. نحن العرب .. أمة تعاتب الملك الجبار ، إذا
صعر خده
للناس ، بسيوفها . أمة كا- رجلان من عامتها يتراهنان على التعريض
بأرداف أمير
المؤمنين في المسجد ! أمة منها أبر مريم السلوني .. مسلم ارتد ، وفتل
في ردته الشهيد
زيد بن الخطاب ، ثم أسلم فحمى الاسلام دمه وماله .. ويدخ! ءك عمر
ابن
الخطاب أمير المؤمنين وأقوى حام في عصره . فلا يخفى أمير المؤمنين
عواطفه،
ولايتظاهر بحب قاتل أخيه ، فذلك ضد طباع البشر .. ونحن لسنا أكز من
. . بشر
بل يقول عمر لأر مريم : " والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المراق
. " عليها
فلا ترتعد فرائص قاتل شقيق أمير المؤمنين بل يسأله " وهل ممنعنى

فيعتذر الرجل عن عمر قائلا : " ومن أدرى عمر بكم ؟ " فتجيبه المرأة باعظم
زمريف لمسئولية الحام (أ ويله .. حلى أمورنا ثم يغفل عنا ؟ ! " فترتعد فرائص عمر
. من المسئولية ويذهب يعدو ليحمل الدفيق والسمن على ظهره
هؤلاء جمعيا مواطنون أحرار يمارسون الحرية ؟ يمارس!! المرء
. . الوظائف الطبيعية
لي! بحاجة الى موسوم يؤكد حقه في التنفس . ولقد ا!بر الكثيرون الحرية الأمريكية
التى مكنت معترضا على سياسة كنيدي من أن ينشر في الصحف اعلانا يطلب فيه
القبض على كنيدى ! ولكن منذ أربعة عشر قرنا جاء عبد فارسى يشكو لعمر بن
الخطاب ، ولما لم يعجبه قضاء عمر هدد أم!ر المؤمنين بالقتل .. وفهم عمر التهديد
وقال : " توعدفي العبد .. " و لم يقبض عليه ، ولاقلعت أظافره ، بل ترك حرا حتى
نقذ تهديده .. وم كانت خسارة الإنسانية فادحة بمصرع عمر .. ولكن خسارتها
كالت ستكون أفدح لو أن الاسلام أفر مبدأ اعتقال الناس بالشبهات .. بالعكس هو
يدرأ الحدود بالشبهات .. الأصل في المجتمع العرثط أن الناس أحرار .. بينما بدأت
أوروبا القرون الوسطى بأن الناس غير أحرار .. فلم تقم عندنا ارستوقراطية موروثة،
ولاأتباع متوارثون .. ربما لأنه لم يعرف الاقطاع الزراعى في بلإد العرب ، ولعل
ذلك ما أشار اليه الرسول الكريم !ا في قوله : " ما دخلت السكة (الزراعة)
، - . أوض قوم الا ذلوا " . لا

مما رأيك يادكتور فى شهادة غوستاف لوبون : " ان العرب هم أول من امن
بما نطلق عليه حريه الفكر والتساع الدينى " . بل ان البعض يأخذ على حضارتنا
قص محها المطلق.
ان حضارتنا هى أول حضارة تقوم على التساع بين مختلف الأديان والأجناس
في داخلها ، والتعايعق السلمى بين مختلف الدول والنظم . أول حضارة يحرم دينها

قتل الآخرين لمجرد اختلافهم معنا في العقسدة أو في الر! ى ، أول حضارة يقوء
تشريعها على افتراض الوجود الأبد 2ب اطمخالفين في الرأي والدير ، والقران يعلن
أن هذا التعدد من مشيئة الله الذي لو !ثاء لجعل الفاء! أمة واحده .. وا!بر خلقهم
شعوبا وقباثل ، لا لكى تسود قبيلة الله الختارة ، بل ليتعاونوا . أول حضارة ترفض
مبدأ الناس عا! دين ملوكهما
نحن لم تتعلم التساع من أوروبا .. بل علمناه للدنيا كلها .. ومازالت بحاجه الى
أن تتعلم منا المزيد. أما ما لا يعقل ولا يتصور فهو قول الدكتور إن الشيخ حسن
العطار تعد من الفرنسيين أن الدنيا لا تتعارض مع الدين ! وأن الطهطازي وصل
الى رفض ا نظرية الزهد والنبك وكافة وجوه الرهبانيه وما يسمى في اللغات
. ، الأوروبية ؟+3 أتأ،43!هدلا من كناب ارزاموت! الش!ر " داليل الجندي المسيحى
ا فهذه الحجج التي يسوقها الطهطاوي دفاعا عن المال وعن الدنيا تذكرنا بكل ماقاله
ارزاموس في " دليل الجندي المسيحي " . فارزاموتر قبل الطهفاوي استخدم الحجج
الدينية ليثبت للعالم المسيحى أن الدنيا لا تتعارض مع الدين .. وأن المال لا دن!

لا . . لا . . يادكتور . . يى! هكذا يتكلم العلماء .. ولا اشباه العلماء .. الاهتمام
بالدنيا جزء لا يتجزأ من تعاليم ديننا .. وعندنا ا!ز من نص صريم " لا رهبثنيه
في الإسلام " .. " ا اجد العليا خير من البد السفلى " .. وعندما أشاد وفد الأعراب

وعمر ضرب الرجل المتماوت من شده الزهد قاللا " لا تمت علينا ديننا أماتك
الله " .. وفي ديننا " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " بل ذهب بعض المفسرين إلى
أن القران لم يتحدث عن المال الا باعتباره (الخير) أو أنه لم يدكر

لا يا دكتور .. الثوره على الرهبانية تعلمتها أوروبا من المسلمين خلال الحروب

.أوروبا العصور الوسطى المظلمة نظام التكايا والتسول والدروشة
.لا يا دكنور .. في هذه خانتك البراعة
وفي موضوخ أبى العلاء المعرى بالذاتت ، لنا أكثر من اتهام ، وحسبنث أ
ن
. . نستعرضها تاركين النقاش والتفصيل لحديث اخر
. هو يزعم أن المحافظين .. تفزعهم فتح باتب الاجهاد في دراسة التراث
! لماذا ؟
! هل هو أول من اجتهد ابر فسر .. ؟
مرحبا بفتح باب الاجتهاد .. بل وخلعه خلعا .. شرط أن يتقبل المجتهد في
نسبة
كل تراثنا وكل عبقريات أمتنا الى جنور لاتينية ويونانية .. سرط أن يتقبل
اجهادنا
في تفنيد رأيه .. هذا هو كل ما نطالب به ، ولا معنى للبس ص!موح
الشهداء،
والظهور بمظهر الذي يتعرض للارهاب ؟ ! أي ارهاب ؟ ! .. وهو يؤلف عن
المعرى ، فينسب عبقريته للاحعلال الصليبي . ويتم بني حمدان بالعمالة
للاحتلال
الرومى .. وكلنا نعرف أن أبا فراس فارس بنى حمدان ، قد صنع من
الغبثر الذي
تجمع فوق جسده الشريف .. خلال غزواته ضد الروم ، لبنة (أي دبشة
يادكتور)
أوصى بأن يوسد رأسه فوقها في قبره ، لتكون حجته أمام الملكين
بجهاده فى سبيل
. الله ضد الروم
ثم يأقي " لويش عوض أ فين!سب ال حمدان للعمالة والخيانه وموالاة
، الروم
ويطع هذا ، وينشره ويوزع منه ؟ أخره صديقه 5 1 ألف نسخة .. ثم هو
مستشار
ثقافي يدعي انه يغلق ويفتح .. فأي اض!هاد وأي ارهاتب .. أن يرد عليه
بالحجة
. والمنطق في مجلات يشهد انها لا توزع ولا يرلمرأ
.طب عينا ان كنت صادقا .. واكتمها ان لم تكن
. . افتحوا باب الاجتهاد .. ولكن اذا اقتلعتكم الرياح فلا تجأروا بالشكوى
من الذي يخشى فتح باب الاجتهاد ؟ .. وأي معـقدات ستتزعزع .. ؟ !
أتردتد
قمامه الفكر الغرلى ، يزعزع معتقداتنا ، ويخيب امالنا في التراث ؟
. . لا .. انت والله أهون من ذلك
ان هذا الفتح الذي حاولته ، قد ممر - والحمد دئه - رد فى!ق كله خير
،وبركة
وها هى المقالات تكتب في الاشادة بتراثنا . . واجمنشافات تترى ،

!العر.لى والإسلامى ، واج!ثاد الروس في كشف روائعه ، وعرفنا منهم ان ابن خلدو
فد طبع بالروسية ا!ثر من طبعة .. وان تارتخ انطبري ، تجري عليه الدراسات ، على
أعلى مستوى ، وتكتشف وثائق جديدة في المقا احععات الإسلا.جة في الاتحاد
السوفيتى
يثبت صدق ثراساته ودقه معلوماته . وثبت ان مارك! قد استعار نظرية فائض
القيمة من ابن خلدون .. ولو فلناها نحن ، لضحكوا في كمهم ، ونظروا الينا في
. أسى لأننا شبحث في الكعب الصفراء
،وفي هذه الأيام يدور لغط وصياح كصياح ا ا!دجاج في استعراضاتها أمام الديكة
حول نب لمؤلف! جميودي ، اكتشف فيه ان الإسلام يتنافى مع الرأسطالية .. وعندما
طرحت هذه الفكرة في مقالة لي بمجلة ا اصسالة منذ أنثم من عام ، وقلت فيها انه
يبدو أن دهـره التاريخ كانت تحغ تخلفنا في مرحلة النطابم الرأحمافي ، لأن الخلق
الاسلامى يتنافى مع خصئئص الحضاره الرأسطالية ، ليس فينا الايمان بالطبقية ، وليس
عندنا هذا التقديس لحق الملكية ، اجس في حضارتنا تقسيم العالم الى دوا صناعية
. ودوت منتجة للخامات ، لا تعرف حصكعارتنا بناء ثرأء دولة على حساب دولة اخرى
!!لما فلت ذلك منذ ا!ثر من عام .. إذا بهم كالذي يتخبطه الشيطان من المص
مرحبا بفتى الاجتهاد ، إن كان قد أغلق يوما ، لقد أغلق باب الاج!ثاد لاختفاء
المجتهدين .. واقتحةمأث ا ا- صإ ا يم للأبواب اليوم ليست اجتهادا ، بالى عبث مجب أ
ن
يضرب على يد فاعليه .. لأ باستعداء الثى طه ؟.محلر لهى أن يتظاهروا .. فشرطتنا
واطحمد دله لا تتدخل في الفكر .. ولكن بفضح جهلهم ، وتم!! ص-.ا-3 جملى
. . !مقومات الأمة . إن من يغلق باب الاجهاد .. فقد خاصم رسوك الله ا
القائل : " للمخهد إن أخطأ أجر وإق أصاب أجران " .. هل بعد ذلك خريض
!عاى التفكير ؟
! لنظر إذن ما الذي اجتهده هذا ؟
اج!ثد لويس عوض في ضان أبي العلاء وخرج باجتهاد ملخحممه ان أبا العلأء ألمحرحا
هو تمرة الحروب الصطجيية ، ثمرة الصراع الفكرى ، العقالدى الذي ماد المنطقة بفعل
الاحتلال الصليبى ، وتبادل مدن حلب وانطاكية واللاذقية بين المحتلين الصليبيز
.وألمسلمين

يقول امجتهد : " فإذا ذكرنا أن المعرى انما ولد مع مولد الحروب

حياته كلها في غمارها ، واذا ذكرنا أن اهتمامات انرجل الأولى كانت اه!امات فلى صفية
بالعقاتد وبحرب العقائد التي دارت رحاها ، ليس فقط في عصره ، شفيس فمط أب
بلاده ، ولكن في صميم بلدته ، وعلى بعد أميال معدردد منه - تكشفت لنا ضرهـ! ة
. \" ((وضوح الصورة التاريخة المي برز فرثا ألرجل العظ! شبرهـئيها عحنه ا ا!ظء
والمعرى ؟ يرى امجتهد هو ثمرة الف!ض ا اجونافي الدي درسه عا! يد لعؤلاء الح!
-!نيبي
الذد كانوا يحتلون حدب (فحلب اذن قد سقطصت في يد انرو ا احدى عشرة سنة
قبل مولد أبي العلاء المعرى في 673 ء ، 363 هـبر . كاان يتردد عليها يدهـء
هناك بر ! ظل احت،لهم ، وفلسنمته هي ثمرة ت!الس ؟، أسار لق!ثا ا! راهب في ديم
الفا!وس ، علمه هذه الاسرار في كثسباه فعاشت معه إلى أ! أضو جت روائعه . .
وقيثد
لوي!ر فيؤ رخ ان هذا الذي لقنه ا أ اهب لفخر العق!! العربي هو كتب الفلحسنمة ا
ايونانية
وآدابها في لغتها الأحليه . يقول : " وحين نقرأ ص المعرى انه درس جدير في ا
اسالأذقية
بملى راهب من الرهبان علوء القدماء ، أنيح من حقنا أن قصشخدص ان عله ء القدماء
ذد التى كان يحفظها ويعلمها رهبات ا أصو ا ف أديرتههـا لم تحن سوى الأدب انيوناقي!
. " وا اغلسفة انيونانية بصفة خاصة

وأي صى صت صبيان فيكتوأ يا ثوليج يعر! أت ا إلأديرة في كلك الحقبة
كانت
تعتر ا اغلسفة البونانية وإلاداب اليونانية ، فكر! ثنيا تحر م قراءته فضلا
ص تدريسه.
أصحسع أن ديرا مسيحيا في ا اص ن ا اساشر الميلادي ، كان لدرسر
باللغات الأ!ثحلية
قصص هوميروء! واهـسحلوفانيس وما فرثا ص! تصارع وقصافد
ألالهة ! .. أهذا يتفق
مع ا- مت ا أسميحى في هذا الوفت ، والتشدد في عداء إلوثنية .. القد
كانوا يلقبون
المسلميز بالوثني!% .. ونشأت من الاتصال بالمسلمين حركة تحطيم
\ الأيقونات ؟ ! أ
يجب أن نفترحن! وجود دير شاذ به راهب ششكك أو حتى ملحد ، وهذا
الراهب
فد أوف من إلحظ ما جعله يحتفظ بكتب ادأب وفلسفة اليونان بلغتها
الأصلية ، وأنه

ثم يمضى لويس عوض! في اجت!ثاده فرى أن أزمة المثقفين في
عصر أبى العلاء المصف

هى الاختيار بين احرية (ولا بد في كل عصر صت أهـمة دلمثقفين)
الفكرية في ظل
الحماية الصليبية ، بما يفرضه الاحتلا! الصليبى من تفغك سياسر ، وقيام
تظام مدن
ع! الطراز الاغريقى ، تحت الحماية الأجنبية الصليبية ، في مدن الشام ..

يقول : " هذا اذن هر المأزق الذي دخل فيه العالم الاسلامى في
-المشرق في زص
المعري وما قبله بقليل ، ومابهعده بقليل ، أيام اطروب الصليبيه
اليزنطية في القرنين
العاشر والحادي عشر . كان عليه أن يختار بين حضاره مدن مثقفة تحتر
ا العلم والفكر
والعقل وتضطرب بالرياضة الروحاية أو العقلانية مثل حلب وإنطاكية
والبصره
وبغداد ، ولكنهث ضعيفة ومفككه لاتملك الفوة ا اممافية ايلدفاع عن
، نفسها أمام ا انحزاة
ومن باب أولى لا تملك القوه الكافية لرد خطر بيزنعلة والصليبين ة

ويصل لويس عوض! عبر فتح باب الاجتهاد ، إلى أن ابا العلاء المعرى
وجيله صت
المثقفين قد اختاروا حرية ا اغكر في مدن الشام تحت الحماية الأجنبية ،
با ووالوا
الأجنبى المحتل ، وكرهرا الوحدة مع مصر ، ما تقدمه من تحرر
واستقلال ثمنه حرية
الفكر التى تقضى عي!ا مصر .. ويوضاث أن يقول أنهم فتحوا مجلة
اسمها

ويقول : " وفي اعحقادي ان المعري والمثقفيز العرب في زمانه من
أمشال اًد الفرج
الزهرجى وعامة من تعلقوا ببلاط الحمدانية ومن شاكلهم من مهادفي
بيزنطة خرجرا
من هذا المارق باختيثر الثقافة على حساب القوة والاستقلال السياسر ..
فقدموا
الجزاء على الكلم وقدموا العقل على الحياة " (82) . وبعد فيتم

إلقضية كا ترى خطيره ، وباب الاجتهاد قد فتح على مصراعيه -

بل اقتلع من أساسه واحتطب . وما كانت هذه المقدمة لتتسع
. . لنرد على ذلك كله
حسبنا أن نقول تعض حقائق

! ! ! ! ! المعرى مات قبل الحروب الصليبية بأربعين سنه
! إممط والله .. رغم رقم توزيع كعبه المرتفع ؟ يقول له أصدقاؤء
وصحيح أن بثب الاجتهاد قد فتح .. وسام!ا كل مفلس . . ولكن شباك الاجتهاد
نفسه لا يستطيع أن يغير هذه الحقيقة ، وهى ان الحروب الصليبية قد بدأت فى سنة
! م والمعرى مات في سنة 1057 م 1095
أما " الاجتهاد " أًو الاحتيال على هذه الصخرة التاريخية ، بالزعم ان الحرب مع
الروم كانت تمهيدا للحروب الصليبية ، فليس في الحرب ضد الروم ظاهرة خاصة
تستحق أن يكون لها نتاتج خاصة .. لأن الحرب لنن المسلمين والروم نشبت منذ
غزوة تبوك ، أي قبل مولد المعرى بأربعة قرون !.. وهى لم تنقطع أبدا ، حتى كان
هارون الرشيد يوصف بأنه يغزو الروم عاما ويحج عاما اخر . والروم هجموا على
المسلمٍ!ت في عهد المعتصم ، وصاصت امرأة مسلمة .. وامعتصماه ..

. . السيف أصدق أنباء من الكتب
. . وفى القصيدة من الشتائم العقاتدية ما فيها
فلماذا لم يظهر أبو العلاء طوال قرون الحرب والسلم .بين المسلمين والروم وظهر
ف! هذه الفتره بالذات ؟

وأى تصور سادج لمعنى حرب العقائد .. هل كتابة ضيدة شعر والرد عليها
:يسمى حرب العقائد ؟! هل قول ألى العلاء
أعكلباد المسيح يخاف صحبى وهم عباد من خلق المسيحا
.يصح تسميته بحوار عقائدى لا .. هذه مجرد قفشه جميلة
ولكن حرب العقاتد شىء نحتلف تماما ، ومأساة الدكتور أنه يستخدم كلمات
كبيرة فى وصف مالا وجود له الا فى رأسه .. كأن يصف تغرير نابليون الفاشل
د!،

بالمصريين بأت " الميثاق " أو أن يسمى أفعاله المسماه

حتى الحرب الصليبية الحقيقية ، لا تلك المزيفة انتى أشعلها لويم! عوض ليثبت
صحة نظريته ولو احترق العالم ! .. حتى الحرب الصليبيه 9 الحقيقية لم تكن حرب
عقائد ؟ يجب أن نستخدم هذا التعبير .. فهى حرب يشها عقائد!ن - إن صح
التحبير - ولكن سلاحها الشف والمنجنيق والنفط ! .. فلا الصلمميون تمكنوا من

حقا لقد نمت عملية تأثير غاية فى الخطررة ، وا!ها بعكس ما يروج الدمحنور ،
والحق أن بنور النضة الحديثة فى أوروبا (فنحن الذين اثرنا في أوروبا) قد عادت
مع هؤلاء الصليبين .. أنهم لم يتعلموا من المسلمين .. فقط .. عادة الاستحمام ،
با تعلموا من المسنمين الكث!ر .. ولعله ليس جديدا أن نقول أن البرونستنتية-
أضخم أصلاح دينى فى أوروبا - كانت أحدى ثمرات الحروب الصليبية . (شالتأثر
. (با اسدين الإسلامى
والقول بأننا قدمنا لأوروبا ، وأثرنا فى الصليبيين ، يى اكتشاء بخمرة الأسلاف . .
.بل يرجع لسبب طبيعى جدا ، هو إننا كنا !لا اكثر حضارة فى هذا الوقت
فحتى صو كانت العلوم اليونانية هى خاتم الملك ، الذى يحمله يحتكر الثقافة ، فقد
كان هذا الخاتم معنا فى هذه الفترة ، كنا نحن المرجع الوحد المعتمد

ولكن ا اسدكتور يبدأ بفرضيات ، ويطوع كل ا!ائق لاثبات نظريته أو فرضيته
.مهما كان فى ذلك من تجن على الحقيقه
وأو!ت مثات على ذلد حكاية تعديل تاريخ الحروب الصنيبية والسقطة الشهيرة
التى صهـص! على اخفائنها فى !صابه هذا لكى لا يتأثر التوزيع .. وما كنا نتوقع أ ن
تراتجه ا أحثعحاعة لكى يذ!صها أو ليشير إليها أو يفسرها تفسيرا مقنعث غير التفسير
اسماذخ ا أسذى ينسبها لخطأ مطعى ... وهى أبعد ما تكون عنه

ا*ا

هذه السقطة وما كشفت عنه من زيف فى وافعنا الثقافى .. ومن تلاميذ ، لا يقرأون
بل من متجاورين فى نفع! الصفحة لا يقرأ بعضهم لبعفر ولا يصححون ما يخطىء
فيه بعضهما حتى أقى التصويب من خارج دائرة المجتهدين والمؤمنين بهم ،العاملين

ةن الدكتور انطلاقا وتعزيزا لنظريته بأن أبا العلاء المعرى هو ثمرة الصرا العقائدى ، وثمرة احتا،ل الصليبيين لمدينة حلب ، وتبادلها ينن المسلم!ت والصليبيين.
فهو القائل " شلهذه أهمية خامح!ة لأن معرة النعمان وهى بلدة المعرى لا تبعد عن
حلب الا أميالا قليلة تبلغ نحو الثمانين . ولأن حلب كانت المعهد الأول الذى تعلم
فيه المعرى صبيا ، ولأن حلب طول زمان المعرى كانت مركزا للصرا السياسى
. والدينى العنيف الذى انعك! فى كثر صت أدب المعرى (ص 67)
.أراد الدكتور لويس عوض أن لطرح حجة دامغة على صدق نظريته
: فصدر صحيفة الأهوام التى نشر فيها بحثه ببيت شعر يقول
صليت جمرة الهجير نهاش ا ثم باتت تغص بالصلبان
الصلب ن جمع صليب .. وكتب تحته بخط يده " المعرى فى !صف مدينة حلب " .
والبيت طما هذا النحو واضح المعنى ، واضم الد!ة .. مدينة حلب صليت جمرة
الهجير نهارا .. (ودعا من توهم أن المعرى يصف صباحها الاسلامى بجمرة
افج!ر ! .. ولكنه لا يستغرب من صاحب نظرية ان المعرى وجيله كانوا يفضلون
الاحتلال الصليبى على ايلاستقلال وا اغوة يقدمهما الحكم الإسلامى المصرى) ... ثم
جاء الليل شاحل الصليبيون مدينة حلب فباتت تغص بالصلباق (جمع صليب) فى
!؟سأيات الجند وخوذاتهم
.اذن صحت الرؤدا
. . ولكن .. بيت الشمعر لي!ر ؟ رو 51
:فهو
-صليت برة أهجير ضيارا ثم باتت تغص بالصليان
بالياء .. ذات النقطتين التحتيتيز .. وهو اسم نبات شهى للابل والبيت لأبى

المعرى يصف ناقته التى شقبت بال!ثار وهى راحلة الى أن جاءها الليل بأطايب الطعام
! وهو نبات الصليان
هل نقول إن الدكتور خطمف البيت وبنى عليه نف!ا بته ؟! أهكذا يكون الاجتهاد ؟
أم نقول اث اندكتور يستهتر بجمهوره ، يستمتر بتلاميذه ، يستهر بالجو الثقافى كله،
فيداجعل عنه بيتا موافق له مناسبة ، ويستخرج منه نظرية

أن أى مصدر نشر فيه هذا ا اجيت فد كتب تحته الشرح وفيه شرح كلمة الصليان
. \. هـفوله .. فى وصف النافة
أيكتشف الدكتور هدا الكشف فلا يكلف نفسه حتى فراعة بيت قبله أو بعده ؟ !

وأن نأ!ى على مثله مجتهدا ، وعلى تلاميذ يقرأوذ له فيصدقون ، وعلى حركاً
!ثقافية هو ميزانها وقاضيها
!المعرى فرأ التراث اليرنافى ثج
: يتمسكن الدكتور فى بؤس حقيفى ، !بقول ، أو يدع تلامذته يقولون
كان كل جريمتى أننى قلت إن المعرى فد در! التراث اليونافى (ومجما هذا
الكلا! إفى ارتكبت إثما عظيما وتص،رلت عا! حضا!ة العرب ح!! ذهبت إلى
. (ترجي!! " اذ المعرى كان /ا مطلعا " على ترأث اليوناذ "
! بمن يغرر هذا الدكتور ؟
نعم ! ارتكبت اثما عظيما .. إن كان ذلك هو كل سافصدت اليه من كتابك هذا
الذى كان مقالات فى أوسع الصحف المصرية انتشارا .. وأى ائم ابر من تزعي
. . ! أن هذه البديهية هى التى أتعبت نفسك فى اثباتها
. . !ترجح ؟
لا ياسيدى - عافاك الله - نحن نجزبم ونقطع هـنوفن أن أبا العلاء المعرى كان
- . دارسا متفقها ، لا " مطلعا " على التراث البرنافى
فالذى ينكر عاى المعرى اطلاعه على التراث اليونافى آثم حقا .. لأنه ينتقم! من قدر

حسب أى ملما بالقراءة أن يطلع على فهرست ابن النديم اجعرف أنه ما من مثقف
. . عرلى ، قد عا!ق هذه الحقبة الا وكان بوسعه أًن يطلع على روائع اليونان
النقطة المهمه ، هى أن الميهبه العربية كانت فى ذلك الوقت ، هى المصدر الوحيد
للتراث اليونافى .. وليس اجتهادا أن نقول أن بعض الكتب اليونانية الموجودة الآن
.فى أوروبا مصدرها الوحيد هو ترجمة عربية بحد أن ضاعت أصسلها اليونانية
أو وبا نم تعرف التراث اليونافى الا من المترجمثت العربية ، فلم يكن لدى
البيزنطيين إلا الثسليبيين ، الذين جاءشا بحد وفاة ا اهعرى بنصف قرن تراث يونافى
. جاتدمو نه ، ش "، ف!- متاقا-ء ، ، حو أر عضاحدب
كنا مجكم دورة التشريخ ، ولو كره الكارهون ، ا اقمة الثقافية للعالم كله .. وكان
فى مكمبتنث ج!! التراث اليونافي ، وما من مثقف الا وقد در!ر هذا التراث في
ترجماته
. العربية 11

وواهب دير الافاووس ما كان له ست سبيل الى معرفة تراث اليونان الا
في نسخ
عربيه .. وانه ا لتميه " لشأن هذا التراث ، وفه! عجيب لمعنى الثفاةقي ،
ان تصور
حكمة اليونان وفلسفتهم ، وكا"نها وضاية يفضى بها راهب في دير ،
لصبى مر به
! ! في رحلة
لا .. نحن نقول ان المعرى درس التراث اليونافي دراسة جادة تليق
بالروح العلمية
الاسلامية في ذلك الحين .. وفي مراجعها العربية ، أًدق واكملى مراجع ،
لا فى ذلك
. . الوقت وحده ، بل وا!دة قرون بعدها
وليس المعرى وحده الذي اطلع ودرنر بل كا! المثقفين العرب .. وها هو
أبو
: الطيب المتنبى يقول قبل أن ررلد المعرى
يموت راعي الضاءن في به
ميتة " جثلينوس " في طبه
ويقول
من مبلغ الاعراب أنى بعدها
جثلست رسطالي! والاسكندرا

أمم

وسمعت طيموس دإرس كتبه
. . متملكا متبديا متبصرا

ها هو المتحعي تنص ؟يم!اءهم ، ع تفعل أنت ،فتنشر أم!اء هوميروس وفرجيل
. . ومكروبيوس وجلجاهض
بل ان أحماء المتنبى كانت أكثر شيوعا وتداولا بين المثقف!! وسحداع ورواة شعر
المتنبى صت شيوع الأحماء التى !نفها عل فرائك اليوم .. والبروفي المولود في
والمتوفى في شة 448 هـ- 48 . 1 م في خوارزم (هـ-- 973 م 362) الواقعة

البيروفي كان يتكلم العربية والفارسية والسنسكريتية واليونانية والعبرية
. . شا لسر يا نية
وكان يرفض أي مرجع ! إذا لم ننقله عن خط سريخافي أًو يوناق يعطنا أمانا من
. . " التصحيف

. . وهو الذي نقل كتاب المجسطي لبطليموس الى الهندية
فاللغة العرسة والحضارة الاسلامية لم ت!ت فقط ، هى وحدها ، التى تمتلك
. المعرفه ، بل هى التى نقلتها للغات الأخرى
واخوان الصفا في القرن الرابع الهجري (درسوا الفلسفة اليونانية وحاولوا مزجها
مع الشريعة الإسلامية واعتبروا هذه الفلسفة جزءأ من تكوينهم
. . (الايدلوجى
. . والفارلمي، (260 - 329 هـ) شرح المجسطى وأكز كنب ارسطو
والكندى لد اواخر القرن الشاني للهجرة فى الكوفة ، اشسغ! بترجمة كتب

وعلى بن رضوان الطيب المصرمم! المتوفي سنة 061 1 م يعرص! لنا برنابم دراسته
اليومى فيقول : " وما بقى من يومى ، بعد فراغى من رياضتي صرفته في عبادة
اللة سبحانه وتعالى بأن أتنزه بالنظر في ملكوت السموات والأرض وطجيد محكمها،
وأتدبر مقالة (أرسطوطاليم) في التدبير .. وآخذ نفسي بلزوم وصاياها

فلي!ر ا!لاف على تراث اليونان .. بل على تفسير المناخ الفكري الذي أنِجب

. . وليس ذلك حديته .. فمعذرة يا اخوان والى لقاء جديد
وأنا اقرأ هذا الأيام " مروج الذهب " للمسعودى ، وقد حرضني على)
!اعاد
فراءته ما جاء في كتاب الخابراقي الأمريكي " ارشى روزفلت " أنه
حاواسا ترجمة هذا
الكتاب إلى الانجليزية !.. وتساءلت م مثقفأ في العالم العرلى قرأ "
((مروح الذهب
فضلا عن التفكير فى ترجمته ؟ ! بل م من رجال صلاح نصر كان يعرف
القرق
. . ! بين المسعودممط وعم إ(سعودى " البقال في الزمالك ؟
وهكذا يدرس! " ألمعلمون)) حضارتنا وهكذا أيضا يفسقون فى عقول
تلاميذهم
. و!ملائهم ضد هذه الحضارة
وقد هـاًيت أن أنقل صت " بعض " صفحات المسعودى إشاراته إلى
حضارة اليونان
وهو الذي كتب كتابه ؟ كرر ا!ز من مرة سنة 332 هـ(حوالي 940 م أ
ي
قبل نصف قرن من مولد المعري واجتماعه براهب دير الفاروس الذى "
وشى ا) له
بثقافة اليونان وأعطاه شعلة المعرفة ؟ ! هل كانت ثقافة اليونان سرا
ممنوعا ، أو طلسما
! مجهولا أو ثفرا محرما في عهد المسعودى ؟
إقرأ وما أنت بقارك!ء أبد الدهر فالحقد على حضارتنا يعمى القلوب في
. . الصدور
يقول المسعودي ليئ القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادي : " صقلية
وفيها فبر
فرفوريس الحكيم الذى صنف كتاب أيسا غوجى وهو المدخل إلى علم
المنطق ، وهذا
الكتاب بهذا الرجل يعرف " . " وما فاله افلاطون في تحديده للنفس إن
النف!م! جوهر
محرك للبدن ، وماحده صاحب المنطق (يقصد أرسطو ولكن اثمهرته
بين المثقفين
والقاركن لم يجد المسعودي حاجة لذكر اسمه ج) أن حد النف!م! ؟ل
الجسم
الطبيعي ... وقد ذكر إفلاطون في كتاب السياسة المدنية ..... وذبهر

وقد ذكر جالينوس في كتابه عن بقراط ... وفال صاحب المنطق " وحكى
جالينوس عن انبدقلس ... وهذا موجود في كتاب أنبدفلس الكبير وفيما ذكره مم
مذهبه في كيفية تركيب العالم ... " " وكان الاسكندر معلمه ارسصاطاليس حكيم
اليونايين وهو صاحب كتاتب المنطق ومابعد الطبيعة وتلميذ افلاطون ، وافلاطون
تلميذ سقراط وصرف هؤلاء هممهم إلى تقييد علوم الاشيثء الطبيعية والنفسية وغير
ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالإلاهيات ، وأبانوا عن الأضياء وأقاموا البرهان على
صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تنثولها!
والنقل يطول .. ولكننا نتحدى ابن عوض أن يستطيع تسمية " بابا ! أو ملكث
أو مثقفا حب أوروبا المسيحية في القرن العاضر يعرف هذه الاحماء فضلا صت أن يكون
. . ! قد اطلع عل كناباتهم ويكتب عنهم بهذا الاحترام وتلك الموضوعية
بل وأقف مذهولا عاجزا عن التعليق أمام نص يفيد ان المسعودى لم يكن فقط
اكثر علما بثقافة اليونان من يويس عوض ، بل اكز موضوعية ووعيا كا يجب أ ن
يكون المثقف .. تأملوا هذا النص الذى لم يرد في تحل!ل علاقة ؟

يقول شيخنا المسعودى : " ولم تزل الحكمه باقية عالية زمن اليونانيين ، وبرهة
من مملكة الروم ، تعظم العلماء وتشرف الحكماء ، وكانت لهم الآراء في الطيعيات
، والجسم والعقل والنفع! والتعاليم الأربعة ؟عنى : الإرثماطيقي ، وهو علم الأعداد
، والجومطريقى ، وهو علم المساحة وا!-سة ، والإسترنوميا ، وهو علم النجوم
واهوسيقى وهو علم تأليف اللحون . ولم تزل العلوم فائمه السوق ، مشرقة
الأقطار ، قوية المعا لم ، ضديدة المقادبم ، سامية البناء ، إلى أن ظاهرت ديانة النصرانية
في الروم ، فعفوا معالم الحكمة ، ؟أزالوا رحمها ، ومحوا سبلها وطمسوا ما كانت
اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته.
. . ضكذا تكلم الشيخ في عام 332 هـ940 م
! أنحن نتعلم الحضارة من دير الفاروس ؟

رضوا% الله عليك ياشيخنا
وسلام على حضارة أزهرت بالعلم والموضوعية لأن أول كلمه فيها هى :
. . إقرأ
وشهد الله لقد فرأوا وفهموأ وأنروا الفكر الانسافي .. وخيب الله كل
فاسق
(.، الفكر .. ص كل من روج فسقه ، وسلطه على ثقافة أمتنا

ورم!جير؟م*،لم /؟
ش/ر./ثحمام،صأ

دفاع عن

كنا على موعا ، اليوم ، مع الحلقة الثانية .ن دراستنا كن " الحرية في " الإسلام
حيث مخلو الحقالى التى زيفها كتاب " المؤثرات الأجنبية في الأدب العربى ا] للدكتور
لويس عوض . ذلك الكتاب الذي هو تحاضرات ألقيت عاى ا اطلبة العرب ، تعدما
جمعاهم ص- انحيط إلى الخليج لنقول له! : " ان فكره (الحريه) بمعناها ا اسيالبكط،
والمدلط ، فكرة لاتقاليد لها في المجتمعات العربية او فيما نبع عنها س- فلس!ات
الفلاسفة ، أش فقه الفقهاء أو أدب الأدباء ، بل إن مدلول كلمة (الحرية) ي الدغة
العربية ذأتها ، مدلول مختلف عن مدلوق كلمة 5ء31 ح!أ] اللاتينية التي . خرجى منها
كلمة (ايرتية) ومشتقاتها مم اللطت الأ وروبية الحديثة " إق اض هذا الكلام الذي
لم يجرؤ " كرومر " على ان يقوله ، أو أت يفرض تعليمه !ب مدارسنا ، تحميه البوارت
والفرسان ... فأصحبحنا بحمد الله ندرسه للطلاب العرب من المحيط إلى الخنيج ...
ونطبعه على نفقة جامعتهم ا ا!ربية ، ليعود طثلب " البحرين " فينبىء فومه ان اختهم
لم تحرف الحرية ، بل ان فكرة الحرية لم تخطر بباله! ، ولا قي ا*ابهم ، ولا في
فلسفاش 3 ...الح ... حتى جاءهم الاستعمار الأورولي ، فعلمهما الحرلأبة ... يقوا!
صاحب المحاضرات في " معهد الدراسات العربية " : " الحرية اذن

. . " لفظا ... حتى جاءتنا على البوارج البريطانية(
وأتخيل أهله يتحسرون - إن صدقره - على أرواح الشهداء ودماء
المناضلين
الوطنيين ، التى أريقت هدرا ضد الؤين جاءو يعلمرنهم الحرية ... أو
أحسبهم
يتحسرون على ما ضاع من اموالهم :وقتهم في ارصال ابنائهم لمثل هذا
التعليم
الفاسد . .. وقد رأينا في الحلقة السابقة أن القرد المسلم تتمثل يخه
اكمل صور الحرية،
من حرية الفكر والضمير ... وانه مأمور بالتفكر ، مثاب عليه حتى في
حالة
خطأ ... وان الاسلام قد رفع القدسية عن جميع البشر ... فأتاح لكل ذ"
5، فكر
أز يعمل فكره ، وأن يشير ، ويصوب خطأ الاخرين مهما تكن صفتهم
ومراكزهم ... وعفم الرسول !ا صحابته أن يثوبوا إلى الصواب متى
تبين،
لايصدهم عن ذلك عزة بالاثم ، أو عنجهية جاهلية ... وحض الإسلام على
رفض
الباطل وتغييره ، وكحد أدفى رففه ولو بالضمير وحده ! .. وأوجب الثورة
على
السلطة التى تفرض الباطل.
وكان موعدفا اليوم ، لمناقشة الحرية الاسلاميه في الأسرة . .. باعتبارها
أٍول أشكال
العلاقات الاجتماعية التى يدخلها الفرد ... ولكنى رأيت أن أناقش كناب "
تخليص
الابريز في تلخيص باريز " الذى شوهه هذا المحاضر في معهد الدراصات
العربية،
واستخرج منه انعدام الحرية عند العرب أ
والحق أننا قد ابتلينا بالتبشير بين الأحياء ... ولكننا لم نسمع - الا على
-يديه
بالتبشير بين الأموات ... فقد نصب نفسه لخلاص أرواح شواغ أًمتنا
العربية،
وعبافرة 0 الفكر الإسلامي . فجعل ابن خلدون ناظر للفكر اليونافي
... واللاتيني
والمعري ثهاصاً لراهب دير الفار س ... ورفاعة ال!هطاوي مفترنا
بالحضارة
... الاوروبية ، نازر لقيمها ومبادئها ودينها
وفي اعتقادى أن سوء فهم " رفاعة الطهطاوي ! عند هذا المحاضر

العا! الاسلامي ، وفد تردى الى قاع التخلف والتأخر والجمود ، بحكم بعده عن
روح دينه ، وتخلفه عن التطرر العلمي والمادي ، الذي انتقل من العرب إلى
أوروبا ... انتقل .الشيخ الصعيدي إلى باريس ... قمة الحضارة الاوروبية ... المتألقة
وحسبي هنا أن أشير إلى افتتان الشيخ أ بعربة الرش) في باريس كمثال للتخلف
الذي كنث نعانيه ... قد وصف أ عربة الرمق) في ستة سطور ليعرف أهله بها
. (وتمنى لو أن مصر بها عربة رمق . 1151
ومع ذلك ، !بالرغم من هذا الانتقال العنيف ، فما من منصف يزعم أز، عقيدة
الشيخ قد اهتزت ، أو أن ذلك قد دفعه إلى الكفر بتراث أمته ، أَو !التنكر لجزئية
واحدة من قيم حضارته وتراثه ... بل اتخذ نفس موقفنا اليوم ... وهو الاعتراف
بالتفوق المادممي الساحق ، الذى حققته أوروبا ، مع إيمان لايتزعزع بتفوق قيمنا،
وكوخ تراثنا ، ويقين بأن حضارتنا التي تمتلك هذه القيم الأعز والافضل ، قييرة ،
إذا ما إكتسبت جملم أوروبا ، أن تتفوق علها ، بل أن تقدم للبشرية صفحه أشرف
. . . وأعظم
لم يشك رفاعة لحظة واحدة في تفوقنا العقائدى على العقل الأورود . .. ه لم يتعثم

وهو معتؤ باسلامه فخور به ... عندما يرتب القارات يضع اسيا في المقدمة،
لأن " الاسلام قد تولد فيها وانتثعر " (76) وهو يتحسر لأن الاستعماريين يحولون
. " أهل افريقيا إلى دينهم ويدعو " للاصلام بالانتشار فيها
، وهو ص د فخور بعروبته ، لأن العرب هم " أفضل القبائل على الاطلاق
و!سانهم أفصح الألسن باتفاق " . ومع رفضه تعصب التخلف ، واقراره بمزايا اللغثت
. " الاجنبية ، يباثر فيعلن أن " لسان العرب هو أعظم اللغثت وأبهج
وشيخنث يقرر أن " العلوم الأدبية الفرنساوية لا بأس بها " وا ينتقد كون
لغتها وأشعارها مبنية على عاثة جاهلية اليونان وتأليههم مايستحسنونه 9
، " (135)

لكأن الشيخ يعيشر تحنتنا ، ويعافي من أولئك اصذين م يكتفوا بعبا إة بهدية
الحونان ، بل دسوها في صحفنا ، وراحوا يتلمسوضثا في كل ما سطرته أمتنا ...
وخادم الشيخ يستعيذ من و-!شية الفرنسي!م! ، ويحمد الله بعد زيارة لسنخانة
با يس ... يحمد الده أنه ليس ثورا في بلاد الفرنسيس.
اكنيخ إذن مسلم ، معتز باسلامه ، وهو إن شهد لاوروبا بالتفوق والتقدم ، فإنما
يتمنى اسطنه ذلك ... لأن التقدم اوا به ... فهو الذي يقول : " في هذه المدينة
العامرة بسائر العلوم الحكيمة ، والفنون والعدل العجيب ، والانصاف الغريب،
الذي يحق ان يكون من باب اولى في ديار الإسلام وبلاد شريعة النبى ، ا!"
(83)

وشيخنا يحب مصر العربيه الإسلامية ، مؤ+كأ بها وبامكانياتها " فلو تعهدت مصر
وتوافرت فيها ادوات العمران ، لكانت سلطانة المدن ورئيسة بلاد الدنيا"
ومع اعجابه ، بل افتتانه بباريس ، واعترافه بتخلف مم! ... (114) هـالتي تمنى
لها " عربة ال ش " ... فهو لا يتردد في طلاق باريس:
لئن طلقص باريسا ثلاثا فما هذا لغير وصاق مصر
فك! منهما عندي عروس ولكن مصر ليست بنت كفر
الذلك عاد شيخنا لأحضان بنت العروبة وا الإسلام ، و لم يبع روحه خلف شجرة ،

وفرق بين من يرى مدنية اوروبا ، فيشمت بنا ، ويعيرنا بها ويزيف من ألنظريات
ما يثبت يه ان التخلثف محكوم به علينا ، وإن المدنية غريبة عن روحنا ... ويستغل
عممه (المشكوك فيه) في الانتقاص من حضارتنا ، والتقواط عليها . . .

فرق بين هن! وبين شيخنا الذي نرى فوة اوروبا فيتحسر على وطنه الذي يرزح
تحت نير التخلف ، ويستخدم معرفته في -ت بلاده على إلتعلم ... فيقول شىخنا:

؟لط ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شالع ، والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله إننث
مدة اقامتى بهذه البلاد ، في حسرة على تمتعها بدلك وخلو ممالك "الأسلاا منه
. (57)
واذا كان الأول يريد النيل من تراثنا ووجودنا الحضارقي ، فإذ شيخنا يحدد هدفه
من الكتابة " ان يوقظ به من نوم ألغفلة ساير أم ا الاسلام من عرب وعجم . إنه
. " وريم ب .وقاصده لا يخيب
لذلك نرى المحاضر في سهد الدراسات العربية ، يحرص - على أن ينزع كل أعم!الة
في الفكر العرلط ، بل ينسبه إلى مبان الأديرة ،وصعاليك الفكر الغرفي كحديثه عن
ارزاموس الشهير ... الذي تعلم منه رفاعة الطهطاوي ان حب الدنيا لا يتنافى مع
الدين . كان شيخنا عاجة إلى كتاب " دليل الجندي المسيحى " اجعرف ان الدنيا
لاتتعارض مع الدين ... وان الما ا! لادنس فيه ... و لم يفد الثعيخ طول تردده على

. . ! اللهم صبرا على ما بك
و)ممن شيخنا يحرص! ، عندما يسجل تفوق العلم الاوهـولط ، على ان يعود إلى
يراث أجداده فيأقي با"متلة مشابهة مر تفودنا ، فهو يستدق من سعة معم فة " البارون
سلو ستري دساسو " على صحة ما جاء أب الأثر عن معرفة " الفارافي ا) الذي يسميه
أفيمسوف الإسلام ، ويعقد المقارنات بر! تتهدم باريس والنهضة العلمية بها ، وبيش
تقدم بغداد في عصر الرشيد والمأمون ، ولايرجع تفوق اروربا إلى (اشتقاف ا ليبرتيه
ت الأصل اللالينى ... بل هو هنا اكثر علمية وموضوعية من المحاضر3 إياه ! .. لأنه
يرجع ذلك إلى " براعتهم وتدبيرهم با! وعدلهم ومعرفتهم في الحروب وتنوعهم
. " واختراعهم فيها
وهو في امحجابه بالقرنسيس يرى أنهم يش!ثون العرب في حسن الخصال ، وان

ذلك فقد بقى منهم من هو على أصل الفطرة العربية " ، " وأما الحرية التى ضطلبها
الافرنج دائما فكانص ايضأ صت طباع العرب في فديم الزمان ، ؟ تنطبق بة المفاخرة
التى وقعت بين " النعمان بن المننر " ملك العرب و" كسرى " ملك الفرس
(306) .
ويجيل إلى اننا منذ الجبرتي ، با الذات عند الطهطاوي واجهف سؤالأ مصيرتا هو
الموقف صت ا اسلم الأورور!ط ... لعلى أزيده وضوحأ بتمثيله بالصناعة ... عمدما سجل
كرومر " شامتا ، اختفاء ور!ق المصرين بعد الاحتلاق ، حيث حلت " محلها
المقاهى ، ودكاكبهن بيع المصنوعات الاوروبية ... وغبطة كرومر هى مفتاح
القضية .. . فعملاء أوروبا وقناصلها كانوا يريدىتنا على ان نكتفى باستيراد بضائعهما
وفتح الدكاكين ليعها ، والجلوس عل المقاهى لسماع أنباء انتصارات أر روبا،
والتسلى بها . .. ونعيش كالمتحضرين ... أما أبناء العر:بة ، فكاخوا يريدون الاستفادة
من التقدم الصناعى في أوروبا لبناء سعناعتنا العربية ، ويدلا من اصتراد البضاثع فلأ
بها الدكاكين كانوا ويدون استيراد الماكينات لتإء المصاع ... استيراد المعرفة
الصناعية ، لننتج بضائعنا ا اسربية التى تزاحم بضاعة أوهـوبا وتزيد إثراء الجنس
البشري ... وعحلا! أوروبا هم الذين قالوا لا أما ي فيام صناعة في مصر لأنها
بلد زراعى ... وعملاء أوشوبا هما الذلمت قالوا لا جدوى من محاولة دطع الشوط
الذي قطعته أوروبا ... ولا سيل لنقل ا اضكنولوجيا حدها ... لابد صت أ ثان
الاغريق شفلسفة ش دين أوروبا " فوث ا البيعة " . . . هما الذءت أفتوا ان الشرث غير مبدع
ولأ مبتكر ! . .
وكان شيخنا من الذين امنوا بحذرهم ، والذين أرادوا أن نتعلم حضارتهم

الشيخ يكتب عن فرنسا بلا يعصب ولا تحيز ، بل يشهد لهم

في يلادحسم(79) را!ضه يسجا بعئق انتفاداته ، فيا!! 11 مسيودساسي " هذا فيصفها
بأنها " أوهام إسلامية " ! ويعترصت على ملاحطة الشيخ بأن الفرنسيس غير
متدينين ... أي علمانيين بلغة العصر ... ولثن الأورولى المتدين ينفي هده التهمة
عن شعب فرنسا ؛ويعلن الشيخ بكل تواضعان " دساسى " يقول ذلك لأنه
... متدين
وحكاية أخرى يرويها الشيخ تكشف أي تعمئب كانت تعيشه اوروبا ... " وقد
اتفق ذات يوم وأنا مار في طريق في باريس أن سكران صاح قائلا : يائركي ، ياتركي
وقبض بنيار ، وكنت قربيا من دكان يياع فيه (المسلم فى أوروبا هو التركى ج)
السكر ونحوه ، فدخلت معه وأجلسته على كرصى ، وقلت لرب الحانوت عل سبيل
ال اح . هل تريد أن تعط!يني بثمن هذا الرجل سكرأ أو نقلا ؟ (ولكن الصفيق
لا يفهم المزاح بل يرد في كالى تعصسب الغرب) : " وليس هنا مثل بلاد 3 ، يجوز
. التصوف في النوغ الانساني ! أ (162)
وفي الكتاب حكاية ، لاأستطيع ان أغفلها ، وهي تكشف عن عظمة أمتنا وايضا
الدور الخسيس الذي كان يلعبه المستشرقون ... انها حكاية المرأة المصرية بنت رشيد
التي تزوجها " مينو " قائد جيث! الاحتلال الفرنسى ، وبعزة اسلامها يةسطر قائد
،جيش الاحتلال إلى اعلان إسلامه حتى يتزوج بنت !شيد انحتلة ... وفي فرنسا
،يقول رفاعة : " رجع إلى النصرانية وأبدا! بالعمامة (البرنيطة) ومكث مع زوجه
وهي على دينها ، مدة ايام ، فلما ولدت وأراد زوجها ان يعمد ولده على عادة
. " النصارى لينصره أبت زوجته ذللث ، وقالت : لاأنصر ولدي أصلا
وحدها .. بنت رشيد ... في باريس ألقرن ا)شاسع عشر ، وزوجة جنرال في
... جيش نابليون قاهر أوروبا ... وحدها بلا أهل ولا سند ، بينها وبينهم البحر
وما يطويه البحر من عداء وحرج .. وتث!ر عل دينها .. وأصر ابن الثورة ا اغرنسية
محلى تنصير ابنه ... نم يحتال على المرأة فيستدعى لها " الصثرون دساصى ! ، " فانه
:هو الذي يعرف ويقرأ القران ، وقال لها سنيه عن ذلك فسألته ، فأجابها بقوله
انه يوجد في القرآن قوله تعالى .. ان الذين امنوا والذين هاثوا والنصارى والصابئين
من امن بالله واليوم الآخر وعمل صحالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
!ولاهم !كؤنون .. فحاجها بذلك

واهتزت قيم المسكينة أمام هذا المزيف الخبيث . .. فلم يفلح بعدها ...واخر خطفه
، الفرنسيون صغيرا ، فنسى العربية ، إلا إحمة ، ولا يعرف من الاسلام إلا الشهادت!ت
... وهو مصر على إسلامه
وفد استوتفتنى ملحوظة الشيض عن 9 جومار " الذي كان يشرت على البعثة عندما
فال : وشهرة معارف "مسيوجبرمار " وحسن تدبيره يوقع في نفس الانسان من أول
، وهلة تفضيل الملبم على السيف ، لأنه يدبى بقلمه مالا يدبر بسيفه ألف مرة
ولاعجب ، فبالأفلاه تساس الأقاليم " (81) . فهل ياترى كان شيخنا يشير إلى
نشاطه الا ستعماري التبشيركط ، أم إلى جهوده في الخابرات الفرنسية ؟ .. ما الذي
كان يحركه جومار بقلمه ؟ .. ياليت اللجنة أ اغاضلة التى طبعت الكتاب 12 قد
أ-عابتنا عنه بدلأ من اهتمامها العجيب بنفى عودة عبد العال " اغا الانكشارية إلى
! الا سلام
بم ا ا يحفة (1 امحاحمر أ " جناحيه فرخا ممصأ صمة " سديم!إ- الحلبي " يتحسم "
شيخنا الوطنى عليه " ويوجد بهذا الرواق شىء من جثة المرحوم الشيخ سليمالى
الحلبى
الذي استشهد بفله للجنرال الفرنساوي " كليبر " وفتل الفرنساوية له في أيام تغلبهم
. / على مصر ، ولاحو! ولاقوة الا بالله العلى العظيم " (312
هـيسجل فرحته بعودة مصر إلى الاسلام (قى!كيا) بينما أسف المعلم يعقوب وورثته
... على زوات ا الأ"حتلال الفرنسى
من أجالى ذلك عالغ! رفاعة في قلوبنا وتحلل الاخر 14 في برميل الخمر الذي
.وضعوه فيه عندما نف! على ظهر السفينة التى أفلته هاربا من وطنه
وشيخنا في صف الترك ضد " الموسقوبية " وتقلق باله هذه اطرب إلى حد أ ن
يرى في المنام رولا يبشره بانتصار ا اسسلطان . وعندما حدفها عند الطع لم يكن
للسبب
المضحك الذي وصلت اليه اللجنة التى أشرفت على طبع ا اممتاب وتغليطه (ولا أقول
تصحيحه ، فقد أحصت محى في ملحق بالكتاب 235 غلطة !) ... لو ألى اللجنة
توقفت عند تاريخ اصبع الثتاب وهو 1834 م ... لعرفت أنه في هذه السنة كانت
الحرب في عنفوانها ين الباشا محمد علي وسلطان تركيا ... أفكان رفاعة يطع كتابأ
! في القاهرة به ر يا تبشر بانتصار السلطان ؟
! فمن الساذج ياترى ... رفاعة ... أم اللجنة ؟

ونحن بالطبع سنعود لكتاب شيخنا في مماؤشستنا للمحاضر في معهد
. . الدراسات
ولكن! أ!ط هنا أن أمر على بعض النقاط انتيم تكشف شقشقة هذا
المتعالم ... شيخنا
يفذم اطدستور الفونسي بقوله : " لتعرف كيف قد ح!سصت عقوله!ا
بأن العدل
. " والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد
ويقفز ا!ضر في الهواء عدة قفؤات ثم يصيح بأن " خطورة هذا الكلام
من أنه
في بلاد كانت تتبع الخليفة العثمافي ، وبالتثلي تخضع رسمياً للحكم
إلثيوقيهـاطى ، أ+ب
الحكومة الدينية المؤسسة فيها القوانين عا! أحكام الشريعة ، يعد هذا
أول دعوة فكرية
... صريحة الى فصل الدين عن الدولة أ
أما الذين يقفون عك أرجلهم . ويفكرون بعضو التف!صير وهو الرأس فلا
رصلون
الى ما وصل اليه سيادته بل يرون ان رفاعه يتحسر على وصول هؤلاء
بعقوهم إ ا
... العدل وإلانصاف وحمص الذين لدينا كتاب الله وسنة رسوله !ا
بل إت الوثائق لاتحوجنا إلى اجتهاد ، فأصل عبارة الشيخ في
المسودات ؟ اثبتتها
اللجنة هى " فنذكره لك ... لتعرف كيف قد حكمت عقول الكفرة بأن
العدا
والانصاف . . . اغ " . . . المعنى واضح . .. عقول الكفرة وصلت الى
ذلك . .. فلماذا
... لاتصل عقول المؤمنين ... ولكنه عند الطبع حذف كلمة الكفرة
ومرة أخرى يصيح لويس عوض قائلا : " ان ايجاد رفاعة الطهطاوي سندأ
في

ربما تحدثه نفسه أنه

ألا يدري هذا المتفاصح أ ان النبى ا!ي! يحذر صحبه من افيا ستصبح
بعده
لمكا عضوضا 1 ! .. إذن فماذا هى فبل أن تصبح ملكأ عضوضأ ؟ ا .. ألا.
يعلم
أ! عمر يث ! سلمان ، رضى الله عنهما : أملك أنا ام خليفة ؟ فيقول له
: سلمان
أنت جبت صت أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته !! "

لقد كانت الملكية الوراثية ألمطدقة هي التى بحاجة الى من يكتشف لها
... سندا
وة يجد ... زحتى في ظل الحكما العثمافي كانت اكثر قلقأ في نفوص!
المسلمين ، من
أستقرا أ مبدأ وراثة العرسق في نفوس الفرشعيين مده كخابة رفاعة
لكتابه هدا .. ومنذ
بهيعة معاوية لاف يزيد إلى خدع اخر سلايى- بنى عثمان ... كان الخلفاء
يأخذون
البيعة لوفي عهدهم ، وكانت يعة ولي العهد أشبه ما تكون ولو ممت
الناحـه ا اسشحلية
دون المخمون بالطبع ، بانتخاب نائب رض! الجمهورية ... ولو أت
اضطرار الخلفاء

وأسخف من هذا يعليقه عا! شرح رفاعة الفرق بين ملك فرنسا وملك
الفرنش!م! * و فد ضرح رفاعة الأمر ثم علق عليه بقوله : " ولو كانت عندنا لاستوت
العبارتا(ط .تلاتي ن كون ا الممك مل! باختيار رعيته له لا ينافي كون هذا صدر عن الله
. ! تعالى على سبيل التفضل والاحسان
ولكن المحاضر يعلق : " شلعل هذا ابلغ درس يمكن ان يقدم للمصري!- عن
. " نظرية الحق الإهى واحق الطبمعى في الفلسفة السياسية والاجتماعية
و!ي مستشرق يعرف أن هذه ا القضية لا وجود لها عندنا .. فالخليفة ا-طه
أمير المة منين ، وهو خليفة رسول الله اع!ء ... شعن جابر لبال : " فال رجل اسدمر
بن الخطاب : ياخليفة الله ، فقات عمر : خالف الله بك ! فقال : جعلنى الله فداءك
. " إ فال : إذا يهينك اللة
... الحق الالهى لم يعرف فط في ياريخنا ، فلا تحملنا أوزار القوم الآخرين
وكان رفاعة ر!تعا في ايحيزه عندما بين أنه لا تناقفر بين انتخاب الحا آ وصن هذا
.الانتخاب يغ بإرادته تعالى ، مادام عزله أيضا يغ بارادته تعالى

ويرتدي لويس عوض مسرح العلماء ويدرس لرفاعة الضهطاوي ،
رضوان
الله عل! ... فيقول : " !لم يجد الطهطاوي ما يقرب به مفهوم الحرية
السياصي
زالاجتماعى لافهام معاصريه إلا أن يقول انها مرادفة للعدل المساواة
أمام الفانون وهو

يكونان نتيجة من نتائج الحرية ، والحرية فد تكون نتيجة من نتائج العدل ، والمساواة
ولكن لا تطابق بين المبدألم ، لأن افى ية قد لاتقترن بالعدق ، وا أسدل قد يتحقق

لا ... رفاعة أةصح منك وأعلم بقيم بلاده وذهـاثها ... لأن للعدل والانصثف
عندنا مفها ما يخر مفهومهما في أشروبا . .. وعبارة الطهطاوي هي : " وما يسمونه
الحرية و يرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العداط والانصاف ، رذلك لأن
معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوي رب الأحكام ر القوانين ، بحيث لايجور الحاآ
. " على انسان
،والأصل في المجتمع ا الأسلامى هو الحرية انكاملة ، نجحفالة حرية الفكر
. والحرسة الضخصية ، والحرية السياسية والاجماعية ... اغ
، وبالتالي فان انعدا ا هذه الحرية ينجم من فقدان العدل وضياع الانصاف
. . من الإخلاق بقوانين المجتمع الأسلامي
وليس في حجنحارتنا هذه التفرقة بين ا ا!ذس والحرية ..0 5 ا اح!"ط عندنا اجست
عمياء ... فلا سبيل لسخف مثلى ا ا!ذي يقوله وهو " تحقق ألعدل بغير حرية ...
. . ! والحرية فد لاتقترت بالعدت " ... كيف يكون هذا كا،1 عقلاء ؟
والقانون عندنا ليحم! حمارا ... لأنه نيس في تشريعنا تحثمريع يائر بالتفرفة أ و
اقييز ، أو يختص فئة بامتيازات سياسية أو اجتماعية ، أر يتي ممييرا عنصرياً أ و
طبقيا ... ومن ثم يصبح تطبيق هذه التفرقة التى ينص عليا القانردط عدلا وان ...
تنافت ي! الحرية ! . . . لا . . . هذا الازدواج الشيطافي ، من اخراع الحضارة انغر بية
وحدها التى أر.ادت أن تبرر فحش جرائمها ضد شعوبها ، ثم ضد الشعوب كير
البحضاء ... حتى لأ يتأ لم محنم! السيد الانجليزي وهو ينزل بشعوب المستعمرات
أبشع ألوان التنكيل ، بحجة أنه ينفذ القوانين ... فاخترت له التفرقة بين العدل
والحرية ! .. حضارتنا لم تعرف هذأ النفاق ، وهذا الازدواج في الضمير ... ومن



لماذا الأفعاني . . ؟ !

غدها قاهت الثورة الايرانيه ، وكما أول من رحب بهث ، وبشر بالأ مال التي
فجركا ، كنا نجلس مع عدد من نخبة اك!قفين العرب .. ودار حديث شي وضيى،
والاحتمالات الممكئة لهذا التصر " السعيعى " كا كان البعض يسميه أو النصر الاسلامى
؟ كان الجميع يتمنون .. وطرحت أنث على المجتمعيز سؤا، بدا غريخبا ، وهو .. ها!
كاق جمال الدفى الأفغاق سنيا أم من الشيعه ؟ ا
وفشلنا جميعا في الإجابة ع! السؤال .. لأنه بمنطقنا المعاصر يستحيل افتراض أنه
كاق شيعيا ثم ينال هنه المكانه العالية بين المثقفين في تركيا ومصر وأقغانستان حيث
الأغلبية الساحفة أو حئى الجميع من السنة .. كيف لم يقل له أحد .ء ما دخلك
بنا تا شيعى ؟ .. كيف لم تسئخدم السلطات السنية التى كان يحاربها ويدعو للقضاء
عليها.. كيف ا تسنخدم مذهبه الشيعى ، في التحريض عليه ، واضهامه بأنه رافقي
نصيرى ء . . إلى اخر ما تعودنا تحن استخدامه ضد انحالفين لنث في الرأى أو المصالح ؟ !
وان كان مئنيأ فيكف استطع أن يفود حربا ضد شاه ايران في معقل الشيعة،
ربعد ما !يدّ على القرن لانجد سنيا واحدا بارزا في فيادة الثورة الايرانية ، ولا !ني
حركة أمل ؟ ! ولا أظن أو أدعي أن الوضع أفضل في تشكيلات المسلمين السنة . .
وهل يعقل أن يستطمع الرجل التغرير بالمسلمين من كابولط ودلهى الى اسطمبول ،

معا .. ليس أمامنا إلا افتراض أن التفرقة بين سنى وشيعى ، ظامرة حديثة لم تكن
لط عصر الأفغافي ، ولا عثفى هو منها ولا جماهير عصره ، وأن هذا الاحساس بث!يؤ،
حتى لا نقول النقور او العداء ، هو ظاهرة حديثة ، نشأت على الأرجح خلال
سنوات الاحتلال والسيطرة الصسبية ، التى كان من الديعي أن تبحث عن كل ما
يفرق الجماهير ، لتسهل السيطرة علها .. فالجماهير لم تكن طائفية ، إلا بعد أ ن
جا ء الا ستعما ر ، و ر بط ا لطائفة ، بث لمصا لح ، وأعاد احيا ء الخلافات .
أما قبل ذلك فان ا!عقفين والعلماء المسلمين ، لم يظروا للخلاف الشيعى والسني
إلا كخلاف اعديمى تثرفي ، لايتعدي حلقات الفقه والدراسات ال! فصيلية . وعبر
التاريخ لم يكن هذا الخلاف بارزأ وحادا إلا في دوائر السلطة ، وفي الصراع حول
هذه السلطة .. وفي حالة مصر فان عددا من المثقفين ولا نقول الجماهير ، لم ينتبهرا
لحقيقة أنهم من السنة إلا بعد الثررة الايرانية والحديث عن الشيعة!
ولكن الإثادة بموقف الجماهكل في عصر الافغافي ليس منصفا ، ولا يقرر كل
الحقيقة ، فلا بد أن الرجل قد استطاع أن يسمر بصيغة ما فوق هذه التسميات ،
بل إنه أول واخر زعيم اسلامي استطاع أن تستثر ، وأن ينظم وأن يستعين بعناصر
غير اسلامية . فكان معه مسيحيون بل ويهودي مصرى شهير .. ولا أظن أننا
ننصف الرجل لو قلنا انه كان متسامحا أو غكل متعصب .. بل كان كبر من ذلك.
ولو كنا ممن يجنحون للمبالغة لقلنا انه من أولياء الله الصالهين ، بدّليل ان الله
قد سلط عليه الدكنور اياه " بتام الجنرال يعقوب ومطلق الانثى " فقد كان هجوم
هذا الدكضور عل الأفغالمط ومحاولته إثارة الشد حول دوافع السيد جال الدين الأفغالط،
سببث لا في مجرد وقف الحملة الإسلاميه على الأفغالمط ، بل في غضبة سلماة انبرئ

ال

وقد يمدو غريـا أن يتقق فريق من المنبتين لاشك في اخلاصهم مع هذا الطائفى
الشعولمط في مهاجمة الأفغافي ، وفي هذا الوقت بالذات ، الذي تفتك فيه الطائفية
. . بالأمة العربية ، بل توشك نارها أن تمتد فتنال لشرها الأمة الإسلاهية
ومن ثم فلا غرابة في أن نتطلع نحن لهذا الذى استطاع منذ اكثر من مائة شة
أن يجعل العالم ال!!مي ميدان عمله السياسى ، فيقود الايرافي والأفغافي والهندى
المسلم والمجوسى والتركي . ويوحد العرلمط المسلم والمسيحي ، بل والهودى العرلى-
قبل ظهور اسرتيل با اطبع ، وقبل سيطرة الفكر الصهيوفي ، بل حتى قب!! ظهور
الصهيونية السيثسية-
ماهي معجزة الرجل .. التى نحتثجها اليوم اص! من أى وقت مضى ، بل التى

الإجابة عن كل هذه الأسئلة ، يتضمنها تحليل الفكر الذي طرحه الرجل ، لا
باستعراض أعماله الكاملة ، بل أقصد الصيغة التى طرح بها الأفغافي الإسلام ، والتى
ضلت عنها كل الحركات الإسلامية والتحررية التي جثءت من بعده ، فالرجل وان
يكن فد نال مكانة عليعة بين معاصريه ، واحتل مركزا خالدا في التاريخ ، فابى
تلاميذه لم يفهموا جوهر الصيغة التى طرحها عن الإسلام المطوب لتحررر هذه الأم
التى عناه مصرها ، وتفرغ لتحرررها.
لقد كان جمال الدين الأفغاق أول من طرح صيغة الإسلام الحضاري .. الإسلام
السياصي ، الا!م الجغرافي ، وربما كان هذا الفهم موجودا بصيغة غامضة في تفكير
وأدبيات الحزب الوطنى وبالذات فيما بعد مص!ى كامل ، وأيضث في عدد من رجال
الثورة الجزائرية .. ثم اندثر تماما أوقل وئدت الفكرة والصيغة على يد القوميين
العرب ، سواء الذين رفعوا راية العروبة لمحاربة ال!!م في اواخر الدولة العمانية والى

ومن هنا كان التقاء الجانب اكر تطرفا من الحركة الإسلامية ، مع أعداء الإسلام
. . والعروبة في رفض الأفغافي والحملة عليه
فما هي صيغة الأفغثق أو ما هي صيغة الإسلام الحضارى التى نعتقد أننا بحاجة
اليها ، ونعتقد أنها تكفل حل مشثلنا .. ؟
كان الأفغالط يؤمن بالمواجهة الحضارية تنن الشرق والغرب ، تلك المواجهة التى
بدأت بحرب الإغريق ضد الفرس ، وانهت هذه إلجولة بانتصثر الإغرتق ثم الرومان ،
وخضوع الشرق للغرب الى أن جاءت أول واخر موجة سرقية منتصرة وهي العرب
المسلمون ثم الترك ، وما تخلل ذلك من كروف! ، وامتداد

المهم أنه خلال هذه المواجهة ، تحددت ملاع الشرق في الحضارة الاسلاميه،
لينى ففط لأن المسلمين أصبحوا يمثلون اكبر نسبة متجانسة بين شعوب الشرق
المواجه لأوروبا ا لم تكن الصين ولا اليالان يوما ما جزءا من هذا الشرق حضاريا
ولا حتى في قرون المواجهه من عصر الاغر!ق الى اقرن التاسع دثر) .. ولا لأن
الدول الإسلامية أصبحت هي الثنور والطلائع والمتصدية باسم الشرق - الاسيوى
الأفريقى .. بل أيضا لأن الحضارة الاسلامية كانت القاسم المشترك والمميز لشعوب
هده الدول ، بل تكاد تكون حضارتهم الوحيدة ، ولأن الإسلام عبر عن مقاومة
هذه الشعوب المنتصرة أو المتراجعة ضد الهيمنة الغربية ، وهو وحده الذى حقق
. الانتصار الوحيد للشرق عل الغرب
ولأن الاسلام بفلسفته القائمة عل قب!ل التعدد ، وحماية هذا التعدد فد حمى
الجماعات والأديان وا!وائف والعناصر والقوميات التى في الشرق ، والتى كانت
تواجه خطر الالادة في ظل " الهيمنة " الغم بية ، التى ترفض هذا التعدد

كانت لتبقى الى اليوم وتنجو من الابالة أو الذولان لولا انتصار الحضارة الإسلامية،
وقد مللنا ومل الناس اعادة تكرار هذه الحقيقة ، وهى أن جع كنائس الوطن العر!ط
كانت لط حالة ثورة ، مطاردة ، هاربة أو معتصمه بالجبال والصحراشات عشية الفتح
العرثط - الإسلامى .. وفي بلد مثل الهند ، لم يشهد تاريخها ئعايشث بنن طوائفها
التى !صعب صرها ، إلا في ظل الحكم الإسلامي .. وها هي في ظل الديموقراطية
تزاحم لبنان في المذالح والخلافات الطائفية ، واصرار الهندوس على فرض سيئدة
. . عنصرهم ، وتشبث غيرهم بامميز والخالفة والانفصال
ومن هنا أصبحت هذه القوميات وهذه الطوائف منتمية تاريخيا وفكريا
وحضاريا ، ومصلحيث للحضارة الاسلامية الشرقية ، وأصبح يسشحيل ا!ييز بين هذه
الطوائف والأديان واطذاهب والقوميات في المواجهة الحضارية مع الغرب
الاستعماري . فهى ليست مسألة دينية ، وإن كان الدين قد أصبح روح المقاومه
والصيغة الظاهرة ، سواء أكان الدفى الإسلامي ، أو شتى الكنثش! المرفوضة من
حضارة وكنائس الغرب الأورولى والأمريكى ، الذي تبشر كنائحه بين المسيحيين
العرب قبل المسلمين ، لل وباصرار اكثر ونجاح اكبر من نجاحها فى أوساط
. . المسلمين
هذا التصور للإنتماء الحضاري ، كانت الجماهير ة والقيادا! الوطنية والدينية تحسه
وتمارسه دون تنظير ، وهذا ما حكم موافقها من الفتح العرثط إذ رحبت به ، وجعلت
سقوط الامبراطورية الفثرسية سهلا يلى حد مذهل ، أما اكدر ذهولا لمن يرفض
تفسيرنا للمواجهة الحضارية ، فهو السرعة التى ضم بها انجدطفي فارس في الحضارة
الاسلاميه ، بل وحمل الفرسى مشعل هده الحضارة ، وتصديهم

الشرق ، ولا اعتبرها المشارقة من جفرافيتهم أو ترابهم أو حضارتهم . بل عندما د خلها
العثمانيون أخيرا ، حماهم العرب " الروم " .. فقد أصبحوا في نظرهم امتدادا للروم
! .. الدين ارتبطت المدينة بهم
كذلك تجلى هذا الحس في موقف القوى غير الإسلامية من الحروب الصليبية،
التى جاءت باسم المسيحية ، وضد الإسلام والمسلمين ، وتحت ضعار تخليص بيت
المقدس من الكفار وتحروو قبر المسيح .. الح .. وكلها شعارات تبدو متلاقية مع فكر
الكناتمى العربيه ، ولكنها لم تصادف أية استجابة يعول كلها لدى غا اجية . . المسيحيين
وإذا كان البعض يصر عل اتهام كعات بالاستجابة للإغراء الذى طرحه ألقادمون من
أوروبا لابادة المسلمين ، فان هذه الفئثت قد أصبحت من يومها تشعر بالغربة وسط
المحيط العرلى أو الشرقي ، وتحاول بكل جهد اثبات انتمائها للحضارة الأخرى عبر
. . البحر الأبيض
ازدهرت وتألقت كل الأفليات ، وساهمت في البناء الحضارى للاصلام ، على نحو
لم يسبق له مثيل ، ولم يتكرر إلا في القرنين الأخرين في أمريكا بالذات 6 التى هى
تجمع أفليات .. وكان الانتماء واضحث حتى في الأحماء العرجية التى امتدت من الفلبين
الى جنرب فرنسا بين شعوب ليس في لغتها حتى الحروف العربية كلها ، ورغم ذلك
حرص الركى وا اسجمي ؟ الز!بى على ت!ممية أولاده " ! " : (" أه ثما 1 " . . . أصت
اليهودى اسمه ميمون وأبولافيه ، وتفقهرا في علوم اللغة ، وحسبك " سيبويه!
مؤس! علم النحو ، ووعظ البطاركة بالعربية وترجوا اليها الأناجيل ، (في اسبانيا
الكاثوليكية رضت الكنيسة المنتصرة فى القرن الخامس عشر ترجه الانجيل الى العربية
لأخها " انحة نجاسة " انظر عادل بشتاوى) ولكل قسا سة الشرت -تفقهوا في اًصو
الدين الاسلامي وحملوا الأحماء العربية ، ويكفي تأمل تطور الأحماء خلا

المضاد ، وهو ما جعل ببض القوى تدرس للطلبة في مدارسها ان ريتشارد قلب
الأسد ، هو البطل التاريخي ، وليس صلاح الد!ن 0 1 ني نفعى الرقت الذي كان
قادة العروبة المعادية للإسلام يسمون أولادهم " لهب " حتى !بح اسم الأب " أبو
لهب " إحياء لذكري أثط لهب ، وهم الذتن قالوا : " أبو جهل وابو لهب أقرب الينا
. . " من سلمان الفارصى
وهم جميعا يعبرون عن رضى الإنتماء ا!اري ، رفض الواقع والتاريخ مهما
تعللوا ، فلو انتصر ريتشارد قلب الأسد ، ولو انتصر أبو لهب على سلمان الفارصى،
لما كنا عربا ، ولا كنا أفضل من سكان مالطة أو أنغرلا او الفلبينيين في أفضل
تقدير .. فمن ينتمي للشرلى ، للعروبة ، لالد أن يشعر بالامتنان للذين اورثوه هذه
الهوية .. سلمان وصلاح الدين ، واباء الكنائس الشرقية التى فتحت قلبها للشقيق
المسلم الذي جاء بالتحرير من حكم بيزنطة ، ودافع عنها ومعها ضد غزو أوروبا
. . فى القرون الوسطى وفي العصر الحديث
قلنا ان السيد جمال الد!ن الأفغثق كان اول ثوقي او أوا! مفكر إسلامي ، ني
العصر الحديث ، وعى طبيعة المواجهة الحضارية بين الشرق والغرب ، فاعتبر الشرق
كله بلا تمييز ميدان عمله ، وحدد رسالته با!اظ وتوعية سعوب هذا الشرق
و لتحريرهث ، أو لتصعيد مقاومتها ضد الزحف الاستعمارى الأوروثط . لم يفرق ني
ذلك بين العرثط أو الفارصى أو الهنلى ، ولا فرق بين المسلم والمسيحي أو عالد
البقر في الهند .. فكلهم في الهم ثوق ، وكلهم ني زورق واحد ضدّ الاستعمار
الغرلى .. وما كان لقائد في مثل ثهول فكرته ونضج نظرته العالمية أن يفرق لين
. . !شيعى وسني .. اخ
وقد نجح الأفغثفي في التوصل الى هذه الصيغة ، المتفوقة ، لأنه لم يحاول انشاء
حركة دينيه ، أو ان شئت لقد توصل من هذا الوعي بالمجابهة الحضارية الى خطأ

قيل " المفتى " أو " الامام " بدون تعريف .. ولا يعرف له رأى في
فضية الامامة
ولا بيعة السقيفة ، بل يروى أنه رفض اغراء محاولة ادخال اليابانيين في
الاسلام معتقدا
ان مهمة المسلمين التى تستغرق جهدهم هى حماية ما بقى وتحرير ما
سقط ، قاليابان
كانت تبحث عن حل حضارى ، وليس عن حل منطقي أو ضرعي .. ولم
تكن
حضارة المسنمين المهزومين تغرى أمة صاعدة .. بعكس ما يحاوله
المفلسون اليوم
!لنشر الاسلام فى الهنود الحمر المنقرضين
الأفغافي لم يطرح الصيغة الدينية لحرير الشرق ، وإن كان قد رأى
وروج أ ن
هذا التحرير فريضة دينية على المسلم ، ووطنية على جماعات الشرؤ
،غير المسلمة
بل مسألة ءصامة . . وتأمل قوله للهنود : " لر كنخ مائة مليون ذبابة
لأزعجغ الانجليز
بطنينكم ، لر كنغ مائة مليون سلحفاة لسبحغ الى الجزر البريطانية
وأغرقتموها في
البحر " .. فهو لم تحصر جهده في المسلمين الهنود ، ولا حثول
فرزهم .. ثم انظر
رأيه في الثورة السودانية ، فهو بالطبع لم يصدئ ادعاء زعيم الثورة أنه
،المهدى المنتظر
ولكنه رد في ا اسروة الوثقى على سؤال قارىء حول مهدية " محمد
أحمدّ " برأى

وهل كانت " جات دارك ! فعلا تكلمها الملائكة ؟ ولماذا انحازت السماء
الى
الفرنسيين ضد الانجليز وكلهم من دين واحد ؟ ولكن قناعة الفلاحين
الفرنسيين
بأن جان دارك هى " المهدى المنتظر " أعطتهم نفس القرة التى فجرها
الإيمان بالمهدى
. . للسودانيين .. فالوطنى الفرنسى هو الذى روج " خرافة " جان دارك
الأفغافي كان في حرب شاملة ضد الأجنبي العدو ، يحاول تجميع كل
طاقات
؟لشرق للمقاومة ، فهو مع خرافة المهدى في السودان ، مع ايات الده
فى ايران من
أجل استصدار فتوى ضرعية بتحريم الدخان ، ولو حتى على اماسى أنه
من بول ابليس
؟ كان المتدينون الطيبون يقولون بعد الأفغافي بنصف فرن ! .. مع

تركيا .. وهذه الحركة السياسة ، التى أرادها الأفغافي وعمل لها ، تنطلق بالطبع من
خلفية إسلامية وتعتمد على الايمان والومحي الاسلاميين في انطلاقها ونموها
وانتصارها ، وهي بلورها كان يفترض أن تؤدى الى حركة بعث إسلام!! ، وقد
أدت فعلا ولكن في اطار محدود ، وصيغة ختصة ، إلا أنه لا يمكن لمؤرخ أن يغفل
تأثير حركة الأفغافي على المفاهيم والممارسات إ التطورات للحركة الإسلامية من
الجزائر الى باكستان .. وإن صح وصف هذا التطور بأنه !ة أو بعث ، فثلفضل
. . الأكبر فيه يرجع للأفغافي
وقد انقسم تلاميذ الأفغافي من بعله ، ومضوافي ثروب عديدة ، وأستطع القول
إن الحركة الوطنية فى الجزائر هي وحدها ، التى فهمت وتبنت الإسلام ، الحضارى
فلم تكن الثورة الجزائرية بقيادة حركة دينية ، وإن تكن أنقى وأنجح ثورة إسلامية
أو اكبر نصر إسلامي منذ فتى القسطنطينية أو سقوط الأندلس .. هـبعض قادتها تفقهوا
ؤ؟ الدين لعدما نجحت الثورة وخلعوا من الحكم . ولا أنسى صدق وطهارة المرحوم
قثتد أحمد " عندما كنت أحدثه عن امال المسلمين فى مساهمة فيادة " الثورة الجزائرية
ل! تقديم طرج جديد للفكر الاسلامي .. فرد صارخث : " أنا ؟ أنا قرأت القران
! " . . لالفرنسية
كذلك يمكن القول أن الثورة الايرانية حركة سياسية ، فلم يقدها حزب دينى،
وإن اعتمدت على الجماهير المسلمة ، وعلى نمو الإحساس بالمواجهة الحضارية وسياسة
تحدى الإسلام التى سار عليها الشاه ، وإن سلمت الحكم لرجثل الدين باعتبارهم
القيادة الوحيدة الموثوق ب " اسلامها " من الجماهير . . ولكنها لم تكن . . حركة دتنية
بينما كانت باكستثن ولاتزال هي صيغة طرحتها حركات دينية ، عزلت المسلمين
الهنود ، واعتبرت أن لهم مصيراً يختلف عن مصير الهند ، وأن هدفهم هو

ببرنامجها ، فكلها لم يكن فا ولا تزال بدون برنابم معاصر ، اكنفاء بامتياز تمتعها
بسيد الرابم الصالح لكل زمان ومكث ن .. وهذه مغالطة بالطبع ، لأن من عم
الصلاحية ودلإتل الدوام هو القدرة على استنبثط الرنابم في كل زمان وباختلاف
. . المكان
المهم أن هذه الحركات استبعدت انحالف لمسلكيتها ، فمن لا يطلق لحيته أو يصلى
السنة ، أو لايقصر ثوبه .. هو مسلم ناقص الإسلام ، ويبذل الجهد والوقت في اقناعه
بهذه الممارصات ، وهذه الحركات تروع نجالبم عندما تعرف أن الأفغافي كان له
تلميذ لا يصلى بانتظام أو حتى يتسالح في بعض الأمرر .. ويستدلون بذلك على أ ن
الأفغافي كان دجالا ! .. لأنه لا يمكن ان يصلح اخر هذا الأمر الا بما صلح به أوله . .
واوله بدأ بالمؤمنين العاكفين الركع السجود .. وهذا صحيح .. ولن نقول ان ألفا
وخمسمائة سنة ومساحة قارتين تفصلان بين أول هذا الأمر واخره .. وان ما بدأ
بالإيمان الدينى ، قد نما شتطور وتشعب فأصبح يضم المسلم والمنتمى ، لغر دين الإسلام
بل واللامنتمى لأى دين .. وانه لابد من برنابم ينغ من الإسلام ، وينفذه أساسا

فهى حركة يهودية
واعها يهودى
وبرنامجها يهودى

وفلسفتها ومبرراضها وشعث راتهث مستمدة من الدين ال!ودى ، وهى تعتمد بالدرجة
الأولى على " الايمان الهودى " ولكنها حركة سيامية ناجحة لأنها اصطاعت أن تطرح
ذلك كله في الصيغة الحضارية التى جندت تحت اعلامها ال!ودى الملحد واليهودى

ولكن تحدو اننا لا نريد أن نتعلم من اصائيل إلا كراهية ا افلسطينى
والحرص
! . . على إبثدته
ولو استطاع الأفغافي أن يشكل المؤتمر الشرقى أو حتى الإصلامي ،
من خلال
الصيغة السياسية التى طرحها ، ولو وعى تلاميذه هذه الصيغة ، أوقل لو
أخلعوا
لها ، لربما تغير تثريخ الشرق ، ولوجد تلاميذ المؤتمر الصهيوفي أندادا
لهم . . ولكن
هيرتزل " ورثه غولدمثن وبن غوريون ومناحم بيغن وكلهم التزموا "
بالصيغة
. . الصهيونية .. إليهودية الحضارية ، اليهودية السياسية
أمث الأفغالط المسكين .. والعظيم ، فان بعض تلاميذه فهموا الصيغة
السياسية على
انها التخلي عن الإصلام ، ؟ فعل سعد زغلول ، وسائر العلمانيين .. ولكن
هؤلاء
لم يصل ضررهم الى مث سببه تحمد عبده وداعيئه رشيد رضا .. لأن "
" الشيخ الإمام
الممتى " .. لاسياب معروفة طلق السياسة ويسوفر وسافر .. الى "
اخر القصة
المعروفه ، و لم يكن أمامه الا التشبث بالجانب الدينى في شكل بحوث
سهية ومناقشات
وحوار مع غير المسلمين .. الدفاع عن "الإصعلام " بدلا من الدفاع عن
المسلمين " . . الجهاد فى الرد على *" المتكلمين " ضمد الإصلام ، "
صضا عن الجهاد
ضد الغازين المستعمرين لبلاد المسلمين .. وهذا هو الف! الذي بقى من
الأفغافي
وكان من الطيعي أن يستمر التقلص والتحوصل ، وتظهر الطائفية ،
والشكلية
. . و ا لمظض ية . . اع
وبعكسر الطابع العالمى لنشاط الأضافي واهتمامثته ، نري هذه الحركات
الاصلامية
عجزت حتى عن تشكيل حركة على المستوي العرد ، بل تعددت لتعدد
الأفطار
وحملت الكثير من بصمات المناخ السياصى والطاثفي في هذه الأظار ..
وهي إذا
كانت لم تتخذ الشكل الطائفى ، فابها لم تنجح في الغائه ، بل سقطت
في اول
جولة إما مع الطثئفيين .. وصحيح أن نشاط الأقليات الطائفية ، قد انتهى

ومع ذلك فلا يمكن تحميل كل اللوم لهذه الأقليات ، مادامت الأغلبية جعلت
الاسلام قضيتها الخاصة ، وسدت المنافذ امام مشا كة هذه الأقليات في تقرير مصير
الوطن ، وتحرو الأمه . . أو أعطتها مكثن " المرتزقة أ ؟ يفعل

وقد حدث في أعقاب هزيمة 1967 م ما اصطلح على تسميته " بالصحوة
الاسلامية " وكان الظن أن انتصارها سيكون في الجانب العرلي من الوطن الإسلامي،
بعدما انهارت النظريثت القومية المعادية للدين أو التى تتخذ منه موصا سلبيا ، وعلى
ضوء الانتصار " اليهردى " وبدا أن الصحوة تأخذ الصيغة الأفغانية ، أى الاسلام
السياسى ، من خلال عناصر لم تكن يوما في صفوف الحركات اللينية ، ولا يمكن
إدراجها في قائمه رجثل الدين .. وهنا هبت القوى التقليدية ، ضهاجم الأفغافي،
وتهاجم فيه الإصلام السياسى ، وتشكك في ايمانه مستدله بالمسنكيات الدينية ، ولحق
. . بها العلمانيون المشبوهون يشككون في اخلاصه السياسى
والهدف المتفق عليه بدون اتفاق ولا سابق تلاق .. هو منع تبنى صيغة الاسلام

فهو التاريخ وهو المقافة وهو بطاقة الهوية وهو الخيار الحضارى الوحيد .. ولكنها
ليمست صيغة دينية فقهية .. لأنها ؟ قلنا تتسع لغير المسلمين وإن كانت تعتمد على

الهوام!ق

الفقل : خطبة الكاب

دائرة المعارفف الريطاية - و،حظ ات اليدة " أمينة السيد " زارت الابثن سنة 1971 (1)
فاستاءت من

! مر!ص المرأة الخلثف وعبوديا شلرجل . وافتخر! طبأ بمركز المرأة العربى ة

! .. ويكفى اليابثن فخرأ انتصار ا- على الدولار

تثريخ الفكر المصرى الحديث - الفكر الياصى والاجماعي نلدكتور لويس عوض - :هي (2)
محاضرات القيت
في معهد الدكأاسات الربية ، ثم لرت في صحيفة الأهرا، . شالمرجع المار اليه هنا هو المثور عن
دار الهلال

. في جزءين -ابهضلل 9 آ 19 م -خ 2 ص 17
الفصل : هدخل

بونثبرت في مصر - تث ليف كرصتوفر هيرولد - ترجمة دار الكاتب العرلمي للضعة والر (1)

- - القاهرة

. ص! 2 1 - 13

*،بونث برت ص 2 1 عن : 88 . ! 3 عول أ 8+ه ، *لاه" - 5ءا 3 (2)

. نف! المصدر (5 - 4 - 3)

بو نابر ت عن 8 - 7!ه 0 1 1 . !خالا 4 وله (" ط (7 - ")
ا لفصل : ا لأول

ا اسافمى : تثريخ الحركة القرية وتطرر نظام الحكم في مصر ، مكتبة الهضة المصرية (1)
ايطبعة الرابعة ج 1

. ص! 23 - 24

ن . م ص! 4 2 (2)

الحبر! - عجاث الآثار في الراجه والاحبار لمحقق زءانه (9 - 8 - 7 - 6 - 5 - 4 - 3)
ولثدفية
أوانه الرافل في حلل العلوم المتوش!! بنفائس مظرفها والمفهرم الابق في حلبة الرهان
اللوذعي - العلامة اليخ
عبد الرحمن الجبر! الحنفى أمط 5 الله تعالى - س اس! احانه وبره الخفى - طبحة 297 1 هـ-
1880 - ج 1

(10 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15)

(الرافعي خ 1
(،آلن !ورهد - انيل الأزرو - دار دلعارهـ
("ه+44+عح ! 1 ،ة 3*ممغ ع!ـه+ح 4 أ! 8 ممر 8 . 84 - 9؟ : بونابرت عر
ح 553 ع!3
(! وريد.
(23 الرافمي ط 2 كأ- : س ة صالات ط -جه : اض ء احا-- . نجة 9 ف 1 لم
ث
(. الرافعي خ ا عن الجرا! رينه ر كابه : " مصر بعد واقمة عين ش- أ
(الجبرقي خ 3
(. بولابرت عر لقولا اترك
(مورهد.
(. بولايرت
(الجبرقي ! 3
(الجر في ط 1
(الحرتي ت 2
(\ ! الحبرلي
(الحرفي ! 2
(المصريون امححثرن عاداتهى وطاعهم - ليز.
(مورهد
(اب في ت 2
(الحوم الزاهرة ر ملوك مصر والماهرة . طبعة وزارة العافة والإرشاد القومى
. ج 7
(الح!سقي ج 2
(الجبرقي ج 1
الحبرلط خ 2 (42 -
(الجرفي ج أ
الجبرقي ج 2 (45 -
(الجبرلط خ 1
(الجبرقي ج 2
(. الكواكبى ت طائر الاصتداد
(الجبرقي ج 1
الجبرقي ج 2 (51 -
الجبرقي ج 1 (54 - 53 -
الجبرتي ج 2 (57 - 56 -
ابلإ:سقي ج 1 (61 - 6 0 - 59 -

الحبرقي خ 2 (62)
الجبرقي ت 1 (آ - 4؟ 3)
الجرقي خ 2 (دآ - آ آ - 67- 68 - 69)
\ اطبرفي ت (لم!- 74 - 75 - 76 - 77- 78 - 79 - 80 3 -72 - 71 - 70)
(93 - 92 -91 - 90 - 89 -88 -87 -86 - 85 - 84 -83 - 82 - 81)
اج!! في

الفصل : ال! ني
ء ، ص ت عى- . لا 2 د .في افي * عظ 7ةا،3،6307 م 3.، . ن!سى ا ات% : ثما " مه (1)
ا صح! لأحصه امعممي إ ت
زوجته : " لر استوطن مصر . . . ! . 2 أصة فرنيه ، ليشغل افرادها بالمنروعات التجارية والمؤسات
الص!اعة .. ا! لغدا هذا البلد أنجل مستحعو 6شا وألمعها وافضاما مرفعأ أ . ويعلق هيرولد " هذه الروح هى
. " !التي مكنت الفرنيين من اضدمار الجزائر ، وما تمخم! ت هذا الاشع!ار من نتاث
. بونابرت (2)
. ن . م (3)3
بونابرت عن : . 147 . 17 ح 5 ول!4 ولمم 5 ح 533 ح (4)
. بو نابرت (5)
بونابرت عق : . 84] . 1 5 أ 50 ول!33 (6)
بونابرت عن : 83] - 82] 0 17)ول!!هه 5 ح 533 سا (7)
. لونابرت (8)
. بونابرت عق : نقولا الترك (9)
الجبرقي خ 3 (؟1)
بونابرت عن : !] . * ! ح 5 ول!4 ولهه 4 ع 533 ح (1 1)
. نقولا اترك (2 1)
الجبرقي خ 3 (13)
.موريد (14)
.مورميد (15)
بر نابر ت ع!ت : ! . مم!4*مم! حظح!4 ول هه ؟ع 533 ظ (6 1)
!!بونابرت عق : . 7 و . ! 5 أهول 3 حلأ (7 1)
بونابرت عن : 6]2 . 47 حءول 48!5 ع 533 ح (18)
. بونابر ت (9 1)
بونابرت عن : . 38] . ! ح 5 ول 44 حه"5 ح 533 ح (2 0)
!بونابرت عق : ! . ! احا ا ألى (2 1)
. بولابرت (2 2)
بونابرت عن : 203 ا فأه،"له 3 ع (23)
بونابرت عن : 162 . 41 30 عألأوله ل ولط (2 4)
بونابرت عن : !و 3 . ا حمهس! 3 ولط (2 5)

!يو نا بر ! عن : ك! - 1 26 .]] 4 لا 384 لا ه ف (2 6 1
الجبرفي ج 3 (271
.ص ر هيد (2 8)
.ص ر هيد (2 9 !
الجبرفي ج 3 (30)
.مررهيد (31)
الجبرلط ج 3 ولد!ا و!ة يراي لببرقي ز هنا المنثور تننى عن كل نقاش ز البحث (32)
عن تائو هذا
المثور في " الخبة " .. وذلك ز الب !ذي ألفه لالاضراك مع !ئ صن العطثر قول
:الجبرقي
وقد كانت الفرنسي! حين حلولهم يالاسكندركة محوا مكودا فنطبعوه وأرسلوه منه
نسخا ال البلاد التى
يقا-مرن علها تطمبا مم وهكدة لئلا نمصى الإد وتحاربهم . فأوهرهم فه انهم قدموا من
طرف السلطان
!وأ- حاءوا ليزيلرا عنم الظلم . ف!نت هذه ايغئا هن الم!!د اطر!ة
ثم ينبري للرد عل المثور وتفد ط جاء فه من " الكلمات للفككة والتراكعب للعكة !رل
:
ا قوله : " بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد ولا شريك في ملكه " .. في
كر هذه الجمل اللاث
. : إشارة إلى أ- مرافقون للملل اللاث ونحالفون لهم بل لجميع الملل
فوله : " الغادر عل كل ضىء " ومن قدرته الباهرة واياته لظاهرة جلب هؤلاء الثاطين .
الى مر 6ح الملوك
. : والسلاطين . ورجوع الكرة عليهم . وظع دابرهم ونواص!م
فوله : " إنني سا قدت لكم الأ لكيما أخلمى حقكم من يد الظالمين " هذه اول كذبة
ابتدرها وفرية
.ابتكرها ، ثم ترقى الى سا هو أعظم من ذللث رساه ال!ه في ا!اللث
قوله : " وأحترم نيه " ممطوف على ما قبله من عطف الكنب على الكذب . لائه لو
احترمه لآمن به
.وصدمه واحرم أمط
فوله : " والقران الني " ممطوف كل نبيه . وهذا كذب . فابى احترام القرآن تعظيمه .
وتعظيمه
بالتصديق بما فيه .. أما التظيم الحسى .. وهولاء قد ضوهد الكثير مم بحوط ويمح
لاوراق المصاحف ويرم!ا
ملطخة في الطرقات ومحل النجاصات فإنهم لا يخرن بالماء البتة . وجليلهم وحقيرهم
يستحمل ما يجده من
. . الأوراق
قوله : " فليورونا الحجة التي كت!ا الله لهم " هذا من الجهـل والكفر بمكا 1ت فإن
الله لى* يملك الاس ضئا
بحجة يكتبها لهم . (رائع في التعبير عن كوق الفكر الاسلامى عن نفكو أوروبا في
. القرون الوسطى)
قوله : " في المفب العامبة " أى المرتفعة ، !به احنراز عن دفع اللوم كهم بتيدهم
ناصب الاح!م

برنابرت عن : . 8؟ا . ! محوأةحول!3 ع ء!كه اط ع! ! (3
ول-ء4!دح+هج
بونابرت عن : . 217 . 7] ع)8لطول!ع 33 هج (3
!بونابرت عن : .81.27ل!+ع (3
. بونابرت (3
. بونايرت (3
بونابرت عن : 261 . 1 عرر+ءا3 ولمه (4
. بو نابرت (4 2 - 4
بونابرت عن : .48 . ء لا 38 ي!ع 7 (4
!بونابرت عن : 118 . ء فىأه+حلأ (4
بونابرت عن : ، 170 .]] ح 3!ذ!ه(ول!ا (4
الرافعى خ 1 (4
مورهيدّ عن مقدمة توفي لكتاب ضعيئ غربال بداية (4
.الماله المفر!ة
.مورهيدّ (4
بونابرت عن : . مزا . ! ؟أه+3ء*ممه (4
، ه) بونابرت

ا لفمل 0 ا لثالث
الى 8) الجبرتى خ 2 1
من) . لرافعى ج 1 كأ مراسلات نابليون ج 4 وثيقة رقم 3147
1) .الجبرتى
(0 . الراشي خ 1 عن : ناريخ الحملة الزنسية في مصر - الجزء انفي - مارتان
ہ!) الرافعى عن : كناب الاريخ الملمي والحرفى للحملة الفرنية ج 3 لمؤلفه "
1) . " ريبر
من) الرافعى خ 1
2) الرافعى خ 1 عن تقررو وزش الحارجية تالراد الى حكرمة الدروكتوار في 14
7) . فبراير 8!ه 17 ء
ش) .الراشي عن كناب : رحلة في الوجه البحري وممر العليا
بونالرت عن : . 69 - 8 كه ا(ح 3،أول"ولهل 8 ط
3) الرافعى خ 1
4 الراشي خ 1
3) . الرافعى عن تمر!ر الجنرال دبموي المورخ 3 ئرميدور (21 - 7 - 1798 م)
6) الرافعى يوياث أركان حرب الجنرال كلر بتاريخ 25 يوليو 1798 م
الى 26) الرافعى ج 1 21
الجبرقي ج 3
الى 33) الرافعى ج 1 28
الرافعى ج 2 (35 ،
.!الرافعى عن الاريخ الملمي والحر! للحملة الفرنسية الجزء الحام

(4 الى 39) الرافعى ج ا 37
(0 بونابرت 348
(4 لرافعى ج ا!
(2 الرافعى ج ا
(4 . بولابرت
(3 الرافعى خ ا
(4 .بونابرت عن رسالة بليار الى ديزيه
(4 بونابرت عن : . 98 و .]]] ح 3 ح 4 لأ!5 لأ 4 ط
(4 الرافعى خ 1
(5 وليم صليمان - مجلة الطيعه - كوبر 1969 م عن : . *م!3 ول 73!
(4 ول*
(6 ا !] ول ه كل ه ط . لأ ، لاا لأ ول ول ه ح لعنا أ اه ! 1 5 " ! .
(4 !"ءكلص! ول أ ، "لأ
(7 .الرافعي عن : يويات الجنرا اط لوجيه
(4 . ، الرافعى عن : يويات الكابتن ساظري الذي أصبح الدوؤ " روفيجو
(8 الرافعى خ 1
00 . " اشافعي عن : تعليمات نابليون " ل رمرن
]و الرافعى عن : خطاب الجرال مررا الى نابليون 4 ديسبر 1798 م
(4 .الرافعى عن : الجنرال نوحيه
(9 الجبرقي خ 3
(5 .الرافعى ج 2 التارغ الملمي والحر! للحمله الفرنسية الجزء الحامر
(2 الرافعى عن : " ريبر " في الارج الحلمى والحر! للحملة الفرنسية .
(5 .الجزء الحامر
الجبرلط خ 3
. الرافعى ع! : مراسلات نابليون الجرء الرابع وثيغة رفم 2971
الفصل : الرابع

س ا الى 3) الجبرلط ج 3
الرافعى عن : الاريخ الملمي والحر! للحملة الفرنسية - الجزء (4
.الرابع
الرافعى عن : مذكرات نابليرن التى !ملاها على الجنرال برتران (5
،في سانت هيلين
الرافعى خ ا (6
الجبرقي خ 3 (7
بو نابرت عن : . مو - 89 . 7 حءول"4 ولدعم 3 ح 53 ح (8
الجبرقي خ 3 (9
. بونابرت (10
. بونابرت (12 ، 11
الرافعي خ ا (14 ، 13
.الرافعى ع! : دى لى*حونكيير - الحزء الثالث (15

1) . بو نا بر ت 2 6 6)
9 بونابرت عن المراسلات ! 5)
2) الجبرق ج 3)
2 الرافعي خ 1)
2) . الرافعي عن مذكرات نابليرن)
3 . الرافعي عن مراسلات نابليون الجزء الخاصر وثيقة رقم 4028)
2) الجبرد ج 3)
5 الرافعي ج 1)
2) بونابرت عن : .66 . ! لأ،3+ع 7)
6 ، . . - بوفابرت عن : مراسلات الحامر 79)
2) .هيرولد - بونابرت في مصر)
7 الرافعى .عن جريدة كوريية دليجيبت العدد الصا إر في 0 2 بروميز (1)
2) نوذمبر 1798 م)
8 الجبرق ح 3)
2) !برنابرت عن : 07 [.] ولهول مح)
9 بونابرت ص مراسلات 5)
3) الرافعى خ 1)
2 . الرافعى عن مذكرات بوريين الجزء الأول)
3) برنابرت عن المراسلات 0 3)
3 !بونابرت عن : . 7 ممر . ي!ح 1 1 0 751 حول ولعأ 33 لاه)
3) بونابرت عن : 271 . 17 عكاألا"+هأ ، ط)
5 . برنابرت (3 9 -
3) برنابرت عن : ر 2 .7 ع 3،فا"ولءأ ء ط)
6 الفصل : الحاهس

1) الجبر قي ! 3
. لأ) ن . م
3) . بو نابرت
4) . ن . م
ه) بونابرت عن : 82 - 481 ممر]مم! . عءول،4 وله"
ح 533ء3
من 6 الى 8) لوي! عوضر (تارج الفكر) ج 2
من 9 الى 11) الرافعي ج 1
12) لوي! عوض ج 2
13) .الجبرقي
14) لوي! عوض ج 2
15) . ن . م

الجبر قي (6 1).
الرافعي ج 2 (17)
الرافعي ج 2 (18)
الجبرقي ج 3 (19)
. الرافعي ج 2 (2 .)
. الرافمى عن تقرير نثبيون الى .حكومه الدروكترار (21)
لرير عوضر ج 2 (22)
الرافعي صأ2 (23)
لرس عوضى : المزثرات ا الأجنبية (25 ، 24).
آ 2 - 28 ، ت %- ش ى- . تاش ت اعف --.)!.
. -لويى- عوص (2 6)
ع . الموثرات الأجنبية . ! (30).
. ا! . ع . تاريخ الفكر - الجزء الاول (31)
ل . ع . الموثرات ألاجنبية (من 32 الى 34).
. ل . ع (35)
ولبم سليمان مجلة الطيحة اممربر 1969 م (36)
الرافعي ج 2 (38 ، 37)
. ن . م (من 39 الى 41)
الح!في ح 3(42)
ا إ اس ء 2(43)
\ ا اصافعى ت (44)
لوس عوص - المؤثرات ا الأجة (45).
. ن . م (من 6، الى 48)
الجرذ خ 3 (49)
\ ز. 5) الرافعى ح
. برنابرت (51)
بر صابرت عان : وو . ! لا،173 ولأ 4 ح،أح . عم أه]! (5 2)
!أي! " 4 م،أ ا اح
الجبر ذ ! 3 (5 3)

ا لفصل : ا لحادت !!

\ الرافعى خ (1)
الرافعى ت 2 (2)
. ن . م (3)
الرافعي عن : الاريخ العلعى والحرف اطحملة الفرنيما - (4)
الجزء اصسابه.
الرافعى عن : يرمات وذكريالت عر حملة مصر (5).

(7)ن.م.
. بر نا بر ت (من 8 ا لى 1 1)
. ن . م (1 2)
لرس عوض - المؤثرات الأجنيه (13).
الجبرق خ 3 (14)
. ل . ع : تارغ النكر المصري (15)
. ل . ع . المؤنرات (1 6)
الجبرق خ 3 (17 ، 18)
الجبرق خ 3 (من 19 الى 24)
. الرافعي - الجرء الثاق (ه 2)
الجبرق خ 3 (26 ، 27)
الرافعي خ 2 (فن 28 الى 30)
الرافعي عن : محاب صورة مصر أثناء إقامة الجي!ق الفرني للسيو جالان أحد !ضاء (31)
بعئة العلرم والفنهرن
في عهد الحملة الفرنسية.
. ن . م (32)
الجبرفي ج 3 (33)
الرافعي خ 2 (34)
الرافعي عن كلب : الجنرال عد ايذ منو والفترة الأخ!ة من الحملة الفرنية تاليف المير (35)
رجيو.
الجبرق ج 3 (36)
. ن . م (37 ، 38)
الجبرق خ 3)39)
موريد)40).
برنابرت عن الجبرقي)41).
. حن فوزي - سندباد مصري)42)
د . وليم سلمان الطيعة - دكمبر 1966 م (43)
د . وليم سليمان عن تارغ الكيسة القبية للماس منسي القسى - الطبعة الأولى 1924)44)
د . وليم سليمان ص جاك تاجر)45).
)د . وليم سلمان ش : اسلأ . ! كلأ*ع!اه +لله 7 ع!ول)46)
. ن . م)47)
الرافي خ 1)49 ، 48)
الجبرقي ! 3 (51 ، 50)
الرافعي ج 1 (53 ، 52)
. ه ه (برنالرت " 5 4)
برناروت عن : 12؟ . (ء4 طل!ها)56)
. بر نا يرت) 5 8 ، 5 7)
برنايرت عن : 7؟ - مر كلكلا ص!ء)59)

الجبرقي ج 3 (من 60 الى 73)
حاك تاجر : 9 أقباط وملمون أ عن البد الرابع من الأمر المؤرخ 0 1 فانديير عا (74)
ا 0 1 للثررة الفرله.
الجبرقي ج 3 (من 75 الى 79)
. جاك تاجر - أقباط وملمون (8")

السابع

الجبرقي ج 3 (1)
قد كان مجدر بنا ! نخصص فصلا كاملأ عن مظامر الوحدة لعربية في مواجهه الهجمة
الاستجمارية الوخه،
لكن رأينا ان نفرد لهذا الأمر دراسة ضاملة ، واكتفينا بهذا الهم! كمجرد إضارة لطبيعه الوحدة
العربية ذات
الروح الإسلامية التي بت تقاوم كزو مصر ، ولثرك مع المصرين في مجاهدة العدو ، على نحو لم
يتكرر له
مثن الى المصر الحاضر ، رغم كل الصفحات التى صردناها ، والاشرطة التى صجلناها في
الحديث عن الوحدة
المصيرية.
يقول الجبرقي : " ان رجلا مغربياً يقال له الـخ الكيلافي ، كان مجاورأ بمكه والمدينة ولطائف .
فلما وردت
احبار الفرنشى الى الحجاز وانهم ملكوا الديار للصرية انرعج اهل يمجاز لدلك وضجوا بالحرم
وجردوا الكبة
وان هدا الپئ صار يعظ لنثس ويدعوهم الى لجهاد و!كرضهم على نصرة الحق والدين وفرأ
بالحرم كاباً مؤلفا
في معى ذلك فانعظ جمدة من الاس وبذلرا أمرالهم وأنفهم واجتمع مخو المائة م! نلماهد-ش
وركبوا الحر
الى القصير مع ما انفم !م من أهار يبع وخلافه فورد الخبر في أواخره (رجب 1213 هـ- ديسبر
1798 م) اله انفم اليم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع
كز مصر
عد وقعة انبابه وركب الغز ممهم ايضا وحاربوا الفرنشى ظم تثبت الغز كعالتهم وافهزموا وتبمهم
هرارة
الصعيد والمتجمعة من القرى . وثبت الحجاربون تم انكفرا لقتهم وذلك بناحية جرجا ومرب الغز
والمماليلث
الى ناحية اشا " .
وعن هؤلاء المتطوعين من الجز 02 العرية يقول هيرولد : " كان أرب امداد " مراد " هم
المقاتلون العرب
القادمون من الحجاز ، الذكأ عبروا البحر الأحمر بالألوف ، وقد زعمرا كلهم انهم من سلاله
الرصول كلق!،
وكانوا يلبسرن المماكم ا!راء ، ويحملرن البادق واليوف والرماح وابخاجر . وو خلقهم صلابة
تنطق بها
وجوهم . وفد تين ان كثرأ منهم من الحجاح المغاربة الذفى التقطوا بسرعة و الطرلى ، ولكن
اكزهم-
وأضدهم تحصأ بالطبع - عرب خلص س شبه الجزيرة ، ومع ان ضريف مكة لم يثجعهم بالضبط

ونزلت كا الامدأد العربية في ثعر القصر الصغير . واتفق اله حين وصلت أول ترة !
عرپة كاد بولابرت

وقت واحد ، وهر اتفاق ما كان لط اسظاعة بونابرت أن يتكهن به ، وضرب
الاسطرا! !فرلى صربا شديدا

ولم تقتصر اثمشركة العربية على عرب المرق الذين رأيناهم يساهمون بالجرد
، والمتطوعين من الحجاز
والفدائيو من حلب ، بل اقدت لتئمل عرب المفرب ، وقد لب المجاهدون من المضب
دورأ لا!رأ ر اعمال
المقاومه ، بل ومحتلى شخصية منربيه مكالة ا!وريه لط هذه الفترة فقد روى الجرقي :
! وورد عليم رحلى
مو؟* يدعى المهدوية ء ويدعو الناس وصيهرضهم على الجهاد وصحبته نحو المانين نفرا
فكمان يكاتب أهل البلاد
يدعا ا الى الجهاد فاتجمع عليه أهل الجيرة وغيرهم وحضروا الى دفهور وقاتلوا من !
بها من الفرنساوية واسنمر
اياما +حيما3 ة يجتمع ع! هل تلون إزنهواحي وتفترق والمفرر المذكورة تارة ينرب
. وتارة ثرق " (3)
وقد مر بنا بمض م! أ،فومه الكل 1 مح!شارها هؤلاء المفربة وهكذا نحد ابناء الجزيرة
، العرله يفاتلون دب أمرط
واباء المفرب يحررون دسهرر ة بز ل!، هر حلب يعدء على الحازوق في القاهرة ، لأنه
نفذ أبرع عملبة خا-انبة
. ضد فوات الاحتلال
فابا ما تائلنا حجم المسثهمة ال!ربية في معركة 1967 م !بهد اننا أ نتفدم كثيرأ في
،مدان الوحده العرلية
بعد " تخليص مفهوم القرميه من الترسبا! الديية أ بل الأصدق ان نقول اننا قد تقهفرنا
! .. قيسا
. بونابرت (2)
الجبرقي ! 3 (3)
. بونابرت (4)
. ن . م (5)
.الجبرقي عن محضر التحفيق في مصرع كليبر (6)
بونابرت عن : 430 ا] 5 ف؟+،!3 (7)
. بولابرت (8)
. ن . م (9)
. ن . م (10)
.لويى عوض . تاريخ الفكر - الجزء الثالط (12 ، 1 1)
الرافعى ! 2 (1 4 ، 1 31
. ن . م (1 5 1
. نقو لا الترك (1 6)
الجبرقي خ 3 (17)
.لوي! عوض : تاريخ الفكر الجزء ا اصافي (18)
\ ! الجبرقي (1 9)
الجرلط ت 3 (2 0)
لويى عوض : تاريخ الفكر ج 1 (21)

) . بو نا بر ت (
5 الحبرقي ج 3 (
) . بونابرت (
6 . بونابرت عن : المرأسلات الحث س (
) الى-افعي ج 1 (
7 الجبرقي ج 4 (
) .الرافعي عن الاريخ الحلمي والحر! للحملة الفرنية - الجزء الالث (
8 الجبرقي ج 3 (33 ،
) بونابرت عن : 188 ،ء 4 غثلا!ه (
9 برنابرت عن : ؟ ا ا - ر ا 1 170 ح 3 ة،5 أي! .4 ك!أ ا امره "؟16 - 6 ر ا "]ا] ع 3 غ (
لا"وله ر " ط
) مورهيد (
. برنابرت (
(بونابرت عن : 192 "7!لعه!مم"3يح (
1 . ن . م (40 ،
) . ت ظ ا ت (- 2 -
2 ا--- عه !--تا.ت ا ات- ت 2 (
) افىءح! ء 3
4 . ب يابر ت (
) اف في ت 3 (
5

ا لفعا . : ا

. بو نا بر ت (2 ، 1)
الجبرذ ج 3 (3)
بر نا بر ت 9 ر . 7] ء (4)
3،ن!"وله ر ها
. بو نا بر ت (6 ، 5 1
بونابرت عن : 8! ،111 ءكفلا! (7)
هلى ها
. بونابرت (9 ، 81
بونابرت عن : 11.63 ء! (1 0)
لا"ولهر مصا
. بو نا برت (1 2 ، 1 1)
الجبرذ ج 3 (1 3)
. بونابرت (1 4)
الجبرقي ج 3 (من 15 الى 17)
لوس عوض - تارغ الفكر ج 2 (18)
مورهيد (1 9)

. الجنرال يعقوب لحفيق كربال (23)
الرافعي ج ا (24)
الرافعي ج 2 (25)
الجبرقي ج 3 (26)
البند العاضر من 6لفثقية العري!ء (27)
الجنرات يحقوب والفارس لاسكارير (محمد ضفيق (28)
. كربال 1932)
.كو -- س ش- : المؤنرات الاجنية (2 6)
. ن . م (من 0 3 ال 32)
.ولسن : تاريخ الحملة البريطانية كل مصر (33)
. بوناب ت (3؟)
.الرفعي ج ا عن : تقرر الضابط الفرني ضارلمحه (35)
الرفعى ج ا (36)
لوس عوض! : المزثرات الأبخه - المبحث (من 37 ال 39)
الثاز
. برنابرت (4 0)
. جثك تاجر : أتجاط وصلمون (4 1)
محلة الطلبعه - دبسر 1966 (42)
\ الجبرذ خ (43)
الجرذ ج 3 (44)
لوب! عرض - المرثرات الابخببة - المبحت الالنى - (45)
صت 1963 ء
لرس عوض - نارغ الفكر - طبمة صنة 1969ء (47 ، 46)
الجرلي ج 2 (48)
الجرقي ج ا (49)
الجرز ج 3 (50)
. ن . م (51)
.الجبرلي - الجزء الالث (من 52 الى 55)
الحرقي ج 2 (56)
الجبرقي ج 3 (58 ، 57)
الرافعي خ ا (ه 9)
الجبرقي ج ا (60)
. بر نا شت (6 1)
برناس ت ممت : و! *اممثلا ع!كعص!-5 ظ (62)
لوس - تارغ النكر ت 2 (63)
الجبرقي ت 3 (من 64 ، الى 1لم ة)

ا لفصل : ا لتاسع

الجبرقي ج 3 (2 ، 1)
مررهيد (3).
- برنابرت (4)
(مى 5 الى 16)

ا لفقل العا يثر

. صحفة 125
صحفة 126 . : الرد لايففيل عل مذه القطة في كثب " دراسة في فكر محل "

. قائد الا!ول أ ا-! بصاف صنة 1883 م
سننافى هذه المرية بالقصيل في كثنجث القادم : " الحرية في الإسلام " الذى خصصناه اضند مزاعم الدمحور
لويى عرض كل الحرية عد العرب . (صدر الجز 6 الخاص بكرية العقل والاصة في كثبنا " دراسة ! فكر
. (" نحل
ويمكن الرجرع لحلص ت " في الخا! المهدي .. " ابى تر سثا 4 حلتات في " رصالة يوجد

اظ ادمر

7 8

مجلة " حرار " كانت تصدر باضرة عن الخابرات الأمريكية وهر ماكقه لجة تحققات الكونغرس برئاسة

الفزو الصيبى مى ضاه أن يخلق عصبية ؟ية ، وجمودا فكريا ، لا تقحا . والتفتح لحقل ا. اض!ث والجدل
. الفلفي ، كان ثمرة الاطمئان والاسقرار ، لا الحرب العواء
وقد كان المص ى ييق في ازهي عصور حرية الفكر الي عر!ث الر ربمث الى اليرم .. وبدأت هذه الحرية

للأضاذ البهر عمود ضاكر محاب تيم فى هذا الان حمثه " ابثطيل 1 0

راجع في ذلك كتا! ألدكور جد الرحمن بدو! " دور العرب في تكربن الفكر الاوروثي " . فقد أحصى ما
فراه بحف! اعلام المكر ا"لإسا،مى و تراث اليرنان ، وما ترجموه ، وما نقحوه
صت تراحم.
.الدكور مهدممط علام والديهور أحمد بدوممط والدكور أنور لوقا
.لوي! عوضر
. المحلم يحقوب
. الطيرممط خ 4
. ثرت و مجلة الرسالة 10 / 6 / 9965 م

-!ا ا-.!ل.-.*،
زر-صخص-ص.
/ا!ح،..ا/6ر،)!

الموض

الفصل السادس الثورة



صدر

مصريون لا طوائف
الجبهة الشعبية
قانون الأحزاب
روا!ي وامر يكي في اليمن
ضرف المهنة
الغزو الفكري
الماركسية والغزو الفكرى
القومية والغزو الفكري
الحق المر
دراسة في فكر منحل
الطريق الى مجتمع عصري
اخطر من النكسة
النكسة والغزو الفكري
ماذا يريد الطلبة المصريون
إيلي كوهين من جديد
الجهاد ثورتنا الدائمة
الثورة الفلسطينية
طريق المسلمين للثورة الصناعية
ماذا ير يد الشعب المصري
ودخلت الخيل الأزهر
النابا أ الفكري
كلام لمصر
منر بية الصحراء
وقيل الحمد لله
منابع ثورة مايو
السعوديون والحل الاصلامي
خواطر مسلم في المسألة الجنسية
خوا طر مسلم : (ا لجهث د - ا لا قليثت
انهم يبيدون الإسلام فى بلغاريا
مام سترط امبراطورية النظ
نورة يوليو الأمريكهة
الناصريون قالمون
كلمثى للمغفلبن

ا لا -

1950
1951
1952
1957
1965
1964
1965
1966
1966
1966
1967
1967
1968
1968
1969
1969
197

رتم الإيداع : 2022 / 1990
الرليم الدولى : 3 -47 - 1471 -
977

-
!س!!سأمر!
اس - فمنوكة